الجامعة الإسلامية – غزة
عمـــادة الدراسات العليـــا
كليـــة أصـــول الـــديـــن
قسم التفسير وعلوم القـــرآن

تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر
من خلال سور: الأنفال و التوبة و يونس

إعداد

الباحثة/ أحلام مصباح أبو شعبان

إشراف

الدكتور/ زهدي أبو نعمة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
(بحث تكميلي) في قسم تفسير القرآن وعلومه بكلية أصول الدين- الجامعة الإسلامية

رجب 1427هـ – أغسطس 2006م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى أرواح الشهداء و خاصة شهداء فلسطين...

إلى روح الإمام الشهيد أحمد ياسين – رحمه الله – الذي بذل كل غالٍ و نفيس و ساند بجهده و رجاله هذه الجامعة الغراء حتى تبقى إسلامية و لا تسقط في العلمانية...

إلى كل المرابطين على ثرى فلسطين...

إلى الشباب الظامئ للمجد التليد...

إلى روح والدي رحمه الله...

إلى والدتي و زوجي و أولادي و إخوتي و أخواتي و صديقاتي...

إلى أساتذتي جميعاً في الجامعة الإسلامية و إلى كل الدعاة...

أهدي هذا العمل المتواضع و أسأل الله تعالى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم و أن ينفع به المسلمين

الباحثة

أحلام مصباح أبو شعبان

شكر و وفاء

استرشاداً بقول الله عز و جل﴿ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ﴾ [لقمان:12] فإنني أولاً أحمد الله عز و جل و أشكره كما ينبغي لجلال وجهه و عظيم سلطانه أن منّ على شعب فلسطين بهذه الجامعة الشامخة و حفظها حتى أصبحت بهذا المجد.

ثم أشكر والدتي و أسرتي على ما بذلوا معي من جهد، و ما صبروا عليّ و ما تحملوا من عناء.

و إنني لأتقدم بالشكر الكبير، و التقدير العظيم إلى أستاذي الجليل فضيلة الدكتور: زهدي أبو نعمة -حفظه الله- على قبوله الإشراف على هذا البحث و على الجهد الكبير الذي بذله فيه حتى وصل إلى هذه الصورة فجزاه الله خيراً.

كما و أتقدم بعظيم الشكر و الامتنان إلى كل من أستاذيَّ الفاضلين:

فضيلة الدكتور: عبد السميع العرابيد.

وفضيلة الدكتور:زكريا الزميلي.

اللذين تفضلا بقبول المناقشة، و لما بذلا من جهد مثمر في نقده و تنقيحه، فأسأل الله أن يحسن ثوابهما.

و إنني لأتقدم بخالص الشكر لكل من بذل معي جهداً كريماً و أخص بالذكر الأستاذ رائد الداية و زوجي الأستاذ بشير العشي اللذين قاما بقراءة البحث و تنقيحه لغوياً.

و الشكر موصول لأساتذتي الكرام الذين زرعوا فينا الرغبة في البحث في هذا المجال و أخص بالذكر د. عبد الرحمن الجمل، د.مروان أبو راس، د.زكريا الزميلي.

و الشكر موصول أيضاً لكل من ساهم بالطباعة و التنسيق و خاصة الذين بذلوا الجهد الأكبر فيها ابني ياسر، و المهندس عمر سمور، والأخت منى بشير.

و الشكر موصول أيضاً إلى العاملين في المكتبة المركزية في جامعتنا الغراء الجامعة الإسلامية .

و أخيراً أسأل الله عز و جل أن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم و أن يجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة إنه وليُّ ذلك و القادر عليه...

أولاً: المقدمة

الحمد لله الذي ابتدأ بحمد نفسه قبل أن يحمد غيره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الواحد الأحد ، الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، والصلاة والسلام على إمام المجاهدين ، وقائد الغر الميامين محمد بن عبد الله الصادق الوعد الأمين ، وعلى آله وصحبه والتابعين ، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن للقرآن الكريم منزلة عظيمة في نفوس المسلمين ، ومكانة مرموقة في قلوب المؤمنين؛ لأنه النور المبين وحبل الله المتين فهو أعظم كتاب ولا ينوب عنه كتاب.

إنه الدستور الخالد للمسلمين، الذي فيه طريق النجاة للعباد، وصلاحهم في الدارين الفانية والخالدة.

فالقرآن الكريم كتاب سعادة ورشد، كتاب علم وفضل، و إعجاز وهداية وتوحيد وآداب ، وعبادات ومعاملات ، فيه الخير كل الخير ،فيه ما يسعد العباد وينقذ البلاد ، فكان لزاماً علينا أن نحيا تحت رايته الشريفة قولاً وعملاً؛ لتسير الحياة على أحسن حال.

فلابد من علم التفسير الذي هو من أشرف العلوم على الإطلاق، وأولاها بالاهتمام والرعاية حيث يقول المولى سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٢١﴾ البقرة

ويقول المصطفى ﷺ: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)[1]، فالقرآن الكريم: هو الرسالة الخالدة التي تصحب الإنسانية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وقد تكفل الله بحفظه حيث قال: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ الحجر .

فمن جميل حفظ الله عز وجل أن تبقى هذه الرسالة تنبض بالحياة ، وتشع النور؛

([1]) البخاري رقم (5027) في فتح الباري (74/9)-66 كتاب فضائل القرآن – 21باب خيركم من تعلم القرآن و علمه، رواه عثمان رضي الله عنه.

ليحيا الناس في ظلالها الوارفة بالتدبر والتفكر.

فعالم التفسير عالم متجدد، يمتاز بالحيوية والعطاء ففي كل حين يضفي علماء التفسير أبعاداً جديدة وأسساً ومناهج مبتكرة، تضاف إلى الجهود السابقة للمفسرين السابقين.

ومن هنا كانت هذه الدراسة بعنوان "تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال سور: الأنفال و التوبة و يونس" أرى أنها حلةً جديدة قد تفتح الآفاق أمام الباحثين، لينهلوا من مَعين القرآن الذي لا ينضب.

والله المستعان وعليه التكلان وأملنا في الله أن يسدد خطانا ويلهمنا الرشاد ، وأن يجعل هذا الجهد المتواضع خالصاً لوجهه الكريم؛ لينفع به الإسلام والمسلمين، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

اللهم آمين

ثانياً: أهمية الموضوع وأسباب الاختيار:

تفسير القرآن بالقراءات هو من أهم المواضيع المختصة بالقرآن الكريم ، وتظهر هذه الأهمية من خلال النقاط التالية:

1. اهتمام المسلمين وإقبالهم على تعلم التجويد وأحكام التلاوة وتعلم القراءات اليوم كبيرٌ فأردت إبراز جانب مهم من علم القراءات في تفسير مراد الله تعالى.
2. موضوع تفسير القرآن بالقراءات القرآنية قديم حديث ، قديم له أصوله وجذوره الأولى في كتب التفاسير والقراءات ، وحديث لم يتم الحديث عنه بشكله المستقل.
3. أهمية التفسير في حياة المسلمين من أجل فهم مقاصد الشريعة الإسلامية.
4. القرآن الكريم معجزة الله الخالدة وله وجوه متعددة في الإعجاز فمن خلال هذه الدراسة يتم الكشف عن وجه جديد من وجوه الإعجاز في الإيجاز أي أن كل قراءة تقوم مقام آية مستقلة لتعطي معنىً مستقلاً جديداً.
5. تفسير القرآن بالقراءات القرآنية وسيلة منهجية لاستنباط الأحكام الفقهية.
6. القراءات القرآنية مظهر من مظاهر التيسير على الأمة ووسيلة للارتقاء بمستوى التفكير العلمي، فالقرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين بل هو في أسمى درجات الفصاحة والبلاغة.
7. تشجيع أساتذتنا الكرام في قسم التفسير بكلية أصول الدين ، للاهتمام بهذا اللون من ألوان التفسير.

ثالثاً: أهداف البحث:

1. حصر الآيات القرآنية المحتوية على أكثر من قراءة.
2. بيان أهمية القراءات القرآنية في التفسير.
3. إبراز التفسير بحلة جديدة من خلال تفسير القرآن بالقراءات القرآنية.
4. بيان علاقة القراءات القرآنية بعضها ببعض من الناحية التفسيرية.
5. إعطاء القراءات القرآنية أهميتها من خلال تيسيرها بين أيدي طلبة العلم.

6. ربط التفسير القرآني بالقراءات القرآنية بالواقع الذي تحياه الأمة الإسلامية، والاستفادة من وجوه الإعجاز بالقراءات القرآنية.
7. إثراء المكتبة الإسلامية بما هو نافع ومفيد.

رابعاً: سبب اختياري للسور الثلاث تحديداً:

- أنه كان لديَّ رغبة قبل دراسة الماجستير في قراءة تفسير هذه السور لما كنت أتأثر وأسعد بتلاوتها.
- أنها تحتوي على موضوع الجهاد وكل ما يتعلق به ومعالجته زمن رسول الله ﷺ، وحيث إن جهاد أهل فلسطين اليوم لا يخفى على أحد فكان شغفي بدارسة هذه السور إضافة إلى ما فيها من قراءات.
- لما في هذه السور من تفصيل لشرائح المجتمع وبالذات المنافقين والطابور الخامس... ولا يخفى على أحد الخطر الشديد لهذه الفئة في مجتمعنا الحالي..
- استكمالاً لجهد كبير بذله العلماء والباحثون من قبل.

خامساً: منهج البحث:

البحث عبارة عن إكمال جهد سبق، قام به عدة علماء أو باحثين بدأوا من بداية المصحف حتى نهاية سورة الأعراف، وبحثي هذا سيستمر بإذن الله حتى نهاية سورة يونس.

وهذا بيان لمنهج بحثي:

1. التمهيد للموضوع من خلال الحديث عن:

القراءات القرآنية وعلاقتها بالإعجاز ، مع بيان معنى التفسير والتأويل ، والفرق بينهما وعلاقة القراءات بالتفسير ، وأحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف مع بيان معنى الأحرف السبعة وفوائدها وعلاقتها بالقراءات القرآنية ، وأنواعها ، وأقسامها ونشأتها ، والتعريف بالقراء العشرة.

2. وضع تفسير للآيات من سور (الأنفال – التوبة – يونس) من خلال الجمع بين القراءات القرآنية الصحيحة في الكلمة الواحدة والتي لها علاقة بالمعاني.
3. الاقتصار على القراءات الموجودة في كتاب النشر.

منهج التفسير المتبع في بحثي هذا:

1. نقل الآيات القرآنية التي تتضمن مواضعَ الشاهد كاملةً، وفق ضوابط الرسم العثماني ومُشَكَّلَة برواية حفص عن عاصم.
2. بيان القراءات المختلفة في الآية ، بالرجوع لكتب القراءات المشهورة، وضبطها بالحركات والكلمات.
3. بيان المعنى اللغوي للقراءات، بالرجوع لكتب اللغة وقواميسها.
4. تفسير الآية تفسيراً مجملاً – ثم أقوم بتفسير كل قراءة على حدة، مع الالتزام بالقواعد المقررة في التفسير (ما يعرف بالتفسير المأثور) كما يلي:
   - تفسير القرآن بالقرآن.
   - تفسير القرآن بالسنة.
   - تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين.
   - تفسير القرآن بمقتضى اللغة والسياق والشرع في إطار ضوابط المفسرين المعروفة.
5. بيان العلاقة التفسيرية بين القراءات القرآنية ، والتوفيق بينها ما استطعت جهدي.
6. عزو الآيات إلى سورها، وفق الضوابط المعروفة بذكر اسم السورة.
7. عزو الأحاديث النبوية الشريفة المتعلقة بالموضوعات ، وتخريجها حسب الأصول ، والحكم عليها كلّما أمكن.

أمَّا إن ورد الحديث في الصحيحين، أو أحدِهما، فإنني أكتفي بالإشارة إلى ذلك .

8. ربط التفسير القرآني للقراءات بالواقع المعاصر والاستفادة من الإعجاز القرآني كلَّما لزم الأمر.
9. الرجوع إلى كتب القراءات ، والاحتجاج بها من مظانها.
10. الرجوع إلى كتب تفسير القرآن قديماً وحديثاً.

11. كتابة بعض اللطائف والإشارات، كلَّما لزم الأمر.

12. بيان معاني المفردات الغريبة في الحاشية، بالرجوع إلى أمهات كتب اللغة وقواميسها كلَّما لزم الأمر.

13. الترجمة للأعلام كلما أمكن ذلك، مع عدم ترجمتي للصحابة إلا في حالات مستثناة.

خامساً: الجهود السابقة:

1. بعد البحث والتقصي تبين أنه لم يتطرق أحد من قبل لتفسير القرآن من خلال القراءات ؛ إلا أنه قد سبقني في هذا المجال زملاء أفاضل ، فتناولوا تفسير سورة الفاتحة ، والبقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف في رسائل ماجستير بنفس العنوان ، ومع ذلك فإنه لا يفوتني ، أن أرجع إلى المراجع التي تناولت القراءات بالشرح والتفسير والبيان... ومنها:

- ❖ النشر في القراءات العشر لابن الجزري
- ❖ الحجة في القراءات السبع لأبي علي الفارسي
- ❖ حجج القراءات لأبي زرعة – ابن زنجله
- ❖ الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب
- ❖ معاني القراءات لأبي منصور الأزهري
- ❖ الهادي في شرح طيبة النشر في القراءات والكشف عن علل القراءات وتوجيهها د. محمد سالم محيسن
- ❖ المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة د. محمد سالم محيسن
- ❖ المهذب في توجيه القراءات العشر د. محمد سالم محيسن
- ❖ الحجة في القراءات لابن خالويه

2. وكما لا يفوتني أن أذكر جهود الكثير من المفسرين، القدماء منهم والمحدثين، في إرساء قواعد هذا العلم، أمثال شيخ المفسرين الإمام الطبري وابن عاشور، والطبرسي، والقرطبي، و أبي السعود وغيرهم.

3. ولا يفوتني أن أشير إلى أسماء رسائل علمية كتبت حول الموضـــوع **وذلــك مثل:**

- القراءات وأثرها في التفسير والأحكام.

إعداد: محمد بن عمر بن سالم بازْمول.

رسالة دكتوراة: أم القرى 1413هـ.

- مكانة القراءات من خلال منهج القراء في التفسير.

إعداد: الميلودي بوكرمة.

رسالة ماجستير: محمد الخامس 1995م.

- القراءات مصدراً للتفسير عند ابن عطية في الوجيز.

إعداد: زيكيتو أحمد.

رسالة ماجستير: الإسكندرية 1989م

- تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال سور الفاتحة والبقرة وآل عمران.

إعداد: عبد الله الملاحي.

رسالة ماجستير: الجامعة الإسلامية –غزة 2002م.

- تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال سور الإسراء و الكهف و مريم.

إعداد: آمال حماد.

رسالة ماجستير: الجامعة الإسلامية –غزة 2006م.

سادساً: خطة البحث:

ويشتمل هذا البحث على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول:

المقدمة:

وتشمل المواضيع التالية:

1. أهمية الموضوع وأسباب اختياره.
2. أهداف البحث.
3. سبب اختياري للسور الثلاث.
4. منهج البحث.
5. الجهود السابقة.
6. خطة البحث.

التمهيد:

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: القراءات القرآنية هي لون من ألوان الإعجاز القرآني.

المبحث الثاني: التفسير والتأويل وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: معنى التفسير والتأويل والفرق بينهما.
- المطلب الثاني: علاقة القراءات القرآنية بالتفسير.

المبحث الثالث: الأحرف السبعة وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف.
- المطلب الثاني: معنى الأحرف السبعة والرأي الراجح منها.
- المطلب الثالث: فوائد نزول القرآن على سبعة أحرف.
- المطلب الرابع: صلة القراءات بالأحرف السبعة.

المبحث الرابع: القراءات القرآنية وفيها أربعة مطالب:

- المطلب الأول: تعريف القراءة القرآنية لغةً واصطلاحاً.
- المطلب الثاني: العلاقة بين القراءات القرآنية والقرآن.
- المطلب الثالث: نشأة القراءات القرآنية وأقسامها وحكم الاحتجاج بها.
- المطلب الرابع: التعريف بالقرَّاء العشرة ورواتهم.

الفصل الأول:

تفسير سورة الأنفال من خلال القراءات القرآنية العشر.

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: بين يدي السورة.

المبحث الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة الأنفال المتضمنة للقراءات العشر.

الفصل الثاني:

تفسير سورة التوبة من خلال القراءات القرآنية العشر

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: بين يدي السورة.

المبحث الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة التوبة المتضمنة للقراءات العشر.

الفصل الثالث:

تفسير سورة يونس من خلال القراءات العشر

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: بين يدي السورة.

المبحث الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة يونس المتضمنة للقراءات العشر.

الخاتمة:

وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات التي خرج بها البحث.

الفهارس وتشتمل على:

1. فهرس آيات القراءات القرآنية.
2. فهرس الأحاديث النبوية والآثار.
3. فهرس الأعلام المترجم لهم.
4. فهرس المصادر والمراجع.
5. فهرس المواضيع.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الباحثة

التمهيد

المبحث الأول: القراءات القرآنية هي لون من ألوان الإعجاز القرآني.

المبحث الثاني: التفسير والتأويل وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: معنى التفسير والتأويل والفرق بينهما.
- المطلب الثاني: علاقة القراءات القرآنية بالتفسير.

المبحث الثالث: الأحرف السبعة وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف.
- المطلب الثاني: معنى الأحرف السبعة والرأي الراجح منها.
- المطلب الثالث: فوائد نزول القرآن على سبعة أحرف.
- المطلب الرابع: صلة القراءات بالأحرف السبعة.

المبحث الرابع: القراءات القرآنية وفيها أربعة مطالب:

- المطلب الأول: تعريف القراءة القرآنية لغةً واصطلاحاً.
- المطلب الثاني: العلاقة بين القراءات القرآنية والقرآن.
- المطلب الثالث: نشأة القراءات القرآنية وأقسامها وحكم الاحتجاج بها.
- المطلب الرابع: التعريف بالقرَّاء العشرة ورواتهم.

المبحث الأول

القراءات القرآنية هي لون من ألوان الإعجاز القرآني

يقول عــز وجــل : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴿٨٨﴾ ﴾ الإسراء

إنّ القرآن الكريم كلام الله ، المعجز للخلق بعلومــه ، ومعارفــه ، وأخبــاره الماضية والمستقبلة ، والعقل الإنساني على تقدّمه لا يعجز عن معارضته لأنّه آيــة كونية لا قِبَل له بها ، ولكن عجزه هو لقصوره الذاتي. فيكون هذا اعترافاً منه بأنّــه وحيُ الله إلى رسوله ، وأنَّ حاجته إلى الاهتداء به ماسّة ؛ ليستقيم عوجــه . وهــذا المعنى هو ما يشير إليه رسول الله ﷺ في قوله : (ما من الأنبياء نبيٌّ إلاّ أُعطي ما مثله ، آمن عليه البشر ، وإنّما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلــيَّ ، فــأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً)[1]

والحديث عن إعجاز القرآن ضرب من الإعجاز، لا يصل الباحث فيه إلى سرّ جانب منه حتى يجد وراءه جوانب أخرى يكشف عن سر إعجازها الزمن.[2]

يقول الرافعي[3]: "وما أشبه القرآن الكريم في تركيب إعجازه ، وإعجــاز تركيبــه بصورة كلاميّة من نظام هذا الكون الذي اكتنفه من كل جهة ، وتعاوروه[4]من كــل ناحية ... ثمَّ هو بعدُ لا يزال عندهم على ذلك ... مراماً بعيداً ."[5]

---

(1) رواه البخاري رقم 4981 في فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري : أحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني(3/9) – 66 كتاب فضائل القرآن –1 باب : كيف أنزل الوحي وأول ما نزل – دار المعرفة– بيروت – رقمه محمد فؤاد عبد الباقى ..

(2) مباحث في علوم القرآن: منّاع القطّان – ص235 – 236 – مؤسسة الرسالة – ط35–1418 هــ– 1998م.

(3) هو مصطفى صادق عبد الرزّاق بن أحمد سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي ، أديب ، كاتب ، شاعر ، أصله من طرابلس الشام ولد عام 1297هــ – 1880 م وانتخب عضواً بالمجمع العلمي العربي بدمشق ، وتوفي في طنطا بمصر 1356هــ – 1937م . انظر[معجم المؤلفين تراجم مصنّفي الكتب العربية : عمر رضا كحاله (256/12–257) – دار إحياء التراث العربي – بيروت (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي معجم المؤلفين)] .

(4) تعاوروه : أي تداولوه انظر[المصباح المنير : أحمد بن محمد بن علي الفيّومي المقري – ص259– دار الحديث – القاهرة – ط1 1421 هــ –2000 م (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي المصباح المنير)].

(5) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي ص157 باختصار – المكتبة التجارية الكبرى – مصر – ط8 –

لذلك نجد أن الأمة أجمعت على إعجازه و أن من يخالف يكفر بصريح القرآن، فهو المعجزة الكبرى والعظمى لسيدنا محمد ﷺ ، وقد كَثُر المتكلمون في وجوه إعجاز القرآن ، فالشيخ محمد رشيد رضا(1) يعتبر أنَّ الكلام في وجوه إعجاز القرآن واجبٌ شرعيٌ حيث يقول: " فالكلام في وجوه إعجاز القرآن واجبٌ شرعاً ، وهو من فروض الكفاية وقد تكلم فيه المفسرون والمتكلمون، وبلغاء الأدباء المتأنقون".(2) لذلك كانت أنظار المسلمين دائماً معلّقة بكتاب الله يدرسونه ، ويتدارسونه، وفي كل يوم من أيام المسلمين تظهر دراسات وبحوث، وكان نصيب الإعجاز في مباحث القرآن نصيباً موفوراً ، وقد أفرده بعضهم بدراسة خاصة مثل الرمّاني(3) والباقلاّني(4) والإمام عبد القاهر الجرجاني(5) حيث إنّه يُعتبر مؤسس علم البلاغة ، ووضع كتابيه (أسرار البلاغة) ، (دلائل الإعجاز) ؛ لإثبات وجوه إعجاز القرآن بطريقة فنية وقواعد علمية. والقائلون بتعدد الوجوه ، مجمعون على أنّ الإعجاز البياني هو أعظم هذه الوجوه وأهمّها ؛ والسبب في ذلك أنَّ كلَّ آيةٍ من آيات الله لا

1384هـ - 1965م.

(1) هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين ...القلموني ، البغدادي الأصل ، الحسيني النسب صاحب مجلة المنار ، وأحد رجال الإصلاح الإسلامي من الكتَّاب ، والعلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير ولد عام 1282هـ - 1865م ، وتوفي إثر حادث سيارة عام 1354هـ - 1935م انظر[الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين المستشرقين خير الدين الزركلي (6/ 126) دار العلم للملايين – بيروت – ط5 مايو 1980 م (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي الأعلام)].

(2) انظر [كلمة السيد محمد رشيد رضا – رحمه الله – عند عرضه لكتاب إعجاز القرآن : مصطفى صادق الرافعي ص17].

(3) هو علي بن عيسى بن علي بن عبد الله أبو الحسن ، وأشتهر بالرماني إماماً بالعربية ، علاَّمّه في الأدب ، ولد سنة ست وسبعين ومائتين ، وأخذ عن الزَّجاج ، وغيره وله تصانيف كثيرة منها : شرح سيبويه مات سنة أربع وثمانين وثلاثمائة انظر[بغيه الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : الحافظ جلال الدين السيوطي (2/180-181) - المكتبة العصرية – صيدا – بيروت – تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي بغية الوعاة)].

(4) هو محمد بن الطيّب بن محمد بن جعفر أبو بكر ، من كبار علماء الكلام انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة ، ولد بالبصرة سنة 338هـ -950م وسكن بغداد ، وتوفي فيها ، من تصانيفه إعجاز القرآن توفي سنة 403هـ - 1013م انظر [الأعلام (176/6) ، طبقات الشافعية الكبرى : تاج الدّين أبي نصر عبد الوهاب السُّبكي (150/3،187،202) – دار إحياء الكتب العربية – تحقيق : محمود محمد الطناجي ، عبد الفتّاح الحلو (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي طبقات الشافعية)].

(5) هو عبد القاهر بن عبد الرحمن ، أبو بكر الجرجاني النحوي ، شيخ العربية في زمانه ، كان إماماً بارعاً ، انتهت إليه رياسة النحاة في زمانه توفي سنة 472هـ انظر[بغيه الوعاة (106/25)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تعزي بَرْدى الأتابكي (108/5) – دار الكتب العلمية – بيروت – ط1- 1413 هـ -1992 م قدَّم له وعلّق عليه محمد حسين شمس الدّين . (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي النجوم الزاهرة)].

تخلو منه . أمّا الوجوه الأخرى فهي ليست كذلك.(6) إلاّ أنّ أكثر مباحث الإعجاز هي التي كانت تجيء ضمن مباحث التفسير، أو القراءات ، فمعظم الذين فسّروا القــرآن الكريم أشاروا في صدر تفسيرهم إلى إشارات تتضمن آراءهم في فضــل القــرآن وإعجازه.(1)

ومنهم:

1- القرطبي(2) - رحمه الله- ذكر عشرة من وجوه إعجاز القرآن ، مبتدئاً بــالنظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب وفي غيرها.(3)

2- ابن عطية (4) أكّد أنّ إعجاز القرآن كان بسبب نظمه ، وقد أخذ بهــذا الــرأي الجمهور حيث يقول ابن عطية : "وهذا هو القول الذي عليه الجمهــور والحــذّاق ، وهو الصحيح في نفسه ، والتَّحدي إنّما وقع بنظمه وصحة معانيه ، وتوالي فصــاحة ألفاظه ووجه إعجازه ...وترتيب ألفاظ القرآن ، بحيث تكون اللفظة تصلح أن تلــي الأُولى ، وتبيين المعنى بعد المعنى وهكذا من أول القرآن إلى آخره فبهذا جاء نظــم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة . " (5)

---

(6) انظر [إعجاز القرآن الكريم : د. فضل حسن عباس ، سناء فضل عباس - ص29 - عمّان - سنة 1412هـ -1991م].

(1) انظر[الإعجاز في دراسات السابقين ، دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها : عبد الكريم الخطيب - ص149 - دار الفكر العربي- ط1- سنة 1974 م].

(2) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح ، يكنى بأبي عبد الله ، الأنصاري الخزرجي القرطبي المالكي ولد بقرطبة ، وهو إمام متبحر في العلم وله تصانيف كثيرة توفي سنة 671هـ انظر[معجم المؤلفين (19/9) ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرَّطيب : أحمد بن محمد المقري التلمساني (685/2) -دار صادر - بيروت -1968 م (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي نفح الطيب) ، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري (318/1) - دار الكتب العلمية - بيروت (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي الديباج المذهب) ، طبقات المفسرين : الحافظ شمس الدّين الداوودي (69/2)- دار الكتب العلمــية - بيروت - ط1 - 1403 هـ - 1983 م (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي طبقات المفسرين : الداوودي)].

(3) انظر [الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبي (80/1-83) - دار الحديث -القاهرة - ط3 - 1423هـ - 2002م - راجعه محمد إبراهيم الحفناوي ، محمود حامد عثمان . (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي الجامع لأحكام القرآن)].

(4) هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطيه المحرابي ، أبو محمد مفسر فقيه أندلسي ، ولي قضاء المرية ، له المحرر الوجيز كتاب تفسير، توفي سنة 546هـ انظر[سير أعلام النبلاء : شمس الدّين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (587/19)- مؤسسة الرسالة - بيروت - ط6 -1409 هـ -1989 م - حققه : شعيب الأرنؤوط (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي سير أعلام النبلاء)].

(5) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : القاضي عبد الحق بن غالب بن عطيه الأندلسي المتوفى سنة 546هـ (71/1) - تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد - طبعة محققه عن نسخه آيا صوفيا - استنبول رقم (119) محفوظه في مكتبة مرعشي بخفي ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان- ط سنة 1413هـ - 1993م (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي المحرر الوجيز).

3- والفيروزأبادي (6) ينقل رأياً في كيفية الإعجاز ومفهومه فيقول:" إنّ العرب لم يعجزوا عن الإتيان بمثل لفظه ، ولا بمثل معناه ، إنّما عجزوا عن نظمٍ مثل نظمه ، فإنّ أنواع كلامهم كانت منحصرةً في الأسجاع والأشعار... فجاء نظم التنزيل على أسلوب بديع لا يشبه شيئاً من تلك الأنواع ، فقصرت أيدي بلاغاتهم عن بلوغ أدنى مرتبة من مراتب نظمه". (1)

4- ويرى الألوسي (2) أنّ وجوه الإعجاز أربعةٌ فيقول : "والذي يخطر بقلب هذا الفقير ، أنّ القرآن بجملته وأبعاضه حتى أقصر سورة منه ، معجزٌ بالنظر إلى نظمه وبلاغته وإخباره عن الغيب وموافقته لقضية العقل ودقيق المعنى." (3)

5- وسيد قطب – رحمه الله – كان ولِعاً بنظم القرآن حيث ألّف كتابه المشهور " التصوير الفني في القرآن " وقد تناول فيه جانباً من جوانب الإعجاز في الكتاب الحكيم وهو التصوير ، وفي ذلك يقول : " التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن ، فهو يعبّر بالصورة المُحَسّة المتخَيَّلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية ، وعن الحادث المحسوس ، والمشهد المنظور ، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية ، ثم يرتقى بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجدِّدة ، فإذا المعنى هيئة أو حركة ، وإذا الحالة الفنية لوحة أو مشهد ، وإذا

---

(6) هو محمد بن يعقوب بن إبراهيم الشيرازي الفيروزأبادى ، العلامة مجد الدين أبو الطاهر ولد سنة تسع وعشرين وسبعمائة له من التصانيف القاموس المحيط ، مات سنة ست عشرة وثمانمائة انظر [بغيه الوعاة (273/1-275)].

(1) بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز: تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي (68/1) – ط2- غره جماد الآخرة 1406هـ – 1986م (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي بصائر ذوى التمييز).

(2) هو شهاب الدين محمود الألوسي ولد عام 1217هـ ، وينتهي نسبه إلى الحسين من جهة الأب ، وإلى الحسن من جهة الأم ، والألوسي نسبة إلى ألوس ، وهي قرية على الفرات ، قرأ على والده العلوم العربية ، وهو أمير البيان ، نبغ في الفقة والحديث ، وله تصانيف : أهمّها تفسير روح المعاني ، توفي سنة 1270هـ انظر[حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: عبد الرزاق البيطار (1450/3-1451)- دار صادر – بيروت – ط2- 1413هـ -1993 م (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي حليه البشر) ، أبجد العلوم الوشى المرقوم في بيان أحوال العلوم : صدّيق بن حسن القانوجي (315/1) – دار الكتب العلمية – بيروت – 1978 م – تحقيق: عبد الجبار زكار (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي أبجد العلوم)].

(3) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : تأليف العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (32/1)- دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط1- سنة 1415 هـ -1994م ضبطه وصححه: علي عبد الباري عطية(وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي روح المعاني).

النموذج الإنساني شاخصٌ حي..."[4]

6-القاضي أبو بكر (عبد القاهر الجرجاني)[5] كان يرى أنَّ وجه إعجاز القرآن ما فيه من النظم والتأليف ، وأنَّه خارجٌ عن وجوه النَّظم المعتاد في كلام العرب ومباينٌ لأساليب خطاباتهم ، ولهذا لم يتمكنوا من معارضته.[1]

7-ويرى السّيوطي[2] أنَّ العلماء خاضوا في وجوه إعجاز القرآن ، وأنّ بعضهم أنهى وجوه إعجازه إلى ثمانين ثم استطرد قائلاً : "والصّواب أنّه لا نهاية لوجوه إعجازه"[3] وأوصل وجوه الإعجاز في كتابه إلى خمسة وثلاثين وجهاً وهو يرى إعجاز القرآن متعلقاً بفصاحة القرآن وبلاغته.

من خلال أقوال العلماء و المفسرين السابقة في الإعجاز يتبين أن:الإعجاز البياني هو أعظم الوجوه و أهمها و ذلك لأنه لا تخلو منه آية من كتاب الله تعالى، و بالوقوف عند القراءات القرآنية و التأمل فيها نجد أنها تمثل وجهاً من وجوه الإعجاز، و ذلك من خلال أن كل قراءة تسد مسد آية مستقلة:

1- قال السيوطي في الإتقان مبيّناً فوائد القراءات والتي منها:

"المبالغة في إعجازه بإيجاز؛ إذ تنوع القراءات بمنزلة الآيات" [4]

2- وذكر الزرقاني[5]: سبعة أوجه من وجوه إعجاز القرآن ، واعتبر تعدُّدَ القراءات

---

(4) التصوير الفني في القرآن : سيد قطب – ص36 – دار الشرق – القاهرة – ط16 – سنة 1423هـ –2002م (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي التصوير الفني).

(5) سبقت ترجمة له ص 2 .

(1) انظر[دلائل الإعجاز : الإمام عبد القادر الجرجاني- ص29-36 – دار المعرفة – بيروت – لبنان – سنة 1398 هـ –1978م – صححه وعلق حواشيه : محمد رشيد رضا (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي دلائل الإعجاز)].

(2) هو عبد الرحمن بن أبي بكر شيخ الإسلام جلال الدين الفضل بن العلامة كمال الدين الأسيوطي الخضيرى الشافعي، ولد سنة تسع وأربعين وثمانمائة، نشأ يتيماً ورعاه جماعة من العلماء وختم القرآن وله من العمر دون ثمان سنين ، له تصانيف كثيرة ، توفي سنة إحدى عشر وتسع مائة انظر[الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة : الشيخ نجم الدين العربي (226/1 –8 22)- دار الفكر (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي الكواكب السائرة) ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع : الشوكاني (337/1)- دار الفكر – ط1 – 1419هـ –1998 م (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي البدر الطالع)] .

(3) انظر[معترك الأقران في إعجاز القرآن : الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (1/3-4)- دار الفكر العربي – تحقيق : علي محمد البيجاوي (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي معترك الأقران)].

(4) الإتقان في علوم القرآن : الحافظ جلال الدين السيوطي (255/1) – دار ابن كثير – دمشق – بيروت – ط5 سنة 1422هـ – 2002م – تحقيق : مصطفى ديب البغا (حيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي الإتقان) .

من كمال الإعجاز؛ حيث يقول : والخلاصة أنَّ تنوع القراءات يقوم مقام تعددُّدِ الآيات؛ وذلك ضربٌ من ضروب البلاغة ، يبتدىء من جمال هذا الإيجاز وينتهي إلى كمال الإعجاز ، أضف إلى ذلك ما في تنوّع القراءات من البراهين الساطعة والأدلة القاطعة ، على أنَّ القرآن كلام الله ، وعلى صدق من جاء به وهو رسول الله ﷺ ، فإنَّ هذه الاختلافات في القراءة على كثرتها لا تؤدي إلى تناقض في المقروء وتضاد ... بل القرآن كلُّه على تنوُّع قراءته ، يصدّق بعضه بعضاً... على نمطٍ واحدٍ من علوِّ الأسلوب والتعبير ، وهدف واحد من سُمُوِّ الهداية والتعليم؛ وذلك- من غير شكٍ- يفيد تعدُّد الإعجاز بتعدُّد القراءات والحروف . ومعنى هذا أنّ القرآن يُعْجِز إذا قُرِىء بهذه القراءة ، ويُعْجِز أيضاً إذا قُرِىءَ بقراءة ثانية ، ويُعْجِز أيضاً إذا قرىء بقراءة ثالثة ، ... ومن هنا تتعدد المعجزات بتعدُّد تلك الوجوه والحروف ! ولا ريب أنّ ذلك أدلّ على صدق محمد ﷺ لأنَّه أعظم من اشتمال القرآن على مناحٍ جمّة في الإعجاز وفي البيان ، على كل حرفٍ ووجه ، وبكل لهجةٍ ولسان ".[1] ولهذا فإنَّ نَظْم القرآن أعدل الآراء في وجوه الإعجاز، وذلك؛ لأنّها كما رأينا سابقاً من خلال أقوال العلماء تظهر في كل آية ، وهو الذي وقع به التحدي، بأن يأتوا ولو بسورة من مثله، فهذا ينطبق على كل القرآن. أمّا وجوه الإعجاز الأخرى التي ساقها العلماء، مثل التحدث عن الأخبار الماضية ، وسير الأولين ، أو التنبؤ بالغيب ، أو الآيات التي تشير إلى حقائق علمية ، أو الإعجاز النفسي أو الاجتماعي ، فهذه وجوه تلتمس في بعض الآيات، ولا تلتمس في القرآن كله ، وكثير من سور القرآن ليس فيها إشارات من هذا القبيل الذي وقع بها التحدي.[2]

---

(5) هو محمد عبد العظيم الزرقاني ، من علماء الأزهر بمصر – تخرج بكلية أصول الدين وعمل بها مدرساً لعلوم القرآن والحديث ، وتوفي بالقاهرة عام 1367هـ –1948 م . انظر[الأعلام (260/6)].

(1) مناهل العرفان في علوم القرآن : الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني (132/1)- دار الحديث – القاهرة – سنة 1422هـ – 2001م (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي مناهل العرفان) .

(2) انظر[القرآن إعجازه وبلاغته : د. عبد القادر حسين – ص113-114 – المطبعة النموذجية – مكة].

3- وذكر ابن الجزري [3] في سياق حديثه عن فوائد القراءات قائلاً : "ومنها ما في ذلك من نهاية البلاغة وكمال الإعجاز وغاية الاختصار ، وجمال الإيجاز ؛ إذ كل قراءة بمنزلة الآية ؛ إذ كان تنوع اللفظ بكلمة تقوم مُقَام آيات، ولو جعلت دلالة كلِّ لفظٍ آيةً على حدتها، لم يَخْفَ ما كان في ذلك من التطويل ".[1]

4- و قال الطاهر ابن عاشور في تفسيره: " و أنا أرى أن على المفسر أن يبين اختلاف القراءات المتواترة لأن في اختلافها توفيراً لمعاني الآية غالباً فيقوم تعدد القراءات مقام تعدد كلمات القرآن"[2]

5- ولقد صرّح د.عبد الرّحمن الجمل المتخصِّص في علم القراءات بقوله:"إنَّ اختلاف القراءات القرآنية لون من ألوان الإعجاز ووجه من وجوهه ؛ لأنها تثري المعاني وتزيدها وأكد ما قاله ابن الجزري فقال :" فكل قراءة تثري معنى الآية بالمعاني العظيمة والكثيرة ، وكل قراءة تسد مسد آية مستقلة ".[3]

ومن خلال آراء العلماء والمفسرين في وجوه الإعجاز نستنتج أنَّ القراءات القرآنية هي لون من ألوان الإعجاز ووجه من وجوهه، وتندرج تحت الإعجاز البياني حيث إنّها تثرى المعاني وتزيدها. فكل قراءة تسد مسد آيةٍ مستقلةٍ كما ذكرته في الآراء السابقة ، فهو إعجازٌ بالإيجاز ، وهو ضربٌ أيضاً من الإعجاز، لا يستطيع أن يَأتِيَ به بشرٌ من عنده ، ولا يستطيع أن يبلِّغَه على هذا الوجه الشامل إلا رسول من عند

---

(3) هو محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الجزري ، يكنى أبا الخير ، ولد في رمضان سنة إحدى وخمسين وسبعمائة ، تعلم القرآن وحفظه في سن مبكرة وله تصانيف كثيرة منها غاية النهاية في طبقات القراء ، والنشر ، توفي سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة بمدينة شيراز انظر[غاية النهاية في طبقات القراء : شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري (ت 33هـ) (247/2-251)- دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط3 -1402هـ - 1982 م (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي غاية النهاية)].

(1) النشر في القراءات العشر : الإمام الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري (47/1)- منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط2 - 1423هـ -2002م – قدّم له علي محمد الضباع – خرج آياته زكريا عميرات (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي : النشر) .

(2) التحرير و التنوير: الشيخ أبو الطاهر ابن عاشور (56/1) – دار سحنون – تونس (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي التحرير و التنوير)

(3) انظر [منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره : د. عبد الرحمن يوسف أحمد الجمل – تحت إشراف: د. فضل حسن عباس ص 96-97 – رسالة ماجستير 1412هـ -1992م (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي منهج الإمام الطبري في القراءات)].

الله، فهو دليل على أنَّ الكتاب منزلٌ من عند الله .

مثال على ذلك ما قاله ابن الجزري[4]: "واختلفوا في (**بِكُلِّ سَٰحِرٍ**) [الأعراف:112] ، [يونس :79] فقرأ حمزة والكسائي وخلف في قوله : (**سحَّار**) على وزن "فعَّال" بتشديد الحاء وألف بعدها في الموضعين وهم على أصولهم في الفتح والإمالة . وقرأ الباقون في السورتين قوله (**ساحر**) على وزن "فاعل" وألف قبل الحاء ، واتفقوا على حرف الشعراء أنّه سحّار؛ لأنه جواب لقول فرعون فيما استشارهم فيه من أمر موسى بعد قوله : (**إنّ هذا لساحر عليم**) فأجابوه بما هو أبلغ من قوله، رعايةً لمراده بخلاف التي في الأعراف فإنَّ ذلك جوابٌ لقولهم فتناسب اللفظان أما التى في يونس فهي جواب من فرعون لهم حيث قرأوا (**إنّ هذا لسحر مبين**) فرفع مقامه عن المبالغة والله أعلم".[1]

وهذا المثال في سورة يونس ذكرتُ فيه التوجيه بأن قراءة (**سحَّار**) تفيد أنّ فرعون طلب من جنوده أن يأتوه بالمهرة المتمرسين من السحرة المداومين لصنعتهم، فهو لا يريد ضعاف السحرة ولا يريد غير الملازمين لصنعتهم، وهذا المفهوم أخذناه من قراءة من قرأ بالتشديد والله أعلم.[2]

ومن هنا كان حتماً عليَّ تبيان وجوه الإعجاز في القراءات القرآنية ، وأثرها على التفسير من خلال سورة الأنفال و التوبة و يونس ببعض وجوه القراءات العشر، راجية من المولى عز وجل حسن الأداء والبحث، وإعطاء الموضوع حقَّه، والتّوفيق والسّداد منه جل في علاه ، هو ولىُّ ذلك والقادرُ عليه.

---

(4) سبقت ترجمة له ص6.

(1) النشر (203/2) ، و انظر [القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية : د. فضل حسن عبّاس – ص12 – مجلة دراسات – المجلد الرابع عشر –العدد السابع – سنة 1987م (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية)].

(2) انظر[هذا المثال بتوسع ص350].

المبحث الثاني : التفسير والتأويل

المطلب الأول : معنى التفسير والتأويل والفرق بينهما

أولاً : التَّفسير لغةً :

هو مصدر على وزن تفعيل من الفسر ، فَسَرَ فَسْراً، والفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان الشيء وإيضاحه ، بمعنى إظهار المعنى المعقول منه ، والتفسير في المبالغة كالفَسْر ، وفَسَّر الشيء يفسِرُه بالكسر ويفسُرُه بالضم ، فسْراً وفسَّره : أي أبانه وأوضحه . والفَسْرُ :كشف المغطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المُشْكِل . والتفسير قد يقال فيما يختص بمفردات الألفاظ وغريبها ، وفيما يختص بالتأويل..(1) مما سبق يتبين أنّ معنى التفسير الكشف والإبانة والإيضاح.

ثانياً : معنى التفسير إصطلاحاً :

اختلف العلماء في معنى التفسير على عدة أقوال :

فمنهم الزركشي (2) عرَّفه بأنّه : " علمٌ يُعْرف به فهمُ كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ ، وبيان معانيه ، واستخراج أحكامه وحِكَمه " . (3)

وعرَّفه الزرقاني (4) فقال : " التفسير هو علمٌ يُبحث فيه عن أحوال القرآن الكريم

---

(1) انظر[لسان العرب : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (55/5)– مادة فسر – دار صادر – بيروت – سنة 1424 هـ –2003م(وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي لسان العرب) ، مفردات ألفاظ القرآن : الراغب الأصفهاني– ص 636– مادة فسر– دارالقلم – دمشق – ط3 – سنة 1423 هـ–2002م – تحقيق صفوان عدنان داوودي (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي مفردات ألفاظ القرآن) ، معجم مقاييس اللغة : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(ت395هـ) (504/4) – دار الجيل – بيروت – ط1 – سنة 1411هـ – 1991م – تحقيق : عبد السلام محمد هارون(وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي معجم مقاييس اللغة) ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: تأليف العالم أحمد بن محمد بن علي المقرى الفيومي (ت 770هـ) – ص 281 – المطبعة الأميرية مصطفى السقا – دار الفكر – المملكة العربية السعودية (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي المصباح المنير)].

(2) هو بدر الدين محمد بن عبد الله بهادر الزركشي، أبو عبد الله ، ولد عام (475هـ –1344م) عالم بفقه الشافعية والأصول ، تركي الأصل ، مصري المولد والوفاة له مؤلفات كثيرة منها البرهان في علوم القرآن انظر[الأعلام (60/6 –61) ، مقدمه البرهان في علوم القرآن (5/1–13)].

(3) البرهان في علوم القرآن : الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (13/1) – ط2 – عيسى البابي وشركاه – تحقيق : محمد أبو الفضل (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي البرهان) .

(4) سبقت ترجمة له ص 5.

من حيث دلالته على مراد الله بقدر الطاقة البشرية ".(5)

وعرَّفه أبو حيان (1) فقال : " علمٌ يُبحث فيه عن كيفية النُّطق بألفاظ القرآن ، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية ، ومعانيها التي تُحمل عليها حالةُ التركيب، وتتمات لذلك " . (2)

وقال السّيوطي : " وقال بعضهم : التفسير في الإصطلاح : علم نزول الآيات وشؤونها وأقاصيصها ، والأسباب النازلة فيها ، ثم ترتيب مكيّها ومدنيّها ، ومحكمها، ومتشابهها ، وناسخها ومنسوخها ، وخاصّها وعامّها ، ومطلقها ومقيّدها ، ومجملها ومفسّرها ، وحلالها وحرامها ، ووعدها ووعيدها ، وأمرها ونهيها ، وعبرها وأمثالها ." (3)

والتعريف الذي أميل إليه، هو تعريف الزرقاني؛ لأنَّه موافق للأصل اللغوي، ولأنه يشمل معنى جميع التعاريف الأخرى، فهو شامل لكل ما يتوقف عليه فهم المعنى و بيان المراد و قد ذهب إليه الأستاذ عبد الله الملاحي في رسالته.(4)

ثالثاً : معنى التأويل لغةً :

التأويل مأخوذٌ من الأَوْل ، وهو الرجوع إلى الأصل، يقال آل الشيء يؤول أولاً ومآلاً رجع ، وآول الشيء : رجعه ، وألت عن الشيء : ارتددت عنه ، وأوّلَ الكلامَ وتأوَّلَهُ دبَّره وقدَّره ، وأَوَّله وتَأَوَّله : فَسَّرَهُ والموئلُ المرجع .

وقيل: التأويل مأخوذ من الإيالة وهي السياسة، آل عليه أَوْلاً وإيالاً وإيالةً: ولِيَ، ومنه آل الرعية يؤولها إيالة حسنة ، وهو حسن الإيالة. ومنه قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ

(5) انظر[مناهل العرفان (7/2)].

(1) هو محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان ، أبو عبد الله ولد بغرناطة ، ولد سنة 654هـ ، وبرع في عدة علوم منها القراءات والنحو واللغة وتفسير البحر المحيط أبرز فيه براعته في النحو ، توفي سنة 745هـ انظر[غاية النهاية(2/ 285)].

(2) انظر[البحر المحيط : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي (13/1-14) - دار الفكر – ط2 –1403 هـ– 1983م (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي البحر المحيط)].

(3) ذكره السيوطي في الإتقان (1191/2).

(4) انظر[تفسير القرآن للقراءات القرآنية العشر من خلال الفاتحة والبقرة وآل عمران رسالة ماجستير : عبد الله علي الملاحي ، إشراف : د . مروان أبو راس– ص37 – سنة 1423هـ –2002 م (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي تفسير القرآن للقراءات القرآنية العشر:عبد الله الملاحي)].

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧ ﴾ آل عمران

وكذلك جاءت آيات كثيرة فيها لفظ التأويل ، ومعناه في جميعها البيان والكشف والإيضاح . [1]

رابعاً : معنى التأويل اصطلاحاً :

اختلف العلماء في تحديد معناه الاصطلاحي: فقد عرّفه د. صلاح عبد الفتاح الخالدي: " علمٌ يتمُّ به حُسْنُ فهم القرآن ، وإزالةُ اللبس والإشكال عن بعض آياته ، وذلك بردِّها إلى الغاية المرادة منها ، وحملها على الآيات الأخرى التي لا لَبْسَ فيها ولا إشكال". [2]

أمّا د. محمد حسين الذهبي فقد ذهب إلى أنّ التأويل عند السَّلَف له معنيان: "**أحدهما:** تفسير الكلام وبيان معناه ، سواء وافق ظاهره أو خالفه ، فيكون التأويل والتفسير على هذا مترادفين ، وهذا هو ما عناه مجاهد [3] من قوله :" إنّ العلماء يعنون تأويله يعنى القرآن " ، وما يعنيه ابن جرير الطبري [4] بقوله في تفسيره : " القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا " وبقوله : " اختلف أهل التأويل في هذه الآية"... ونحو ذلك ، فإن مراده التفسير.

ثانيهما : هو نفس المراد بالكلام، فإذا كان الكلام طلباً ، كان تأويله نفس الفعل المطلوب ، وإن كان خبراً، كان تأويله نفس الشيء المخبر به ، والتأويل فيه نفس

---

(1) انظر[لسان العرب(11/32-40) مادة أول ، المصباح المنير ص1244 مادة أول ، المفردات في غريب القرآن ص31 ، أساس البلاغة ص538 ، القاموس المحيط ص1244].

(2) التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق : د. صلاح عبد الفتاح الخالدي – ص14 – دار النفائس – الأردن – ط1 – سنة 1418هـ - 1997م.

(3) هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي، أحد الأعلام من التابعين والأئمة المفسرين، وله اختيار في القراءة توفي سنة ثلاث ومائة وهو ساجد – رحمه الله – انظر[غاية النهاية (2/41-42)] .

(4) محمد بن جرير بن يزيد الإمام أبو جعفر الطبري البغدادي ولد سنة 224هـ- وتوفي 310 هـ . انظر[غاية النهاية (2/106-108)].

الأمور الموجودة في الخارج، سواء كانت ماضيةً أو مستقبلةً ، ... والتأويل عند المتأخرين من المتفقهة والمتكلمة ، والمحدِّثة والمتصوِّفة هو:"صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به " وعلى هذا فالمتأوِّل يحتاج إلى أمرين:

الأمر الأول : أن يبين احتمال اللفظ للمعنى الذي حمله عليه وادَّعى أنه المراد .

الأمر الثاني : أن يبين الدليل الذي أوجب صرف اللفظ عن معناه الراجح إلى معناه المرجوح ، وإلاّ كان تأويلاً فاسداً أو تلاعباً بالنصوص . [1]

والتعريف المختار للتأويل أنَّه: ردُّ الألفاظ في القرآن الكريم إلى مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية. وهذا التعريف أميل إليه لأنه شامل في المعنى و موافق للأصل اللغوي.

خامساً : الفرق بين التفسير والتأويل :

اختلف العلماء في الفرق بين التفسير والتأويل :

فمنهم من يرى أنّ التفسير والتأويل بمعنى واحد وهما مترادفان ، وهذا الشائع عند علماء التفسير، منهم الطبري، كما ذكرنا في التعريف الاصطلاحي للتأويل .

ومنهم مَنْ يرى أنَّ هناك اختلافاً بين التفسير والتأويل :

1- قال البغوي [2] : " التأويل هو صرف الآية إلى معنى محتمل، يوافق ما قبلها وما بعدها ، غير مخالف للكتاب والسنة عن طريق الاستنباط ... والتفسير هو الكلام في أسباب نزول الآية وشأنها وقصَّتها " . [3]

2-وقد نقل السيوطي عن الماتُرِيدىّ [4] قوله : "التفسير القطْع على أنَّ المراد من

---

(1) التفسير والمفسرون : د. محمد حسين الذهبي (1/19-20) بتصرف – مكتبة وهبة – القاهرة – ط6 –سنة 1416 هـ–1995 م (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي التفسير والمفسرون).

(2) هو الحسين بن مسعود بن محمد ، الفراء ولد عام 436هـ –1044م ، أبو محمد ويلقب بمحيي السنَّة ، فقيه ، محدث ، مفسر، البغوي نسبته إلى " بَغَا " من قرى خراسان ، له تصانيف كثيرة منها تفسيره لباب التأويل في معالم التنزيل ، توفي سنة 510هـ– 1117م انظر[الأعلام (2/259)].

(3) لباب التأويل في معالم التنزيل : الإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (1/9-10) – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط1 – 1414هـ – 1993 م (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي معالم التنزيل).

(4) هو محمد بن محمد بن محمود ، أبو منصور الماتريدى نسبته إلى ما تريد (محله بسمرقند) ومن تصانيفه التوحيد ، تأويلات

اللفظ هذا ، والشهادة على الله أنّه عَنى باللفظ هذا ، فإن قام دليل مقطوع به فصحيح، وإلاّ فتفسيرٌ بالرأي ، وهو المنهيُّ عنه ، والتأويل : ترجيح أحد المحتملات بدون القَطْع والشهادة على الله".(1)

3- وقد نبَّة العلامة الألوسي في مقدِّمة تفسيره أنَّ هناك فرقاً بين التّفسير والتّأويل بعد استعراضه بعض أقوال العلماء في هذا الموضوع فقال : "وعندي أنه إن كان المراد والفرق بينهما بحسب العرف، فكل الأقوال فيه ما سمعتها، وما لم تسمعها مخالفة للعُرْف اليوم، إذ قد تعارف من غير نكير أنَّ التّأويل إشارةٌ قدسيةٌ ومعارفٌ سبحانيةٌ تتكشف من سجف (2) العبارات للسالكين، وتنهل من سحب الغيب على قلوب العارفين ، والتفسير غير ذلك ".(3) فالتفسير عند الألوسي هو بيان المعاني التي تُستفاد من وضع العبارة ، والتأويل هو بيان المعاني التي تُستفاد بطريق الإشارة .

4-وقيل التّفسير : أكثر ما يُستعمل في الألفاظ ومفرداتها ، والتأويل : أكثر ما يُستعمل في المعاني والجمل.(4)

5-وقيل: التّفسير بيان اللفظ عن طريق الرواية ، والتأويل بيان اللفظ عن طريق الدراية ، أي إنَّ التّفسير ما ورد بالمأثور، والتأويل ما استند إلى الرأي.(5)

6- وبعضهم يرى أنَّ التّفسير يخالف التأويل بالعموم والخصوص فقط ، فيجعل التفسير أعمَّ من التأويل.(6)

القرآن، وغيرها ، توفي بسمرقند عام 333هـ - 1944م انظر[الأعلام (19/7)].

(1) انظر[الإتقان (1189/2-1190)].

(2) السجف: الدقة ومنها دقة الخصر وخماصة البطن انظر[المحيط في اللغة : إسماعيل بن عبَّاد (16/7) - عالم الكتب - بيروت - ط1 -1414هـ -1994م - تحقيق : محمد حسن آل ياسين ، القاموس المحيط ص1057].

(3) روح المعاني (6/1).

(4) انظر[مباحث في علوم القرآن : مناع القطان - ص299].

(5) انظر[التفسير والمفسرون (23/1) ، مناهل العرفان (9/2)، مباحث في علوم القرآن : مناع القطان ص298-299].

(6) انظر[مناهل العرفان (8/2-9)].

7- وقال الفيروزأبادى[7]: " التّفسير هو البحث عن سبب نزول الآية ، والخوض في بيان موضع الكلمة من حيث اللغة، والتّأويل هو التفحص عن أسرار الآيات،
والكلمات وتعيين أحد احتمالات الآية."[1]

هذه الأقوال في الفرق بين التفسير والتأويل ليست هي كل الأقوال الواردة في الموضوع ، إنما هناك أقوال أخرى أعرضتُ عنها اتقاء التطويل ، والذي أميل إليه كباحثة هو: "أنَّ التّفسير ما كان راجعاً إلى الرواية، والتّأويل ما كان راجعاً إلى الدّراية"، و ذلك للأسباب التالية:

1- أن التفسير في المعنى اللغوي معناه الكشف و البيان ، و الكشف عن مراد الله لا نستطيع أن نجزم به إلا إذا ورد عن الرسول ﷺ أو عن بعض أصحابه الذين شهدوا نزول الوحي و عايشوا النبي ﷺ و رجعوا إليه فيما أشكل عليهم من معاني القرآن الكريم.

2-أما التأويل ففيه ترجيح أحد محتملات اللفظ بالدليل كما رأينا في المعنى اللغوي له، و الترجيح يعتمد على الاجتهاد، و الاجتهاد يحتاج إلى دراية.

3- وأستدل بأن دعاء الرسول ﷺ لابن عباس قد جعله يتميز عن الصحابة بعلمي التفسير والتأويل معاً ، في حين أنّ الصحابة جميعاً يعلمون تفسيره .

و قد ذهب إلى هذا الترجيح أيضاً د. محمد حسين الذهبي[2] وأيضاً د. صلاح عبد الفتّاح الخالدي فقال: " التفسير والتأويل مرحلتان متعاقبتان ويجب ردُّ التأويل إلى أصله وهو التفسير ، والتأويل علم يفتح الله به على أصحابه ، وفهم يؤتيه الله لهم... كل مؤول لا بد أن يكون مفسراً ؛ ليصح تأويله، ولكن لا يستطيع كلُّ مفسرٍ أن يكون مؤولاً".[3]

---

(7) سبقت ترجمة له ص3.

(1) بصائر التمييز (80/1).

(2) انظر[التفسير والمفسرون (24/2)].

(3) انظر[التفسير الموضوعي : د. صلاح الخالدي ص16].

المطلب الثاني : علاقة القراءات القرآنية بالتفسير

إنَّ التّفسير من أجلّ علوم الشريعة ، وأرفعها قدراً ، وهو أشرف العلوم إذ إنَّ التّفسير ينقسم إلى أربعة أنواع أهمّها تفسير القرآن بالقرآن ، فهو من أحسن أنواع التّفسير،وفي ذلك يقول ابن كثير[1]: "إنَّ أصح الطرق في ذلك أن يفسَّرَ القرآنُ بالقرآن فما أُجمل في مكان، فإنه قد بُسِطَ في موضوع آخر".[2] والقراءات القرآنية هي جزءٌ من القرآن كما قال د. شعبان إسماعيل : " فالقراءات الصحيحة التي تلقتها الأمة بالقبول ما هي إلا جزءٌ من القرآن الكريم ، فَبَيْنَها ارتباطٌ وثيقٌ ارتباطُ الجزءِ بالكل".[3]

واعتبر د.محمد حسين الذهبي القراءات القرآنية وجهاً من وجوه تفسير القرآن بالقرآن فقال: "ومن تفسير القرآن بالقرآن : حمل بعض القراءات على غيرها ، فبعض القراءات تختلف مع غيرها في اللفظ وتتفق في المعنى،... قال بعض المتأخرين إنها من أوجه القرآن ... ومما يؤيد أن القراءات مرجع مهم من مراجع تفسير القرآن بالقرآن ما روي عن مجاهد أنه قال: "لو كنتُ قرأتُ قراءة ابن مسعود قبل أن أسأل ابن عباس ما احتجت أن أسأله عن كثير مما سألته عنه".[4]

ولهذا نجد أنَّ كثيراً من المفسرين، قد صرّحوا في مقدمة تفاسيرهم، أنَّ علم القراءات

---

(1) هو الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير ، البصري الدمشقي الفقية ، أبو الفداء ، ولد سنة إحدى وسبعمائة بدمشق ، له تصانيف كثيرة أهمها : تفسير القرآن العظيم ، البداية والنهاية ، مات سنة أربع وسبعين وسبعمائة انظر [شذرات الذهب (230/6) ، طبقات المفسرين للداوودي (1/111-113)، البدر الطالع (153/1) ، النجوم الزاهرة (98/11) ، الدرر الكامنة (273/1)].

(2) تفسير القرآن العظيم : الحافظ عماد الدين ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (3/1) – دار إحياء التراث العربي – بيروت – سنة 1388هـ – 1969م (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي تفسير القرآن العظيم).

(3) القراءات أحكامها ومصدرها : د. شعبان إسماعيل – ص24 – مطبوعات رابطة العالم الإسلامي – ط2 – سنة 1414هـ(وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي القراءات أحكامها ومصدرها) .

(4) انظر[التفسير والمفسرون (1/45-46)].

من العلوم المهمة التي ينبغي للمفسِّر أن يكون على علم بها .[5]

ولقد أبرز ابن الجزري والزرقاني العلاقة بين التفسير والقراءات عندما أوضحوا بيان بعض الفوائد المستفادة من اختلاف القراءات .

العلاقة بين القراءات والتفسير[1]:

1- منها ما يكون لبيانِ حكمٍ مُجمعٍ عليه كقوله تعالى ﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ ﴾ [النساء : 12]

فقراءة سعد بن أبي وقاص وغيره " وله أخٌ أو أختٌ من أُمّ " [2] [النساء : 12] بزيادة لفظ (من أم) تبين بالقراءة أنَّ المراد بالإخوة في هذا الحكم، الإخوة من أمٍّ دون الأشقاء ومَنْ كانوا لأب ، وهذا أمرٌ مُجمع عليه.

2-ومنها الجمع بين حكمين مختلفين بمجموع القراءتين كقوله تعالى :

﴿ فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ ﴾ [البقرة :222]

قُرِىءَ (يَطْهُرْنَ) بالتخفيف والتشديد [3] فينبغي الجمع بينهما وهو أن الحائض لا يقربها زوجها حتى تطهر بانقطاع حيضها وتطهر بالاغتسال.

3- ومنها ما يكون للدِّلالة على حكمين شرعيين ولكن في حالين مختلفين : كقوله تعالى في بيان الوضوء ﴿ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ ﴾ [المائدة :6] ، وقرىء (وأرجِلَكم) بالخفض والنصب [4] فالنصب يفيد طلب غسلها والخفض يفيد طلب مسحها. والنبي ﷺ بيّن

---

(5) انظر[البحر المحيط (7/1) ، روح المعاني (7/1) ، التحرير والتنوير : الشيخ محمد الطّاهر بن عاشور (56/1) – دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – 1997 م (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي التحرير والتنوير)].

(1) انظر [النشر (29/1-30)، مناهل العرفان (130/1-132)].

(2) هي قراءة شاذة ليست من القراءات العشر، ولا من القراءات الأربع عشرة.

(3) قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر (يطَّهَّرن) بتشديد الطاء والهاء ، وقرأ الباقون (يطْهُرْنَ) بتخفيفهما انظر [النشر (171/2)].

(4) قرأ نافع وابن عامر والكسائي ويعقوب وحفص (وأرجلَكم) بنصب اللام ، وقرأ الباقون (وأرجلِكم) بخفض اللام. انظر [النشر (191/2)].

أن المسح يكون للابس الخف، وأنّ الغسل يجب على من لم يَلْبَس الخف.

4- ومنها ما يكون دَفْعَ توهُّم ما ليس مراداً كقوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة : 9]

قرىء (فامضوا إلى ذكر الله).[1] فقراءة(فاسعوا) يتوهم منها وجوب السرعة في المشي إلى صلاة الجمعة، لكنَّ القراءة الثانية رَفَعَت هذا التوهم؛ لأن المضىَّ ليس من مدلوله السرعة. فكانت القراءة الأخرى موضحة لذلك ورافعة لما يُتوهم به. يقول ابن جنى [2] :" فاقصدوا وتوجهوا وليس فيه دليل على الإسراع ، وإنما الغرض المضيُّ إليها ." [3]

5- ومنها بيان لفظٍ مبهمٍ على البعض كقوله تعالى : ﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾ [القارعة:5]

وقرىء (كالصوف المنفوش)[4] فبَيَّنَت وفَسَّرَت القراءةُ الثانية أنَّ العهنَ هو الصوف.

6- ومنها ما يكون تجلية عقيدة ضلَّ فيها بعض الناس : نحو قوله تعالى يصف الجنة وأهلها : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ [الإنسان:20]

قرأ ابن كثير (ومَلِكاً) [5] بكسر اللام وفتح الميم ، وقرأ الباقون (مُلْكا) بسكون اللام وضم الميم ، فتكون قراءة ابن كثير رفعت نقاب الخفاء عن وجه الحق في عقيدة رؤية المؤمنين لله تعالى في الآخرة ؛ لأنه هو سبحانه الملك وحده في تلك الدار.

---

(1) هذه القراءة ذكرها ابن جنِّي في كتابه المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (321/2-322) – القاهرة – سنة1389 هـ -1969م – تحقيق : علي النجدي ناصف ، عبد الفتاح إسماعيل شلبي (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي المحتسب).

(2) هو عثمان بن جني، كني أبو الفتح النحوي وهو من أحدق أهل العلم والأدب، برع في النحو ولد قبل ثلاثين وثلاثمائة ، ومات سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة انظر [بغية الوعاة (132/2) ، الموسوعة العربية العالمية ص533 -534 – مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع – ط2 – الرياض – المملكة العربية السعودية].

(3) المحتسب (321/2).

(4) وهي قراءة شاذة ليست من القراءات العشر ولا من الأربع عشرة، و هذه القراءة ذكرها البخاري في صحيحه انظر [فتح الباري (728/8) – 65 ك التفسير – 101 سورة القارعة] .

(5) وهي قراءة شاذة لم تثبت عن ابن كثير ضمن القراءات الصحيحة المنسوبة إليه.

فتعتبر هذه القراءة أعظم دليل لإثبات رؤية الله يوم القيامة.

7- منها ما يكون حجة ترجيح لقول بعض العلماء : نحو قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ ﴾ النساء

قرأ بعض العلماء **(أو لمستم النساء)** [1] إذ اللمس يطلق على الجس والمس كقوله تعالى (**فَلَمَسُوهُ بِأَيۡدِيهِمۡ**) [الأنعام :7] أي مسوه . فحاصل القراءتين أن التيمم يرفع الحدث الأكبر والحدث الأصغر . [2]

8- ومنها ما يكون حجة لقول بعض أهل العربية كقراءة **(والأرحامِ)**[3] [النساء :1] بالخفض ، وقراءة **(وليجزَى)**[4] [الجاثية:14] على ما لم يسم فاعله مع النصب.[5]

9- ومنها ما يكون مجموع القراءتين وكلتاهما قرآن دالٌ على معنيين في لفظ واحد متلاقيين غير متضادين كقراءة : ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ ﴾ [التوبة:128] بضم الفاء يدل على أنه من العرب ، والعرب قومه وذوو رحمه القريبة أو البعيدة ، وإذا اجتمعت معها القراءة بفتح الفاء [6] كانت الآية دالة بهذه القراءة على أنه من أوسط القوم وأعلاهم فالقراءتان والكلمة واحدة تدلان بالنص

---

(1) قرأ حمزة والكسائي وخلف (أو لمستم) بغير ألف فيهما ، وقرأ الباقون (أو لامستم) بالألف [انظر النشر (188/2)].

(2) انظر[القراءات وأثرها في التفسير والأحكام : إعداد محمد بن عمر بن سالم بن بازمول ق2 (420/1) – دار الهجرة –ا لمملكة العربية السعودية – ط1 –سنة 1417هـ –1996م (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي القراءات وأثرها في التفسير)].

(3) قرأ حمزة (والأرحامِ) بخفض الميم وقرأ الباقون (الأرحامَ) بنصب الميم انظر [النشر (286/2) ، منجد المقرئين ص5].

(4) قرأ أبو جعفر (وليُجزَى قوماً) بضم الياء وفتح الزاي بالبناء على المجهول ، وقرأ الباقون (ليَجزِى) بالبناء على المعلوم انظر[النشر (278/2)].

(5) انظر[النشر (29/1–30) ، مناهل العرفان (130/1 – 132)].

(6) قرأ به محيصن (من أنفَسكم) بفتح الفاء من النفاسة أي: من أشرفكم،وقرأ الباقون (من أنفُسكم) بضم الفاء انظر[اتحاف فضلاء البشر (101/2)]

على معنيين غير متضادين ، وكلاهما صحيح صادق. فالنَّبي ﷺ كان من العــرب، وكان من أنفسهم ترتبط مشاعره بمشاعرهم وهو مندمج فيهم يحـس مـا يحسـون، وقريب منهم ومع هذا القرب النّفسي كان من أعلى العرب منزلة وأكرمهم كذلك.(7)

المبحث الثالث

الأحرف السبعة

المطلب الأول : أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف

تعددت الروايات في نزول القرآن الكريم على سبعة أحـرف ، ولقـد صـح حديث نزول القرآن على سبعة أحرف من عدة طرق في الصحاح وفي كتب السـنة وفي ذلك يقول ابن الجزري : " وقد نص الإمام الكبير أبو عبيد القاسم بن سـلام(1) – رحمه الله – على أن هذا الحديث تواتر عن النبي ﷺ ." (2)

وروى الحديثَ جمعٌ كثير من الصحابة منهم : أبي بن كعب ، أنس بن مالك ، حذيفة بن اليمان ، زيد بن الأرقم ، سمرة بن جندب ، سليمان بن صرد ، ابن عباس ابـن مسعود ، عبد الرحمن بن عوف ، عثمان بن عفان ، عمر بن الخطاب ، عمر بـن أبي سلمة ، عمرو بن العاص ، معاذ بن جبل ، هشام بن حكيم ، أبو بكرة (3) ، أبو جهم (4) ، أبو سعيد الخدري (5) ، أبو طلحة الأنصاري (6) ، أبو هريـرة ، و أبـو أيوب (7). فهؤلاء واحد وعشرون صحابياً.(8) في تواتره يقول مناع القطـان:"و لا

---

(7) انظر[المعجزة الكبري (القرآن) : محمد أبو زهرة – ص 49 – دار الفكر العربي].

(1) هو القاسم بن سلام بن عبد الله أبوعبيدة الخراساني الأنصاري، من أعلام الحديث والفقة واللغة والشعر، وصاحب التصانيف فـي القراءات، ولد سنة سبع و خمسين و مائة، توفي سنة أربع وعشرين ومائتين عن ثلاث وسبعين سنة انظر [غاية النهايـة (18/2)، سير أعلام النبلاء (10/490-509)].

(2) انظر [النشر (24/1)].

(3) اسمه : نفيع بن حارث الثقفي (ترجمة 7180) انظر [تحرير تقريب التهذيب (23/4)].

(4) هو أبو جهم بن حذيفة القرشي العدوي ، اسمه عامر على الأرجح انظر [الإصابة : ابن حجر (ترجمه 4396) (468/3)].

(5) اسمه : سعد بن مالك (ترجمة 2253) انظر [تحرير تقريب التهذيب (19/2)].

(6) اسمه : زيد بن سهل (ترجمة 2912) انظر [الإصابة (502/2-503)].

(7) اسمه: خالد بن زيد الأنصاري (ترجمة 1633) انظر [تحرير تقرير التهذيب (344/1)].

(8) انظر [الإتقان (145/1) ، روح المعاني (17/1) ، النشر (24/1)].

خلاف في صحة الحديث فقد رواه البخاري ومسلم وابن حبان [9] والحاكم [10] من طرق كثيرة ، وأخرجه أبو داوود ، والنسائي ، والترمذي ، وأحمد ، وابن جرير والطبراني بألفاظ متعددة". [1]

ومن هذه الأحاديث :

1- ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عباس قال : (إنّ رسول الله ﷺ قال: أقرأني جبريل على حرفٍ فراجعتُه ، فلم أزل أستزيدُه ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف). [2]

2- ما رواه البخاري أنّ عمر بن الخطاب يقول: (سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ ، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ ، فكدت أساورهُ [3] في الصلاة ، فتصبرت حتى سلم فلبَّبته [4] بردائه فقلت : من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ ؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ ، فقلت : كذبت ، فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت. فانطلقتُ به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت : إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال رسول الله ﷺ : أرسله ، اقرأ يا هشام . فقرأ عليه القراءة

(9) هو محمد بن حبان بن أحمد بن حبانّ أبو حاتم البستي مؤرِّخ علاّمة ، محدث ، جغرافي ، ولد في بست من بلاد سجستان صاحب المسند الصحيح (ت354هـ -965 م) انظر [تذكرة الحفّاظ الإمام أبو عبد الله شمس الدين الذهبي (ت748هـ - 1347م) ، (3/920-923) - دار الفكر العربي ، صُحح عن النسخة القديمة المحفوظة في مكتبة الحرم المكي تحت إعانة وزارة المعارف الحكومة العالية الهندية- سنة التصحيح 15 شوال- 1374 هـ -عبد الرحمن بن يحيى العلمي، الأعلام (78/6)].

(10) هو محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضبي الطّهماني النيسابوري الشهير بالحاكم ولد سنة 321هـ -933م بنيسابور، وتوفي أيضاً فيها وهو من أعلم الناس بالحديث وعلومه، وله تصانيف كثيرة ، توفي سنة 405هـ -1014 م انظر [الأعلام (227/6)].

(1) نزول القرآن على سبعة أحرف : منَّاع القطان - ص21 الناشر مكتبة وهبة - القاهرة - ط1 - 1411 هـ - 1991م (وحيث يأتي ذكره سأكتفي بقولي نزول القرآن على سبعة أحرف : القطان).

(2) رواه البخاري رقم 4991 في فتح الباري (9/23) - 66 كتاب فضائل القرآن - 5 باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ، ومسلم - كتاب صلاة المسافرين - باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف (6/101) ، وأورده الطبري في مقدمه تفسيره (1/14) انظر [جامع البيان عن تأويل آى القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت310هـ - دار الفكر - بيروت - لبنان - سنة 1408 هـ -1988 م .(وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي جامع البيان)].

(3) أساورة : الإنسان يساور الإنسان؛ إذا تناول رأسه انظر [لسان العرب (4/385) مادة سور].

(4) لببته : لبب الرجل ، ولببته إذا جعلت في عنقه ثوباً أو غيره وجررته به انظر [لسان العرب (2/218) مادة لبب].

التي سمعتُه يقرأ ، فقال رسول الله ﷺ : كذلك أُنزلت . ثم قال : اقرأ يا عمر ، فقرأت القراءة التي أقرأني ، فقال رسول الله ﷺ : كذلك أُنزلت ، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقرءوا ما تيسر منه.[5]

3- روى مسلم بسنده عن أبي بن كعب رضي الله عنه : " أنّ النبي ﷺ كان عند أضاة [1] بنى غفار قال : فأتاه جبريل عليه السلام فقال : إنّ الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته ، إن أمتي لا تطيق ذلك . ثم أتاه الثانية فقال : إنّ الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإنّ أمتي لا تطيق ذلك . ثمّ جاءه الثالثة فقال : إنّ الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإنّ أمتي لا تطيق ذلك ثم جاءه الرابعة فقال : إنّ الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف ، فأيّما حرف قرؤوا عليه أصابوا" . [2]

وأقصرت في بسط الأدلة للاختصار .

---

(5) رواه البخاري رقم 4992 في فتح الباري (23/9) – 66 كتاب فضائل القرآن – 5 باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ، ورواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين باب أن القرآن على سبعة أحرف (98/6-99) ، وأورده الطبري في مقدمه تفسيره (14/1).

(1) الأضاة : بفتح الهمزة وبضاد معجمة مقصورة هي الماء المستنقع ، كالغدير وجمعها أُضاة كحصاه وحُصاه [انظر صحيح مسلم بشرح النووي (104/6)].

(2) صحيح مسلم (103/6-104) ، كتاب صلاة المسافرين، باب(بيان أنَّ القرآن أنزل على سبعة أحرف) ،وأورده الطبري في مقدمة تفسيره (17/1).

المطلب الثاني : معنى الأحرف السبعة والرأي الراجح منها :

أولاً : معنى الأحرف السبعة في اللغة :

الأحرف جمع حرف ، وهو مشتق من مادة (ح ر ف) ، وهذا اللفظ يستعمل في اللغة بمعنى الوجه والطريقة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ ﴾ [الحج :11] أي على وجه واحد.[1]

ثانياً : معنى الأحرف السبعة اصطلاحاً :

اختلفت آراء العلماء في المراد بالأحرف السبعة ، وذلك لأنَّ أحاديث الأحرف السبعة جاءت مجملة فلم تُفصِّل المقصود بالأحرف السبعة ولم يأتِ في معنى هذه السبعة نص ولا أثر يكشف حقيقة المراد بها. وقد نقل منّاع القطّان عن ابن العربي قوله: "لم يأتِ في معنى هذه السبع نص ولا أثر ،واختلف الناس في تعيينها"[2]. لذلك اختلف العلماء في المراد بالأحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولاً وهذا ما ذكره القرطبي في مقدمة تفسيره نقلاً عن أبي حاتم محمد بن حبَّان البُستى[3]، وذكر القرطبي في تفسيره خمسة أقوال.[4] وقد أوصل السيوطي

---

(1) انظر [معجم مقاييس اللغة : ابن فارس (42/2-43) ، أساس البلاغة ص80 ، القاموس المحيط ص1032 -1033 ، بصائر ذوي التمييز (86/2) ، المفردات : الراغب ص114].

(2) انظر [نزول القرآن على سبعة أحرف: مناع القطان ص32].

(3) سبقت ترجمة له ص19.

(4) انظر [الجامع لأحكام القرآن (53/1)].

الاختلاف إلى نحو أربعين قولاً ، ونقل عن ابن سعدان.(5) قوله بأن : "الحديث من المُشكِل الذي لا يُدْرى معناه ؛ وذلك لأن الحرف يصدق لغة على حرف الهجاء ، وعلى الكلمة ، وعلى المعنى ، وعلى الجهة".(6) وقد ردَّ د.عبد الرحمن الجمل على هذا فقال: "لا يسلَّم لابن سعدان ما ذهب إليه".(7) وأيضاً ، ردَّ د. حسن عتر على ابن سعدان في كتابه "الأحرف السبعة".(1)

وذكر السّيوطي رأياً آخر في الأحرف السبعة ، بأنه ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد، بل المراد التيسير والتسهيل ، ولكنّه ردَّ هذا القول واستدل بحديث ابن عباس: أنّ رسول الله ﷺ قال : (وأقرأني جبريل على حرف ، فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف).(2) وأورد السيوطي أيضاً أحاديث أخرى رداً على القول السابق.(3) وأيضاً ناقش هذا القول د. نبيل بن محمد آل إسماعيل في كتابه "علم القراءات" وقال: "ولكنَّ الذي يميل إليه القلب والنظر الصحيح هو ما عليه المحققون من أنَّ حقيقة العدد مراده ، ... ولولا التدرج الوارد في الأحاديث ... لما كان هناك مانع من أن يكون قد أريد بها التعدد ، لأن من عادة العرب أن تستعمل السبعة لتدل على التعدد".(4) وأيضاً ردَّ ابن الجزري عليه وقال : "وهذا جيد لولا أنّ الحديث يأباه".(5) و أرى أن الأقرب إلى الصواب أن يكون المراد بالسبعة حقيقة العدد.

والذين يرون بأن المراد بالسبعة حقيقة العدد، اختلفوا في تحديد هذه السبعة على أقوال سأقتصر منها على رأيين فقط وقد أطال الحديث في بيان آراء العلماء في

---

(5) هو محمد بن سعدان أبو جعفر الكوفي النحوي ، صنف كتب في القراءات توفي سنة 231هـ انظر[غاية النهاية (143/1)].

(6) انظر [الإتقان (145/1)].

(7)منهج الإمام الطبري في القراءات ص72.

(1) انظر [الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها : د. حسن ضياء الدين عتر – ص128 – دار البشائر الإسلامية – ط1 – 1409 هـ –1988 م (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها)].

(2) سبق تخريجه انظر ص 20.

(3) انظر [الإتقان (145/1–146)]

(4) علم القراءات : د. نبيل بن محمد بن إبراهيم آل إسماعيل ص24.

(5) النشر (27/1).

معنى الأحرف السبعة د.العتر في كتابه عن الأحرف السبعة يمكن الرجوع إليه.(6)

الـــرأي الأول: إنّ المراد بالأحرف السبعة هو سبع لغات ، وقد اختلف العلماء في ذلك على قولين أيضاً:

القول الأول: إنّ القرآن نزل على سبع لغات متفرقة فيه، وهي سبع قبائل بين العرب مشهورة بالفصاحة: قريش، وقيس، واختلفوا في أسماء القبائل الأخرى ولغاتها التي هي أفصح اللغات فمنه ما هو بلغة هذيل، أو ثقيف، أو هوازن، أو كنانة، أو تميم، أو اليمن، فهو يشمل في مجموعه اللغات السبعة، وإلى هذا الرأي ذهب أبو عبيد القاسم بن سلام (1) وثعلب (2) والزهري (3) وآخرون واختاره ابن عطية (4) وأيضاً رجَّح هذا القول الألوسيُّ في مقدمة تفسيره، وقد نقل سبع معانٍ للأحرف السبعة عن العلماء ، ولكنه في النهاية رجح القول السابع الذي سبق بيانه قائلاً : "ومما ذكرنا علمت أنَّ القلب يميل إلى هذا السابع فافهم".(5)

قال أبو عبيد في كتابه "فضائل القرآن": "وليس معنى تلك السبعة أن يُقرأ الحرف الواحد على سبعة أوجه ، هذا شيء غير موجود ، ولكنه عندنا أنه نزل على سبع لغات متفرقة في جميع القرآن من لغات العرب ، فيكون الحرف منها بلغة قبيلة، والثاني بلغة أخرى سوى الأولى ، والثالث بلغة أخرى سواهما ، كذلك إلى سبعة، وبعض الأحياء أسعد بها وأكثر حظاً فيها عن بعض ، وذلك بيِّنٌ في أحاديث تترى".(6) وقال ابن عطية : "ومعنى قول النبي ﷺ (أنزل القرآن على سبعة أحرف) أي فيه عبارة سبع قبائل بلغةِ جُملتِها نَزَلَ القرآن ، فيعبر عن المعنى فيه مرة بعبارة

---

(6) انظر [الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها ص115 –194].

(1) سبقت له ترجمة ص 19 .

(2) هو أحمد بن يحيى بن يزيد بن يسار الشيباني الإمام اللغوي أبو العباس ثعلب النحوي البغدادي ثقة مات سنة إحدى وتسعين ومائتين ودفن بباب الشام في بغداد انظر [غاية النهاية (148/1–149)].

(3) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب أبو بكر الزهري ، تابعي ، مدني أوّل من دوّن الحديث ولد سنة خمسين ومات سنة أربع وعشرين ومائة انظر [غاية النهاية (262/2)].

(4) سبقت ترجمة له ص 3.

(5) روح المعاني (22/1).

(6) كتاب فضائل القرآن ومعالمه وآدابه : أبو عبيد القاسم بن سلام (213/1) مطبعة فضالة – المملكة المغربية – وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – تحقيق: أحمد بن عبد الواحد الخيّاطي (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي فضائل القرآن : أبو عبيد).

قريش ، ومرة بعبارة هذيل ، ومرة بغير ذلك بحسب الأفصح والأوجز في اللفظ".[7] واستدل أصحاب هذا الرأي بأدلة منها : ما قاله عثمان – رضي الله عنه – للرهط القرشيين الثلاثة حين أمرهم بنسخ الصحف ، قال : " إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنّما نزل بلسانِهِم ، ففعلوا ".[8]

فالحديث يدل على أن معظم القرآن نزل بلسان قريش ، وأن فيه من بقيه لغات العرب . وقد ردَّ هذا القول ابن الجزري فقال : "وهذه الأقوال مدخولة فإنَّ عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم اختلفا في قراءة سورة الفرقان كما ثبت في الصحيحين وكلاهما قرشيان من لغةٍ واحدةٍ، وقبيلة واحدة".[1] وأيضاً ردَّ السّيوطي هذا القول بنفس الرد.[2]

والقول الثاني : يتلخص في أنَّ المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب المشهورة في كلمة واحدة تختلف فيها الألفاظ مع اتفاق المعاني ، وعدم تناقضها ، وذلك نحو : هلم ، وتعال ، وأقبل ، وإليّ ، ونحوي ، وقصدي ، وقولي . وإليه ذهب الطبريّ ، وجمهورٌ من العلماء ، ونسبه ابن عبد البر لأكثر العلماء [3] ورجح هذا الرأيَ من المحدِّثين علماءٌ منهم مناع القطان [4] وغيره ، وهذا الرأي يختلف عن سابقه ، لأنه يعني أن الأحرف السبعة لغات مختلفة في كلمة واحدة مع اتفاق المعاني، أما الرأيُ السابق فهو يعني أنها أحرف سبعة متفرقة في سور القرآن .

وألاحظ أنَّ الطبريَّ ردَّ الرأي الأول ، وردَّ رأي مَنْ أوَّل الأحرف السبعة بسبعة معان : الأمر ، النهى ، الوعد ، الوعيد ، الجدل ، القصص ، والمثل.[5]

---

(7) المحرر الوجيز (46/1).

(8) أخرجه البخاري رقم 4987 في فتح الباري (11/9) – 66 كتاب فضائل القرآن – باب جمع القرآن.

(1) انظر [النشر (26/1–27)].

(2) انظر [الإتقان (151/1) ، المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز : شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف أبو شامة المقدسي (ت 665هـ –1267م) ص102–103 – دار صادر – بيروت – سنة 1395هـ –1975م – حققه طيار آلتي قولاج (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي المرشد الوجيز)].

(3) انظر [الإتقان (148/1)].

(4) انظر [نزول القرآن على سبعة أحرف : مناع القطان ص35].

(5) انظر [جامع البيان (24/1–25)].

واقتصر على الرأي الثاني الذي ذكرناه فقال في مقدمة تفسيره : " بل الأحرف السبعة التي أنزل الله بها القرآن ، هن لغاتٌ سبعٌ في حرف واحد ، وكلمة واحدة ، باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني ، كقول القائل : هلم ، وأقبل ، وتعال ... ونحو ذلك مما تختلف فيه الألفاظ ، بضروب من المنطق ، وتتفق فيه المعاني ، وإن اختلفت بالبيان به الألسن ".[6] واستدل أصحاب هذا الرأي بحديث أبي بكرة : " أنّ جبريل قال : يا محمد اقرأ القرآن على حرف ، قال ميكائيل : استزده ... حتى بلغ سبعة أحرف ، قال : كلٌّ شافٍ ، ما لم تختم آية عذاباً برحمة أو رحمة بعذاب نحو قولك : تعال ، واقبل ، ... ".[1]

وقد أشار ابن حجر إلى القولين معاً في كتابه "فتح الباري".[2]

أمّا الرأي الثاني : يتلخص في أنَّ المراد بالأحرف السبعة، الأوجه التي يقع بها التغاير .

وقد اعتمد العلماء في قولهم هذا الرأي على الاستقراء ، فقد استقرأ القائلون بهذا القول وجوه الاختلاف بين القراءات ، فوجدوها سبعة أوجه ، ففسروا بها حديث النبي ﷺ : (أُنزل القرآن على سبعة أحرف)[3].

وقد ذهب إلى هذا الرأي طائفةٌ من العلماء منهم أبو الفضل الرازي[4]، وابن الجزري ، وآخرون ورجحه من المتأخرين عبد العظيم الزرقاني[5] وآخرون[6] وقد اختلف هؤلاء المستقرئون في تحديد هذه الأوجه ، وسأقتصر منها على ذكر رأي أبي الفضل الرازي الذي نقله السيوطي في الإتقان[7] وابن الجزري في النشر[8] فقال الرازي :" الكلام لا يخرج عن سبعة أوجه في الاختلاف.

---

(6) جامع البيان (25/1).

(1) ذكره الطبري في تفسيره (18/1) ، وقال السيوطي إنَّ إسناده جيد انظر الإتقان (48/1) ، مسند الإمام أحمد وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال (5/41-51-124) – دار الفكر العربي.

(2) انظر [فتح الباري (24/9)].

(3) سبق تخريجه ص 20.

(4) هو عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن أبو الفضل الرازي ، الإمام المقرىء ، وهو ثقة ، ولد سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة ، ومات سنة أربع وخمسين وأربعمائة انظر[غاية النهاية (1/361-363)].

(5) انظر [مناهل العرفان (136/1)].

(6) انظر[منهج الإمام الطبري في القراءات ص82].

(7) انظر [الإتقان (147/1)].

(8) النشر (28/1).

الأول : اختلاف الأسماء من إفراد وتثنية وجمع ، وتذكير وتأنيث.
الثاني : اختلاف تصريف الأفعال من ماضٍ ومضارع وأمر.
الثالث : وجوه الإعراب.
الرابع : النقص و الزيادة.
الخامس : التقديم و التأخير.
السادس : الإبدال.
السابع : اختلاف اللغات كالفتح والإمالة ، والترقيق والتفخيم ، والتسهيل ، والإدغام والإظهار ونحو ذلك " .

الرأي المختار:

و الرأي الذي أختاره وأراه راجحاً هو: أنّ الأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب بما فيها من نواحي الاختلاف الكثيرة التي منها اختلاف الألفاظ مع اتفاق المعنى نحو هلم، وتعال ، وأقبل ... التي تقتضي التيسير والتخفيف على الأمة بنزول القرآن عليها، وذلك نحو اختلاف القبائل في الفتح والإمالة، وبين بين ، وتحقيق الهمز وتسهيله ، والإظهار والإدغام ، و الاختلاف في هيئات النطق و الأداء إلى غير ذلك من الوجوه الكثيرة التي تختلف منها اللغات ، والتي يصعب على من اعتاد لسانه على شيء منها أن يتحول عنها ، فكان التيسير من الله تعالى أن أنزل القرآن على سبعة أحرف".

و سبب هذا الترجيح:

1- أن هذا الرأى ينسجم انسجاماً تاماً مع الأحاديث الواردة في معنى الأحرف السبعة.

2- أن هذا الرأي يشمل رأي الإمام الطبري و هو الألفاظ التي تختلف في كلمة واحدة مع اتفاق في المعنى، ويشمل غيره من وجوه الاختلاف الكثيرة في آيات النطق.

3- أن من فوائد نزول القرآن التيسير على الأمة و في هذا تيسير على الأمة.

و أما إن قال قائل بأن هذا الترجيح يردُّه حديث هشام بن حكيم و عمر بن الخطاب فيجاب:

أ- بأنَّ عمر - رضي الله عنه- لم ينكر على هشام - رضي الله عنه- قراءته

لمخالفتها لغة قريش، بل لأنها خالفت القراءة التي سمعها من النبي ﷺ.[1]

ب- و بأنَّ الفصيح من العرب كان يتكلم بلغتين أو أكثر من لغات العرب و خاصة القرشيين منهم، فقد كانوا يتخيرون أفصح الألفاظ، و قد ترجم ابن جني في (الخصائص) لهذا الموضوع بقوله: باب في الفصيح يجتمع في كلامه لغتان فصاعداً.[2]

فلعل النبي ﷺ قد أقرأ أحدهما بما ليس في لغة قريش لكونه عالماً بغيرها من اللغات، أو لعله أقرأه بألفاظ تختلف في النطق بها بطون قريش، أو أن النبي ﷺ أقرأ بعض الوفود التي كانت تفد عليه بما يوافق لغتها، و كان هشام جالساً يسمع هذه القراءة التي تخالف لغته، ثم قرأ بعد ذلك على هذا الوجه الذي سمعه.[1]

و قد ذهب إلى هذا الرأي د.عبد الرحمن.[2]

المطلب الثالث : فوائد نزول القرآن على سبعة أحرف

ذكر العلماء فوائد كثيرة لنزول القرآن على سبعة أحرف ظهرت من خلال أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف وأهمها : التيسير ومنع الحرج على الأمّة وفي ذلك يقول مكي بن أبي طالب رحمه الله :

" إنّ الله عز وجل لم يجعل على عباده حرجاً في دينهم ، ولا ضيَّق عليهم فيما افترض عليهم ، وكانت لغات من أنزل عليهم القرآن مختلفة ، ولسان كل صاحب لغة لا يقدر على ردّه إلى لغة أخرى إلاّ بعد تكلّف ومؤونة شديدة ، فيسرّ الله عليهم أن أنزل كتابه على سبع لغات متفرقات في القرآن بمعان متفقة ومختلفة ، ليقرأ كلُّ قوم على لغتهم وعلى ما يسهل عليهم من لغة غيرهم وعلى ما جرت به عادتهم، فقوم جرت عادتهم بالهمز، و قوم بالتخفيف... و غير ذلك فتفصَّح كل قوم، و قرؤوا على طبعهم و لغتهم و لغة من قرُب منهم و كان في ذلك رفق عظيم بهم، و تيسير كثير لهم".[3]

---

(1) انظر [المحرر الوجيز (45/1)].

(2) انظر [الخصائص (374/1)]

(1) منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره ص96.

(2) انظر [المرجع السابق ص94].

(3) انظر [الإبانة عن معاني القراءات : أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي " 355-437هـ " – ص59 – دار المأمون للتراث – دمشق بيروت – ط1 – سنة 1399 هـ -1979 م (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي الإبانة)].

ويؤيد هذا الكلام رواية عنه ﷺ :"إني بعثت إلى أمة أميين : منهم العجوز، والشيخ الكبير، والغلام، والجارية، والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط، قال: يا محمد إنّ القرآن أنزل على سبعة أحرف".[4]

وهناك فوائد أخرى لتعدد الحروف ذكرها ابن الجزري في كتابه النشر [5] وذكرها أيضاً الزرقاني في كتابه "مناهل العرفان"[1] فمن أراد الرجوع لها فليرجع ولكني سأقتصر على ذكر أهم هذه الفوائد:

1- إنّ تنوع القراءات والأحرف ، يقوم مُقام تعدد الآيات وهذا من نهاية البلاغة وكمال الإعجاز وغاية الاختصار وجمال الإيجاز فكل قراءة تقوم مقام آية .[2]

2- تعدد الحروف والقراءات أعظم برهان وأوضح دلالة على صدق ما جاء به محمد ﷺ ؛ رغم كثرة الاختلاف والتنوُّع إلاّ أنه لم يتطرق إليه تناقض ولا تضاد بل يُصَدِّق بعضه بعضاً وعلى نمط أسلوبٍ واحد. وفي ذلك يقول شهاب الدين القسطلاني[3]: "اعلم أن الاختلاف في الأحرف السبعة ، اختلاف تنوع وتغاير ، لا تضاد ولا تناقض ، إذ هو محال أن يكون في كتاب الله :

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾ " [النساء : 82] [4]

---

(4) أخرجه أحمد في مسنده (132/5)، الترمذي في سننه (434/4) – 43 كتاب القراءات عن رسول الله – 11 باب ما جاء أن القرآن أنزل على سبعة أحرف رقم 2944 ، انظر[سنن الترمذي : الإمام محمد بن عيسى بن سورة الترمذي – حكم على أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني – مكتبة المعارف – الرياض – ط1] وقال عنه الألباني "حسن صحيح".

(5) انظر [النشر (47/1)].

(1) انظر [مناهل العرفان (132/1)].

(2) انظر [المرجع المرجع السابق بنفس الصفحة، النشر (47/1)].

(3) هو شهاب الدين القسطلاني ، أحمد بن محمد بن أبي بكر الشافعي ولد سنة 851هـ ونسبته إلى قسطلية إقليم بأفريقيا، توفي سنة 923هـ انظر[الأعلام (232/1) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب : ابن العماد الحنبلي (121/8) منشورات دار الأفاق الجديدة – بيروت (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي شدرات الذهب) ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السّخاوي (73/2) منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت – لبنان (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي الضوء اللامع) ، تذكره الحفاظ (1462/4)].

(4) لطائف الإشارات لفنون القراءات : شهاب الدين القسطلاني (37/1-38) – لجنة إحياء التراث الإسلامي – مصر – القاهرة –

3- سهولة حفظه وتيسير نقله إلى الأمّة، لما له من صفة البلاغة والوجازة.
4- إعظام أجور هذه الأمّة ، وذلك؛ لأنهم يُعملون عقولهم ويفرغون جهدهم في تتبع المعاني واستنباط الحكم والأحكام من دِلالة كل لفظ بقدر ما يبلغ إليه علمهم وفهمهم.
5- ظهور سر الله تعالى في توليه حفظه لكتابه العزيز وصيانة كلامه المنزل، وذلك بأوفي البيان والتمييز ، ففي كل عصر من العصور كنا نرى إماماً حجةً قائماً بنقل كتاب الله تعالى وإتقان حروفه ورواياته ، وتصحيح وجوهه وقراءاته وبذلك السبب يكون بقاؤه دليلاً على بقاء القرآن العظيم في المصاحف والصدور.
6- خصيصة إسناد الأمّة كتاب ربها هي من أعظم النعم الجليلة لهذه الأمّة، فكل قارئ يوصل حروفه بالنقل إلى الأصل ولم تكن هذه الخصيصة إلاّ لأمّة محمد ﷺ.
7- أيضاً فيها بيان لفضل هذه الأمة وشرفها على سائر الأمم ، وذلك أنهم تلقّوا كتاب ربهم، وأقبلوا عليه وحفظوه من الطغيان والتغيير، فبذلك امتازوا على الأمم.(1)
وأرى كباحثة إتماماً للفائدة في هذا المبحث - الأحرف السبعة- أن أبين صلة القراءات بالأحرف السبعة واعتبرته مطلباً.

المطلب الرابع : صلة القراءات بالأحرف السبعة

قال بعض العامّة : "إنّ القراءات السبع، هي نفسها الأحرف السبعة" ولكنّ هذا غير صحيح ، فقد بيّن القرطبي أنّ الأحرف السبعة شيء يختلف تماماً عن القراءات السبع، فيقول لمن زعم أنها هي :" وهذا ليس بشيء لظهور بطلانه على ما يأتي" واستمر قائلاً: "قال كثيرٌ من علمائنا ... : هذه القراءات السبع التي تنسب لهؤلاء القراء السبعة ، ليست هي الأحرف السبعة التي اتسعت الصحابة في القراءة بها، وإنما هي راجعة إلى حرف واحد من تلك السبعة ، وهو الذي جمع عليه عثمان المصحف ... وهذه القراءات المشهورة هي اختيارات أولئك الأئمة القراء، وذلك أن كل واحد منهم اختار فيما روى وعلِم وجهه من القراءات ما هو الأحسن عنده والأولى ، فالتزمه طريقة ورواه وأقرأ به واشتُهر عنه: ونُسب إليه ، فقيل: حرف

سنة 1392 هـ - 1972 م - تحقيق وتعليق عامر السيد عثمان ، د. عبد الصبور شاهين - يشرف على إصدارها محمد توفيق عويضه (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي لطائف الإشارات].
(1) انظر [النشر (1/47-48)].

نافع ، وحرف ابن كثير..." .[2]

وبعد ذلك أورد القرطبي فصلاً في ذكر معنى حديث عمر وهشام [3] وأَكَّد على بطلان أنّ المراد بالأحرف السبعة قراءات القراء السبعة وعلل ذلك باختلاف الأمة أيام عثمان رضي الله عنه فقال : " وهذا أدل دليل على بطلان قول مَنْ قال: وإنَّ المراد بالأحرف السبعة قراءات القراء السبعة ؛ لأن الحق لا يُخْتلف فيه".[4]

والألوسي أيضاً يؤكِّد وجهة النظر التي ذهب إليها القرطبي في تفسيره فيقول: "وقد ظن كثير من القوم أنَّ المراد بالأحرف السبعة القراءات السبعة وهو جهل قبيح".[1]

ويؤكد ذلك مكي بن أبي طالب فيقول : " إنّ هذه القراءات كلها التي يقرأ بها الناس اليوم ، وصحَّت روايتها عن الأئمة ، إنما هي جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووافق اللفظ بها خط المصحف – مصحف عثمان – الذي أجمع الصحابة، فمَنْ بعدهم عليه ، واطُّرح ما سواه ، مما يخالف خطه ، فقرئ بذلك لموافقة الخط ، لا يخرج شيء منها عن خط المصاحف التي نسخها عثمان ... وإذا كان المصحف بلا اختلاف كتب على حرف واحد من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ، وعلى لغة واحدة ... فليست هي إذاً السبعة أحرف التي نزل بها القرآن كلها ، ولو كانت هي السبعة كلها وهي الموافقة للمصحف ، لكان المصحف قد كتب على سبع قراءات ، ولكان عثمان– رضي الله عنه– قد أبقى الاختلاف الذي كرهه . وإنّما جمع الناس على المصحف؛ ليزول الاختلاف ... فالمصحف كتب على حرف واحد ، وخطه محتمل لأكثر من حرف، إذ لم يكن منقوطاً ولا مضبوطاُ ، فذلك الاحتمال الذي احتمل الخط هو من الستة الأحرف الباقية ".[2]

ونرى كذلك أنَّ الأستاذ مناع القطان، قد ناقش هذا الرأي وأكَّد على ما وافق كلام ابن مكي والقرطبي ، وأورد القطان في مناقشته لهذا الرأي آراء العلماء ومنها قول

---

(2) الجامع لأحكام القرآن (1/57–58) باختصار.

(3) انظر [الجامع لأحكام القرآن (1/59–62)].

(4) المرجع السابق (1/63).

(1) روح المعاني (1/21) .

(2) الإبانة ص 21 –24.

أبي شامة [4] : " وقد ظنّ جماعةٌ ممَّن لا خبرة لهم بأصول هذا العلم، أنَّ قراءة هؤلاء الأئمة السبعة هي التي عبَّر عنها النبي ﷺ بقوله: (أُنْزِل القرآن على سبعة أحرف) فقراءة كل واحد من هؤلاء هي حرف من تلك الأحرف ، ولقد أخطأ من نسب إلى مجاهد أنّه قال ذلك" [5] وقد نص غير واحد من العلماء على أنَّ مَبْعَث هذا الوهم عند العامة هو صنيع ابن مجاهد على غير قصدٍ منه لذلك. [6] ويقول د. نبيل آل إسماعيل: "وَهِمَ بعض الناس في فهم المراد بالأحرف الواردة في أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف ، وظنّ أنّها قراءات الأئمة السبعة ... فالقراءات السبعة اختيرت حسب شروط معينة ، لا على أنّ كلاً منها حرف من الأحرف السبعة ، ولا على أنّها وحدها القراءات المتواترة ، فالعشر متواترة أيضاً ". [1] وقد أورد د. عبد الرحمن الجمل في رسالته أربعة أقوال في اختلاف الناس حول ، هل القراءات السبع هي الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن؟ [2] وفي النهاية رجَّح قول ابن مكي الذي ينص على أنّ القراءات جزء من الأحرف السبعة وقال : " وذلك أنّ هذا الرأي أقرب الآراء إلى معنى التيسير ورفع الحرج من القول بأنها ترجع إلى حرف واحد ، فإنه يظهر من اختلاف القراءات في هيئات النطق من إمالة وفتح وتخفيف الهمز وتسهيله معنى التيسير ... فأن تكون الاختلافات بين القراءات على هذا النحو، دليل على أنّ القراءات جزء من الأحرف السبعة لا أنّها ترجع إلى حرف واحد". [3] وأنا أوافق هذا الرأي للأسباب التي ذكرها د.الجمل.

---

(3) هو الحافظ العلامة المجتهد شهاب الدين أبو القاسم : عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان المعروف بأبي شامة المقدسي، ثم الدمشقي، المقرىء النحوي ، ولد سنة تسع وتسعين وخمسمائة وتوفي سنة خمس وستين وستمائة انظر[تذكره الحفاظ (1460/4 –1462) ترجمة رقم (1157)].

(4) انظر [نزول القرآن على سبعة أحرف ص91 ، المرشد الوجيز ص146].

(5) انظر [النشر (36،39/1، 40،43،46)، المرشد الوجيز ص140 – 146 ، فتح الباري (30/9– 31)].

(1) علم القراءات : د. نبيل آل إسماعيل ص25.

(2) انظر [منهج الإمام الطبري في القراءات ص107 –113].

(3) المرجع السابق ص112 –113.

المبحث الرابع : القراءات القرآنية

المطلب الأول : تعريف القراءة القرآنية لغة واصطلاحاً

أولاً : تعريف القراءة لغة:

القراءات جمع قراءة ، والقراءة مشتقة من مادة (ق ر أ) وهي مصـــدر للفعـل قرأ، يقال قرأ يقرأ قرآناً وقراءة ، ويستعمل هذا اللفظ لعدة معانٍ منها:

1- بمعنى الجمع والضم كما قال ابن منظور[1]، ومعنى القرآن معنى الجمـــع، وسمي قرآناً لأنه يجمع السور فيضمها".[2]

2- بمعنى التلاوة وهي النطق بالكلمات المكتوبة ، وسميت التلاوة قراءة لأنهـــا ضم الأصوات الحروف في الذهن لتكوين الكلمات التي ينطق بها.[3]

وقد فرّق ابن قيم الجوزية[4]- رحمه الله- بين قرى يقرى وبين قرأ يقــرأ بـــالهمز حيث أشار إلى أنّ الأُولى من باب الياء من المعتل كقضى يقضي بمعنى الجمع فإنهم يقولون قريت الماء في الحوض وأقريه أي جمعته. وقال ابن القيم: "وأمّا المهمـــوز فإنّه من الظهور والخروج على وجه التوقيت والتحديد ومنه قراءة القرآن؛ لأن قارئه يظهره ويخرجه مقداراً محدوداً لا يزيد ولا ينقص فيه ويدل عليه قوله: ﴿ **إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ** ﴾ [القيامة : 17] ففرق بين الجمع والقـــرآن وإلا كـــان تكريـــراً محضاً".[5]

---

(1) هو محمد بن مكرم بن علي ، أبو الفضل ، جمال الدين بن منظور الأنصاري الأفريقي صاحب لسان العرب ، إمام لغوي حجّة، ولد سنة 630 هـ -1232م ، وتوفي سنة 711 هـ -1311 م انظر[الأعلام (108/7)].

(2) انظر [لسان العرب (564-563/6) ، المفردات ص 668 -669 ، القاموس المحيط ص62].

(3) انظر [أساس البلاغة ص538 ، القاموس المحيط ص62 ، معجم مفردات ألفاظ القرآن ص402 -403 ، المعجم الوسيط (722/2) ، معاني القرآن : الفراء (211/3)، معاني القرآن : الزجاج (253/5) ، معجم مقاييس اللغة (448/1) ، (27/2)].

(4) هو العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي إمام الجوزية ، وابن قيمها ، ولد سنة إحدى وتسعين وستمائة ، برع في علوم التفسير والحديث، ولازم الشيخ تقي الدين بن تيمية ، توفي في سنة إحدى وخمسين وسبعمائة انظر [البداية والنهاية: لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت774هـ)(253-252/14) دار الحديث -القاهرة -ط6 -1423هـ -2002 م - تحقيق : د. أحمد عبد الوهّاب (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي البداية والنهاية)].

(5) انظر [زاد المعاد في خير هدى العباد محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين للإمام ابن قيمٍ الجوزية (197/4) - المطبعة المصرية

ثانياً : تعريف القراءة اصطلاحاً:

تعددّت عبارات العلماء في تعريف القراءات اصطلاحاً وهي جميعها تـدور في فلك واحد ، ولكن هناك من التعاريف لم تكن جامعةً مانعة ، واخترت من بـين التعاريف ثلاثةً، رُجّحت أنّها جامعةٌ مانعة حيث إنّها ذُكرت فيها هذه العناصر وهي: مواضع الاختلاف في القراءات ، وحقيقة الاختلاف بين القراءات، ثم النقل الصحيح سواء كان متواتراً أم آحاداً.[1] و هذه التعاريف هي:

1-تعريف ابن الجزري – رحمه الله – فقد ذكر أن " القـراءات علـم بكيفيـة أداء كلمات القرآن واختلافها معزواً لناقله " ... والمقرىء العالم بها رواها مشـافهة ... لأن في القراءات أشياء لا تُحكم إلا بالسماع والمشافهة ".[2]

وقد علّق د. عبد الرحمن الجمل في رسالته على هذا التعريف قـائلاً : " نتبـين أنّ أضبَطها وأعمَّها وأشمَلها هو تعريف الإمام ابن الجزري – رحمه الله – فقد كان ... جامعاً مانعاً ".[3]

2- تعريف شهاب الدين القسطلاني[4] (ت923هـ) عرَّفها بأنَّها: " علم يعرف منـه اتفاق الناقلين لكتاب الله واختلافهم في اللغة والإعراب والحذف والإثبات، والتحريك والإسكان، والفصل والاتصال، وغير ذلك من هيئة النطـق والإبـدال مـن حيـث السماع. أو يقال: " علمٌ يُعرف منه اتفاقهم واختلافهم في اللغة والإعراب والحـذف والإثبات ، والفصل والوصل ، من حيث النقل". أو يقال: " علمٌ بكيفية أداء كلمـات القرآن، واختلافها ، معزواً لناقله ".[5]

3- تعريف عبد الفتاح القاضي[6]: عرَّف القراءات بأنَّها: "علمٌ يُعـرفُ بـه كيفيـة النطق بالكلمات القرآنية ، وطريق أدائها اتفاقاً واختلافاً مع عَزْوِ كلِّ وجهٍ لناقلـه"[7]

ومكتباتها (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي زاد المعاد)].

(1) انظر [القراءات وأثرها في التفسير (112/1)].

(2) انظر [منجد المقرئين ص3].

(3) منهج الإمام الطبري في القراءات ص4.

(4) سبقت له ترجمه ص29.

(5) لطائف الإشارات (171/1).

(6) هو عبد الفتاح عبد الغني القاضي العالم المشهور ، المقرىء ، المحقق ، صاحب التصانيف العربية في علوم القرآن ، ورئيس قسم القراءات بكلية القراءات في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ولد بمصر سنة 1325 هـ وتوفي سنة 1403 هـ انظر [www.iu.edu.sa/magazine/57/37.htm Google- ا]

(7) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدّرة : تأليف خادم العلم والقرآن عبد الفتّاح القاضي – ص5

وقد علَّق على هذين التعريفين (محمد بازمول) في رسالته قائلاً: " نجد أنّ التعريفين الأوَّلين اللّذين أوردهما القسطلاني – رحمه الله – تعريفان جامعان مانعـان وكـذا تعريف الشيخ عبد القاضي رحم الله الجميع".[1]

و إنني أميل إلى ما ذهب إليه ابن الجزريِّ – رحمه الله – في تعريفه، و لذلك لأنـه أضبطها و أعمُّها.

المطلب الثاني : العلاقة بين القراءات القرآنية والقرآن

1-إنّ جميع القراءات الواردة ، المتواترة منها وغير المتواترة ، والموافقـة لخـط المصحف والمخالفة ، تُعتبر حقيقةً متغايرةً مع القرآن، وذلك لأنَّ القرآن لا يثبت إلاّ بالتواتر، أمّا القراءات الأخرى المنقولة بأخبار الآحاد فهي مغايرة للقرآن، وذلك لأنّه لا يقطع على كونها قرآناً. وهذا الرأي (القرآن والقراءتان حقيقتان متغايرتان) هو ما ذهب إليه الزركشي فقال: "واعلم أنَّ القرآن و القرات حقيقتان متغايرتان فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد ﷺ للبيان و الإعجاز، و القراءات هـي اخـتلاف ألفـاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفيتها من تخفيـف و تثقيـل و غيرهمـا.[2] ووافقه على ذلك القسطلاني[3] وأحمد بن محمد الدمياطي الشهير بالبنا [4] في كتابـه "فضلاء البشر".[5]

المطلب الثالث : نشأة القراءات القرآنية وأقسامها وحكم الاحتجاج بها

أولاً : نشأة القراءات القرآنية :

1- في حياة الرسول ﷺ:

–مكتبة أنس بن مالك – مكة المكرمة – ط1 – سنة 1423هـ –2002م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي البدور الزاهرة).

(1) انظر [القراءات وأثرها في التفسير (112/1)].

(2) انظر [البرهان في علوم القرآن : الزركشي (318/1)].

(3) انظر [لطائف الإشارات (171/1)].

(4) هو الحافظ الحجة الفقية النّسابة، شيخ المحدثين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن الدمياطي الشافعي، صاحب التصانيف ، ولد في أخر سنة ثلاثة عشرة وستمائة تفقة بدمياط ، توفي سنة خمس وسبعمائة انظر [تذكرة الحفاظ (1477/4 –1479) ترجمة رقم 1166].

(5) انظر [إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر المسمّى منتهى الأماني والمسرّات في علوم القراءات : الشيخ أحمد بن محمد البنا ص68 عالم الكتب – بيروت – ط1- 1407هـ–1987 م – تحقيق : د. شعبان محمد إسماعيل (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي إتحاف فضلاء البشر)].

يُعتبر الرسول ﷺ أول مقرىء للقرآن الكريم ، حيث إنّه تلقى الوجوه جميعاً عن جبريل –عليه السلام– عن ربِّ العزة –جل جلاله– وتباركت أسماؤه ، وهو ﷺ أقرأها الصحابة كما تلقاها ولا مجال للعقل ولا للرأي فيها حتى ولو كان الرسولﷺ.

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ يونس

و كان أيِّ خلاف ينشأ بين الصحابة في مسألة من مسائل القراءة، فإنَّ الرسول ﷺ كان يحسِمُه مباشرة، وذلك إمّا بإقراره لهم جميعاً أو بتصويب النبي ﷺ لأحد الوجهين، وليس لعلماء القراءة في باب الاجتهاد فيما يتعلق برواية القرآن الكريم أيُّ اجتهاد إلاّ في حدود ضبط الرواية عن الرسول ﷺ. ثم بعد ذلك قام الصحابة بالاشتغال بالقرآن الكريم ، ولذلك كَثُر فيهم القرّاء والحُفّاظ ، قال ابن الجزري: "ولمّا خصَّ الله تعالى بحفظه من شاء من أهله، أقام له أئمَّة ثقاتٍ تجردوا لتصحيحه وبذلوا أنفسهم في إتقانه، وتلقوه عن النبي ﷺ حرفاً حرفاً، لم يهملوا منه حركة ولا سكوناً ولا إثباتاً ولا حذفاً ولا دخل عليهم في شيء منه شك ولا وهمٌ ، وكان منهم من حفظه كله، ومنهم من حفظ أكثره، ومنهم من حفظ بعضه، كل ذلك في زمن النبيِّ ﷺ وقد ذكر الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام في أول كتابه في القراءات مَنْ نقل عنه شيئاً من وجوه القراءات من الصحابة فذكر أبا بكر ، وعمر ، وعثمان وعلي وطلحة... وذكر من الأنصار أبيَّ بن كعب ، ومعاذ بن جبل ... وأنس بن مالك رضي الله عنهم أجمعين."(1)

وذكر أسماء الصحابة الذين أخذ عنهم التابعون ورووا قراءاتهم ، وصاروا فيما بعد

(1)النشر (13/1).

إسناداً عالياً لأهل التواتر والذي كتب في عصر النبي ﷺ لم يعتره[2] تغيير ، ولم تجر عليه الحروف السبعة، وأن الحروف السبعة كانت في قراءة القرآن لا في كتابته، وأن استئذان النبي ﷺ كان في القراءة لا في الكتابة.[1]

وقد كان في عهد النبي ﷺ متفرقاً في صدور الرجال، أو في صحف أو في جريد، تواترت الرواية أنه مات ﷺ وهو- أي القرآن- غير مجموع في صحف ، لم يُختلف في ذلك.[2]

2- في عهد أبي بكر الصديق :

أرسل أبو بكر الصديق إلى زيد بن ثابت رضي الله عنهما حيث قال:" أرسل إليّ أبو بكر الصديق مقتل أهل اليمامة فجئته، وإذا عمر بن الخطاب عندهم ، قال أبو بكر رضي الله عنه : إنّ عمر أتاني فقال إنّ القتل قد استحرّ [3] يوم اليمامة بقُرّاء القرآن، وإني أخشى إن استحرّ القتل بالقرَّاء بالمواطن فيذهب كثيرٌ من القرآن ، وإني أري أن تأمر بجمع القرآن ... فتتبعت القرآن أجمعه من العُسُب [4] واللِّخاف[5] وصدور الرجال ...فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفّاه الله ، ثم عند عمر في حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر – رضي الله عنهما- " [6] وقد اشتملت كتاباته على الأحرف السبعة التي أُنزل فيها القرآن كما كانت في عهد الرسول ﷺ [7].

3- و في زمن عثمان رضي الله عنه:

اتسعت الفتوحات في زمن عثمان، واستبحر العلم، وتفرق المسلمون في

---

(2) من العراء الذي هو الفضاء لا يستتر فيه شيء ، ويقال عريته : غشيته انظر [القاموس المحيط ص2690 مادة عرى].

(1) انظر [المعجزة الكبرى ص31].

(2) انظر [الإبانة ص44 ، الجامع لأحكام القرآن (61/1)].

(3) استحر: أي اشتد وكثر انظر [لسان العرب(179/4) مادة حرر] .

(4) العسب جمع عسيب وهو جريد أو غضن النخل كانوا يكشطون الخوص ويكتبون بالطرف العريض انظر [القاموس المحيط ص47 مادة عسب، فتح الباري (14/9)] .

(5) اللخاف صفائح الحجارة الرقاق ، واللخف أصل الجبل انظر [القاموس المحيط ص 1102 ، فتح الباري (14/9)] .

(6) أخرجه البخاري رقم 4986 في فتح الباري (10/9) – 66 كتاب فضائل القرآن – باب جمع القرآن .

(7) انظر [القرآن إعجازه وبلاغته ص 21] .

الأمصار ، ونبتت ناشئة جديدة كانت بحاجةٍ إلى دراسة القرآن ، وطال عهد النـاس بالرسول ﷺ والوحي والتنزيل ، وكان أهل كلِّ إقليم من أقاليم الإسـلام ، يأخـذون بقراءة من اشتُهر بينهم من الصحابة وكان بينهم اختلافٌ في حروف الأداء ووجـوه القراءة ، بطريقةٍ فتحت باب الشِّقاق والنِّزاع في قراءة القرآن؛ لذلك قـرر عثمـان جمع القرآن وتوحيد الناس على مصحف واحد وفي ذلك (1) يروي البخـاري فـي صحيحه بسنده أنَّ أنس بن مالك حدثه، " أنَّ حذيفة بن اليمان قَـدِم علـى عثمـان ، وكان يُغازى أهْلَ الشام في فتح إرمينية وأذربيجان (2) مع أهـل العـراق ، فـأفزع حذيفة اختلافُهم في القراءة ، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرِكْ هذه الأمّة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى. فأرسل عثمانُ إلى حفصة أنْ أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردّ ها إليك ، فأرسلت بها حفصـة إلى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن ابن الحارث ابن هشام فنسخوها في المصاحف ، وقال عثمـان للـرهط القرشـيِّين الثلاثة:

إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش فإنما نـزل بلسانهم ، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ردّ عثمان الصـحف إلـى حفصة ، فأرسل إلى كلِّ أُفُقٍ بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن فـي كل صحيفة أو مصحف أن يحرق ". (3)

ويلاحظ أن عثمان – رضي الله عنه – كان غرضه من إعادة جمع المصحف هـو أن يكتبه على حرف واحد من الحروف السبعة أي اللهجات واللغات السبعة فما كان جَمْعُهُ إلا لإثبات الحرف الباقي الذي رويَ مكتوباً عن النبـي ﷺ ؛ ليجتمـع عليـه المسلمون ولا يكونوا متفـرقين، وأن يكـون ذلـك موافقـاً للمكتـوب فـي عهـد

---

(1) انظر [مناهل العرفان في علوم القرآن (216/1)].

(2) بلدتا شمال العراق وهما من بلدان الاتحاد السوفيتي سابقاً وأرمينية بلدة من بلاد أذربيجان انظر [معجم البلدان : للإمام شهاب الدّين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت626هـ)(191/1–193) ، (155/1–156) دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط1 –1410هـ –1990 م – تحقيق : فريد عبد العزيز الجُندي (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي معجم البلدان) ، فتح الباري (16/9–17)] .

(3) أخرجه البخاري رقم 4987 في فتح الباري (11/9) – 66 كتاب فضائل القرآن – باب جمع القرآن .

الرسول ﷺ.[4]

ثم بعد أن جمع عثمان- رضي الله عنه- الناس على حرف واحد ، ومصحف واحد انقسمت القراءات إلى قسمين :

1- ما يُقْبل ويُقْرأ به ، وهو ما وافق خط المصحف المجمعِ عليه مما نقله الثقات وتلقوه مسلسلاً إلى النبي ﷺ .

2- ما لا يُقبل ولا يُقرأ به ، هو ما خالف المصحفَ المجمعَ عليه مخالفة شديدة ظاهرة كزيادة كلمة ، وتبديل كلمة مكان أخرى ونحو ذلك.[1]

يقول ابن الجزري : " وجُردت هذه المصاحفُ جميعُها من النقط والشَّكْل؛ ليحتملها ما صح نقله وثبتت تلاوته عن النبي ﷺ إذ كان الاعتماد على الحفظ لا على مجرد الخط... فكُتِبت المصاحف على اللفظ الذي استقر عليه في العرضة الأخيرة عن رسول الله ﷺ ... وأقرأ كل أهل مصر بما في مصحفهم، تلقوا ما فيه عن الصحابة... ثم تجرد قوم للقراءة والأخذ، واعتنوا بضبط القراءة أتمَّ عنايةٍ ، حتى صاروا في ذلك أئمة يُقتدى بهم .

ويُرحل إليهم ويؤخذ عنهم ، أجمع أهل بلدهم على تلقى قراءتهم بالقبول ولم يختلف عليهم فيها اثنان؛ ولتصديهم للقراءة نسبت إليهم".[2] وثم بعد ذلك كثر القرَّاء وتفرقوا في البلاد ، وكَثُر الاختلاف بينهم وقَلَّ الضبط وقال ابن الجَزَري : " فقام جهابذة علماء الأمة ، وصناديد الأئمة ، فبالغوا في الاجتهاد ، وبيَّنوا الحق المراد وجمعوا الحروف والقراءات ، وعَزَوْا الوجوه والروايات"[3]، وفي عهد عبد الملك ابن مروان أمر الحجاج بن يوسف الثقفي بوضع النَّقط والشَّكل على الحروف، وتوالت تنظيمات التشكيل والأرباع وعلامات الأجزاء والسَّجْدَات حتى وصل إلينا كما نراه الآن في أجمل هيئة، مصون عن التحريف أو التبديل وهو أصح الكتب السماوية.[4]

---

(4) انظر [المعجزة الكبرى ص34].

(1) انظر [منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره ص16].

(2) النشر (14/1) باختصار.

(3) المرجع السابق (15/1) .

(4) انظر [لطائف البيان في أحكام وعلوم القرآن : صابر غانم المنكوت – ص 111 – 112 – دار إحياء التراث الإسلامي – دولة قطر ، عنى بطبعه عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ، لطائف الإشارات (64/1)] .

وأشار مكي[5] إلى أنّ القراء في العصر الثاني والثالث كانوا كثيرين في العدد وفي الاختلاف ، فأراد الناس في العصر الرابع أن يقتصروا من القراءات التي توافق خط المصحف ، على ما يسهل حفظه وتنضبط القراءة به، فتصدى ابن مجاهد[1] – رحمه الله – واختار من القراء الكثيرين سبعة ، ووافقه الناس على ذلك فكانت قراءتهم هي المشهورة والمتداولة بين الناس ، ووقع اختيار ابن مجاهد على هؤلاء السبعة لثقتهم ، وحسن دينهم ، وطول عمرهم في الإقراء ، وأمانتهم ، وكمال علمهم ، واشتهار أمرهم ، وإجماع أهل الأمصار على عدالتهم فيما نقلوا، وثقتهم فيما قرأوا و رووا.[2]

ويقول القسطلاني عن اختيارهم : " ليكون ذلك موافقاً لعدد الحروف التي أُنزل عليها القرآن ، لا لاعتقاده أو اعتقاد غيره من العلماء أنّ هؤلاء السبعة المعينين هم الذين لا يجوز أن يُقرأ بغير قراءاتهم ".[3] أو لأن عدد المصاحف التي كُتبت في عهد عثمان سبعة، ووجه بها إلى الأمصار، فجعل عدد القراء على عدد المصاحف .[4]

ووضع العلماء ضابطاً للحكم على القراءة بالقبول أو الرد . يقول السيوطي: "وأحسن من تكلم في هذا النوع إمام القراء في زمانه شيخ شيوخنا أبو الخير ابن الجزري".[5]

قال ابن الجزري :

"كلُّ قراءة وافقت العربية ولو بوجه ، ووافقت أحد المصاحف ولو احتمالاً ، وصحّ سندها ، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردّها ولا يَحِل إنكارها . بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها ، سواء أكانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين ."[6] وارتضى

---

(5) مكي بن أبي طالب أبو محمد القيسي القرطبي ولد عام 355هـ وتوفي عام 437 هـ أستاذ القراء [غاية النهاية (309/2)].

(1) هو أحمد بن موسى بن العباس التميمي أبو بكر بن مجاهد الحافظ أول من سبع السبعة توفي عام 324هـ انظر [غاية النهاية (139/1)] .

(2) انظر [الإبانة ص63-64 ، إعجاز القرآن : مصطفى صادق الرافعي ص53] .

(3) لطائف الإشارات (86/1).

(4) انظر [الإبانة ص66].

(5) الإتقان (236/1).

(6) النشر (15/1).

السيوطي هذا الضابط وأشاد به وأثنى على قائله . ونلحظ هذا الضابط يشتمل على ثلاثة شروط ، ويتوقف قبول القراءة على توفرها جميعاً :

1- موافقة العربية ولو بوجه .

2- موافقة خط أحد المصاحف العثمانية .

3- صحة السند

ذُكر عن أبي عمرو الداني[1] : " وأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر، والأصح في النقل والرواية إذا ثبت عنهم لم يردها قياسُ عربيةٍ ولا فشوُ لغةٍ؛ لأن القراءة سنةٌ متَّبعةٌ يَلْزم قَبولُها والمصيرُ إليها". [2] والأصل الذي يُعتمد عليه في هذا، أنَّ ما صحَّ سنده واستقام وجهه في العربية ووافق لفظُه خطَّ المصحف ، فهو من السبعة المنصوص عليهم ، ولو رواه سبعون ألفاً متفرقين أو مجتمعين، فهذا الأصل الذي بني عليه من قبول القراءات عن سبعة أو سبعة آلاف .[3] وكانت القراءات في عهد ابن مجاهد تنقسم إلى قسمين :

أولاً : تقسيم ابن مجاهد للقراءات :

جمع ابن مجاهد – رحمه الله – قراءات الأئمة السبعة ، وأودعها كتابه "السبعة في القراءات"، وأطلق على ما عداها قراءات (شاذة) على الرغم من أنَّ بعضها صحيح، وهي القراءات المتمّمة للعشر .

وفي ذلك يقول ابن مجاهد في كتابه: " فهؤلاء سبعة نفر من أهل الحجاز والعراق والشام ، خلفوا في القراءة التابعين ، وأجمعت على قراءتهم العوام من أهل كلِّ مصر من هذه الأمصار التي سميتها وغيرها من البلدان التي تقرب من هذه الأمصار ، إلا أن يستحسن رجل لنفسه حرفاً شاذاً ، فيقرأ به ، من الحروف التي رويت عن بعض الأوائل منفردة ، فذلك غير داخل في قراءة العوام ولا ينبغي لذي

(1) سوف تأتي ترجمة له ص51.

(2) النشر (16/1).

(3) الإبانة ص67.

لُبٍّ أن يتجاوز ما مضت عليه الأئمة والسلف بوجه يراه جائزاً في العربية ، أو مما قرأ به قارىء غير مجمع عليه".[4]

وقد وضح ابن جني[1]ذلك في كتابه المحتسب، حيث قسَّم القراءات إلى ضرْبين فقال: "**الأول:** ما اجتمع عليه أكثر قراء الأمصار ، وهو ما أودعه أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد – رحمه الله – كتابه الموسوم بقراءات السبعة ، وهو بشهرته غان عن تحديده. **و الثاني:** ما تعدى ذلك فسماه أهل زماننا شاذاً ، أي خارجاً عن قراءة القراء السبعة المقدمِ ذكرُها، إلاّ أنّه مع خروجه عنها نازع الثقة إلى قرائه ، محفوفاً بالروايات من أمامه وورائه ، ولعله ، أو كثيراً منه مساوٍ في الفصاحة للمجتمِع عليه".[2]

ثانياً: تقسيم مكي:

قسّم مكي بن أبي طالب القراءات باعتبار قبولها والقراءة بها وعدم ذلك إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : قسم يُقرأ به اليوم ، وذلك ما اجتمع فيه ثلاث خلال وهي :

1- أن ينقل عن الثقات إلى النبي ﷺ .

2- ويكون وجهه في العربية التي نزل بها القرآن شائعاً .

3- ويكون موافقاً لخط المصحف .

فإذا اجتمعت فيه هذه الخلال الثلاث قُرِىء به وقُطِع على مغيبه وصحته وصدقه؛ لأنه أخذ عن إجماع من جهة موافقته لخط المصحف ، وكفر من جحده .[3] وقد مثّل الإمام ابن الجزري لهذا القسم بقوله: " قلت ومثال القسم الأول: مالِك ومَلْك ويَخْدعون ويُخَادِعون وأَوْصى ووَصّى ويطَّوَّع وتطواع ونحو ذلك من القراءات

---

(4) كتاب السبعة في القراءات : ابن مجاهد – ص 87 – دار المعارف بمصر –القاهرة – تحقيق د. شوقى ضيف (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي كتاب السبعة في القراءات).

(1) سبقت ترجمة له ص 17.

(2) المحتسب (32/1) .

(3) انظر[الإبانة ص39] .

المشهورة"[4].

يقول مكي :" القسم الثاني : ما صحَّ نقله عن الآحاد ، وصحَّ وجهه في العربية، وخالف لفظه خط المصحف ، فهذا يقبل ، ولا يقرأ به لعلتين : **إحداهما :** أنـــه لـــم يوجد بإجماع ، إنما أخذ بأخبار الآحاد ، ولا يثبت قرآن يقرأ بـــه بخبـــر الواحـــد ، **والعلة الثانية:** أنه مخالف لما قد أُجمع عليه ، فلا يقطع على مغيّبه وصحته ، ومـــا لم يقطع على صحته لا تجوز القراءة به ، ولا يكفر من جحده ، وبئســـما صـــنع إذ جحده." [1] وقد مَثَّل ابن الجزري لهذا القسم بقوله : " ومثال القسم الثاني قراءة عبـــد الله بن مسعود وأبي الدرداء : (والذكر والأنثى) وقراءة ابن عباس (وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً) (وأمّا الغلام فكان كافراً) ونحو ذلك ما ثبت برواية الثقات ".[2]

يقول مكي : " والقسم الثالث: هو ما نقله غيرُ ثقةٍ ، أو نقله ثقةٌ ولا وجه لـــه فـــي العربية، فهذا لا يُقبل، وإن وافق خط المصحف، ولكلٍّ صنف من هـــذه الأقســـام، تركنا ذكره اختصاراً".[3]

وأيضاً مَثَّل له ابن الجزري قائلاً: "ومثال القسم الثالث ما نقله غير ثقة، كثير مما في كتب الشواذ، مما غالبُ إسناده ضعيفٌ كقراءة ابن الســـميفع [4] وأبـــي السَـــمّال[5] وغيرهما نحو (ننجيك ببدنك) (ننحّيك) : بالحاء المهملة (وتكون لمن خَلَفك آية) بفتح سكون اللام".[6]

ثالثاً : تقسيم ابن الجزري للقراءات:

---

(4) النشر (19/1) .

(1) الإبانة ص40.

(2) النشر (19/1).

(3) الإبانة ص40.

(4) هو محمد بن عبد الرحمن بن السَميفع بفتح السين ، اليماني ، ويكنى بأبي عبد الله ، له اختيار في القراءة ، شد فيه ونسبه إليه انظر [غاية النهاية (161/2-162)].

(5) هو قعنب بن أبي قعنب أبو السَمّال بفتح السين وتشديد الميم البصري ، له اختيار في القراءة شاذ عن العامّة انظر [غاية النهاية (27/2)].

(6) الكشف (20/1).

قسم ابن الجزري – رحمه الله – القراءات إلى قسمين في كتابه "منجد المقرئين" متواترة وصحيحة فقال: " وأمّا القراءة الصحيحة فهي على قسمين:

القسم الأول: ما صح سنده بنقل العدل الضابط عن الضابط كذا إلى منتهاه ووافق العربية والرسم وهذا على ضربين:

أ- ضربٌ استفاض نقله وتلقاه الأئمة بالقبول كما انفرد به بعض الرواة وبعض الكتب المعتبرة أو كمراتب القراء في المد ونحو ذلك فهذا صحيح مقطوع به، أنه مُنزّل على النبي ﷺ من الأحرف السبعة، كما نبيّن حكم المتلقى بالقبول وهذا الضرب يلحق بالقراءة المتواترة وإن لم يبلغ مبلغها.

ب- وضربٌ لم تتلقه الأمة بالقبول، ولم يستفض، فالذي يظهر من كلام كثير من العلماء جواز القراءة به والصلاة به، والذي نصَّ عليه أبو عمرو بن الصلاح(1) وغيره أن ما وراء العشرة ممنوع من القراءة به منع تحريم لا منع كراهة ...

والقسم الثاني من القراءة الصحيحة :

ما وافق العربية وصح سنده وخالف الرسم كما ورد في صحيح من زيادة ونقص وإبدال كلمة بأخرى ونحو ذلك مما جاء عن أبي الدرداء وعمر وابن مسعود وغيرهم فهذه القراءة تسمّى اليوم شاذة، لكونها شذت عن رسم المصحف المجمع عليه، وإن كان إسنادها صحيحاً، فلا تجوز القراءة بها لا في الصلاة ولا في غيرها".(2)

من خلال تقسيم ابن الجزري يمكن تقسيم القراءات إلى ثلاثة أقسام :

1- **القراءة المتواترة** : وهي القراءات العشر .

2- **القراءات الصحيحة** : وهي القراءات الجامعة لأركان القراءة الصحيحة، ولكنها لم يستفض نقلها ، ولم تتلقها الأمة بالقبول ، وهو ما نجده في أكثر القراءات الأربع التي بعد العشرة ، وهي : قراءة الحسن البصري (3) وابن محيصن(4)،

---

(1) هو تقي الدين عثمان بن صلاح الدين عبد الرحمن بن عثمان بن موسى ، أبو عمرو بن الصلاح ، الكردي ، شافعي المذهب ، حافظ ، مفتي ، شيخ الإسلام ، صنف كتب كثيرة أهمها علوم الحديث انظر [سير أعلام النبلاء (140/23) ، تهذيب سير أعلام النبلاء (265/3-266) ، تذكرة الحفاظ (1430/4)].

(2) منجد المقرئين ص16-17.

(3) هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري مولى الأنصار ، إمام زمانه علماً وعملاً ، لقى على بن أبي طالب ، ولد في خلافة عمر سنة إحدى وعشرين ، وتوفي سنة عشر ومائة انظر [لطائف الإشارات (99/1) ، غاية النهاية (235/1)].

واليزيدي[5]، والأعمش.[6]

3- **القراءات الشاذة** : وهي التي صح سندها ووافقت العربية وخالفت الرسم وقد مثل لها ما كان من زيادة أو نقص ، أو إبدال كلمة بأخرى مما صح سنده في كتب الحديث.[1]

رابعاً : تقسيم السيوطي :

وقد قسّم السيوطي القراءات على حسب كلامِ وتقسيم ابن الجزري حيث قال السّيوطي رحمه الله :

"أتقن الإمام ابن الجزري هذا الفصل جداً ، وقد تحرَّر لي منه أنّ القراءات أنواع:

الأول : المتواتر : وهو ما نقله جمْعٌ لا يمكن تواطؤهم على الكذب ، عن مثلهم إلى منتهاه ، وغالب القراءات كذلك .

الثاني : المشهور ، وهو ما صحّ سنده ولم يبلغ درجة التواتر ، ووافق العربية والرسم ، واشتُهر عند القراءة ، فلم يعدوه من الغلط ولا من الشذوذ ويُقرأ به ، ومثاله ما اختلفت الطرق في نقله عن السبعة .

الثالث : الآحاد : وهو ما صح سنده ، وخالف الرسم ، أو العربية ، أو لم يُشْتَهر الاشتهار المذكر ، ولا يُقرأ به .

الرابع : الشاذ ؛ وهو ما لم يصح سنده، من ذلك قراءة (مَلَكَ يومَ الدين) بصيغة الماضي ونصب (يوم) .

الخامس : الموضوع ، كقراءات الخزاعيّ[2] نسبها إلى أبي حنيفة زوراً كقراءة

---

(4) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محيصن المكي كان عالماً في اللغة وبالقرآن ، وله اختيار في اللغة ، توفي سنة ثلاث وعشرين ومائة بمكة انظر [لطائف الإشارات (68/1) ، غاية النهاية (167/2)].

(5) هو أبو محمد يحيي بن المبارك اليزيدي العَدَوي البصري ، كان فصيحاً مفوهاً ، إماماً في اللغات والآداب ، ثقة ، علاّمة سمّي باليزيد لصحبته يزيد بن منصور الحميري ، توفي سنة اثنتين ومائتين بمرو انظر [لطائف الإشارات (98/1-99) ، غاية النهاية (375/2 -377)].

(6) هو أبو محمد سليمان بن مهران الأعمش الأسدي كان فصيحاً لم يلحن قط كان شعبة إذا ذكر الأعمش قال المصحف المصحف ، سماه بذلك لصدقه ، وكان أبو حنيفة يزوره ويقتبس منه ، ولد يوم عاشوراء سنة ستين ، ومات سنة ثمان وأربعين ومائة انظر [لطائف الإشارات (99/1-100) ، غاية النهاية (315/1 -316)].

(1) انظر [منهج الطبري في القراءات ص23].

(2) هو محمد بن جعفر بن عبد الكريم بن بديل ركن الإسلام ، أبو الفضل الخزاعي الجرجاني ، قرأ على أصحابه كالكتاني ولقي الكبار ، وعده ابن الجزري من أئمة القراء المنطوق بهم ، توفي سنة ثمان وأربعمائة وضع كتاب في الحروف ونسبه إلى أبي

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر : 28] برفع (اللهُ) ونصب (العلماءَ) وهذا النوع لا يُعد قراءة ، ولا يدخل في مفهومها ، وإنما سمّى قراءة نسبة إلى راويه.(3)

السادس : المدرج : وهو يشبه الموضوع وهو ما زيد في القراءات على وجه التفسير، كقراءة(1) سعد بن أبي وقاص﴿**وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٌ من أمٍّ** ﴾ [النساء :12] وأيضاً لا يُعد قراءة." (2)

و قد توصلت إلى أنَّ خلاصة القول في أقسام القراءات وحكم الاحتجاج بها:

إنّ القراءات التي بين أيدينا في هذا العصر على ثلاثة أقسام:

الأول : قراءات تُقبل على أنها قرآن ، ويُقرأ بها في الصلاة وهي القراءات المشهورة العشر الصحيحة، ذلك لأنَّها نُقلت بالتواتر ، وذلك على الصحيح من أقوال العلماء.

الثاني : القراءات الشاذة بأنواعها المتعددة السابقة الذكرِ، والتي فقدت شرط التواتر وهذه تقبل ، ولكن لا تجوز أن يُقرأ بها ؛ لكونها ليست قرآناً ، وإنما يمكن الاحتجاج بها في الفقة واللغة والنحو.

الثالث : وهي التي لم تصح أن تسمى قراءات؛ لأنها لم تصح روايتها فهذه لا تُقبل ولا يُقرأ بها.(3) وفي ذلك يقول ابن الجزري : " وأما القراءة بالمعنى من غير أن ينقل قرآناً ، فليس ذلك من القراءات الشاذة أصلاً ، والمجترئ على ذلك مجترىء على عظيم، وضالٌ ضلالاً بعيداً ، يعزَّرُ ويُمنع بالحبسِ ونحوه".(4)

ونقل السّيوطي عن أبي عبيد في "فضائل القرآن": "المقصد من القراءة الشاذة تفسير القراءة المشهورة وتبيين معانيها كقراءة عائشة وحفصة:

حنيفة فأخذ الدار قطنى وجماعة أن الكتاب موضوع انظر [غاية النهاية (2/109-110)].

(3) انظر [علم القراءات د. نبيل آل إسماعيل ص44].

(1) هي قراءة شاذة ليست من القراءات العشر ولا من القراءات الأربع عشر.

(2) انظر [الإتقان (1/241-243) بتصرف].

(3) انظر [منهج الإمام الطبري ص23].

(4) منجد المقرئين ص 18.

﴿ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ صلاة العصر ﴾ [البقرة :238] وقراءة ابن مسعود ﴿ فَٱقْطَعُوٓاْ أيمانَهُما ﴾ [المائـــدة :38] ، وقـــراءة جـــابر ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ لهنّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: 33][5]، قال فهذه حروف وما شاكلها قـد صارت مفسرة للقرآن ، وقد كان يروى مثلُ هذا عـن التـابعين فـي التفسـير ، فيُستحسن فكيف إذا روى عن كبار الصحابة ثم صار في نفس القراءة! فهو أكثر من التفسير وأقوى فأدنى ما يستنبط من هذه الحروف معرفة صحة التأويل"[1].

قال الإمام الدمياطي الشهير بالبنا : " إنَّ السبع متواترة اتفاقاً ، وكذا الثلاثـة – أبـو جعفر ويعقوب وخلف – على الأصح بل الصحيح المختار وهو ما تلقيناه عن عامة شيوخنا وأخذنا به عنهم وبه نأخذ ، وأنَّ الأربعة بعدها – ابن محيصن، واليزيـدي، والحسن، والأعمش– شاذة اتفاقاً".[2] وقال أيضاً: "وقد أجمع الأصولويون والفقهـاء، وغيرهم على أن الشاذ ليس بقرآن ، لعدم صدق الحد عليه . والجمهور على تحريم القراءة به ، وأنه إن قُرأ به غير معتقد أنه قرآن ولا يوهم أحداً ذلك ، بل لما فيه من الأحكام الشرعية ، عند من يحتج به ، أو الأحكام الأدبية فلا كلام في جواز قراءته، وعليه يحمل من قرأ بها من المتقدمين قالوا : وكذا يجوز تدوينه في الكتب ، والتكلم على ما فيه ، وأجمعوا على أنه لم يتواتر شيء مما زاد على العشرة المشهورة".[3]

وقد نقل القسطلاني عن العلماء فتواهم بذلك ، منهم ابن عبد البر[4] قوله : "إجمـاع

---

(5) ذكر هذه القراءة ابن جنى في المحتسب (108/2) ونسبها إلى ابن عباس وسعيد بن جبير.

(1) الإتقان (255/1).

(2) إتحاف فضلاء البشر (72/1) ، لطائف الإشارات (72/1 –73).

(3) اتحاف فضلاء البشر (71/1) ، لطائف الإشارات (72/1–73).

(4) هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري ، أبو عمر القرطبي ، من كبار حفاظ الحديث ، مؤرخ أديب عالم بالقراءات و الأنساب ولد سنة 368هـ ، و توفي سنة 463هـ انظر [وفيات الأعيان (93/1)، (357/5–358)،(371/6)، البداية و النهاية

المسلمين عليه ، فإن كان جاهلاً بالتحريم عُرِّف ، فإن عاد عُزِّر تعزيراً بليغاً ، إلى أن ينتهي عن ذلك"[5]. وقال عن العلماء بأنهم "أجمعوا على أنه لم يتواتر شيء مما زاد على العشرة".[1] وقال: "إن التواتر المذكور شامل للأصول[2] والفرش[3]، وهذا هو الذي عليه المحققون".[4]

ونُقل عن ابن الصلاح قولُه عن الشاذ: "وهو ممنوع من القراءة بما زاد على العشر، منع تحريم ، لا منع قراءة ، في الصلاة وخارجها ، عُرِف المعنى أم لا ، ويجب على كل أحدٍ إنكارُه ، وإذا أصرَّ عليه وجب منعه وتعزيره بالحبس وغيره ، وعلى المتمكِّن من ذلك ألا يهمله".[5]

(112/12)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس علمائها و أمرائها و شعرائها و ذوي النباهة فيها ممن دخل إليها أو خرج عنها: أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي (ت سنة 599هـ) – ص474 – طبع في مدينة مجريط بمطبع روخس سنة 1884م، الأعلام (240/8)] .

(5) لطائف الإشارات (73/1) .

(1) لطائف الإشارات (75/1).

(2) هي القواعد الكلية المتطردة كالفتح و الإمالة و المد و القصر و أحكام النون الساكنة و التنوين و ما شابه ذلك انظر [المغني في علم التجويد برواية الإمام حفص عن عاصم: د.عبد الرحمن الجمل – ص382 – ط2- 1999م – غزة – الجامعة الإسلامية – آفاق للطباعة و النشر].

(3) هو الأحكام الخاصة ببعض الكلمات القرآنية المختلف فيها بين القراء مع عزو كل قراءة لصاحبها انظر [المرجع السابق بنفس الصفحة].

(4) لطائف الإشارات (78/1).

(5) المرجع السابق (73/1).

المطلب الرابع : التعريف بالقرَّاء العشرة ورواتهم

ثبت تواتر القراءات العشر ، وهي المنسوبة إلى القراء العشرة ، حيث قال الإمام ابن الجزري عن القراءات العشر أنها: " متواترة معلومة من الدين بالضرورة ". (1)

وقد نسبت القراءات إلى الأئمة العشرة؛ لملازمتهم القراءة بها وإقرائها ، ولتجردهم للإقراء ، حيث أفنوا أعمارهم في هذا العلم ، فتم اختيار هؤلاء العشرة، ومن ثَمَّ اختيار راويين عن كل إمام من أعدل رواته وأكثرهم ضبطاً واتقاناً من بين المئات الذين قرأوا عنهم مما يصعب حصرهم.

وفيما يلي تعريف موجز بالقرَّاء العشرة ورواتهم العشرين:

الإمام الأول : نافع :

نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي مولاهم ، أبو رويم ، المقرىء المدني أحد الأعلام ، أصله من أصبهان، كان أسود اللون حالكاً، صبيح الوجه، حسن الخَلْق فيه دُعابة. أخذ القراءة عن عدد من تابعي أهل المدينة ، وأقرأ الناس دهراً طويلاً نيّفاً عن سبعين سنة. وانتهت إليه رياسة القراءة بالمدينة، كان نافع إذا تكلم يُشَم من فِيْهِ رائحةُ المسك، فلما سُئل عن ذلك أجاب، بأنَّه رأى في المنام النبي ﷺ وهو يقرأ في فيه القرآن ، فمن ذلك الوقت ورائحة فمه مسك . قال قالون عنه : " كان نافع من أطهر الناس خلقاً ، ومن أحسن الناس قراءة ، وكان زاهداً جوَّاداً ، صلَّى في مسجد النبي ﷺ ستين سنة". ولد نافع سنة سبعين ، وتوفي سنة تسع وستين ومائة . (2)

---

(1) النشر (42/1).

(2) انظر [معرفة القراء الكبار على الطبقات والإعصار: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت748هـ –

راويا الإمام نافع :

1- قالون :

عيسى بن مينا بن وردان بن عيسى بن عبد الصمد النحوي ، يقال مولى بني زهرة، أبو موسى لُقِّب بقالون لجودة قراءته؛ لأن قالون معناه الجيِّد في أصل وضعها؛ وقيل إنَّه كان ربيب نافع ، وهو الذي لقبه بـ قالون؛ لجودة قراءته. ولد سنة عشرين ومائة ، وتوفي سنة عشرين ومائتين بالمدينة المنورة.(1)

2- وَرْش :

هو عثمان بن سعيد المصري المقرىء ، أبو سعيد ، لَقَبُه ورش، أطلقه عليه نافع؛ لأنه كان على قصره يلبس ثياباً قِصاراً ، وإذا مشى بدت رجلاه مع اختلاف ألوانه ، وكان أشقر ، أبيضَ اللون ، قرأ على نافع أربع ختمات ، ورجع إلى مصر فانتهت إليه رياسة الإقراء بالديار المصرية في زمانه . وُلد ورش سنة عشر ومائة ، وتوفي بمصر سنة سبع وتسعين ومائة.(2)

الإمام الثاني : ابن كَثِير :

هو عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله بن زاذان، الإمام أبو معبد المكي الداري، إمام أهل مكة في القراءة ، قيل له: الدَّاري؛ لأنَّه كان عطاراً والعرب تسمي العطار دارياً نسبة إلى دارين موضع بالبحرين يُجلب منه الطِّيب، وقيل: لأنه كان من بني الدار بن هانىء رهط تميم الدّارى . ولقي من الصحابة عبد الله ابن الزبير وأنس بن مالك كان ابن كثير فصيحاً بليغاً مفوَّهاً ، أبيض اللحية ، طويلاً جسيماً ، يخضب بالحناء ، عليه السكينة والوقار . ولد ابن كثير بمكة سنة خمس وأربعين ، وتوفي بمكة سنة عشرين ومائة ، واشتهر بالرواية عنه لكن بواسطة أصحابه البزي

1348 م) (241/1-247) ط1-1416هـ -1995 م استانبول – تحقيق : د. طيّار آلتى قولاج (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي معرفة القراء الكبار)، كتاب السبعة في القراءات ص53-56 - ، غاية النهاية (330/2-334) ، لطائف الإشارات (93/1-94) ، مناهل العرفان (381/1)].

(1) انظر [معرفة القراء الكبار (326/1-328) ، غاية النهاية (615/1-616)].

(2) انظر [معرفة القراء الكبار (323/1-326) ، غاية النهاية (502/1-503) ، مناهل العرفان (381/1)].

وقنبل.[3]

راويا ابن كثير :

1- البُزِّي :

هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزّة ، أبو الحسن البزي المكي المقرىء ، قارىء مكة ، ومؤذن المسجد الحرام ، أذن البزي في المسجد الحرام أربعين سنة ، ولد سنة سبعين ومائة ، وتوفي سنة خمسين ومائتين.[1]

2- قنبل :

هو محمد بن عبد الرحمن بن خالد بن محمد بن سعيد ، أبو عمر المخزوميٌّ مولاهم المكي الملقب بقُنْبُل ، والقنبل: الغليظ الشديد أو نسبةً لبيت بمكة يعرفون بالقنابلة. شيخ القراء بالحجاز ، ولد سنة خمس وتسعين ومائة ، وطَعِن بالسن ، وقطع الإقراء قبل موته بسبع سنين ، ولد سنة خمس وتسعين ومائة ، وتوفي سنه إحدى وتسعين ومائتين.[2]

الإمام الثالث : أبو عمرو :

هو زَبَّان بن العلاء بن عمّار بن العريان التميمي المازني البصري ، اختلف في اسمه على أكثر من عشرين قولاً ، أصحها زَبَّان ، قرأ بمكة والمدينة والكوفة والبصرة ، وليس في القرَّاء السبعة أكثر شيوخاً منه، سمع أنس بن مالك وغيره ، وكان أعلم أهل عصره بالقرآن والعربية ، وكان يقول : "لولا أَنْ ليس لي أن أقرأ إلا بما قرىء، لقرأت كذا وكذا ، كذا وكذا ، وذكر حروفاً" .

ولد أبو عمرو بمكة سنة ثمان وستين ، ونشأ بالبصرة ، وتوفي بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة.[3]

---

(3) انظر[معرفة القراء الكبار (1/197-203)، كتاب السبعة في القراءات ص65-66 ، وغاية النهاية (1/443-445) ، مناهل العرفان (1/378)].

(1) انظر [معرفة القراء الكبار (1/365-370) ، غاية النهاية (1/119-120)] .

(2) انظر [معرفة القراء الكبار (1/452-453) ، لطائف الإشارات (1/101) ، غاية النهاية (2/165-166) ، مناهل العرفان (1/378)].

(3) انظر [معرفة القراء الكبار (1/223-237) ، السبعة في القراءات ص80 -85 ، غاية النهاية (1/288-292) ، مناهل العرفان (1/380)].

راويا أبي عمرو :

1- الدُّوري :

هو حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صهبان بن عدي ، أبو عمر الدوري الأزدي البغدادي النحْوي المقرىء ، شيخ القرّاء في زمانه في العراق. والدوري نسبة إلى محلة معروفة بالجانب الشرقي من بغداد ، وقد طال عمره. وهو أول من جمع القراءات . وذهب بصرُه آخر عمره ، وتوفي سنة ست وأربعين ومائتين.[4]

2- السوسي:

هو صالح بن زياد بن عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم، أبو شعيب السوسي المقرئ، والسوسي: نسبة لموضع بالأهواز، و هو ضابط ثقة، مات سنة إحدى و ستين و مائتين[1].

الإمام الرابع: ابن عامر:

هو الإمام أبو عمران عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم اليحصبي بضم الصاد أو كسرها ، إمام أهل الشام في القراءة ، واليحصبي نسبة إلى يحصب بن دهمان بن عامر بن حمير ويرجع نسبه إلى هود -عليه السلام- ، كان ابن عامر إماماً ثقة من خيار التابعين، قيل: إنه قرأ على عثمان جميع القرآن ، قيل: إنَّه ولي قضاء دمشق وتوفي فيها سنة ثمان عشرة ومائة.[2]

راويا ابن عامر :

1- هشام :

هو هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة أبو الوليد السلمي وقيل الظفري الدمشقي ، إمام أهل دمشق وخطيبهم ومقرئهم ومحدثهم ومفتيهم، وكان مشهوراً بالنقل والفصاحة، رزق كبر السن وصحة العقل والرأي، فارتحل الناس إليه في القراءات والحديث ، روى عنه البخاري في صحيحه .

---

(4) انظر [معرفة القراء الكبار (1/191-192) ، غاية النهاية (1/386-389) ، مناهل العرفان (1/380)].

(1) انظر[معرفة القراء الكبار (1/193)، لطائف الإشارات (1/101)، غاية النهاية (1/390-391) ، مناهل العرفان (1/380)].

(2) انظر[معرفة القراء الكبار (1/186-197) ، غاية النهاية (1/423-425) ، مناهل العرفان (1/377)].

ولد سنة ثلاث وخمسين ومائة ، ومات سنة خمس وأربعين ومائتين.(3)

2- ابن ذكوان

هو عبد الله بن أحمد بن بشر ويقال بشير بن ذكوان القرشي الفهري الدمشقي ، شيخ الإقراء بالشام وإمام جامع دمشق .

قال أبو زرعة الدمشقي : " لم يكن بالعراق ولا بالحجاز ولا بالشام ولا بمصر ولا بخراسان في زمان ابن ذكوان أقرأ عندي منه"، ولد يوم عاشوراء سنة ثلاث وسبعين ومائة وتوفي يوم الاثنين سنة اثنتين وأربعين ومائتين.(4)

الإمام الخامس : عاصم :

هو عاصم بن أبي النجود بفتح النون وضم الجيم ، واسم أبيه بهدلة الأسدى مولاهم الكوفي، القارىء الإمام أبو بكر ، كان أحسن الناس صوتاً بالقرآن، قرأ القرآن على أبي عبد الرحمن السُّلمي – عبد الله بن حبيب(1)– وزر بن حبيش(2) وقرأ عليه خلق كثير ، يقال أنه مرض سنتين، ثم لمّا قام من المرض قرأ القرآن فما أخطأ حرفاً، انتهت إليه إمامة القراءة بالكوفة بعد أبي عبد الرحمن السُّلمي. روى عنه شعبةُ وحفص وكلاهما بدون واسطة ، وتوفي عاصم آخر سنة سبع وعشرين ومائة.(3)

راويا عاصم :

1- شعبة

هو شعبة بن عياش بن سالم ، أبو بكر الحنّاط الأسدي الكوفي الإمام العَلَم، راوي عاصم اختلف في اسمه على ثلاثة عشر قولاً أصحها شعبة ، كان إماماً كبيراً وكان يقول: "أنا نصف الإسلام" ، وكان من أئمة السنة ، وعمّر دهراً إلا أنه قطع الإقراء قبل موته بسبع سنين ، ولما حضرته الوفاة بكت أخته فقال لها : "ما يبكيك؟! أنظري

---

(3) انظر[معرفة القراء الكبار (396/1-402) ، غاية النهاية (354/2-356) ، مناهل العرفان (377/1)] .

(4) انظر[معرفة القراء الكبار (402/1-405) ، غاية النهاية (404/1-405)].

(1) هو عبد الله بن حبيب بن ربيعه أبو عبد الرحمن السلمي الضرير مقرىء الكوفة ، ولد في حياة النبي ﷺ أخذ القراءة عرضاً عن الصحابة منهم عثمان وعلي رضي الله عنهم ، ولا زال يقرى الناس من زمن عثمان إلى أن توفي سنة أربع وسبعين انظر [غاية النهاية (413/1-414)] .

(2) هو زر بن حبيش بن حباشة، أبو مريم، الأسدى الكوفي قرأ عرضاً من عبد الله بن مسعود وعثمان وعلي وقرأ عليه عرضاً عاصم ابن أبي النجود وغيره وقال عنه: "ما رأيت أقرأ من زر"، توفي سنة اثنتين وثمانين انظر [غاية النهاية (294/1)] .

(3) انظر [معرفة القراء الكبار (204/1-210) ، غاية النهاية (346/1-349) ، السبعة في القراءات ص70-71] .

إلى تلك الزاوية! فقد ختمتُ فيها ثمان عشرة ألف ختمة"، ولد سنة خمس وتسعين، وتوفي سنة ثمانين ومائة.[4]

2- حفص

هو حفص بن سليمان بن المغيرة أبو عمر بن أبي داوود الأسدي الكوفي أخذ القراءة عرضاً وتلقيناً عن عاصم وكان ربيبه – ابن زوجته – ونزل ببغداد فأقرأ بها، وجاور بمكة فأقرأ بها ، وروايته تُعتبر من أصح الروايات وهو ثقة ثبت ، ولد سنة تسعين ، وتوفي سنة ثمانين ومائة.[5]

الإمام السادس : حمزة :

هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الإمام الحبر أبو عمارة الكوفي التيمي مولاهم. وقيل من صميمهم الزيات أحسن القراء السبعة، وأدرك عدداً من الصحابة بالسّن، فلعله رأى بعضهم. كان إماماً حجة ثقة ثبتاً حافظاً للحديث خاشعاً زاهداً ورعاً، وإليه صارت الإمامة في القراءة بعد عاصم والأعمش، كان شيخه الأعمش إذا رآه يقول : "هذا حبر القرآن"، واشتهر عنه خلف وخلاد بدون واسطة، ولد سنة ثمانين وتوفي سنة ست وخمسين ومائة.[1]

راويا حمزة :

1- خلف :

هو خلف بن هشام بن ثعلب أبو محمد البزار البغدادي ، حفظ القرآن وهو ابن عشر سنين ، وكان ثقة زاهداً ، وله اختيار في القراءة خالف فيه حمزة في مائة وعشرين حرفاً . ولد سنة خمسين ومائة ، وتوفي سنة تسع وعشرين ومائتين ببغداد.[2]

2- خلاد :

هو خلاّد بن خالد الشيباني أبو عيسى مولاهم ، الكوفي ، إمام في القراءة ثقة ، أخذ

---

(4) انظر [غاية النهاية (325/1-327)] .

(5) انظر [معرفة القراء الكبار (287/1-290) ، غاية النهاية (254/1-255)] .

(1) انظر [معرفة القراء الكبار (250/1-265) ، السبعة في القراءات ص72-74 ، غاية النهاية (261/1-263)].

(2) انظر [معرفة القراء الكبار (419/1-422) ، غاية النهاية (272/1-274) ، مناهل العرفان (381/1)].

القراءة عرضاً عن سليم [3] وهو من أضبط أصحابه وأجلِّهم، توفي سنة عشرين ومائتين.[4]

الإمام السابع : الكسائي :

هو علي بن حمزة بن عبد الله الأسديُّ الإمام أبو الحسن الكسائي ، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات ، أخذ القراءة عرضاً عن حمزة أربع مرات وعليه اعتماده . قال ابن ذكوان :"أقمت على الكسائي أربعة أشهر وقرأت عليه القرآن غير مرة"، فقال عنه الشافعي: "من أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي"، وكان إمام الناس في القراءة في عصره ، ولمّا سُئل عن سبب تسميته بالكسائي قال: لأني أَحْرَمت في كساء . وتوفي سنة تسع وثمانين ومائة.[1]

راويا الكسائي :

1- أبو الحارث :

الليث بن خالد أبو الحارث البغدادي ، قرأ على الكسائي عرضاً، وهو من جُلة أصحابه ، ثقة معروف ضابط حاذق . توفي سنة أربعين ومائتين.[2]

2- الدوري :

هو حفص بن عمر ، وهو راوي أبي عمرو أيضاً ، وقد تقدم التعريف به.[3]

الإمام الثامن : أبو جعفر :

هو يزيد بن القعقاع الإمام أبو جعفر المدني المخزومي ، أحد القراء العشرة تابعي مشهور كبير القدر ؛ يقال أنه أُتي به إلى أم سلمة وهو صغير فمسحت على رأسه ودعت له بالبركة ، وصلى بابن عمر وكان إمام أهل المدينة في القراءة ، وعند

---

(3) هو سليم بن عيسى بن سليم بن عامر بن غالب ، يقال أبو محمد الحنفي مولاهم الكوفي مقرىء ضابط محرر حاذق، ولد سنة ثلاثين ومائة وتوفي سنة مائتين انظر [غاية النهاية (1/318-319)] .

(4) انظر [معرفة القراء الكبار (1/422-423) ، غاية النهاية (1/274-275)] .

(1) انظر [معرفة القراء الكبار (1/296-305) ، السبعة في القراءات ص78 -79 ، غاية النهاية (1/535-540) ، مناهل العرفان (1/382)].

(2) انظر [معرفة القراء الكبار (1/424) ، غاية النهاية (2/34) ، مناهل العرفان (1/382)].

(3) راجع ص51.

وفاته شوهدت دوارة بيضاء على صدره، ففسروها أنَّها نور القرآن. توفي بالمدينة المنورة سنة ثلاثين ومائة، اشتَهر عنه بالقراءة ابن وردان وابن جمّاز.(4)

راويا أبي جعفر :

1- ابن وردان :

هو عيسى بن وردان الحذّاء ، أبو الحارث المدني ، إمام مقرىء حاذق وراو محقق؛ عرض على أبي جعفر وشيبة ثم عرض على نافع، وهو من قدماء أصحابه توفي في حدود ستين ومائة.(5)

2- ابن جماز :

هو سليمان بن مسلم بن جماز الزهري مولاهم المدني ، وهو مقرى جليل ضابط ، قرأ عرضاً على أبي جعفر وشيبة ونافع، وأقرأ بحرف أبي جعفر ونافع ، مات بعد السبعين والمائة.(1)

الإمام التاسع : يعقوب البصري :

هو يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله أبو محمد الحضرمي مولاهم البصري إمام أهل البصرة ومقريها ، وهو أحد القراء العشرة . وكان من أعلم أهل زمانه بالقرآن والنحو وأقرأهم ولا يلحن في كلامه توفي سنة خمس ومائتين.(2)

راويا يعقوب :

1- رويس :

هو محمد بن المتوكل أبو عبد الله اللؤلؤي البصري ، المعروف برويس ، قرأ على يعقوب وهو من أحذق أصحابه ، ضابط مشهور ، توفي بالبصرة سنة ثمان وثلاثين ومائتين.(3)

---

(4) انظر [معرفة القراء الكبار (172/1-178) ، لطائف الإشارات (907/1) ، غاية النهاية (382/2-384) ، مناهل العرفان (383/1)].

(5) انظر [معرفة القراء الكبار (247/1-248) ، غاية النهاية (616/1)].

(1) انظر [معرفة القراء الكبار (293/1-294) ، لطائف الإشارات (104/1) ، غاية النهاية (315/1)].

(2) انظر [غاية النهاية (328/1-332) ، مناهل العرفان (383/1)].

(3) انظر [معرفة القراء الكبار (427/1-428) ، غاية النهاية (334/2-335)، مناهل العرفان (384/1)].

2- روح :

هو روح بن عبد المؤمن ، أبو الحسن الهذلي البصري المقرىء ، قرأ على يعقوب وهو من جلة أصحابه ، ثقة ضابط مشهور وروى عنه البخاري في صحيحه ، توفي سنة أربع أو خمس وثلاثين ومائتين.(4)

الإمام العاشر : خلف البزار :

هو خلف بن هشام البزار ، تقدم على أنه أحد راويي حمزة ، وله اختيار خالف فيه حمزة ، ويفرق بين خلف في روايته عن حمزة واختياره بأنه عند اختياره يقال خلف البزار.(5)

راويا خلف البزار:

1- إسحاق:

هو إسحاق بن إبراهيم بن عثمان بن عبد الله ، أبو يعقوب المروزي ، ثم البغدادي وهو ثقة ، توفي سنة ستٍ وثمانين ومائتين.(1)

2- إدريس:

هو إدريس بن عبد الكريم الحداد ، أبو الحسن البغدادي ، إمام ضابط متقن ثقة ، سئل عنه الدار قطني فقال ثقة ، وفوق الثقة بدرجة ، توفي يوم الأضحى سنة اثنتين وتسعين ومائتين عن ثلاث وتسعين سنة.(2)

---

(4) انظر [معرفة القراء الكبار (429/1) ، غاية النهاية (285/1) ، مناهل العرفان (383/1)].

(5) راجع ص54.

(1) انظر [لطائف الإشارات (104/1) ، غاية النهاية (155/1)].

(2) انظر [معرفة القراء الكبار (254/1-255) ، غاية النهاية (154/1) ، اتحاف فضلاء البشر (32/1) ، مناهل العرفان (384/1)].

الفصل الأول

تفسير سورة الأنفال من خلال القراءات القرآنية العشر

المبحث الأول: بين يدي السورة.

المبحث الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة الأنفال المتضمنة للقراءات العشر.

المبحث الأول:

بين يدي السورة.

الفصل الأول

تفسير سورة الأنفال في ضوء القراءات القرآنية العشر

المبحث الأول

بين يدي السورة

سورة الأنفال سورة مدنية،عدد آياتها خمس وسبعون آية حَسَب المُصحف الكوفي، وقيل ست وسبعون حسب المصحف البصري والحجازي،وقيل سبع وسبعون حَسَب المصحف الشامي[1](وذلك بحسب ما ثبت عن طريق النقل في وقفات الرسولﷺ)[2].

نوع السورة:

وقد صرَّح كثيرٌ من المفسرين ، أنَّ سورة الأنفال مدنية ولم يستثنوا منها شيئاً.[3] كما أخرج البخاري في صحيحه عن سعيد بن جبير قال : " قلت لابن عباس رضي الله عنهما سورة الأنفال قال : نزلت في بدر ".[4] وذكر القرطبي[5]: " أنها مدنية بدرية في قول الحسن وعكرمة وجابر وعطاء ...." ثم قال : " وقال ابن عباس:وهى مدنية إلاّ سبع آيات من قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ ﴾ ...إلى آخر السبع آيات[30-37] ".[6]

وقد رجح سيد قطب القول الأول فقال عن هذه الآيات السبع : " والقول بأنّ هذه الآيات مدنية كالسورة كلها هو الأولى"[7] و هذا ما أراه في ذلك.

---

(1) انظر[الإتقان (213/1) ، مجمع البيان في تفسير القرآن : للشيخ أبو علي الفضل بن حسن الطبرسي(97/3) – دار مكتبة الحياة – بيروت – لبنان (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي مجمع البيان)].

(2) انظر [مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم – دار القلم – دمشق – ط1 – 1410هـ – 1989م].

(3) انظر[أنوار التنزيل وأسرار التأويل : القاضى ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي (251/9) الناشر مكتبة الجمهورية العربية – مصر – تصحيح محمد سالم محيسن (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي تفسير البيضاوي)، في رحاب التفسير : عبد الحميد كشك (1437/9) – المكتب المصري الحديث – القاهرة – سنة 1409 هـ – 1988م (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي في رحاب التفسير)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج : د. وهبه الزحيلي (236/9) دار الفكر المعاصر – بيروت – لبنان – ط1 –1419هـ – 1991م (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي التفسير المنير)].

(4) أخرجه البخاري (4645) انظر [فتح الباري (8/ 360) – 65 كتاب التفسير – 1 باب قوله (يسألونك عن الأنفال ...)].

(5) سبقت ترجمة له ص 3 .

(6) الجامع لأحكام القرآن (310/7) ، البحر المحيط (454/4).

(7) في ظلال القرآن سيد قطب (1431/9) –دار الشروق – ط 13 – سنة 1407 هـ – 1987 م (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي الظلال).

أسماء سورة الأنفال:

ذكر علماء التفسير عدة أسماء لسورة الأنفال حيث سميت بـ:

(1) الأنفال:

فقد عُرفت بهذا الاسم منذ عهد الصحابة رضوان الله عليهم ، فقد أخرج البخاري في صحيحه ، عن سعيد بن جبير قال: " قلت لابن عباس رضي الله عنهما: سورة الأنفال قال : نزلت في بدر".[1]

وأخرج النيسابوري[2] في مستدركه عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه بهذا المعنى . وقال عنه: " هذا حديث صحيح على شرط مسلم .[3]

وذكر ابن عاشور في تفسيره : " بأنَّ اسم الأنفال عرفت بين المسلمين وبه كُتبت تسميتها في المصحف حين كُتبت أسماء السور في زمن الحجاج [4] ، ولم يثبت في تسميتها حديث ".[5] والظاهر أن سبب تسميتها بهذا الاسم ، هو افتتاح هذه السورة بآية فيها اسم الأنفال ، وبسبب ذكر حكم الأنفال.[6]

(2) الجهاد :

وتسمى سورة الجهاد حيث إنّه من السُّنة قراءتها عند لقاء العدو، وذلك لتنشيط المؤمنين وبث الطمأنينة والسكينة في قلوبهم .[7]

---

(1) سبق تخريجه عند بيان نوع السورة راجع ص60.

(2) سبقت ترجمة له ص 19.

(3) انظر[المستدرك على الصحيحين : للإمام الحافظ أبى عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري: – 27 كتاب التفسير– 8 باب تفسير سورة الأنفال رقم 3259 /376 (356/2) –دار الكتب العلمية – بيروت – ط2 سنة1422هـ–2002 م – تحقيق مصطفى عبد القادر عطا(وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي المستدرك)] .

(4) هو الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي أبو محمد : قائد ، داهية، سفاك ، خطيب ، ولد ونشأ في الطائف (بالحجاز) عام 40 هـ–660 م ولاه عبد الملك بن مروان مكة والمدينة والطائف بعد قتله لعبد الله بن الزبير ثم أضاف إليها العراق، وهو أول من ضرب درهماً عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله ، مات بواسط عام 95 هـ –714 م . انظر[الأعلام (168/2)، معجم البلدان (403/5) ، وفيات الأعيان (29/2–54)].

(5) التحرير والتنوير (245/8).

(6) انظر[المرجع السابق (245/8) ، في رحاب التفسير(9 /1437)].

(7) انظر[نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: للإمام برهان الدين أبى الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (885هـ) : خرج أحاديثة عبد الرازق غالب المهدى(181/3–182) – دار الكتب العلمية – بيروت – ط1 سنة 415هـ –1995 م، (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي نظم الدرر)].

أسباب نزول سورة الأنفال :-

نزلت سورة الأنفال عَقب غزوة بدر، متحدثة عن هذه الغزوة وملابساتها ، ورسمت الخطة التفصيلية للقتال ... ولقد روى الإمام الواحدى والإمام السيوطي في كتابيهما أسباب النزول عن سعد بن أبى وقاص قال : "لما كان يوم بدر ، قُتل أخي عمير، فقتلت به سعيد بن العاص ، وأخذت سيفه فأتيْت به النبي ﷺ فقال: (اذهب فاطرحه في القَبَض)[1] بفتح القاف والباء و تعني المقبوض ، فرجعت وبي مالا يعلمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلبى ، فما جاوزت إلا يسيراً ، حتى نزلت سورة الأنفال، فقال لي النبي ﷺ (اذهب فخذ سيفك)"[2]

فضل سورة الأنفال :-

ذكر علماء السِّير ، أنَّ العلماء المجاهدين كانوا يحرِّضون الجيش الإسلامي على الجهاد ، ويقرأون عليهم سورة الأنفال ، فقد ذكر ابن كثير في البداية والنهاية عند سرده عن موقعة القادسية ، أنَّ القراء في الموقعة قرأوا آيات الجهاد وسوره.[3]

مناسبة السورة لما قبلها "سورة الأعراف":

ذكر كثير من المفسرين أنَّ : سورة الأعراف جاءت في بيان أحوال الرُّسل مع أقوامهم ، وسورة الأنفال مبينة لحال الرسول ﷺ مع قومه.[4]

مناسبة السورة لما بعدها " التوبة " :

1- سورة الأنفال تتحدث عن غزوة بدر وهى أول غزوة حدثت بين المسلمين

---

(1) يقصد به الغنيمة قبل أن تقسم انظر[تهذيب اللغة : أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (350/8) الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مطابع سجل العرب – القاهرة –تحقيق عبد العظيم محمود ، لسان العرب (214/7) مادة قبض ، منجد الطلاب في اللغة والأعلام ص 570- نظر فيه وقف على ضبطة فؤاد إفرام البستاني – دار المشرق – بيروت – لبنان ط 38 سنة 1991 ، لسان العرب (214/7)].

(2) انظر[أسباب النزول : للإمام أبى الحسن على بن أحمد الواحدي (468 هـ)- تحقيق أيمن صالح شعبان – ص176 – دار الحديث – القاهرة – سنة 1424 هـ –2003 م ،أسباب النزول : للإمام السيوطي – دراسة وتحقيق حامد أحمد الطاهر – ص193 – دار الفجر للتراث – القاهرة – ط 1 –1423 هـ –2002 م . والحديث أخرجه ابن كثير في تفسيرة (283/2) ، والترمذي في كتاب (التفسير) (3079) ، وقال : " هذا حديث حسن صحيح"].

(3) انظر[البداية والنهاية (41/7)] .

(4) انظر[روح المعاني (147/8) ، تفسير المراغي : أحمد مصطفى المراغي(161/9) – مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر – ط5 – سنة 1394 هـ –1974 م (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي تفسير المراغي)] .

والمشركين .... وسورة التوبة تتحدث عن آخر غزوة حدثت بين المسلمين والمشركين وتحدد :

1- العلاقات النهائية بين المسلمين وغيرهم حيث حدَّدت :

أ – العلاقات النهائية بين المسلمين والمشركين .

ب – العلاقة النهائية مع أهل الكتاب .

2- في الأنفال بيان العهود والوفاء بها وتقديسها ، وفى براءة نبذ العهود .

3- ذُكر في السورتين صدُّ المشركين عن المسجد الحرام ، والترغيب في إنفاق المال في سبيل الله ، وتفصيل الكلام في قتال المشركين وأهل الكتاب ، وبيان أوضاع المنافقين.(1)

مقاصد سورة الأنفال :

1- المقصد الأساسي من السورة هو بيان أنَّ الأمر أعظم و أكبر من الغنائم و الأموال، و أنَّ غاية الأمر هي أن تكون كلمة الله هي العليا.

2- بيان أنَّ النصر كله من عند الله تعالى تمثَّل في قوله تعالى: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ﴾ ،﴿إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ ... وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ﴾ ،﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ...﴾ ،﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ ،﴿ذَٰلِكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيۡدِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ .

3- بَّين الله تعالى في هذه السورة ، أنَّ الأمور كلَّها بيد الله والاعتصام كذلك، فحثهم على التبرؤ من الحَوْل والقوة ، وعلى التسليم لأمر الله ، فأتى بقصة الأنفال التى اختلفوا في أمرها، فمنعهم الله منها، وأعطاه لنبيه ﷺ ثم لما صار الأمر له ﷺ رده فيهم ، منَّةً عليهم وإحساناً لهم " (2)وقد قال عَبادة بن الصامت عن سورة الأنفال: "فينا يوم بدر نزلت ، وكان الناس على ثلاثة منازل : ثلثٌ يقاتل العدو ، وثلثٌ يجمع

(1) انظر[التفسير المنير (92/10)] .

(2) انظر[نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (181/3) – دار الكتب العلمية بيروت – لبنان – ط1 –1415هـ – 1995 م – خرج آياته وأحاديثة عبد الرزاق غالب المهدي .(وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي نظم الدرر)].

المتاع ويأخذ الأسرى ، وثلثٌ عند الخيمة ، يحرس رسول الله ﷺ ، فلما جمع المتاع اختلفوا فيه ، فقال الذين جمعوه وأخذوه : قد نفل رسول الله ﷺ ، كل امريء منَّا ما أصاب فهو لنا دونكم ، فقال الذين يقاتلون العدو ويطلبونه : والله لولا نحن ما أصبتموه فنحن شغلنا القوم ، وقال الحرس : والله ما أنتم بأحق به مِنَّا ، لقد رأينا أن نقاتل العدو حين منحنا الله أكتافهم ، أن نأخذ المتاع حين لم يكن أحد يمنع دونه ولكننا خفنا غرَّة العدو على رسول الله ﷺ فأقمنا دونه ، قال : فانتزعها الله من أيدينا، فجعله إلى رسول الله ﷺ فقسَّمه على السواء ، لم يكن فيه يومئذ خُمس فكان فيه تقوى الله وطاعته وطاعة رسول الله ﷺ وصلاح ذات البين".(1) من ذلك نخلص إلى أنه من أهداف سورة الأنفال ، معالجة وإصلاح نفوس وأخلاق الصحابة الذين اختلفوا على توزيع الغنائم والأنفال التى غنموها في جهادهم لإعلاء كلمة الله .

4- تضمنت هذه السورة كثيراً من التشريعات وخاصة الحربية التى تتعلق بالجهاد في سبيل الله ، فكانت هذه الغزوة في رمضان في السنة الثانية للهجرة هي أول غزوة كبيرة بين المسلمين والمشركين ، فأرادها الله أن تكون فرقاناً بين الحق والباطل ، والكفر والإيمان ، ولذلك سمى يومها ﴿ **ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ** ﴿٤١﴾ ﴾ **الأنفال**

5- أراد الله سبحانه في هذه الغزوة أن يعلّم المؤمنين عوامل النصر والهزيمة ؛ لذلك تضمنت هذه السورة الكثير من دستور النصر والهزيمة ، والسلم والحرب، والغنائم والأسرى والمعاهدات ، وأيضاً تضمنت واجبات المجاهدين في الإعداد والاستعداد ثم ترك الأمر لله بعد ذلك ﴿ **وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴿١٠﴾ ﴾ **الأنفال**

6- كشفت هذه السورة عن مشاهد من الغزوة ، وحركات النفوس قبل المعركة وفى ثناياها وبعدها مشاهد حيةٌ ، كأن القارىء يراها، فيتجاوب معها تجاوباً عميقاً، فكان

(1) المستدرك 27 – كتاب التفسير– 8 باب تفسير سورة الأنفال – رقم 376/3259 (356/2). وقد علق على هذا الحديث الحاكم النيسابوري وقال : " هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه".

مشهدهم قبل المعركة وهم يتضرَّعون إلى الله ويستغيثون به، وخاصة الرسول ﷺ فقد أجاب الله ضراعتهم، فهيأ لهم ظروف تلك المعركة ، حتى تم النصر للمؤمنين رغم قله عددهم .

7- استطراد السياق إلى جانب المعركة أحياناً إلى صور من حياة الرسول ﷺ وصحابته في مكة ، وهم قليلون مستضعفون في الأرض ، وذلك حتى يذكروا فضل الله عليهم عند النصر.

8- قررت هذه السورة سنة الله في الأرض ، حيث ينصر أولياءه ويدمر أعداءه ، فجاء بصور أخرى في هذه السورة من حياة المشركين قبل وبعد الهجرة ، وأمثلة من مصائب الكافرين من قبلهم ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾ **الأنفال**

9- جاءت النداءات الإلهية للمؤمنين في ثنايا سرد أحداث بدر، تنادي المؤمنين ست مرات بوصف الإيمان ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ حتى يصبروا ويثبُتوا في مجاهدتهم أعداء الله ، ولكي تذكرهم بأن النصر الذى نالوه سببه شدة إيمانهم ، لا بكثرة السلاح والرجال و يدل على ذلك النداءات التالية :

أ- **النداء الأول** : في قوله تعالى:- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾﴾ **الأنفال**

يأمرهم الله عز وجل في هذا النداء بالثبات في الميدان ، ويحذرهم من الفرار من المعركة ، حيث توعد الفارّين بأشد العذاب ، وغضبٍ منه سبحانه .

ب- **النداء الثاني** : فى قوله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾ **الأنفال**

اشتمل هذا النداء على الأمر بطاعة الله ورسوله لأنه هو طريق النصر.

ج-**النداء الثالث** : فى قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ **الأنفال**

فيه الاستجابة لله وللرسول ؛ لأن ما يدعوهم إليه ، فيه حياتُهم وسعادتُهم فى الدنيا والآخرة.

د- **النداء الرابع** : فى قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ **الأنفال**

فقد دعاهم إلى ترك الخيانة ، والبعد عن إفشاء أسرار الأمة.

هـ - **النداء الخامس** : فى قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانًا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ **الأنفال**

دعاهم إلى تقواه ، وبيَّن لهم ثمرة هذه التقوى ، التى من أعظمها النور الرباني الذى يبصر صاحبه بالحق والعدل وطريق الهدى عن الضلال.

و- **النداء السادس:** فى قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ **الأنفال**

ففي هذا النداء ، يأمرهم الله – عز وجل – ، بالصبر والثبات عند ملاقاة العدو ، والإكثار من ذكر الله بألسنتهم ؛ ليُستمطَروا نصرة الله وتأييده لهم.(1)

وقد ختمت السورة الكريمة ، ببيان أنَّ المسلمين أمة واحدة ، والولاية والتناصر واجبة بينهم ، وأن الكافرين أمة واحدة ، ولا ولاية بين الكافرين والمؤمنين.

---

(1) انظر [الظلال (1368/3-1469) ، صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني – (491/1-492)– دار القرآن الكريم – بيروت – ط4 سنة 1402هـ –1981م (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي صفوة التفاسير) ، أهداف كل سورة ومقاصدها فى القرآن :د.عبد الله محمود شحاته– (101/1-108)– الهيئة المصرية العامة للكتاب – ط2 –1981م (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي أهداف كل سورة ومقاصدها)].

المبحث الثاني

عرض وتفسير لآيات سورة الأنفال المتضمنة للقراءات العشر

1- ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ﴾ الأنفال

أولاً : القراءات :

1- قرأ حمزة ويعقوب (**عَلَيْهُمْ**) بضم الهاء .

2- وقرأ الباقون (**عَلَيْهِمْ**) بكسر الهاء . [1]

ثانياً : المعنى اللغوي للقراءات :

لا بد أن نشير هنا إلى أن ضم الهاء من لغة أهل الحجاز ، أما غيرهم فيكسرها ، جاء في " شرح الكافية " : " وحركة هاء المذكر ضمة ، إلا أن يكون قبلها ياء أو كسرة ؛ فإن كان قبلها إحداهما ، فأهل الحجاز يبقون ضمتها ويقولون : (بِهُو) و(لَدَيْهُو) وغيرُهم يكسرونها".[2]

ويذكر أنّ العلّة في كسر الهاء أنّه حرفٌ خفيف ، حيث إنه حاجزٌ غير حصين ، فكأن الواو الساكنة وَليت الكسرة أو الياء ،فقلبت ياء ولأجل الياء بعد الهاء كُسرت الهاء.[3]

وأما الضم فجاء الشارح في تعليل ما قرأ به عن حمزة [4] أنّ ذلك ؛ لكون الياء فيها بدلاً من الألف ، فأعطى الياء حكم أصلها ، وقد جاء عَلاَه ، وإلاَه، ولَدَاه على الأصل (عليهم – إليهم – لديهم) كان حمزة يخصهم بالضم. ولم يرتضِ الشارح هذا التعليل،

---

(1) انظر[في هامش القرآن الكريم القراءات العشر المتواترة : فكرة وتنفيذ : علوي بن محمد بن أحمد بلفقيه وإشراف محمد كريم راجح شيخ القراء في الديار الشامية . – ص177– دار المهاجر للنشر والتوزيع – ط4 – سنة 1425هـ –2004 م
(وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي في هامش القرآن الكريم القراءات العشر المتواترة) ،اتحاف فضلاء البشر (76/2)] .

(2) شرح الرّضيّ على الكافية : رضي الدين الإستراباذى – (421/2) –كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية سنة 1398 هـ – 1978 م . تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي شرح الرّضيّ) .

(3) انظر[المرجع السابق (421/2)].

(4) هو حمزة بن حبيب الزيات أحد القراء السبعة ، وتقدمت الترجمة له ص54.

واختار تعليلاً غيره بقوله: "ولعل ذلك لاتباع الأثر."[1]

ثالثاً : التفسير الإجمالي للآية :

في هذه الآية الكريمة وصف الله تعالى المؤمنين بثلاث صفات ، تدل على وجوب التقوى وإصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله التى ذكر في الآية السابقة بقوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١ ﴾ **الأنفال** فلمَّا أمر ونهى هيج وألهب فقال : مبيناً كون الإيمان ، مستلزماً للطاعة (إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) أى صادقين في دعوى الإيمان ، فلا يكون مدعي الشيء صادقاً في دعواه ، حتى يحصل البيان بالامتحان ، لذلك جاء في الآية التى تليها بالتأكيد (إنما المؤمنون) أى المؤمنون حقاً المخلصون ، الصادقون في دعوى الإيمان ، والكاملوا الإيمان هم الذين اجتمعت فيهم هذه الخصال . [2] قال أبو حيان [3]: " أخبر عنهم بموصول وصل بثلاث مقامات عظيمة : مقام الخوف – من الله سبحانه –، ومقام الزيادة في الإيمان ، ومقام التوكل على الرحمن"[4]. (ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) أى الذين إذا ذكر اسم الله نُزعت قلوبهم وفَرِقت ، ورهِبَت لمجرد ذكره ، استعظاماً لشأنه، وتهيباً منه –عزوجل–[5] قال الزَّجاج[6]:

"إذا ذكرت عظمة الله وقدرته ، وما خوف به من عصاه ، وجِلَت قلوبُهُم أي

(1) انظر[شرح الرضيّ (423/2)] .

(2) انظر[نظم الدر (184/3) ، تفسير المراغي (164/9)] .

(3) سبقت له ترجمه ص 9.

(4) انظر[تفسير البحر المحيط (457/4)] .

(5) انظر[صفوة التفاسير (494/1)] .

(6) هو أبو إسحاق إبراهيم بن السَّرى بن سهل ، لقِّب بالزجّاج ، لأنه كان يحترف خراطة الزجاج ، عاش في بغداد ، وأخذ عن ثعلب والمبرد ، ولد عام 214هـ وتوفي عام 311 هـ . انظر[البداية والنهاية (158/11) ، طبقات النحويّين واللغويّين : لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي (ت379هـ) ص111–112 – دار المعارف بمصر – القاهرة – ط2– تحقيق : محمد أبو الفضل ، الأعلام (40/1)].

فزعت". [1] (وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنًا) أي إذا تليت عليهم آيات القـــرآن الكريم يزداد يقينهم وتصديقهم بالله [2] فوجْهُ ذلك : أنهم يلقون له السمع ويحضـــرون قلوبهم؛ لتدبره، فعند ذلك يزيد إيمانهم ، لأن التدبر من أعمال القلـــوب. [3] (عَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ) عليه وحده لا شريك له يعتمدون ، فهم لا يرجون غير الله ،ولا يرهبـــون سواه فلا تكمل أعمالهم إلا بالتوكل على الله [4].

رابعاً : العلاقة التفسيرية بين القراءات :

رغم أنَّ هذه القراءات هى لغات إلا أنه يمكن تفسيرها، لقد اتفق علماء اللغـــة قـــديماً وحديثاً على حقيقة لُغوية ، وهى أنَّ الضمة أثقل الحركات وأقواها ، ثم تليها الكسرة ، ثم تليها الفتحة .ولعل السبب في ثقل وقوة الضم ، أن النطق به يحتـــاج إلـــى جهـــد عضلي ، حيث إن الضم ينشأ من ضم الشفتين أولاً، ثم رفعهما ثانياً ولا تحتاج الفتحة والكسرة إلى ذلك ، فالكسر ينشأ من انحدار اللحي الأسفل إلى أسفل انحداراً قوياً ،أما الفتح فينشأ من مجرد فتح الفم [5] قال ابن جني [6] : " فجعلوا الضمة لقوتها فيما يكثر حجمه ، والكسر لضعفها فيما يقل بل يعدم ارتفاعه ". [7] وعلى هذه الحقيقة أســـتطيع أن أفسر قراءة الضم (عَلَيْهِمْ) بأن المؤمنين وصفهم الله في هذه الآية بالخوف والوجل عند ذكره ، وحصول الزيادة والقوة في الإيمان عند سماعهم لتلـــك الآيـــات وذلـــك

---

(1) معاني القرآن وإعرابه : للزجاج أبو إسحاق إبراهيم بن السري (ت سنة 311هـ) (400/2) – عالم الكتب – بيروت – ط1 – 1408هـ– 1588م – شرح وتحقيق: د. عبد الجليل عبدو شلبي .

(2) انظر [صفوة التفاسير (494/1)] .

(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : تأليف عبد الرحمن بن ناصر السعدى–(294/9) – مكتبة الصفا – مطابع دار البيان الحديثة – ط1– سنة 1422 هـ –2002 م – قدم له محمد بن صالح العثيمين (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي تفسير السعدي).

(4) انظر [المرجع السابق (294/9–295) ، صفوة التفاسير(494/1)] .

(5) انظر[شرح التصريح على التوضيح : للشيخ الإمام خالد بن عبد الله الأزهري (59/1) – دار إحياء الكتب العربية].

(6) سبقت ترجمة له ص 17.

(7) المحتسب (19/2).

يتناسب مع ثقل حركة الضم بثقل وعظمة وقوة الإيمان في قلوبهم ، وعِظَم الخوف من الله ، فيقينُهُم لا يتطرق إليه شك . لذلك لم يستخدم رب العزة في هذه الآية طريقة (النفي والإثبات) التى تستعمل في الأمور المجهولة ، التى فيها مجال للشك والإنكار ، بل استخدم (إنما) التى تستعمل في الأمور المعلومة التى لا يتطرق إليها الشك أو الإنكار ، حيث إنّ المخاطبين هم المؤمنون، لذلك لا ينكرون هذه الحقائق.[1] فإيمانهم يزيد بانشراح الصدر وطمأنينة القلب وانثلاج الخاطر [2] أثناء تلاوة آيات الله[3] وأيضاً مما يتناسب مع ثقل الضم لفظ (وجلت قلوبهم) أى خافت وفزعت[4] يقول سيد قطب في هذا المعنى : " إنها الارتعاشة الوجدانية التى تنتاب القلب المؤمن حين يُذكَّر بالله في أمر أو نهي ، فيغشاه جلالُه[5] ، وتنتفض[6] فيه مخافته، ويتمثل عظمة الله ومهابته".[7] أما بالنسبة لقراءة (عَلَيْهِمْ) بالكسر.يقول كشك: "إنهم إذا قرأوه وقفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، نظر الله تعالى إليهم في جوف الليل وأصلابهم منحنية على أجزاء القرآن، إذا مر أحدهم بآية تبشر بالجنَّة بكى شوقاً إليها، وإذا مر بآية تنذر من عذاب النار، شهق شهقةً كأنَّ زفير جهنم بين أذنية".[8] فتدبرُ آيات الله وتلاوتُها، تضفي سكينة ووقاراً واطمئناناً في قلب ونفس المؤمن، فتكون هذه السكينة والاطمئنان مع انحناء المؤمن وهو يتلو آيات الله وإنكسار قلبه وخشوعه

---

(1) انظر [من بلاغة القرآن : د.محمد شعبان علوان – د.نعمان شعبان علوان – ص121- الدار العربية للنشر – ط2 – سنة 1998 م].

(2) ثلجت بما خبرتنى : أي استيقنت به وسكن قلبى إليه انظر [لسان العرب (222/2) مادة ثلج]

(3) انظر [فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدّراية من علم التفسير : محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت 1250هـ) بصنعاء (358/9) – دار المعرفة – بيروت –لبنان – ط3 – 1417هـ – 1997م – اعتنى به وراجع أصوله يوسف الغُرش (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي فتح القدير)].

(4) مجاز القرآن : أبو عبيدة معمر بن المثنى التَّيميّ (ت سنة 210 هـ)(240/1) – الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة – علق عليه د.محمد فؤاد شركين (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي مجاز القرآن).

(5) يغشاة : يغطيه الخوف انظر [منجد الطلاب في اللغة والأعلام نظر فيه ووقف عليه فؤاد إفرام البُستاني ص520 مادة غشي- دار الشرق – بيروت – ط38 – 15 نيسان 1991 م (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي منجد الطلاب)]

(6) تنتفض من النفض الذي من التحريك انظر [لسان العرب (240/7-241) مادة نفض] .

(7) الظلال (1475/9) .

(8) في رحاب التفسير 1441/9) .

يتناسب مع إنكسار الحركة في (عَلَيْهِمْ) .

خامساً : الجمع بين القراءتين :

أرى أنه يوجد انسجام بينهما كبير، فالمؤمن عندما يتلو آيات الله بتدبر وخشوع وإنكسار يطمئن قلبه بالإيمان فتتنزل عليه السكينة من الله سبحانه فيزداد يقيناً ورهبة من الله وقوة في الإيمان به سبحانه.

2- ﴿ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ۝٩ ﴾ الأنفال

أولاً : القراءات :

1. قرأ المدنيان (نافع وأبو جعفر) ويعقوب (**مُرْدَفين**) بفتح الدال على أنه اسم مفعول.
2. وقرأ الباقون (**مُرْدِفِينَ**) بكسر الدال على أنه اسم فاعل(1).

ثانياً : المعنى اللغوي للقراءات :

ردف : الراء والدال والفاء أصل واحد مطّرِد ، يدل على اتباع الشيء .

فالترادف : التتابع، مرادف الشيء : تَبِع بعضُه بعضاً ، وهذا أمرٌ ليس له ردف أى ليس له تبعة (2) . قال الزجاج (3) : " ردِفت الرجل : إذا ركبت خلفه ، وأردفتــه إذا أركبتــه خلفي ، ويقال : هذه دابة لا تردِف ولا ترادِف – أى لا تلحقها دابة أخرى ، فتكون خلفها – ولا يقال لا تُردَف"(4).وقال أبو عبيدة (5): "مردِفين من أردَفوا أي جاءوا بعد قوم قبلهم، وبعضهم يقول : ردَفني أي جاء بعدي وهما لغتان ، ومن قرأها بفــتح الــدال وضــعها موضع مفعولين من أردفهم الله من بعد من قِبَلهم وقدامهم." (6)

---

(1) انظر [النشر (207/2) ، تقريب النشر في القراءات العشر : لابن الجزري – تحقيق إبراهيم عطوة عــوض – ص 198 – دار الحديث – القاهرة – سنة 1425 هــ – 2004 م(وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي تقريب النشر)].

(2) انظر [لسان العرب (114/9) مادة ردف ، معجم مقاييس اللغة : ص448 –449].

(3) سبقت ترجمة له ص69.

(4) معاني القرآن وإعرابه : للزجاج (402/2) .

(5) هو معمر بن المثنى التيمي ، بالولاء البصري أبو عبيدة النحوي من أئمة العلم والأدب واللغة ولد سنة 110 هــ –728 م وتــوفي سنة 209هــ – 824 م ومولده ووفاته بالبصرة انظر [الأعلام (272/7) ، مقدمة كتابه : مجاز القرآن (1/9–15)]

(6) مجاز القرآن (241/1) .

ثالثاً : سبب نزول الآية :

روى الإمام مسلم في صحيحه حديثاً ، فيه ذكر استغاثة الرسول ﷺ بربه يوم بدر. عن ابن عباس قال : " حدثني عمر بن الخطاب قال : لمَّا كان يومُ بدر، نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألفٌ وأصحابه ثلاثمائة وتسعةَ عَشَر رجلاً ، فاستقبل نبيُّ الله ﷺ القبلةَ ثم مدَّ يديْه ، فجعل يهتف بربه: (اللهم أنجزْ لي ما وعدتنى، اللهم آت ما وعدتني اللهم إن تُهلك هذه العِصَابةَ من أهل الإسلام لا تُعبَدْ في الأرض) فما زال يهتفُ بربِّه مادًّا يديه مُستقبلَ القبلة حتى سقط رداؤُهُ عن منكبيه ، فأتاه أبو بكرٍ فأخذ رداءَهُ ، فألقاه على منكبيه ثم التزقه من ورائه وقال : يا نبيَّ الله كفاك مناشدتُكَ ربَّك ، فإنَّه سينجزُ لك ما وَعَدَكَ فأنزل الله عز وجل:

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾

فأمده الله بالملائكة " [1] وفى شأن حضور الملائكة يوم بدر ، فقد روى مسلم عن ابن عباس قال : " بينما رجل من المسلمين يومئذٍ يشتدُّ في أَثَر رجل من المشركين أمامه ، إذ سمع ضربة بالسَّوط فوقه وصوتَ الفارس يقول : أقدم حيزوم فنظر إلى المشرك أمامه فخرَّ مستلقياً، فنظر إليه ، فإذا قد خُطِمَ أنفُهُ وشُقَّ وجهُهُ كضربة السَّوط ، فاخضرّ ذلك أجْمَعُ ، فجاء الأنصاريُّ فحدَّث بذلك رسولَ الله ﷺ فقال "صدقتَ ذلك من مددِ السماءِ الثالثة " فقتلوا يومئذٍ سبعين وأسروا سبعين"[2]

رابعاً : التفسير الإجمالي للآية :

في غزوة بدر كان المشركون يتفوقون على المسلمين في العدد والعدة ، لذلك لجأ الرسول ﷺ والمسلمون إلى الله تعالى يطلبون الغوث والنصرة والعون، فاستجاب الله لهم ، وأمدهم بألف من الملائكة يقاتلون مع المسلمين ، حتى تم النصر للمسلمين ؛ وذلك لأن جند الله هم الغالبون.[3]

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووي – باب (الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم (84/12-85)- المطبعة المصرية ومكتباتها، وأيضاً رواه الترمذي في كتابه الجامع الصحيح – تحقيق : إبراهيم عطوة -48 كتاب تفسير القرآن – 9 باب (من سورة الأنفال) رقم 3081-(269/5-270) – مطبعة مصطفى البابى الحلبي – ط2 – سنة 1395 هـ -1975 م . و قال الترمذي : "حسن صحيح غريب".

(2) صحيح مسلم بشرح النووي نفس الباب السابق ذكره – (85/12-86).

(3) انظر] جامع البيان (89/9) ، المقتطف من عيون التفاسير (322/2-323) [.

خامساً : العلاقة التفسيرية بين القراءات :

(مُرْدِفِينَ) من قرأ بكسر الدال ، جعل الفعل للملائكة ، فأتى باسم الفاعل من أردف، وأسنده إلى الملائكة بمعنى جائين فرقة بعد فرقة ، أو بمعنى مردفين خلفهم غيرهم أو أمثالهم ، فحذف المفعول ، وحَذْفُ المفعول كثيرٌ في كلام العرب ، أو بمعنى متتابعين أو بمعنى متبعين ، وكلا مفعوليه محذوف ، أى متبعين أنفسهم المؤمنين ، أو ملائكة آخرين وموضع **(مُرْدِفِينَ)** جر على النعت لألف.

أما **(مُرْدَفِينَ)** من قرأ بفتح الدال ، جعل الفعل لله –عز وجل – ، فأتى باسم المفعول من أردف ، وأسنده إلى المستكن فيه بمعنى أردف الله المؤمنين بهم ، أى فُعِلَ ذلك بهم ، ومحله الجر أيضاً على النعت لألف تقديره : يمدكم مُتبعين بألف ، أو النصب على الحال من الضمير المنصوب في (ممدكم) أى حالاً من الكاف والميم في "ممدُّكم"[1] فإن قلت : " الضمير مجرور بإضافة ممد إليها ، فكيف قلت : أو النصب من الضمير المنصوب ؟ قلت : هو مجرور في اللفظ منصوب في المعنى ؛ لأنَّ اسم الفاعل بمعنى الاستقبال ، كقوله : **(كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ)** [آل عمران:185].[2]

وقد رجَّح الطبري قراءة الكسر على قراءة الفتح ، وقال : إنَّ قراءة الكسر هى الصواب واحتج لها .[3]

وهذا الترجيح منه ...–رحمه الله– وغفر له ...لا نسلِّم له به لأسباب منها:

1–كلتا القراءتين من حيث الرواية صحيح متواتر .

كما أن كلتا القراءتين قرآن ، يصح أن نقرأ به ونصلى ، فلا يجوز ترجيح قراءة على أخرى.

---

(1) انظر[زاد المسير في علم التفسير : أبو الفرج عبد الرحمن بن على ابن الجوزي ت 597 هـ – (2/191–192)– دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – ط1 –1422هـ –2001م – تحقيق: عبد الرزاق المهدي (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي زاد المسير)، حجة القراءات : أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة – ص307 – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط5 – سنة 1418هـ –1997م – تحقيق سعيد الأفغاني (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي الحجة : ابن زنجلة) ، الفريد فى إعراب القرآن المجيد للمنتخب حسين بن أبي العز الهَمَذ (ت سنة 634 هـ) — (2/408) – دار الثقافة – ط1 – 1411 هـ – 1991م – تحقيق : د. فهمى حسن النمر ، د. فؤاد علي مخيمر (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي الفريد)].

(2) الفريد(2/408) .

(3) انظر[جامع البيان : (9/192)] .

2- من حيث اللغة فلكل قراءة معنى صحيح ، ولا تناقض بينهما ولا تعارض بين هذين المعنيين وما جاء عن أهل التأويل في معنى الآية ، وذلك لأن **(مُرْدَفِينَ)** بفتح الدال : أن الله أردفهم بمعنى بعثهم على آثار من تقدمهم ، أي جعل بعضهم تابعاً لبعض و**(مُرْدِفِينَ)** بكسر الدال بمعنى : أردف بعضهم بعضاً ، أي جعلوا بعضهم تابعاً لبعض وحاصل هذين المعنيين واحد ، فهو منسجم مع الآية وسياقها تمام الانسجام.[1]

3- ﴿ إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ﴿١١﴾ ﴾ **الأنفال**

أولاُ : القراءات :

1-قرأ ابن كثير وأبو عمرو **(يَغْشَاكُم)** بفتح الياء والشين وألف بعدها، **(النُّعاسُ)** بالرفع.

2-وقرأ المدنيان (نافع وأبو جعفر) **(يُغْشِيكُم)** بضم الياء ، وسكون الغين ، وكسر الشين ، وياء بعدها ونصب **(النُّعاسَ)**.

3-وقرأ الباقون كذلك إلا أنهم فتحوا العين وشددوا الشين **(يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ)**.[2]

4-**(ويُنْزِل)** قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بإسكان النون وتخفيف الزاي. وقرأ الباقون بفتح النون وتشديد الزاي **(وَيُنَزِّلُ)** .[3]

ثانياُ : المعنى اللغوي للقراءات :

1- (غشي – غشاوة) الأمر: غطَّاه أى ستره ، غشَّى الشيء : أى غطّاه

(1) انظر[حجة القراءات:ابن زنجلة – ص307-308 ، منهج الإمام الطبري فى القراءات فى تفسيره ص231 ، فتح القدير (364/2)] .

(2) انظر[النشر (207/2) ، تقريب النشر ص198 -199].

(3) انظر [غيث النفع في القراءات السبع : ولي الله سيدي عليّ النوري الصفاقسي– ص123 – دار الكتب العلمية – ط1- سنة1419هـ-1999م – ضبطه: محمد عبد القادر شاهين(وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي غيث النفع)، فريدة الدهر في تأصيل وجمع القراءات العشر: تحرير وجمع محمد إبراهيم محمد سالم(731/2) – سنة 1422 هـ -2002 م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي فريدة الدهر)].

ويقال أن الغشي : يعطِّل القوى المحركة ، والأوردة لضعف القلب ؛ بسبب وجع شديد ، أو برد ، أو جوع مفرط ، وقيل الغشي : هو الإغماء.[1] ومنه **(يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ)** النوم يغطى العقل .[2]

2-**(النُّعَاسُ)** بالضم : الوسن (أو فترة في الحواس) أو مقاربة النوم.[3] وأول النوم هو النعاس وهو أن يحتاج الإنسان إلى النوم ، ثم الوسن ، وهو ثقل النعاس ، ثم الترنيق ، وهو مخالطة النعاس للعين ، ثم الكرى والغمض ، وهو أن يكون الإنسان بين النائم واليقظان ثم العفق ، وهو النوم وأنت تسمع كلام القوم ، ثم الهجود والهجوع [4] وقيل النعاس : لين الرأي والحسم ، وضَعْفُهما.[5]

وقيل النعاس في قوله تعالى (نعاساً) [آل عمران : 154] عبارة عن السكون والهُدُوِّ.[6]

3-**(نزل)** نزولاً : من علوٍّ إلى أسفل : انحدار (نزّله) جعله ينزل – (نزّل الشيء) رتّبه ، وقد جاء في لسان العرب أن تنزّله ، ونزّله ، وأنْزَله بمعنى ، وذلك نقلاً عن سيبويه:

" أنه كان أبو عمرو يفرق بين نزَّلت وأنزلت ولم يذكر وجه الفَرْق ، ونُقل عن أبي الحسن أنَّ الفرق بين نَزَّلت وأنزلت صيغة التكثير في نزَّلت [7] نزل : سريع السيل والنَّزَل: المطر.[8]

ثالثاً : التفسير الإجمالي للآية :

لمَّا ذكر الله سبحانه وتعالى البشرى والطمأنينة بإمداد المؤمنين بالملائكة، أتبع القول

(1) انظر[مفردات ألفاظ القرآن ص 607 ، المصباح المنير (2/100-101)].

(2) انظر[التحرير والتنوير(5/278)] .

(3) انظر[تهذيب اللغة (2/105) ، منجد الطلاب – ص809 – مادة غشي] .

(4) انظر[المصباح المنير (2/282-283)] .

(5) انظر[القاموس المحيط ص 745] .

(6) انظر[مفردات ألفاظ القرآن ص814].

(7) انظر[لسان العرب مادة نزل ص782-786 ، كتاب سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت سنة 180 هـ)، (4/55-56) – دار الجيل –بيروت تحقيق: عبد السّلام محمد هارون (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي كتاب سيبويه)].

(8) منجد الطلاب ص778 .

الفعل ، فألقى في قلوب المؤمنين الطمأنينة والسكينة، فكـان هـذا نصـر الله لهـم واستجابته لدعائهم ، لذلك أنزل عليهم نعاساً يغشيهم، فيُذهب ما فـي قلـوبهم مـن الخوف والوجل الذى حصل لهم من قلة عددهم ، وكثرة عدد الأعداء وعدَّتهم ، وفي ذلك معجزة للرسول ﷺ وذلك أنَّ النَّوم غشيهم في وقت الخوف.(1)

قال ابن كثير : " فكأن ذلك كان للمؤمنين من شدة البـأس ، لتكـون قلـوبهم آمنـة مطمئنة بنصر الله " (2) فكان النوم (أَمَنَة) لهم وعلامة على النصـر والطمأنينـة ، ومن ذلك أنه أنزل عليهم من السماء ماءً ، ليطهرهم به من الحدث والخبث ، وأيضاً يطهرهم من وساوس الشيطان .

لطيفة: وصف النعاس (أمن) مهم جداً وذلك لتهدئة أعماق المؤمنين فـي الأجـواء المحيطة بهم ، حيث كثرة عدد العدو وكثرة العدة ، وهم في نفس الوقت بـلا عتـاد وعَدَد قليل ، لذلك جعل الله سبحانه من هذا النعاس آيةً ، حيث إنه غشي الجيش كله، فلو غلبهم النوم العميق ، لمال عليهم أعداء الله ميلة واحـدة ، ولكـنَّ الله طمـأنهم وأَمَّنَهم بهذا النعاس وأزال خوفهم.(3)

(وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ) والرجز هنا يسمى كيـد الشـيطان لأنـه سـبب العذاب.(4) (وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ) أي يثبتها ، فإنَّ ثبات القلب هو ثبـات البـدن (وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ) لأنَّ الأرض كانت سهلة رملية ، فجاء المطر بحيث لا تغوص أرجلهم فيه، فاستطاعوا المشي علي، وقيل يثبت بالربط الأقدام، لأن العبد إذا تمكـن من القلب ثبتت الأقدام في مواطن القتال ، وكل ذلك لمن دخل في غزوة بدر وهـذه الآية بمثابة تذكير للذين يقاتلون في سبيل الله، بأنَّ الله معهـم وينصرهـم، فيكـون

---

(1) انظر[نظم الدرر (192/3) ، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) : الإمام فخر الدين الـرازي (106/8) – دار الكتـب العلميـة – بيروت –لبنان – ط1 –1411هـ – 1990م (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي مفاتيح الغيب)] .

(2) تفسير القرآن العظيم (291/2).

(3) انظر[تفسير الشعراوي : محمد متولي الشعراوي (4596/8–4597) أخبار اليوم – قطاع الثقافة (وحيث يأتي ذكره ، سـأكتفي بقولي تفسير الشعراوي)] .

(4) انظر[تأويل مشكل القرآن : ابن قتيبة – ص471 – المكتبة العلمية – بيروت – لبنان – ط3 – 1401 هـ – 1981م (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي تأويل مشكل القرآن)].

دافعاً قوياً للقتال في سبيل الله والتوكل عليه.(1)

رابعاً : العلاقة التفسيرية بين القراءات :

1- من قرأ (**يَغْشَاكُمُ النُّعَاسُ**) فهو من"غشي يغشى" والنعاسُ رفعاً ؛ لأن الفعل له ، فيكون المعنى يغشاكم النّعاس (أمنةً) والأمنة بمعنى الأمان فهو منصوب على الحال بيغشاكم باعتبار المعنى فإنه في حكم تنعسون. أو على أنه مصدر لفعل ترتب عليه يغشاكم النعاس فتأمنون أمناً فيكون فاعل يغشاكم هو النعاس و المُأَمِّن هو الله.

وأما قراءة (**إِذْ يُغْشِيكُمُ النُّعَاسَ**) من الإغشاء بمعنى التغشية مضارع "أغشى يغشي"، والنعاس بالنصب مفعول به ، وفاعل "يُغشيكم" ضمير مستتر، يعود على الله تعالى ، المتقدم ذكره في قوله تعالى: (**وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾**) **الأنفال**. وإسناد الإغشاء أو التغشية إلى الله ؛ لأنه هو الذى قدَّر أن يناموا في وقت لا ينام في مثله الخائف ، فهو نوم منحهم الله لفائدتهم.(2)

فيكون المعنى أنَّ الله يجعل النعاس غاشياً لكم ومحيطاً بكم ، وهو بدل من (إذ يعدكم) لإظهار نعمة أخرى.

وقد خطَّأ أبو حيان من قال إنَّ (إذ يغشيكم) منصوب بالنصر، أو بما في (عند الله) من معنى الفعل أو بما جعله الله أو بإظهار (اذكر).(3)

وقراءة (**يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ**) مضارع " غشَّى يُغشِّي "بالتشديد يفيد المبالغة(4) لأنه على وزن فَعَّلَ، والنعاس بالنصب مفعول به ، والفاعل أيضاً ضمير يعود على الله تعالى.

علماً بأن التخفيف والتشديد في يغشي لغتان بمعنى: فمن التّخفيف قوله تعالى: (**فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿٩﴾**) **يس** ، ومن التّشديد قوله تعالى: (**فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾**) **النجم**.(5) ويكون المعنى: الله يغشيكم النعاس وحجتهم، "أن الفعل

---

(1) انظر[تفسير القرآن العظيم (291/2) ، تفسير السعدي (296/9) ، الأساس في التفسير ، سعيد حوى -(2132/4)- دار السلام- ط2- سنة 1409 هـ -1989 م (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي الأساس)] .

(2) انظر[التحرير والتنوير (278/9)] .

(3) انظر[البحر المحيط (467/4-468)] .

(4) انظر [معاني الأبنية في العربية: د.فاضل صالح السامرّائي ص32 - جامعة الكويت - كلية الآداب - ط1 -1401هـ - 1981م (و حيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي معاني الأبنية)].

(5) انظر[المستنير فى تخريج القراءات المتواترة من حيث اللغة والإعراب والتفسير : د. محمد سالم محيسن (210/1) - دار الجيل - بيروت - ط1- سنة 1409 هـ - 1989م (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي المستنير)].

أتى عقيب ذلك مسنداً إلى الله وهو قولـه : (وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ) ، فكان الأولى بما قبله أن يكون خبراً عن الله أنه هو الفاعل له لينتظم الكلام على سياق واحد.(1)

2- أما قراءة (وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم) ينزل: تقرأ بالتشديد والتخفيف وهما لغتان.(2) " والحجة لمن شدد (يُنَزِّلُ) أنه أخذه من نزَّل ، يُنزِّل ... والحجّة لهما في ذلك تكرار النزول، ومداومته شيئاً بعد شيء".(3) والتشديد يفيد المبالغة فدلت هذه القراءة على أنَّ: 1- أن المطر كان على مراحل.

2- وأن المطر أكثر من مرة.

في حين أن قراءة التخفيف (يُنْزِل) فحجة من خَفَّف أنه أخذه من أنـزل ، يُنـزل فدلت هذه القراءة على أنَّ: 1- أن المطر نزل دفعة واحدة .

2- وكان المطر مرة واحدة .

وعلى كلا المعنيين فيه التثبيت لقلوب المؤمنين ، وإسناد هذا الإنزال إلى الله تعالى للتنبيه على أنه أكرمهم به ، وذلك لأنه نزل فى وقت احتياجهم إلى الماء ، ولعلـه كان فى غير الوقت الذى اعتادوا فيه نزول الأمطار فى بلدهم.(4)

خامساً: الجمع بين القراءات:

يتبين لنا أنَّ إسناد الإغشاء أو التغشية إلى الله تعالى إسناد مخصوص ، فهو نعاسٌ واردٌ من الجانب القدسي ، فيه لطف وسكينة ورحمة ربانية . وإسناد الغشـي إلى النعاس حقيقة على المتعارف ،وقد عُلم أنه من تقدير الله ، ويكون وصف الأمنة،

---

(1) انظر[الحجة : ابن زنجلة ص 308].

(2) انظر[الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها : أبو محمد مكي بن أبـي طالـب القيسـي (355هـ –437هـ) (355/1)– مؤسسة الرسالة – بيروت – ط5 – سنة 1418هـ – 1997م –تحقيق : د. محي الدين رمضان (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي الكشف)] .

(3) الحجة في القراءات: أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت 370هـ) – ص35 – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنـان – منشورات محمد على بيضون – ط1 – سنة 1420هـ –1990 م– تحقيق : أحمد زيد المزيدي – قدم لـه : د. فتحـى حجـازي (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي الحجة : ابن خالويه) .

(4) انظر[التحرير والتنوير (279/9)] .

بأنّها منه سارٍ إلى الغشي ، فيُعلم أنه غشي خاص قدسي ، وليس مثل سائر غشيان النعاس فهو خارق للعادة ، كان كرامة لهم ، وهذا الذى حصل يوم بدر. والقصد هو طمأنة القلوب ، وإدخال السَّكينة فيها .

وقراءة التشديد (**يُغَشِّيكُمُ**) فيه زيادة في التوكيد و مبالغة، تدل على أنها شَمِلت جميع أفراد المقاتلين.(1)

وأما فى قراءة (**ويُنْزِل**) بالتخفيف ، فهي تناسب النعاس فالمقصود أنهم ناموا نوماً خفيفاً لا ثِقَل فيه ، ولا عُمْق ، فهو النّوم الظاهر الذى لُبِّس على المرء ، فلا يكاد يغشاه حتى ينجلي عنه ، فناسب الفعل ينزل من الفعل الثّلاثي ، نزل للتعبير عن هذه الإلمامة.(2)

فى حين أرى أن قراءة (**يُنَزِّلُ**) بالتشديد، أفادت زيادة فى تكثير نزول المطر فكان للشرب وللإغتسال وللوضوء، وعلى فترات متكررة، وذلك فيه كرمٌ كبيرٌ من الله سبحانه لهم فناسبت هذه القراءة قراءة التشديد في (**يُغَشِّيكُمُ**) والله أعلم.

4- ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٖ ١٢﴾
الأنفال

أولاً : القراءات :

1- قرأ ابن عامر والكسائي وأبو جعفر ويعقوب (**الرُّعُب**) بضم العين.

2- وقرأ الباقون (نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة وخلف) (**الرُّعْبَ**) بإسكان العين .(3)

ثانياً : المعنى اللغوي للقراءات :

---

(1) انظر [تفسير التحرير والتنوير (279/9) بتصرف].

(2) أثر القراءات فى الأصوات والنحو العربي أبو عمر بن العلاء: تأليف د.عبد الصبور شاهين – ص431 – مكتبة الخانجي بالقاهرة– ط1- سنة 1408 هـ -1987م (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي).

(3) انظر [النشر (162/2) ، تقريب النشر ص 173]

الرُّعْبَ و **الرُّعُبَ** هما لغتان ، معناهما : الفزع والخوف يقال: رَعَبَه ويَرْعَبُه رُعْباً ورُعُباً فهو مرعوب ، ويجوز أن يكون الرعْب مصدراً ، والرُّعُب الاسم ، وأصل الرعب من المَلء ، ويقال رَعَبَ الحوض مَلأَه ، ويقال سيل راعب: يملأ الوادي.(1)

ثالثاً : المعنى الإجمالي للآية :

(**إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ**) يُذكِّرُ الله المؤمنين بنعمته عليهم في غزوة بدر ، حيث أوحى الله سبحانه إلى الملائكة ، بأنَّه معهم ينصرهم ، وأمرهم بتثبيت المؤمنين وإلقاء الرعب فى قلوب الأعداء كما أمرهم بالضرب فوق أعناقهم ، والضرب على أطراف الأصابع ، وهذا كلُّه من أعظم النعم عليهم . (2) ولمَّا ذكر الوحي إلى الملائكة أتى بخطاب الرسول ﷺ وحده (**إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ**) ففى ذلك تشريفٌ بمواجهة الرسول ﷺ بالخطاب وحده أى مربيك والناظر فى مصلحتك .(3) (**أَنِّي مَعَكُمۡ**) بالعون والنصر (**فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ**) ذكر الزجاج: " جائز أن يكون أنهم يثبتونهم بأشياء يلقونها فى قلوبهم تقوى بها قلوبهم ، وجائز أنْ يكونوا يرونهم مددا ، فإذا عاينوا نصر الملائكة ثبتوا".(4)

(**سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ**) أي سأقذف في قلوب الكافرين الفزع والخوف فينهزموا فهذا تفسير لقوله تعالى (أَنِّي مَعَكُمْ) بإلقاء الرعب في قلوبهم. (**فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ**) أي اضربوا الرؤوس والأيدي والأرجل.(5)

ويرى أبو عبيدة أنَّ (**فَوۡق**) بمعنى (على)، أي اضربوا على الأعناق، في حين أن

---

(1) انظر[لسان العرب (490/1) – مادة رعب ، منجد الطلاب ص250 ، الجامع لأحكام القرآن (582/4)].

(2) انظر[البحر المحيط (469/4)].

(3) انظر[المرجع السابق (470/4)].

(4) معاني القرآن : الزجاج (404/2).

(5) انظر[معاني القرآن : الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت 207هـ) (405/2) – عالم الكتب – بيروت – ط3 – 1403هـ –1983م (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي معاني القرآن : الفراء)].

الأخفش[1] يرى أن كلمة (فَوْق) زائدة فيكون المعنى (اضربوا الأعناق) كما تقول رأيت نفس زيد ، تريد زيداً[2] – وكلام الأخفش بالزيادة في كلام الله لا نوافق عليه لأنه لا زوائد في القرآن – فالظاهر أنَّهم أبيح لهم أن يضربوهم على كل حال. (وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٍ) أي قطِّعوا الأيدي ذات البنان ، والبنان أطراف الأصابع، والواحدة بنانة ؛ لأن الأيدي هو أداة التصرف فى الضرب [3] ويقول الزجاج: " وإنما اشتقاق البنان من قولهم أبَنَّ بالمكان إذا أقام به ، فالبناء به يحتمل كلَّ ما يكون للإقامة والحياة ".[4] واختصاص الأعناق والبنان بالضرب ، لأن الضرب بالأعناق فيه إتلاف لأجساد الكفار ، وما فوق العنق أشرف الأعضاء وهو الرأس ، أما ضرب البَنَان ؛ فلأن الذى يُقطع بنانُه ، يعجز عن أخذ السيوف وسائر الأسلحة ، فتبطل صلاحيته للقتال ، كما أنَّ البَنَان أضعف الأعضاء ، فذكر أشرف وأخس الأعضاء حتى ينبه على كل الأعضاء . وقيل : إما ضرب فوق الأعناق أو ضرب قطع البنان.[5]وقول الإمام الرازي بأنَّ البَنَان أخس الأعضاء لا أرى أن نسلّم به؛ لقول الله تعالى: (لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ) [التّين :4] . ولا ننسى أنَّ المصافحة والإشارة والأخذ والعطاء والبيع والشراء إنَّما يكون بالأصابع

رابعاً : العلاقة التفسيرية بين القراءات:

الاختلاف في قراءة (**الرُّعْبَ**) بين السُّكون والرَّفع تظهر من خلال تعقب معاني الكلمتين ، فقد رأيت أنَّ عامة المفسرين ، ذكروا أنَّهما لغتان بمعنى الخوف

---

(1) هو سعيد بن مسعدة ، أبو الحسن ، البلخي ثم البصري ، لزم سيبويه حتى برع ، توفي سنة 215هـ [انظر سير أعلام النبلاء (206/10) ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلّكان (608هـ – 681هـ)(380/2) دار الثقافة – بيروت – لبنان – إعداد وداد القاضي ، عز الدّين أحمد موسى، إشراف د. إحسان عباس(وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي وفيات الأعيان) ، الأعلام (101/3)].

(2) انظر [معاني القرآن : الأخفش سعيد بن مَسْعِدَة البَلْخي المجاشعي (541/1–542) – عالم الكتب –بيروت – ط1 – 1405 هـ – 1985م – دراسة وتحقيق د. عبد الأمير محمد أمين (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي معاني القرآن : الأخفش) ، مجاز القرآن (242/1)].

(3) انظر[معاني القرآن : أبو جعفر النحاس (ت 338 هـ) (420/1) – دار الحديث – القاهرة – سنة 1425 هـ –2004م (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي معاني القرآن : النحاس) ، تفسير المراغي (176/9–177)].

(4) معاني القرآن : الزجاج (405/2).

(5) انظر[مفاتيح الغيب (109/8) ، التحرير والتنوير (283/9)] .

والرُّعب.[1] ولكني رأيت فى التحرير والتنوير ما أميل إليه من معنى يناسب التخفيف والسكون ، وذلك لأنَّ الساكن أخف من المتحرك فى قراءة **(الرُّعْبَ)** وهو أنَّ الله خفَّف من عمل الملائكة تخفيفاً دل عليه إجمالاً- قوله تعالى - **(أَنِّي مَعَكُمْ)** وذلك لأنَّ الرُّعب خاطر شيطاني ذميم ، فجعله الله فى قلوب الذين كفروا بواسطة أخرى غير الملائكة، والملائكة المخاطبون كانوا ملائكة نصر وتأييد ، فلا يليق بقواهم إلقاء الرُّعب، لذلك لم يقل - سبحانه وتعالى - سنلقي لئلا يُتَوهم أنَّ الملائكة المخاطبين ، سبباً فى إلقاء الرُّعب فى قلوب الذين كفروا ، وأيضاً فيه تخفيف على المؤمنين، وذلك أنَّ الله خفَّفَ عليهم فى الذى كلَّفهم الله به ، بأنَّ الله كفاهم تخذيل الكافرين بعمل آخر غير الذى كَلَّف الملائكة بعمله.[2]

1-أما قراءة **(الرُّعُبَ)** بالضم ، فلأنَّ الضمة من أثقل الحركات وأقواها ، وقوتها فيما يكثر حجمه [3] نجد أنَّ هذا الرُّعب رعبٌ شديدٌ قدَّره الله على كيفية خارقة للعادة ، وذلك لأن أسبابَ ضدِّهِ قائمة ، وهى وفرة عَددهم وعُددهم ، وإقدامهم على الخروج إلى المسلمين ، وحرصهم على حماية أموالهم ، التى جاءت بها العير.[4]

2- وأيضاً نفهم أنَّ هذا الرعب قد ملأ قلوب الكفار جميعاً ، ولم يستثنِ منهم أحداً.

3- وأيضاً نفهم من ذلك ، عظم الفائدة التى عادت على المسلمين من هذا الإلقاء الشديد فهو مبارك على المسلمين أيضاً.

خامساً : الجمع بين القراءتين :

من دِلالة قراءة الضم **(الرُّعُبَ)** نستشعر ثِقَل وعِظَم الرُّعب الذى ملأ قلوب الكفار ومن دِلالة قراءة السكون **(الرُّعْبَ)** نفهم أنَّ هذا الرُّعب الذى ملأ قلوب الكفار ، جعلهم يسكنون أماكنهم من شدّة الخوف ، مما أدى إلى هزيمتهم بالإضافة إلى قتال الملائكة لهم والله أعلم.

(1) انظر[الجامع لأحكام القرآن (582/4)].

(2) انظر[التحرير والتنوير (282/9-283)].

(3) راجع ص70.

(4) انظر[التحرير والتنوير (282/9)].

5- ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾ الأنفال

أولاً : القراءات :

1-قرأ أبو جعفر **(إِلَى فِيَةٍ)** بالتسهيل .

2-وقرأ الباقون **(إِلَى فِئَةٍ)** بالهمز.[1]

3- قرأ السوسي وأبو جعفر **(وَمَاوَاهُ)** بدون همز .

4- وقرأ الباقون **(وَمَأْوَاهُ)** بالهمز .

5- قرأ ورش والسوسي وأبو جعفر **(وَبِيسَ)** بدون همز .

6- و قرأ الباقون **(وَبِئْسَ)** بالهمز.[2]

ثانياً : المعنى اللغوي للقراءات :

1-**(فئة)** : الفئة : الطائفة ، والهاء عوض من الياء التى نقصت من وسطه ، وأصله من فيء ، وهى من فأوت أي فرقت ، لأنَّ الفئة كالفرقة [3] والفئة : الجماعة المتظاهرة التى يرجع بعضهم إلى بعض فى التّعاضد [4] يقول سيبويه: [5]

"واعلم أنَّ كلَّ همزة كانت مفتوحة وكان قبلها حرف مكسور ، فإنك تبدّل مكانها ياء فى التخفيف".[6]

2-**(مأواه)** مصدر أوى يأوى أوياً ومأوىً تقول أوى إلى كذا : انضم إليه ، وآواه غير يؤيه إيواء .[7]

(والمأوى والمأواة) المكان الذى تأوى إليه.[1]

---

(1) انظر[النشر(308/1)] .

(2) انظر[النشر (1/ 303 -304) ، فريدة الدهر(734/2)].

(3) انظر[لسان العرب (155/1-156) مادة فيأ].

(4) انظر[مفردات ألفاظ القرآن ص650 – مادة فيء].

(5) هو عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، إمام النحاة لزم الخليل بن أحمد فَقَاقَهُ، ولد سنه (148هـ – 765م)، وسيبويه بالفارسية رائحة التفاح، توفي شاباً و اختلف في سنة وفاته وقيل أنه توفي في (180هـ– 796م) انظر[الأعلام (81/5)].

(6) انظر[كتاب سيبوية (543/3)] .

(7) انظر[مفردات ألفاظ القرآن ص 103].

يقول سيبويه: "وإذا كانت الهمزة ساكنة وقبلها فتحة فأردت أن تخفف أبدلت مكانها ألفاً".[2]

3-(**بئس**) كلمة تستخدم فى جميع المذام ، ويرفع بعدها ما فيه الألف واللام أو المضاف إلى ما فيه الألف واللام نحو : بئس الرجل زيد ، بئس غلام الرجل زيد وينصبان النكرة ، نحو بئس رجلاً ، وأصل بِئْسَ : **بَئِسَ** وهو من البؤس.[3] ولا يكون منه فعلٌ لغير هذا المعنى.[4]

ثالثاً : التفسير الإجمالي للآية:

كي يتضح لنا معنى هذه الآية لابد من استحضار الآية التى تسبق هذه الآية يقول الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ٱلَّذِينَ لَقِيتُمُ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥ ﴾ **الأنفال**

والمعنى : يا أيها الذين آمنوا إذا واجهتم الذين كفروا (زحفاً) أى متدانيين متقاربين متواجهين ؛ فلا تفرُّوا عنهم ، إلا أنْ يكون ذلك مكيدة حرب ، حيث تختارون موقعاً أحسن ، أو تدبرون خطة أحكم ؛ أو أنْ يكون ذلك انضماماً إلى فئة أخرى من المسلمين ، أو إلى قواعد المسلمين ، لتعاودوا القتال . وأنَّ من تولى ، وأعطى العدو دُبُرَه يوم الزحف ، فقد استحق ذلك العقاب ، غضباً من الله سبحانه ، ومأوىً فى جهنّم. [5]

ويقول ابن كثير " فأما إن كان الفرار لا عن سببٍ من هذه الأسباب ، فإنَّه حرام وكبيرة من الكبائر ".[6]

رابعاً : العلاقة التفسيرية بين القراءات:

---

(1) انظر[الوافي معجم وسيط اللغة العربية : الشيخ عبد الله البستاني- ص24 – مكتبة لبنان – بيروت – سنة 1980 م (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي الوافي) ، منجد الطلاب ص 118] .

(2) انظر[كتاب سيبويه (543/3)] .

(3) انظر[مفردات ألفاظ القرآن ص154] .

(4) انظر[كتاب سيبويه(175/2- 179)].

(5) الظلال (1487/9) .

(6) تفسير القرآن العظيم (294/2) .

قال الشارح[1]: " اعلم أن الهمزة حرف شديد مستثقل يخرج من أقصى الحلق إذ كان أدخل الحروف فى الحلق فاستثقل النطق به إذ كان إخراجه كالتهوع".[2]

فلذلك من الاستثقال ساغ فيها التخفيف ، وهو لغة قريش وأكثر أهل الحجاز ، وهو نوع استحسان لِثقل الهمزة ، وتحقيق الهمزة لغة تميم وقيس إذ قالوا: "إن الهمزة حرف فوجب الإتيان به كغيره من الحروف وتخفيفها يكون -كما ذكر- بالإبدال والحذف وأن تجعل بين بين أي بين الهمز و حركته بأي حركة تحرك".[3]

وأيضاً قال ابن سيبويه فى كتابه : " واعلم أنَّ الهمزة إنّما فَعَل بها هذا من لم يخففها؛ لأنّه بَعُدَ مَخرجُها ، ولأنّها نبرةٌ فى الصّدر ، تُخرَج باجتهاد فثقل عليهم ذلك، لأنه كالتهوّع ".[4]

أيضاً الهمزة من صفاتها الجهر والشدة . والجهر : هو قوة التصويت مع امتناع جريان النفس عند النطق بالحرف لقوة الاعتماد على مخرجه ، والشدة : انحباس جريان الصوت عند النطق بالحرف[5] فمن ذلك جاء الثقل وهو سبب لخروج الحرف مضطرباً كباقي حروف القلقلة. والألف الهاوي هو حرف اتسع لهواء الصوت، مُخرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو؛ لأنك قد تضم شفتيك بالواو ، وترفع فى الياء لسانك قبل الحنك.[6] والواو والياء من حروف اللين. وهذه الثلاثة حروف (و- ى- ا) أخفى الحروف لاتساع مخرجها وأخفاهن وأوسعهن مخرجاً: الألف، ثم الياء، ثم الواو.[7]وعلى هذا يكون مَنْ قرأ الثلاثة مواضع بالهمزة يتناسب ثقلها مع ثقل الموقف الذى يكون أثناء اللقاء أمام العدو ، وأنَّ هذا اللقاء فى قتال

---

(1) شرح المفصل للشيخ العالم (العلامة جامع الفوائد موفق الدين) يعيش بن على بن يعيش النحوي (ت643 هـ) (107/9) – عالم الكتب – بيروت القاهرة .

(2) التهوع : التكلف انظر[المصباح المنير ص382] .

(3) انظر[النشر (332/1)].

(4) كتاب سيبوية(548/3) .

(5) انظر[بغية عباد الرحمن لتحقيق تجويد القرآن فى رواية حفص من طريق الشاطبية : محمد بن شحادة الغول – ص136 -137- دار ابن القيم – المملكة العربية السعودية – ط4 – 1415 هـ -1994 م].

(6) انظر[كتاب ابن سيبوية (435/4)].

(7) انظر[المرجع السابق (436/4)].

الأعداء يحتاج إلى أنْ يكون قلب المؤمن راسخاً ثابتاً لا تهزمه فى الأرض قــوة ، وهو موصول بقوة الله الغالب على أمره ، القاهر فوق عباده.[1]

يقول فاضل السمرّائي[2] : " فاستَعْمَل الهمزة ؛ لثقلها للحالات الثقيلــة النــادرة " [3] وقوة الهمزة تتناسب مع قوة الإيمان وشدته فى المؤمن ، فهو يمتاز بأنه موصــول بالقوة الكبرى التى لا غالب لها ، فهو إلى الله حياً ، وإلى الله إنْ كُتبت له الشّهادة ، ففى كلِّ حالة هو أقوى من خصمه الذى يواجهه.[4]

كما أنَّ ثقل الهمزة يتناسب مع الزحف ، وهوثقل فى الحركة وتقارب فــى الخطــو كزحف صغار الجراد.[5] لذلك من يتولَّ يوم الزحــف **(فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ)** فهو رجع مُلابساً لغضب الله تعالى عليه ، وذلك بسبب البَوْء الــذى بــاءه . وهــذا غضب الله عليه في الدنيا المستحق الذم وغيره مما عسى أن يحرمه عناية الله فــي الدنيا ، وبالتالي يترتب عليه المصير إلى عذاب جهنم ، وهذا يدل علــى أن توليــه الظهر عن المشركين كبيرة عظيمة.[6]

وقد قال رسول الله ﷺ : (اجتنبوا السبع الموقبات[7] الشرك بالله ، والســحر وقتــل النفس التى حَرَّم الله إلا بالحقِّ ، وأكل الرِّبا ، وأكلَ مــالِ اليتــيم ، والتَّــولِّى يــومَ الزَّحْفِ، وقَذْفَ المحصناتِ الغافلاتِ المؤمنات)[8]

---

(1) انظر[الظلال(1489/9)].

(2) فاضل صالح مهدى السامرائي ولد عام (1352 هــ –1933م) نحوى ، لغوى ، باحث ولد فى سامراء بــالعراق حصــل علــى شهادات إلى أن ترقى إلى درجة استاذ فى كلية الآداب بجامعة بغداد . انظر[معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى ســنة 2002: كامل سلمان الجبوري (414/4) دار الكتب العلمية – بيروت – ط1 –1424هــ – 2003 م] .

(3) بلاغة الكلمة فى التعبير القرآني : د. فاضل صالح السامرَّائي – ص57 – دار عمار – عمان – ط2–1422هــ – 2001م.

(4) انظر[الظلال(1490/9)] .

(5) انظر[تفسير المراغي(178/9)].

(6) انظر[التحرير والتنوير(291/9)] .

(7) المبوقات : المهالك والمعاصى انظر[المصباح المنير ص384 من مادة وبق ، منجد الطلاب ص898].

(8) انظر[زاد مسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم المسمّى فتح المنعم ببيان ما احتيج لبيانه من زاد المسلم : للحافظ ســيدى محمــد حبيب الله المشهور بمأيأبي الجكني ثم اليوسفي نسباً المالكي مذهباً المتــوفى بمصــر ســنة 1363 هـــ (13/1) – دار الفكــر– 1401هــ– 1981م].

يقول سيد قطب–رحمه الله–: "ذلك أنَّ التّولي يوم الزحف على إطلاقه ، يستحق هذا التشديد؛ لضخامة آثاره الحركية من ناحية، ولمساسه بأصل الاعتقاد من ناحيـــة.[1]

فلثقل الهمزة صار فيها التحقيق والتخفيف بين بين ، والبدل والحذف ، وليس ذلـــك لشيء من الحروف غيرها.[2]

وأما من قرأ بتخفيف الهمز، فهي لغة من لغات العرب وتخفيف الهمـــز لـــم يكـــن مقصوراً على منطقة دون أخرى ، وإنَّما كان فاشياً فى كثير من المناطق العربيـــة، وإنْ تفاوتت صوره ودرجاته.[3] فقراءة التخفيف تدل على الاستهزاء بالذين يفرون عند ملاقاة العدو.

6- ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ الأنفال

أولاً : القراءات

1– قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف **(وَلَـــكنِ اللّهُ قَـــتَلَهُمْ)**، **(ولكـــنِ اللّـــهُ رَمَى)**، بتخفيف النون من **(وَلَـــكِنَّ)** وإسكانها وكسرها، تخلصاً من التقاء الســـاكنين، ورفع الاسم بعدها.

3–وقرأ الباقون **(وَلَـــكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ)** ، **(وَلَـــكِنَّ اللّهَ رَمَى)** بفتح النون المشددة من **(وَلَـــكِنَّ)** ونصب اسم الجلالة بعدها.[4]

ثانياً : المعنى اللغوي للقراءات :

---

(1) الظلال : سيد قطب (1489/9) .

(2) انظر[التحديد فى الاتقان والتجويد : تاليف أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي دراسة وتحقيق: غـــانم قـــدورى حمـــد – ص120 – دار الأنبار – العراق –ط–1 1407 هـــ – 1988 م (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي التحديد)] .

(3) انظر[من أصول اللهجات العربية فى السودان، دراسة مقارنة في اللهجات العربية القديمة و آثارها في السودان: الأستاذ الـــدكتور عبد المجيد عابدين أستاذ الأدب العربي كلية الآداب – جامعة الإسكندرية ص34 – دار المعرفة الجامعيـــة – الأســـكندرية – ط سنة 1989م (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي من أصول اللهجات العربية في السودان)] .

(4) انظر[النشر (165/2) ، وغيث النفع ص123] .

1-(**ولَــكِنَّ**) : مشددة النون : حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر ، ومعناه الاستدراك ، وفُسِّر : بأن تَنسب لما بعدها حكماً مخالفاً لحكم ما قبلها أو مناقضاً لها، وقد ترد للتوكيد مجرداً عن الاستدراك، واختار ابن عصفور[1] أنهما لهما معاً، وهو المختار، كما أنَّ (كأنَّ) للتشبية المؤكد، ولهذا قال بعضهم: إنَّها مركَّبة من (لكنْ أنَّ) فطرحت الهمزة للتخفيف، ونون (لكن) للساكنين.[2]

وقال جمهور الكوفيين : " هى مركَّبة من : " لا " ، و" أن " ، و " الكاف " الزائدة لا للتشبية ، وحذفت الهمزة تخفيفاً ".[3] وأيضاً " لكنَّ " المثقلة فى جميع الكلام بمنزلة إنَّ [4] للتأكيد.

2- (**ولَــكِنْ**) مخففة النون [5]، ولها ضربان :-

أحدهما : مخففة من الثقيلة ، وهي حرف ابتداء لا يعمل ، فقط تفيد الاستدراك ، وليست عاطفة ، لاقترانها بالعاطف كما فى قوله تعالى : (**وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ**) [الزخرف :76]

الثاني: عاطفة إذا تلاها مفرد ، وهى أيضاً للاستدراك[6] مثل :

(**لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ**) [النساء:166] ، (**لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ**) [التوبة:88].

يقول سيبويه: "و أمَّا (**ولَــكِنِ**) خفيفة وثقيلة فتوجب بها بعد نفي".[7] ونقل عن"

---

(1) هو علي بن مؤمن بن محمد الحضرمي الإشبيلي ، وعرف بابن عصفور(أبو الحسن) فقيه ، نحوي ، صوفي ، لغوي ، مؤرخ وشاعر ولد عام (597 هـ -1201م). وتوفي بتونس عام (663 هـ -1265 م) انظر[معجم المؤلفين(251/7)] .

(2) انظر[الاتقان (548/1)].

(3) مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب : الإمام أبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصرى (ت761 هـ) (290/1-291) المكتبة العصرية – صيدا – بيروت – ط1407 هـ -1987م تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي مغني اللبيب).

(4) انظر[كتاب سيبويه (145/2)] .

(5) انظر[الجَنى الداني في حروف المعاني : الحسن بن قاسم المُرادي ص 586 – منشورات دار الآفاق الجديدة – بيروت – ط2 1403 هـ – 1983م – تحقيق : د. فخر الدين قباوة ، محمد نديم فاضل(وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي الجَنى الداني)] .

(6) انظر[الاتقان(548/1)].

(7) كتاب سيبويه (232/4).

يونس بن حبيب"[8]و"سعيد بن مسعدة"[9] جواز أعمال (لَــكِن) إذا خففت، والصحيح المنع، وإن وليها كلام، فهي ابتداء لمجرد إفادة الاستدراك وليست عاطفة.[10]

ثالثاً : أسباب النزول :

أكثر أهل التّفسير قالوا: إنَّ الآية نزلت فى رمي النبي ﷺ القبضة من حصباء الوادي يوم بدر.[1] وكذا قال السّيوطي بأنَّ هذا الرأيَ هو المشهور[2] وأيضاً ذكر هذا القول الواحدي[3] فى كتابه.[4] وقد ذكرت كتب السيرة : إنَّ رسول الله ﷺ أخذ حِفْنةً من الحصباء فاستقبل قريشاً بها ، ثم قال : شاهت الوجوه ! ثم نفحهم بها وأمر أصحابه فقال: (شُدُّوا) فكانت الهزيمة ، فقتل الله ما قتل من صناديد قريش.[5]

رابعاً : المعنى الإجمالي للآية:

بيَّن تعالى أنَّه خالق أفعال العباد ، وأنَّه المحمود على جميع ما صدر منهم من خير؛ لأنه هو الذى وفقهم لذلك وأعانهم، ولهذا قال: (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ)[6] يقول الزمخشري: "الفاء جوابُ شرطٍ محذوفٍ تقديره إنِ افتخرتم بقتلهم

---

(8) يونس بن حبيب الضبي بالولاء أبو عبد الرحمن ولد عام (94 هـ –713م) إمام النحو بالبصرة من قرية جَبُّل على دجلة بين بغداد وواسط، أعجمي الأصل توفي (182 هـ –798 م) انظر[الاعلام (261/8)].

(9) سبقت ترجمة له ص82 .

(10) انظر[مغني اللبيب (292/1)] .

(1) انظر[الجامع لأحكام القرآن (330/7-331) ، تفسير القرآن العظيم (295/2-296) ، التفسير القيم لابن القيم (691 هـ –751 هـ) جمعه محمد أويس الندّوي – ص287 – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – حققه : محمد حامد الفقى ، جامع البيان(204/9-205)] .

(2) انظر[باب النقول فى أسباب النزول : جلال الدين السيوطي (ت911 هـ) : تحقيق : أ.د حمزة النشرقي – الشيخ عبد الحميد فرغلي– ص205 (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي باب النقول في أسباب النزول)].

(3) هو على بن أحمد بن محمد بن على بن متُّويه ، أبو الحسن الواحدي ، مفسر عالم، أصله من ساوة (بين الري وهمدان)، مولده ووفاته بنيسابور ، توفي عام 468هـ – 1076 م ، والواحدي نسبة إلى الواحد بن الديل بن مهرة انظر[الأعلام (255/4)].

(4) انظر[أسباب النزول : الإمام أبي الحسن على بن أحمد الواحدي (ت468هـ) – ص 177-178 – دار الحديث – القاهرة – 1424هـ –2003م – تحقيق أيمن صالح شعبان (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي أسباب النزول : الواحدي)] .

(5) انظر[السيرة النبوية ابن جرير الطبري ص 116 – الدار المصرية البنانية – القاهرة – ط2 – 1420 هـ – 2000 م – تحقيق: جمال بدران] .

(6) تفسير القرآن العظيم (295/2) .

(7) الكشاف (149/2).

فأنتم لم تقتلوهم (وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡ) لأنه هو الذى أنزل الملائكة ، وألقى الرُّعب فى قلوبهم وشاء النصر والظفر ، وقوَّى قلوبكم وأذهب عنها الفزع والجزع".[7]

أما قوله: (فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡ) فيه وجوه:

الأول :أنَّ قتل الكفار إنما تيسر بمعونة الله ونصره وتأييده، فصحَّت هذه الإضافة.

الثاني: أنَّ الجرح كان إليهم ، وإخراج الروح كان إلى الله تعالى، والتقدير: فلم تُميتوهم ولكنَّ الله أماتهم.[1] (وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ) قوله (وَمَا رَمَيۡتَ) نفي (إِذۡ رَمَيۡتَ) إثبات فاحتيج إلى تأويل أن يغاير بين الرميين، فالمنفي الإصابة والظفر، والمثبت الإرسال. وقيل: متعلق المنفي الرُّعب، ومتعلق المثبت الحصيات، أي وما رميت الرُّعب فى قلوبهم إذ رميت الحصيات.[2] فأراد بالرمي المنفي آخر أجزاء الرمي التي وصل التراب به إلى أعينهم ، وبالرمي المثبت شروعه فى الرمي وأخذه فيه فيكون المعنى وما أوصلت التراب إلى أعينهم ، إذ شرعت فى الرمي وأخذت منه.[3] ويقول الزمخشري " فأثبت الرمية لرسول الله ﷺ لأن صورتها وجدت منه، ونفاها عنه؛ لأنَّ أثرها الذى لا يُطيقه البشر ، فِعلُ الله عزو جل ، فكان الله هو فاعل الرمية على الحقيقة ، وكأنَّها لم توجد من الرسول ﷺ أصلاً".[4] (وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ) أي لِيعرِّف المؤمنين نعمته عليهم من نصرهم على عدوِّهم بالرغم من كثرة عدوِّهم وقلة عددهم، فيعرفوا بذلك حق الله –سبحانه وتعالى– ويشكروه.[5] ويعني بالبلاء الحسن: النعمة الحسنة الجميلة، وهي ما

(1) انظر[مفاتيح الغيب (112/8)] .

(2) انظر[البحر المحيط (477/4)] .

(3) مقدمة تفسير ابن النقيب فى عالم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن : للإمام أبي عبد الله جمال الدين محمد بن سليمان البلخي المقدسي الحنفي ، الشهير بابن النقيب المتوفي سنة 692 هـ والمطبوع خطأ ، بعنوان الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان لابن قيم الجوزية – ص26 – مكتبة الخانجي بالقاهرة – ط1 – 1415 هـ – 1995م – كشف عنها وعلق حواشيها د. زكريا سعيد علي (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي مقدمة تفسير ابن النقيب).

(4) الكشاف (150/2).

(5) انظر[تفسير القرآن العظيم (296/2)] .

وصفت، وما في معناه[6] وختم بقوله (إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) أي سميع لكلامكم عليم بأحوال قلوبكم، وهذا يجرى مُجْرى، التحذير والترهيب، لئلا يغتر العبد بظواهر الأمور، ويعلم أنَّ الخالق تعالى، مطلعٌ على كل ما فى الضمائر والقلوب.[7]

خامساً : العلاقة التفسيرية بين القراءات :

1 –لقد أفادت قراءة التشديد ، التأكيد على أنَّ القاتل والرامي الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى. حيث إنَّ المسلمين لمَّا قالوا هذا قتلت ، وهذا قتلت ! ولماّ حصبهم رسول الله ﷺ فى وجوههم (أي رمى المشركين بالحصباء). أكَّدَ سبحانه و تعالى بقوله (وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ) [الأنفال:17] ، (وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ)[1][الأنفال:17]

وأضاف الله قتلهم إليه ، لأنّه هو الذى تولَّى نصرهم ، وأظهر فى ذلك الآيات المعجزات.[2]

أما بالنسبة لرمي النبى ﷺ فلم ينفه ، ولكنَّ العرب خوطبت بما تَعقِل [3] وفى هذا المعنى يتكلم البقاعي [4] كلاماً جميلاً حيث يقول: " لما افتخر بعضهم بقتل من قتل، نفاه سبحانه عنهم مطلقاً ؛ لأن مباشرتهم لقتل من قتل فى جنب ما أعد لهم من الأسباب وأيدهم به من الجنود عدم ، وأما النبي ﷺ فإنه فعل ما أُمر به ، من رمي الرمل ولم يعد فعله ولا ذكره ، فأثبته سبحانه له مع نفي تأثيره عنه وإثباته لمن إليه ترجع الأمور تأديباً منه سبحانه لهذه الأمة ، أى لا ينظر أحد إلى شيء من طاعته ، فإنا قد نفينا هذا الفعل العظيم عن أكمل الخلق ، مع أنه عالمٌ مقرٌّ بأنَّه منَّا ، فليحذر الذى يرى له فعلاً من عظيم سطواتنا ، ولكن لينسب جميع أفعاله الحسنة إلى الله تعالى كما نسب الرمي إليه بقوله : (وَلَـكِنَّ اللّهَ)".[5]

---

(6) انظر[جامع البيان (206/9)].

(7) انظر[مفاتيح الغيب (113/15)] .

(1) انظر[معاني القرآن : النحاس (421/1)] .

(2) انظر[معاني القرآن: الزجاج (406/2)] .

(3) انظر[المرجع السابق بنفس الصفحة].

(4) هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرُبَاط بن على بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين، ولد عام (809 هـ –1406م) وهو مؤرخ أديب أصله من سوريا توفي عام (885 هـ – 1480 م) انظر[الأعلام(56/1)].

(5) نظم [الدرر (197/3)] .

مما سبق نلاحظ أنَّ قراءة التشديد ، تفيد مع الاستدراك التأكيد على نفي السابق و إثبات اللاحق و المبالغة فى الأمر. قال القرطبي : "(وَلَـكِنَّ) كلمة لها معنيان: نفي الخبر الماضي وإثبات الخبر المستقبل ".[6] وحجة من شدد النون و نصب بها بعد (ولـكِنَّ) أنَّه أجرى الكلام على أصله ، فأعمل (لـكِنَّ) لأنها من أخوات إنّ فشدَّدَها على أصلهما ، وحاول فى ذلك معنى التأكيد ، الذى فيه معنى الاستدراك[1]

2- أما بالنسبة لقراءة (وَلَـكِنِ اللّهُ قَتَلَهُمْ)، (وَلَـكِنِ اللّهُ رَمَى) بتخفيف النون ورفع اسم الجلالة على الابتداء ، فهى تفيد الاستدراك فقط.

وذكرت سابقاً تفسيراً للاستدراك [2] ، ومنهم من فسَّره برفع ما يُتوهم ثبوته.[3]

سادساً: الجمع بين القراءات:

لقد خاطب الله عزو جل فى كتابه الجليل العظيم جميع أصناف البشر، منهم المؤمن المتيقن ، ومنهم المُنكر والمتشكك.

لذلك نجده سبحانه استخدم التأكيد فى حالاتٍ خاصة للمنكرين ، ولم يستخدمه فى الأخرى .

فقراءة **(لكن)** بالتخفيف هى لا تفيد إلا الاستدراك كما ذكرت سابقاً ، ولا تفيد التأكيد والأصل فيها التشديد ، فقد تعامل سبحانه وتعالى مع المخاطب على أنّه مسلمٌ موقن بهذا الخبر فهو لا يحتاج على تأكيد .

فى حين أنَّ القراءة الأخرى **(لَـكِنَّ)** بالتشديد نجد أنَّه أنزل المخاطب منزلة المتشكك، فجاء التشديد ليؤكد الخبر ، وهذا من باب تلوين الأسلوب وهو من أعظم أساليب القرآن الكريم.[4]

7- ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ١٨﴾ الأنفال

---

(6) الجامع لأحكام القرآن (464/2) .

(1) الكشف (257/1) .

(2) راجع ص88، 89.

(3) انظر[مغني اللبيب (291/1)].

(4) انظر[تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر : عبد الله الملاحي ص232] .

أولاً القراءات :-

1- قرأ المدنيان (نافع وأبو جعفر) وابن كثير وأبو عمرو(**مُوهِّنٌ كَيْدَ**) بتشديد الهاء والتنوين ونصب (**كَيْدَ**).

2- قراءة حفص (**مُوهِنُ كَيْدِ**) بالتخفيف من غير تنوين وخفض (**كَيْدِ**) على الإضافة.

3- وقرأ الباقون (**مُوهِنٌ كَيْدَ**) بالتخفيف وبالتنوين ونصب (**كَيْدَ**) .[1]

ثانياً : المعنى اللغوي للقراءات :

(**وهِنَ**)يهن وهناً من باب وعد بمعنى:ضَعَفَ فهو واهن فى الأمر والعمل والبدن.[2]

1- قراءة (مُوهِنٌ كَيْدَ) اسم فاعل من " أوهن يوهن فهو موهن " أى جعلته واهناً بمعنى أضعفته ، ومن نصب (**كَيْدَ**) فلأنه مفعول به. [3]

2- قراءة (مُوهِنُ كَيْدِ) اسم فاعل من (أوهن) الرباعي وحذف التنوين للإضافة والتخفيف ، و(**كَيْدِ**) بالخفض على الإضافة كما فى قوله تعالى: (**إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ**) [الطلاق :3]. [4]

3- أما قراءة (**مُوهِّنٌ كَيْدَ**) فهى اسم فاعل من "وهَّن" مضعف العين نحو (قتّل يقتّل فهو مقتّل) ووهّنه: ضعّفه، و (**كَيْدَ**) بالنصب مفعول به[5] و(**مُوهِنُ**) و(**مُوَهِّنٌ**) بمعنى واحد، يقال وهَّنتُ الشيء وأوهنتهُ إذا فعلته واهناً ضعيفاً.[6]

---

(1) انظر[النشر (207/2)].

(2) انظر[المصباح المنير ص401].

(3) انظر[كتاب معاني القراءات : تصنيف العلامة أبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى (ت سنة 370 هـ)- ص199 - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط1- 1420هـ -1999 م . حققه وعلق عليه : الشيخ أحمد فريد المزيدي - تقديم : فتحى عبد الرحمن حجازي (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي معاني القراءات) ، منجد الطلاب ص945].

(4) انظر[المغني في توجيه القراءات العشر: د.محمد سالم محيسن (188/2) - دار الجيل - بيروت - ط2 - سنة1408هـ (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي المغني في توجيه القراءات)].

(5) انظر[المنجد ص945 ، المغني (181/2)].

(6) انظر[كتاب معاني القراءات ص199] .

4- (**الكَيْد**) من (كاده) كيداً من باب باع بمعنى: خَدَعه ومَكَر به[7] والكيد ضرب من الاحتيال ، وقد يكون مذموماً وممدوحاً وإن كان يُستعمل في المذموم أكثر، وكذلك الاستدراج والمكر ويكون بعض ذلك محموداً.[8]

ثالثاً : المعنى الإجمالي للآية :-

لقد ارتبطت هذه الآية ارتباطاً وثيقاً بما قبلها ، ولهذا يحسُن أن نذكرها حتى يكتمل السياق ، يقول الله عز وجل : ﴿ **فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾** ﴾ الأنفال

(ذَلِكُمْ) إشارة إلى البلاء الحسن.[1] قال الزجاج[2] :"موضع (ذلكم) رفع، المعنى: الأمر (ذلكم وأنّ الله)، والأمر (أَنَّ اللّهَ مُوهِنُ)"[3] وقال غيره: (ذَلِكُمْ): إشارة إلى القتل والرّمي والبلاء الحسن[4] (**وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ**) معطوف على (**وَلِيُبْلِيَ**) يعني أن الغرض إبلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين[5] فالله سبحانه وتعالى، مضعِّفٌ مكر الراسخين فى الكفر جميعاً ، إضعافاً شديداً أبداً حتى يذِلُّوا، وينقادوا إلى الحق ويهلكوا[6] فكلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ، وذلك لأنّ الله يريد أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

---

(7) انظر[المصباح المنير ص324].

(8) انظر[المفردات ص728].

(1) تفسير النسفي المسمّى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل : للإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (399/2) – مكتبة نزار مصطفى الباز –المملكة العربية السعودية – مكة – ط1-142 1 هـ –2000 م – تحقيق : سيد زكريا (وحيث سأتي ذكره ، سأكتفي بقولي مدارك التنزيل).

(2) سبقت ترجمة له ص 69.

(3) معاني القرآن : الزجاج (407/2).

(4) انظر[جامع البيان (206/9) ، المحرر الوجيز (512/2)].

(5) البحر المحيط (478/4).

(6) انظر[جامع البيان (206/9) ، نظم الدرر (198/3)].

رابعاً : العلاقة التفسيرية بين القراءات :

1- من قرأ (**مُوهِنُ كَيْدِ**) خففت لحجته أنه جعله اسمَ فاعلٍ من أوهن يوهن وحَــذف التنوين ايذاناً بثلاثة أشياء : الإضافة والتخفيف والدِلالة على الماضى [7]، وجاز لمن لم ينوِّن أن يريد الماضي والاستقبال [8] وعليه فيكون التفسير : أي أن الله وحـــده ، هو الذى دمَّر كيد الكافرين فى كلِّ غزوة .

وحيثما وأينما التقى الجمعان ، جمع الكفر وجمع الإيمان .[1]

2- من قرأ (مُوهِنٌ كَيْدَ) بتنوين اسم فاعل فهو الأصل فى اسم الفاعل فنوّنَهُ علـــى أصله، وذلك يحدث إيذاناً بثلاثة أشياء : تمام الكلمة، وإعمال اسم الفاعل عمل الفعل لهذا يكون ما بعده منصوباً على المفعولية، و الدلالة على الحـــال والاســـتقبال.[2]و فائدة التنوين تكثير اللفظ.[3] وعلى هذا يكون التفسير: أي أنّ الله وحده هـــو الـــذى يدمِّر وسوف يدمِّر كيد الكافرين، إذا رفع أهل الإيمان راية الجهـــاد المقدَّس لقتـــال أهل الشرك والإلحاد، ولقتال اليهود والصليبيين ،وإذا اعتصموا بحبل الله، ثـــم لـــم يستعينوا بغير الله. [4]

3- أمَّا من قرأ (موهِّنٌ كيدَ) بفتح الواو وتشديد الهاء والتنوين، وحجته في ذلك أنَّه جعله اسم فاعل من " من وهَّنَ " أي ضعّف، ووهَّن وأوهن لغتان بمعنى واحد كما ذكرنا سابقاً في المعنى اللغوي إلاّ أنَّ فى التشديد معنى التكريـــر والمبالغـــة، فهـــو توهين بعد توهين، وذلك أنَّ التشديد، وقع لتكرار الفعل، وذلك ما ذكره الله – سبحانه – من تثبيت أقدام المؤمنين بالغيث، و ربطه على قلوبهم، وتقليله إياهم فى أعيـــنهم

---

(7) انظر[الحجة : ابن زنجلة ص310 ، الكشف (490/1)] .

(8) انظر[الحجة : ابن زنجلة ص310].

(1) انظر[التوجية اللغوي والبلاغي لقراءة الإمام عاصم : د. صبري المتولى المتولى – ص204 – دار غريب – القاهرة – سنة 1998م (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي التوجية اللغوي : د. صبري)].

(2) انظر[الكشف (490/1)].

(3) انظر[الأشباه والنظائر في النحو : جلال الدين السيوطي (ت911هـ) (140/2) – دار الكتب العلميـــة – بيـــروت – لبنـــان – ط1 – 1405– 1984 م (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي الأشباه والنظائر)] .

(4) انظر[التوجية اللغوي : د. صبري ص204] .

عند القتال، فذلك منه شيء بعد شيء، وحال بعد حال، وفى وقت بعد وقت فكان الأولى بالفعل أن يشدّد لتردد هذه الأفعال، فكأنه أوقع (الوهن) بكيد الكافرين مرّة بعد مرّة[5] وفي هذا المعني يُعجب الطبريُّ فيقول ما نصُّه: " والتشديد فى ذلك أعجب إلىّ، لأنَّ الله تعالى كان ينقض ما يبرمه المشركون لرسول الله ﷺ وأصحابه عِقْداً بعد عِقْد، وشيئاً بعد شيء، وإن كان الآخر وجهاً صحيحاً".[6]

خامساً: الجمع بين القراءات:

فى قراءة (**مُوهِنُ كَيْدِ**) فهمت منها أن الله – سبحانه وتعالى – دمَّرَ كيد الكافرين فى الماضي، ومن قراءة (**مُوهِنٌ كَيْدَ**) فهمت أنَّه سبحانه، سوف يدمِّرَ كيد الكافرين فى المستقبل والحاضر، ومن قراءة التشديد أرى أن هذا التدمير سوف يكون تدميراً شديداً من الله للكفَّار، وسوف يتكرر فى كل حال وفى كل مكان وزمان، ومن التنوين أرى كثرة هذا التدمير إذا أصر الكفَّار على كفرهم وعنادهم.

8- ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ **الأنفال**

أولاً : القراءات :

1- قرأ أبو جعفر (**فِيَتكُم**) : بتخفيف الهمزة .

2- وقرأ الباقون (**فِئَتُكُمْ**) بالهمز.[1]

3- قرأ " نافع وابن عامر ، وحفص وأبو جعفر " (**وَأَنَّ اللّهَ**): بفتح همزة أنّ.

4- وقرأ الباقون (**وَإِنَّ اللّهَ**) بكسر الهمزة.[2]

ثانياً : المعنى اللُّغوي للقراءات :

1- فئة: ذكرت المعنى اللغوي لها سابقاً.[3]

---

(5) انظر] الحجة : ابن زنجلة ص309].

(6) جامع البيان (206/9).

(1) انظر] النشر (308/1)].

(2) انظر] المغني (189/2-190) ، إتحاف فضلاء البشر 0 (78/2)].

2- إنّ: حرف لتأكيد الخبر وتقريره، ينصب الاسم ويرفع الخبر ومن أحكامها أنهـا قد تخفف.[4]

ثالثاً : أسباب النزول : ذكر الواحدي[5] عن سبب نزول هذه الآيـة [6]: " كـان المستفتح أبا جهل، وإنه قال حين التقى بالقوم: اللهم أيُّنا كان أقطع للـرحم، وأتانـا بما لم نعرف، فافتح له الغداة، وكـان ذلـك اسـتفتاحه، فـأنزل الله تعـالى: (**إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ**)إلى قوله:(**وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ**) **[الأنفال:9]**.[1]

رابعاً : المعنى الإجمالي للأية :

ذُكر في الآية السابقة (**وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ**) **[الأنفال :18]** ووعدهم بالإهانة، فجاء فى هذه الآية بتفصيل هذه الإهانة لهم. وأكثر المفسرين[2] قالوا : أنَّ هذا الخطاب للكفار، والذي يعضد هذا القول، هو سبب نزول الآية التـى ذكرناهـا سابقاً. وعليه يكون المعنى (إن تستنصروا)[3] أي تطلبوا النصـر والفـتح مـن الله لأهدى الفئتين، فقد جاءكم النصر، ونَصَر الله أهداهما، وسّمى إهلاكهم نصراً علـى سبيل التهكم؛ لأنَّه قد جاءهم الهلاك والذلة، وإن تنتهوا عن الكفـر وعـن معـاداة النبيﷺ ، وعن قتاله، فالانتهاء خيرٌ لكم لِمَا فيه من السَّـلامة (**وَإِن تَعُودُواْ**) لقتـال النبيﷺ (**نَعُد**) إلى نصرته عليكم، ولن تدفع عنكم (**فئتُكم**) جماعتكم شيئاً من بأس الله وشدة نِقمته ولو كَثُرت فى العدد (**وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ**) بنصره ومعونته وتوفيقـه، وذلك لأنَّ من سنَّة الله عز وجل نصرَ المؤمنين ، وخذلان الكافرين.[4]

---

(3) راجع ص84.

(4) انظر[شرح قطر الندى وبلّ الصدى : أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت 761 هـ) ص148- مطبعة السعادة بمصـر - ط11 - ربيع الثاني 1383 هـ أغسطس 1963 م (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي شرح قطر الندى) ، الجنى الداني ص 393].

(5) سبقت له ترجمة ص 90.

(6) انظر[أسباب النزول : الواحدي ص 178].

(1) المستدرك (358/2) - 27 كتاب التفسير - تفسير سورة الأنفال - ح رقم 381/3264 - وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه".

(2) انظر[جامع البيان (208/9-209) ، الجامع لأحكام القرآن (332/9) ، تفسير القرآن العظيم (296/2) ، تفسـير الإمـام مجاهـد بـن جبـر (ت102هـ) (353/1) - دار الفكر الإسلامي الحديثة - ط1 -1410هـ -1989 م - تحقيق : د. محمد عبد السلام أبو النيل (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي تفسير الإمام مجاهد)، مدارك التنزيل (399/2)، الكشاف (150/2)].

(3) انظر[مجاز القرآن (245/1)].

(4) انظر[مراجع الهامش رقم (2) بنفس الصفحات].

خامساً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

1- القراءة الأولى:

من قرأ بالهمز **(فِئَتُكُمْ)** ناسب ثقل الهمزة وشدتها وندرتها ، ثقل هذه الفئة وقوتها وندرتها ، وعلى هذا يكون المعنى : لن تكون كثرتكم وقوتكم وشدة جيشكم وكثرة عددكم وعدّتكم وسيلة من وسائل النصر، أمام قلة عدد جيش المسلمين؛ وذلك لأنهم يمتلكون القوة العظمى وهي الإيمان بالله العظيم. فبالرغم من القوة الظاهرة لجماعتكم وجيشكم أيُّها الكفار لن يغنى عنكم شيئاً!

وأماّ من قرأ بتخفيف الهمز **(فِيتُكُمْ)** فأبدلها بالياء وذكرت سابقاً أنَّ الياء من صفاتها اللِّين وهو من حروف الخفاء وفيها ضعفٌ، فناسب ذلك هذه الفئة الضالّة، حيث إنّها مهما كثرت وقويت فهى بجانب فئة المؤمنين المتصلة والقوية بالله، قليلة وضعيفة، مهما كَثُرت فى العدد والعدة فهى واهنة كوَهَن بيت العنكبوت.

(وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ) **[العنكبوت :41]**.

سادساً: الجمع بين القراءتين:

يتبين لنا أنَّ فريق الكفار مهما بلغ من قوة ، ومهما أُعطي من أسبابها، ومهما بلغ فى العدة والعتاد والكثرة، فهو فى حقيقة الأمر ضعيف واهن.

فالباطل ينتفش وينتفش، ولكنه أوهن وأضعف من بيت العنكبوت، فلن تكون يوماً الكثرة، وسيلةً من وسائل النصر أمام القلة، إذا كانت القلة مع الله؛ لأنه هو الذى بيده النصر والقوة.

2- القراءة الثانية :

1- (أنّ) بفتح الهمزة وما بعدها من اسمها وخبرها ، منزلتها منزلة اسم واحد، كما تكون أنْ المخففة وما بعدها من الفعل الذى تنصبه بمنزلة المصدر ، بمعنى أنها تُؤول مع اسمها وخبرها بالمصدر يقول سيبويه(1) :" أمَّا (أنّ) فهي اسم وما عملت

(1) سبقت ترجمة له ص84.

فيه صلة لها، كما أنَّ الفعل صلةٌ؛ لــ (أنْ) الخفيفة وتكون (أنْ) اسماً ... ونظير ذلك في أنَّه، وما عمل فيه بمنزلة اسم واحد لا فى غير ذلك".[2] كما أنه يَقْبُح الابتداء بأنّ المفتوحة وذلك لسببين :

أ-حتى لا يشبّهونها بالأسماء التى تعمل فيها (إنّ).

ب-حتى لا يشبّهونها بــ (أنْ) الخفيفة ، لأنَّ (أنْ) الخفيفة والفعل الذى يأتى بعدها بمنزلة مصدر.[1] وتكون (أنّ) حرف تأكيد وهى فرع من المكسورة.[2] من خلال ما سبق ومن خلال أقوال المفسرين والقّراء أرى عدة أوجه فى التفسير لمن قرأ (أنّ) بفتح الهمز.

❖ حذف حرف الجر قبل (أنّ): والتقدير : ولن تغني عنكم فئتكم شيئاً ؛ لكثرتها ، ولأن الله مع المؤمنين ، وذلك بسبب عطف (أنّ) على موضع ولو كثرت ، كأنّه قال لكثرتها ، ولأن الله مع المؤمنين ، فيكون موضع (أنّ) فى محل النصب عندما حُذفت اللام. وحجَّتُهم فى ذلك أنها مردودة على قوله قبلها ﴿ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الأنفال:14] ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ﴾ [الأنفال:18] ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال:19] فيكون الكلام واحداً يتبع بعضُه بعضاً.[3]

❖ إنَّ المصدر من (أنّ) واسمها فى موضع رفع على أنه خبر المبتدأ محذوف فيكون التقدير على ذلك : والأمر أنّ الله مع المؤمنين .[4]

2- إنّ : بكسر الهمز يقول سيبوية : " وأماّ (إنَّ) ، فإنّما هي بمنزلة الفعل لا يعمل فيها ما يعمل فى (أنَّ) ... ولا تكون (إنَّ) إلا مبتدأةً ".[5]

---

(2) كتاب سيبوية (119/3-120).

(1) انظر [كتاب سيبويه (124/3)].

(2) انظر[الإتقان (494/1) ، مغنى اللبيب (39/1)].

(3) انظر[جامع البيان (210/9) ، الحجة : ابن زنجلة ص310 ، الكشف (491/1)].

(4) انظر[المحرر الوجيز (513/2) ، الدر المصون (588/5)].

(5) كتاب سيبويه (120/3).

و(إنَّ) بالكسر والتشديد، حرفٌ معناه التوكيد والتحقيق؛ لتأكيد الخبر وتقديره، وهــو الغالب، والتأكيد به أقوى من التأكيد باللام، وقد تأتي (إنَّ) للتعليل أو بمعنى نعــم[6]

وقد نقل ابن زكريا[7] عن الفرّاء[8] قوله:

"(إنَّ) مُقَدَّرَةٌ لقَسَم متروك استُغني بها عنه، والتقدير: والله إنّ زيداً عالمٌ".[1]

وبناءً على ما سبق قرأ باقي القرّاء بكسر (إنَّ) على الابتداء والاستئناف والقطع.ففي هذا يكون معنى التوكيد على نصرة الله -عز وجل- للمؤمنين، وذلك لأن (إنَّ) إنّمــا تُكسر فى الابتداء ؛ لتأكيد ما بعدها من خبر وتقرير ، وحجةُ مَنْ كسر همــزة (إنَّ) قراءة عبد الله بن مسعود بدون (أنّ)، فقرأ (والله مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ).[2]

الجمع بين القراءتين:

يتبين لنا أنَّ كلتيهما معناهما التوكيد ، فنقول : " إنّ " زيداً قائمٌ ، وكذلك " أنّ " إلا أنّها لا بد أن يسبقها كلام . [3]

وقد ذكر سِيْبَوَيْه أنَّ المكسورة والمفتوحة معناها سواء ، ولكن يَقْبُح الابتداء بالثقيلــة المفتوحة.[4]

أرى أن القراءتين هما بمعنى واحد ، وهذا نوعٌ من أنواع أساليب القــرآن الكــريم البيانية، أيضاً من قراءة الفتح تبيَّن لنا: أنَّ القرآن يتبع فيه الكلام بعضُه بعضاً ، فهو كعقد اللؤلؤ، فالكلام مترابط بعضه ببعض، حيث ناسبت (أنَّ) بالفتح ما قبلهــا مــن

---

(6) انظر[مغنى اللبيب (37/1) ، الإتقان (494/1) ، شرح قطر الندى ص148].

(7) هو أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين من أئمة اللغة والأدب، له تصانيف منها معجم مقاييس اللغة و غيرها من الكتب، ولد عام 329هـ -941م ، وتوفي عام 395هـ - 1004 م انظر[الأعلام (193/1)] .

(8) هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، أبو زكرياء المعروف بالفراء ولد عام 144هـ -761 م ، وهو إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب ، وتوفي عام 207 هـ - 822 م. ، انظر[تذكره الحفاظ (372/1)، الأعلام (145/8)].

(1) الصاحبي : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا – ص175 – عيسى البابي وشركاه – القاهرة – تحقيق أحمد صقر (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي الصاحبي).

(2) انظر[جامع البيان (210/9) ، الكشف (491/1) ، إعراب القراءات السبع وعللها : أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه الهمداني النحوي الشافعي (223/1) مكتبة الخانجي – القاهرة – ط1 -1413 هـ -1992 م – حققه : د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي إعراب القراءات السبع). وقراءة عبد الله بن مسعود في البحر المحيط (479/4)].

(3) انظر[شرح قطر الندي ص148] .

(4) انظر[كتاب سيبويه (124/3)].

الآيات، وقراءة الكسر أعطتنا أسلوباً آخر، وهو الفصل والابتداء، وهذا من باب تلوين الأسلوب فى القرآن ، الذي ينمّ عن جمال ورقة ورونقٍ فيه.

9-﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ الأنفال

أولاً : القراءات :

1- قرأ البزّي مع المد المشبع **(وَلا~ تّوَلَّوْا)** وشدد التاء وصلاً بخُلفه .

2- وقرأ الباقون **(وَلاَ تَوَلَّوْا)** بدون مد.(1)

ثانياً : المعنى اللُّغوي للقراءات :

لاَ : هنا في هذا الموضع حرف يستخدم فى النهي ، وذلك كقولك " لا تفعل " وإنّما هي بمنزلة " لم " فهي لطلب الترك ، وهي تدخل على الأفعال ، فتجزمها ، فتقتضى جزم المضارع واستقباله ، ولا تعمل فى الأسماء.(2)

تَوَلَّوْا : من الفعل **(ولَّى)** وتولية كل من ولي أمر أحد فهو وليُّه ، وولى ظهره جعله وراءه، ووليت عنه: أعرضت عنه وتركته.(3)

ويقول أبو عبيدة(4) فى معنى **(وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ)** أي : "ولا تُدْبروا عنه ، ولا تُعْرضوا عنه فتدعوا أمره .(5)

ثالثاً : المعنى الإجمالي للآية :-

بعد أن هدَّد الله المشركين بقوله : **﴿ إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدۡ وَلَن تُغۡنِيَ عَنكُمۡ فِئَتُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَوۡ كَثُرَتۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ الأنفال**

---

(1) انظر [النشر (175/2) ، اتحاف فضلاء البشر (78/2) ، فريدة الدهر (737/2)].

(2) انظر] كتاب سيبويه (3/7-8) ، الإتقان (545/1) ، المصباح المنير ص402].

(3) انظر [المصباح المنير ص400 ، منجد الطلاب ص941] .

(4) سبقت ترجمة له ص 19 .

(5) مجاز القرآن (245/1) .

قفّى على ذلك بتأديب المؤمنين وذلك بأمرهم بطاعة الله ورسوله فخـــاطبهم بـــــ (يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ) وفي هذا تخصيص لهم بطاعة الله ورسوله إجلالاً لقدرهم ، ويدخل غيرهم فيه على طريق التَّبع.

وقوله تعالى (وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ) وأصلها لا تتولّوا ، وحذف أحـد التـاءين تخفيفـاً ، والضمير في (عنه) إما أن يعود على:

1-الرسول ﷺ لأن طاعة الرسول من طاعة الله (مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ) [النساء :80]

2- وإما أن يعود على "الله " سبحانه وهذا كقوله تعالى (وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ) [التوبة :62]

3- ويحتمل أن يعود على الأمر بالطاعة أو على الجهاد.[1]

(وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ) وهي جملةٌ حالية حتى يؤكِّد وجوب الانتهاء عن التولّى مطلقاً ، كمـا فـي قولـه تعـالى ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ ﴾ [النساء : 43] أي لا تتولّوا عنه ، والحال أنكم تسمعون في القرآن الكريم بطاعتـه وعدم مخالفتة ، فهو سماع فهم وإذعان ، وسماع تصديق بما يسـمع ، فهـذا شـأن المؤمنين الذين من دأبهم السمع والطاعة لله ولرسوله ﷺ .[2]

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

1- من قرأ (وَلاَ تَوَلَّوْا) بدون مد مشبع ، جاء على أصل الفعل تتولوا ؛ لأنَّ الفعل دخلت عليه تاء المخاطب بالفعل المستقبل فحذفت الواحدة وذلك للتخفيف، والمحذوفة

(1) انظر[مدارك التنزيل (399/2) ، فتح القدير (3744/2) ، تفسير البيضاوي (254/9) ، الأساس (2146/4)].

(2) انظر[روح المعاني (175/5-176) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : أبو السعود (القاضي محمد بـن محمـد بـن مصطفى العمادي الحنفي(ت 982) (312/3)- دار الفكر – بيروت- ط1 -1421هـ -2001 م ، و خرج أحاديثـة : الشـيخ محمد صبحي حسن حلان (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي إرشاد العقل السليم) ، تفسير المراغي(184/9)].

هى تاء تفعل ، والباقية هي تاء العلامة ، لأن الحاجة إليها هنا أمس ليبقى الفعل مستقبلاً.[3]

فحذف الحدث للدِّلالة على:

- ❖ قلة تولّى المؤمنين بشكل عام.
- ❖ إنَّ التولّى إنْ حصل من المؤمنين ، حصل مرة واحدة ؛ لأنّه ليس من عادة المؤمنين ، التولّى عن الله ورسوله ، أوعن أوامره سبحانه.
- ❖ تخفيف المد وتخفيف التاء ، توحي بالمدَّة القصيرة فى التولّى ، حيث إنّ الله سبحانه وتعالى يأمرهم بطاعته وطاعة رسوله ، وعدم التولّى فى حياة الرسول ﷺ.

2- من قرأ (وَلا~ تَّوَلَّوْا) بالمد المشبع مع تشديد التاء وصلاً.يقول سيبويه[1]: " وإذا التقى الحرفان المِثْلان ، اللذان هما سواء متحركين وقبل الأول حرف مدّ ، فإن الإدغام حَسَنٌ ، لأنَّ حرف المد بمنزلة متحرك فى الإدغام".[2]

والمد فيه إطالة زمن وهذا يدل على:

- ❖ أنَّ الله سبحانه وتعالى ينهاهم عن تكرار التولى عن حيثيات الإسلام.
- ❖ والإدغام فيه ثِقَل وهذا الثقل يوحي بِعِظَم جُرْم التولي عن الله ورسوله ، أو عن أوامر الله وزواجره ، وذلك لأنَّ العصيان مع توفر أسباب الطاعة أشد.
- ❖ أيضاً يوحي بالتزام الطاعة بعد وفاة النبي ﷺ على المدى البعيد فتكون الطاعة بالتزام كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، ومن ثم طاعة الأمراء فى الله ، وبدون هذه الطاعة لا يقوم قتالٌ ولا جهاد رباني.[3]
- ❖ و يدل أيضاً على أنه مهما طال زمن عمر الإنسان لا يجوز له التولي.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

---

(3) انظر[المحرر الوجيز (513/2)].

(1) سبقت ترجمة له ص 84.

(2) كتاب سيبويه (437/4).

(3) انظر[الأساس (2146/4)].

بالجمع بين القراءتين ، يتبين أنَّ القراءتين هما لغتان من لغات العرب ، ولكن مع ذلك ، فإنني أرى أن كلَّ قراءةٍ أوحت بمفهوم أثْرت في معنى وتفسير الآية. فقراءة عدم المد المشبع في الكلمة أوحت بعدم التولّى عن الرسول ﷺ ، وقراءة المد زادت فى تشويه التولّى عن الرسول ﷺ.

أيضاً أرى أنَّ قراءة عدم المد المشبع أكَّدت على عدم التولّى عن (الله ورسوله) فى حال سماع المؤمنين القرآن الناطق بطاعته والمواعظ الزاجرة عند مخالفتة، وقراءة المد أكَّدت على استمرار عدم التولّى ، واستمرار الطاعة بعد وفاة الرسول ﷺ إلى يوم القيامة والله أعلم .

10- ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ الأنفال

أولاً : القراءات :

1- قرأ يعقوب (**فِيهُمْ**) بضم الهاء .

2- وقرأ الباقون (**فِيهِمْ**) بكسر الهاء.(1)

ثانياً : المعنى اللغوي للقراءات :

(**في**) حرف جر له عدة معانٍ أشهرها الظرفية مكاناً أو زماناً ، حقيقة أو مجازاً، وهنا (**في**) للظرفية المجازية التى هي في معنى الملابسة ، ومن لطائفها هنا أنها تعبِّر عن ملابسةٍ باطنية . (2)

ويقول سيبويه في معنى هذا الحرف :

"وأمّا (في) ، فهي للوعاء نقول في الجراب وفي الكيس ... لأنّه جعله إذا أدخلته فيه كالوعاء له".(3)

ثالثاً : التفسير الإجمالي للآية :

---

(1) انظر[إتحاف فضلاء البشر (79/2) ، فريدة الدهر في تأصيل وجمع القراءات العشر تحرير وجمع الفقير : محمد إبراهيم محمد سالم (737/2) ط سنة 1422هـ –2002 م (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي فريدة الدهر)] .

(2) انظر[التحرير والتنوير (307/5)].

(3) كتاب سيبويه (226/4)

(4) انظر[روح المعاني (176/5-177) ، المحرر الوجيز (513/2-514) ، مدارك التنزيل (400/2) ، المقتطف من عيون التفاسير (330/2)].

لو علم الله فى هؤلاء الصُّمِّ البكم الذين ورد ذكرهم فى الآية السابقة شيئاً من الميـــل إلى الخير، أو أنَّ فيهم استعداداً للإيمان والهداية (**لأَسْمَعَهُم**) بتوفيقه ، سَمَاعَ تــدبرٍ وفَهْمٍ ولآمنوا بالرسول وأطاعوه ، ولكنّه قد عَلِمَ أنَّه لا خير فيهم ، فلم يُسمعهم لعدم الفائدة ، فهُم من الذين خَتَمَ الله على قلوبهم وأحاطت بهم خطاياهم (**وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ**) سماعَ تدبرٍ وتفهمٍ ؛ لتولّوا ولم ينتفعوا به ، وارتدّوا بعد التصديق ، وهم معرضـــون عن قبوله عناداً.[4]

رابعاً : العلاقة التفسيرية بين القراءات :

يقول ابن مجاهد [1]: " كل هذا الاختلاف فى كسر الهاء وضمها ، إنمّا هو في الهاء التى قبلها كسرة أو ياء ساكنة ، فإذا جاوزت هذين لم يكن في الهاء إلاّ الضم ".[2]

ويقول أيضاً : " وأما من كسر الهاء وأسكن الميم ... فإنهم أمنوا اللُّبْس ، إذ كانــت الألف في الثنية قد دلت على الاثنين ، ولا ميم فى الواحد ، فلما لزمت الميم الجمــع حذفوا الواو وأسكنوا الميم ؛ طلباً للتخفيف إذ كان لا يُشْكل ، وأمـــا الضـــمة فـــى الهاء... فهي أصل الهاء ، لأنها إذا ابتدأت كانت مضمومة كقولك هُم ، فتركت على حالها ". [3]

وقد ذكرت سابقاً بأن الضمة لقوتها، جُعلت فيما يكثر حجمه ، والكســرة لضــعفهما فيما يقل بل يعدم ارتفاعه[4] فيكون المعنى عند القراءة بالكسر (**فِيهِمْ**) لـــو علـــم الله فيهم شيئاً من جنس الخير – وذلك لانعدام الخير فيهم – لأسمعهم سماع تفهم وتدبر، ولكن لم يعلم الله فيهم شيئاً من ذلك ؛ لخلوّهم عنه بالمرة فلم يُسمعهم ولو أســمعهم سماعَ تفهم وَهُمْ على هذه الحالة العارية من الخير بالكلية ؛ لتولّوا عما سمعوه مـــن

---

(1) سبقت له ترجمة ص40.

(2) كتاب السبعة فى القراءات ص109.

(3) المرجع السابق ص110.

(4) راجع ص70 .

الحق ، وصاروا كأن لم يسمعوه أصلاً [5] فكلٌّ مَنْ لم يؤمن من المشركين حتى مات على الشرك فقد انتفت مخالطة الخير نفسه.[6]

أما القراءة بالضم في(**فِيهُمْ**) فثقل وقوة الضم يتناسب مع ثقل وقوة علم الله بعدم وجود الخير فيهم ، لذلك لم يسمعهم سماع تفهم وتدبر . أيضاً يتناسب مع قوة و تمكن إعراض المشركين فهو إعراض لا قبول بعده فيكون المعنى: أنهم يتولَّون حتى في حالة ما لو سمّعهم الله الإسماع المخصوص ، وهو إسماع الإفهام ، فكيف إذا لم يسمعوه ، وصوغ الجملة (**وَّهُم مُّعۡرِضُونَ**) بصيغة الجملة الإسمية يدل على إعراضهم الشديد الذى لا قبول بعده.[1]

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين ، أجد أنه لا تناقض بينهما ، بل يوجد انسجام كبير بينهما، فقراءة الكسر أفادت انعدام الخير فيهم ، وقراءة الضم أفادت قوة علم الله بانعدام الخير فيهم ، وقوة إعراضهم عن الحق .

فلانعدام الخير فيهم ، كان موقفهم الإعراض الشديد عن الحق ، وبالتالي استحقوا العذاب الشديد من الله –سبحانه وتعالى– و الله أعلم.

11- ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ٢٨ ﴾ الأنفال

أولاً : القراءات :

1- قرأ المدنيان (نافع وأبو جعفر) وابن عامر وحفص (**وَأَنَّ**) بفتح الهمزة.

---

(5) انظر[تفسير أبي السعود (312/3–313)].

(6) انظر [التحرير والتنوير (308/9)].

(1) انظر[التحرير والتنوير (311/9)].

2- وقرأ الباقون (وَإِنَّ) بكسر الهمزة.[2]

ثانياً : المعنى الإجمالي للآية :

لمَّا كان سبب الإقدام على الخيانة هو حب الأموال والأولاد ، نبَّه تعالى على أنَّه يجب على العاقل أنْ ينتبه لمضمار ذلك الحب ، فقال :(**وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ**).[3]

(**وَٱعْلَمُوٓا**) هي كلمة ينبه بها السامع على أنَّ ما بعدها مهم جداً و(**أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ**) أي أنَّ الأموال والأولاد ابتلاء من الله ؛ ليبلوكم فيهم ، فلا يحملنّكم حبهم على الخيانة . والفتنة المراد بها هنا : الابتداء والامتحان الذى يُظهر ما في النَّفس من اتباع الهوى ، ولعل الفتنة فى المال أكثر منها في الولد لذا قُدّمت الأموال على الأولاد ؛ لأنّها مَظِنة الحمل على الخيانة فى هذا المقام . (**وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ**) لمن آثر رضى الله على الأموال والأولاد ، فهذا تنبيهٌ على أنَّ نعيم الآخرة خيرٌ من نعيم الدنيا ؛ لأنَّها أعظم في الشرف والفوز والمسرَّة.[1]

ثالثاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

من قرأ بفتح همزة (إن) على تقدير حرف الجر وتقديرها(وَبِأَنَّ اللّـهَ عِنـدَهُ) معطوفة على(**وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ**) وكما ذكرنا سابقاً بأنَّ ما بعد (اعلموا) مهم جداً، فالمقصود الإخبار بأنَّ الأموال والأولاد فتنةٌ لهم.

---

(2) انظر[النشر (207/2)].

(3) انظر[التفسير المنير (298/9)].

(1) انظر[زاد المسير (204/2) ، حاشيته الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي للقاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي (ت1069هـ) على تفسير البيضاوي – (463/4) – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان- ط1- 1417هـ – 1997م – ضبطه وخرج آياته وأحاديثه الشيخ عبد الرزاق المهدي (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي حاشية الشهابي) ، المقتطف من عيون التفاسير: مطصفى الحسن المنصوري (333/2) دار السلام – القاهرة – ط1 – 1417هـ –1996م – تحقيق محمد على الصابوني (و حيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي المقتطف من عيون التفاسير)].

أيضاً الإخبار بأنَّ الله عنده أجر عظيم مهم جداً، حيث إنَّ الأجر العظيم من الله تعالى أهمُّ من الأموال والأولاد ؛ لأنَّه أعظم من الأموال والأولاد ، فهو يبقى بقاء لا نهاية له، لذلك وصف الله تعالى الأجر بالعظيم لأنّه خيرٌ من الدنيا وما فيها.

وأمّا من قرأ بكسر همزة (إنَّ) فهي على سبيل الاستئناف و القطع[2] ، ففي هذا يكون معنى التوكيد على أنَّ ما عند الله هو الباقي ، وأنَّ على الإنسان أن يَزهَدَ في الدنيا ، ولا يحرص على جمع المال وحب الولد ، فينشغل قلبه بالدنيا ويندفع إلى عمل يوقعه في المصائب والمهالك.

رابعاً: الجمع بين القراءتين:

سبق الجمع بين القراءتين.[3]

12-﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدۡ سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ الأنفال

أولاً : القراءات :

1- قرأ حمزة ، ويعقوب (**عَلَيْهُمْ**) بضم الهاء.

2- وقرأ الباقون (**عَلَيْهِمْ**) بكسر الهاء.[1]

ثانياً : المعنى اللغوي للقراءات:

بينت سابقاً معنى (عليهم) يمكن الرجوع إليه.[2]

ثالثاً : المعنى الإجمالي للآية:

يقول الله تعالى ذكره : وإذا تتلى على هؤلاء الذين كفروا آيات كتاب الله قالوا : جهلاً منهم ، وعناداً للحق ، وهم يعلمون أنهم كاذبون (**لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ**) الذى تلي علينا (**إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ**) أي إنَّ هذا القرآن الذى تتلوه علينا ما هو

---

(2) راجع ص99-100.

(3) راجع ص100.

(1) انظر[في هامش القرآن الكريم للقراءات العشر المتواترة ص180] .

(2) راجع ص 68.

﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ﴾ أي أباطيل[3] و ما هو إلا ما سطَّره الأولون ، وكتبوه من أخبار الأمم ، فهم ينكرون بأن الله أوحى هذا القرآن إلى محمد ﷺ.[4]

رابعاً : العلاقة التفسيرية بين القراءات :

قراءة الضم التى هي أثقل الحركات أرى أنها تتناسب مع ثقل الآيات وقوة تأثيرها على من سمعها، حتى الجماد يتأثر بسماعها يقول سبحانه وتعالى: ﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ الحشر

فكيف بالإنسان! لذلك عدل فى التعبير من الكسر إلى أقوى الحركات وهي الضمة ؛ للإشارة إلى ندرة هذا الموقف ، من قوة عناد الكفار وشدة إنكارهم بأن هذا القرآن لم يوحَ إلى محمد ﷺ.

أمّا من قرأ بالكسر فلضعفها وخفتها[1] توحي بأنَّه بالرغم من ثِقَل الآيات وعَظَمَتِها، إلاّ أنهم لم يشعروا بهذا الثقل فكانت خفيفه على أسماعهم وقلوبهم ، فلم يتدبروا معانيها فكان سماعهم لها سماعاً سطحياً لا سماع تدبر وتفهم والله أعلم.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين، أجد أنَّ كل قراءة قد أثرت معناً جديداً، فالقرآن الكريم بآياته القوية لم يؤثِّر على قلوب الكافرين، وذلك بسبب قوة كفرهم وعنادهم، وذلك لأن قلوبهم مقفلة عن سماع الحق والهدى والله أعلم.

---

(3) انظر[لسان العرب (363/4) مادة سطر ، الكليات ، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية : أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوى المتوفى سنة 1094 هـ - ص737 - مؤسسة الرسالة - بيروت - سوريا - ط2 -1413هـ -1993 م].

(4) انظر[جامع البيان (231/9)] .

(1) راجع ص70-71.

13- ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الأنفال

أولاً : القراءات :

1- قرأ يعقوب (فِيهُمْ) بضم الهاء .

2- وقرأ الباقون (فِيهِمْ) بكسر الهاء.[2]

ثانياً : المعنى الإجمالي للآية:

بعد أن بيَّنت الآيات السابقة أنَّ الكفار قد استعجلوا وقوع العذاب بهم من باب الاستهزاء والاستخفاف، ذكر الله هنا أنَّ عدم وقوع العذاب بهم هو وجود الرسول ﷺ واستغفار المؤمنين، وهما عنصر الأمان للمجتمع، والمعنى: ما كان الله ليعذبهم عذاب استئصال والنبي بين أظهرهم ؛ لأن ذلك خارج عن عادته تعالى غير مستقيم فى حكمه وقضائه [1] والدليل على أنَّه عذابُ استئصالٍ ، أنّه وَقَع عليهم العذاب والنبي ﷺ فيهم ، كالقحط . فعلِم أنَّ المراد به عذاب استئصال ، أي يعمهم بهلاكه ، ويأخذهم من أصلهم [2] و قوله تعالى : (وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)

إمّا أن يكون :

1-المراد باستغفارهم استغفار من بقي فيهم من المؤمنين .

2-أو قولهم (الكفار) اللهم غفرانك .

3-أو فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا.[3]

ويميل الطبري إلى التفسير الثالث[4] وإليه أشار الزمخشري.[5]

---

(2) انظر[اتحاف فضلاء البشر (79/2)].

(1) انظر[روح المعاني (187/9)].

(2) انظر[حاشية الشهاب (468/4)].

(3) انظر[تفسير البيضاوي (257/9)] .

(4) انظر[جامع البيان (238/9)].

(5) انظر[الكشاف (156/2)].

ثالثاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة (**فِيهُمْ**) بالضم تُفَسَّر على أنَّ وجود النبي ﷺ كصمام أمان لقومه من عذاب الله يمثل عظمة الرسول ﷺ عبد خالقه تعالى و عند أمته وهذا يتناسب مع ثقــل وقـــوة الضمة.[6]

في حين أنَّ قراءة (**فِيهِمْ**) بالكسر، تمثل عدم تقدير مكانة النبي ﷺ عند غير المؤمنين و أيضاً لخفة الكسرة وضعفها[7] فهي توحي بخفة وزن القوم الكافرين فلولا وجـــود النبي وثقل وزنه بينكم أيها الكافرون، لعذبكم الله العذاب الشديد الـــذي تســـتحقونه؛ وذلك لأنكم بكفركم لا وزن لكم عند الله سبحانه وتعالى.

رابعاً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين، أجد أنَّ كلَّ قراءة أعطت معنى يعضد المعنـــى الآخـــر. فقراءة الضَّم أوحت بِثِقل عظمة النبي ﷺ عند الله سبحانه وتعالى وأنَّ عادة الله وسنته جرت بأن لا يعذب قوماً وبينهم نبيهم ، إكراماً لنبيه، جرياً على عادته تعـــالى مـــع مكذبي أنبيائه أنْ لا يعذبهم وأنبياؤهم مقيمون فيهم عذاباً يستأصلهم فيه.[1]

و أرى أن قراءة الكسر أوحت بالمفهوم الآخر و هو عدم تقدير مكانة النبي ﷺ عنـــد غير المؤمنين، و بأن الكفار لا وزن لهم عند الله سبحانه وتعالى، وذلك بسبب كفرهم و الله أعلم.

14- ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ الأنفال

أولاً: القراءات:

1-قرأ حمزة ، والكسائي ، ورويس ، وخلف (**وَتَصْدِيَة**) بإشمام صوت الزاي .

---

(6) راجع ص70.

(7) راجع ص70.

(1) انظر[البحر المحيط (489/4)].

2-وقرأ الباقون (وَتَصْدِيَة) بالصاد الخالصة.[2]

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

تصدية من صدى بيده : أي صفق وهو ضرب اليد على اليد ، والصدى ما يردُّه الجبل أو غيره إلى المصوِّت مثل صوته[3] والتصدية: كل صوت يجرى مُجْرى الصدى الذي لا غناء فيه.[4]

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية:

نفى الله سبحانه وتعالى فى الآيات السابقة عن الكفار استحقاقهم أن يكونوا ولاة البيت الحرام ، فكان مناسباً أن يذكر هنا السبب وهو أنهم يصدون عن المسجد الحرام ، ثم ذكر سبباً آخر لاستحقاقهم العذاب ، فذكر من فعلهم القبيح الذى هو غاية فى الجهل ما يؤكد ذلك ، وأنَّ من كانت صلاته ما ذكر لا يستأهل أن يكونوا أولياءه.[5] وقد بيَّن الله سبحانه وتعالى أنَّ صلاة الكفار عند البيت الحرام ما هي إلا صفيرٌ وتصفيق. وعن مجاهد[1]: "أنَّ التصدية هي الصفير بالفم ، وقد يكون بالأصابع والكفِّ فى الفم" يريدون بذلك أن يشغلوا الرسول ﷺ عن الصلاة . فمن كان المكاء والتصدية صلاته فلا صلاة له ، فكان المكاء والتصدية نوع عبادة لهم.[2] والمكاء والتصدية لا يُعدَّان كفراً ، إلا إذا كانا صادرين للسخرية بالنبي ﷺ وبالدين.[3] (فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ) أي القتل والأسر يوم بدر ، وقيل عذاب الآخرة ، وقيل العذاب المعهود – لأن ال التعريف هي ال العهد – في قوله سبحانه (أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)[4][الأنفال:32] وذلك بسبب كفركم وضلالكم ، اعتقاداً وعملا.[5]

---

(2) انظر[اتحاف فضلاء البشر (79/2) ، فريدة الدهر (740/2)].

(3) انظر[المفردات في غريب القرآن ص790 ، منجد الطلاب ص399 .مادة صدى].

(4) انظر[مفردات ألفاظ القرآن ص481 مادة صدى].

(5) انظر[نظم الدرر (213/3) ، التحرير والتنوير (338/9)].

(1) تفسير الإمام مجاهد بن جبر (ت 102هـ)- ص354 – دار الفكر الإسلامي الحديثة – ط1 -1410 هـ -1989م.

(2) انظر[البحر المحيط (491/4-492) ، زاد المسير (108/2-109) ، مفاتيح الغيب (128/8)].

(3) انظر[التحرير والتنوير (339/9)] .

(4) انظر[إرشاد العقل السليم (319/3)].

(5) انظر[المقتطف من عيون التفاسير (337/2)] .

رابعاً: العلاقة التفسيرية للقراءات :

ألاحظ عند من قرأ بالصاد الخالصة، أنَّ الصاد من صفاتها الإستعلاء و الإطباق و الصفير و هي من صفات القوة، وهو الصوت القوي[6] فيكون تفسير الآية أنَّ صلاة الكفار كانت عند البيت مكاء أي صفيراً وتصدية أي تصفيقاً بصوت عالٍ، وعلى معنى من قال أنَّها صفير، يكون التصفير بصوت عالٍ، و في ذلك إيذاء للنبيﷺ أشد أمّا من قرأ بإشمام صوت الزاي، فالإشمام هو عبارة عن الإشارة إلى الحركة من غير صوت و ذلك بأن تجعل صورة النطق بالضمة دون التلفظ بها و لا تكون الإشارة إلا بعد سكون الحرف. [7]

فيكون التفسير: بأن صلاة الكفار كانت صفيراً وتصفيقاً بصوت خفي.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين أجد أنَّ كل قراءة أثرت في معنى الآية فالقراءة الأولى أفادت بأنَّ الصفير أو التصفيق كان بصوت مرتفع و عال، والقراءة الثانية أفادت بأنَّه كان بصوت خافت، و على ذلك يكون الصفير والتصفيق أحياناً بصوت خافت، وأحياناً بصوت مرتفع، أو أنَّه كان في البداية بصوت خافت ثم ارتفع شيئاً فشيئاً والله أعلم.

15- ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ الأنفال

أولاً : القراءات :

1- قرأ حمزة ، والكسائي ، ويعقوب ، وخلف العاشر **(لِيُمَيِّز)** بضم الياء الأولى ، وفتح الميم ، وكسر الياء الثانية مشددة ، مضارع " ميّز يميّز " مثل " كرّم يكرّم " مضعف العين .

---

(6) انظر[النشر (160/1)].

(7) انظر[المرجع السابق (9/2)، المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسينات): د. محمد التونجي، راجي الأسمر ص128 – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط1 – 1414هـ – 1993م – راجعه د.إميل يعقوب (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي المعجم المفسر)].

2- وقرأ الباقون (لِيَمِيْزَ) بفتح الياء الأولى ، وكسر الميم ، وسكون الياء الثانية مخففة مضارع " ماز يميز" [1] معتل العين.

ثانياً : المعنى اللغوي للقراءات :

ماز (يميز ميزاً) يقال ماز الشيء ، عزلَه وفرزه عن غيره ، فضّله على سـواه.
تميّــز انفصل عن غيره وانعزل ، ميّزت الأشياء ، إذا فرّقتها بعد المعرفة بهـا أي فرقت بينها والتثقيل مبالغة . [2]

ثالثاً : المعنى الإجمالي للآية :

لمّا ذكر الله – تعالى- حَشْرَ الكافرين فى جهنم في الآية السابقة لتلك الآية في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ٣٦﴾ **الأنفال** ، ذَكَر العلة فى ذلك فقال معلقاً بـــ (يحشرون): (لِيَمِيزَ ٱللَّهُ) [3] وفي معنى الآية ثلاثة أقوال :

أحدهما : ليميِّز أهل السعادة من أهل الشقاء أو يميز المؤمن من الكافر .

والثاني : ليميِّز العمل الطيب من العمل الخبيث .

والثالث : ليميِّز الإنفاق الطيب فى سبيله ،من الإنفاق الخبيث فى سبيل الشيطان.[1]

فمن ذلك نفهم أنَّ المعنى عامٌّ في كل شيء من الأعمال والنفقات وغير ذلك. [2]

وقوله تعالى (وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ) أي يجمع بعضه فوق بعض ، فمن قال أنَّ الخبيث : الكفار ، أي يجعل الكفار بعضهم فوق بعض ، ومن قال الخبيث : أموالهم فله قولان :

---

(1) انظر[النشر (184/2)].

(2) انظر[مفردات ألفاظ القرآن ص783 ، المصباح المنير- ص339 كتاب الميم مادة ميز ، منجد الطلاب ص756 مادة ماز] .

(3) انظر[نظم الدرر (216/3)].

(1) انظر[زاد المسير (210/2)].

(2) انظر[الجامع لأحكام القرآن (344/9)].

أحدهما : أنها أُلقيت فى النار ؛ ليعذَّب بها أربابها كما قال تعالى **(فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ)** [التوبة :35]

والثاني : أنهم لمّا عظَّمُوها فى الدنيا ، أراهم هوانها بإلقائها فى النار كما تُلقى الشمس والقمر فى النار ؛ ليرى من عبدهما دونه.(3)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب بعض العلماء إلى أن القراءتين من باب اللغات ، إلا أنَّ قراءة التشديد ، تفيد التكثير .

قال مكي بن أبي طالب(4): "هما لغتان ... وفي التشديد معنى التكثير"(5) وقال ابن زنجلة(6): " والتشديد إنمّا يدخل فى الكلام للتكثير" (7) لذلك نجد أنَّ في اخَتلاف القراءتين بياناً لأنواع التمييز. ومن قال بأن قراءة التخفيف بمعنى فرز ، وقراءة التشديد بمعنى إذا محّص الفرز(8) فتكون قراءة التشديد ليميّز من التمييز ، وهو أبلغ من الميز لزيادة حروفه(1) فهناك حالات يكون التمييز فيها واضحاً بين الإيمان والكفر، أو بين الأموال التى تنفق في سبيل الله والأموال التى تنفق في سبيل الشيطان، وهذه تناسبها قراءة التخفيف .وهناك حالات تحتاج إلى دقة وشدة في التمييز كتمييز المنافقين عن الصادقين المؤمنين، والدليل على ذلك أنَّه جمع الخبيث وإن اختلفت أصنافه في مجمعٍ واحد، وذلك لزيادة تمييزه عن الطيب، ولتشهير من كانوا يُسِرُّون الكفر ويظهرون الإيمان.(2)

خامساً: الجمع بين القراءتين:

---

(3) انظر[معاني القرآن : النحاس (426/1) ، زاد المسير (210/2)].

(4) سبقت له ترجمة ص 39.

(5) الكشف (369/1).

(6) عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة المقرىء ، أبو زرعة ، فقيه مالكي ، ترك عدة مؤلفات منها : كتابه الشهير حجة القراءات انظر[ترجمتة فى مقدمة تحقيق كتاب الحجة – سعيد الأفغاني ص 25 ، الأعلام (325/3)].

(7) الحجة : ابن زنجلة ص182.

(8) انظر[التحرير والتنوير (343/9)].

(1) انظر[روح المعاني (192/5)].

(2) انظر[التحرير والتنوير (343/9)].

بالجمع بين القراءتين أرى أن المعنى يصبح: إذا كان يوم القيامةِ ، سيجعل الله كل طائفة متفقةً فى العقيدة والعمل مع بعضها ، فيجعل المتقين فى جنات النعـيم ، ويجعل الكفار فى الجحيم ، والمنافقين فى الدرك الأسفل من النار ، وذلك ليفصل الله بين الخبيث الكافر ، و الطيب المؤمن ، ثم يجمـع الخبيـث (الكفـار والمنـافقين والأموال الخبيثة) فيجعل بعضهم على بعض ثم يقذف بهم في نار جهنم ، وفي ذلك زيادة فى التمييز لهم عن الطيب وأولئك هم الخاسرون والله أعلم .

16- ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٣٩ ﴾ الأنفال

أولاً : القراءات :

1- قرأ رويس (**بِمَا تعْمَلُونَ**) بالخطاب.

2- وقرأ الباقون (**بِمَا يَعْمَلُونَ**) بالغيب.(3)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

1- يَعْمَلُونَ مشتق من الفعل عمل عملاً أي صنع ومهن.(1)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

(**وَقَٰتِلُوهُمۡ**) عطـف علـى (**قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ**) [الأنفال:38] فى الآية السابقة، وأمَّا في هذه الآية عَمَّ الخطـاب لزيـادة ترغيـب المؤمنين فى القتال؛ لتحقيق ما يتضمنه قولُه سبحانه: (**فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ**)

(3) انظر[النشر (207/2)].

(1) انظر[مختار الصحاح : الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ص455 – دار الفكر – طرابلس – بيروت راجعه لجنه من علمـاء العربية (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي مختار الصحاح) ، منجد الطلاب ص499 مادة عمل ، المصباح المنير ص255 كتاب العين ، مادة عمل].

[الأنفال :38] من الوعيد (حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ) حتى لا يوجد فيهم شـــرك أو لا يوجد فيهم مشرك ، والفتنة بمعنى الكفـــر والضــــلال والابـــتلاء والمحنـــة .(2)

(وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ) وتضمحل الأديان الباطلة كلّها ،إمّا بهلاك أهلها جميعاً ، أو برجوعهم عنها خشية القتل (فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ) عن الكفر بقتالكم وانتهـــوا بمعنـــى كفُّوا(3) (فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ) أي أنَّ الله يجازيهم على انتهائهم عنه، و إسلامهم بحسب علمه.(4)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

1- من قرأ (**تعْمَلُونَ**) بتاء الخطاب

أ - يتناسب مع قوله تعالى فى صدر الآية (وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٌ) ومع قوله تعالى بعد : (فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ) [الأنفال:40]

ب- أن يكون الخطاب على الالتفات من الغَيْبة إلى الخطاب ، والالتفات ضربٌ من ضروب البلاغة (5) فيكون تفسير الآية على أنَّه خطاب للمسلمين المجاهـــدين ، أي أنَّ الله بصيرٌ بما تعلمون من الجهاد المخرج لهم إلى الإسلام ، فهي دعوة إلى دينه والإخراج من ظلمة الكفر إلى نور الإسلام حتى يجازيكم عليه أحسن الجزاء وتعليق الجزاء بانتهائهم للدلالة على أنهـــم يثـــابون بالســـببية، كمـــا يُثـــاب المباشـــرون بالمباشرة.(1)

2- من قرأ (**يَعْمَلُونَ**) بياء الغيب يتناسب مع قوله تعالى قبل:(فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ)(2)

ويكون تفسير الآية إن انتهوا عن الكفر بقتالكم لهم ، فإن الله يجازيهم على انتهـــائهم عنه وإسلامهم .(3)

---

(2) انظر[مختار الصحاح ص490 ، منجد الطلاب- ص535 -536 مادة فتن ، المصباح المنير ص274 كتاب الفاء مادة فتن].

(3) انظر[مختار الصحاح ص 683 ، منجد الطلاب ص846 من مادة نهى].

(4) انظر[روح المعاني (194/9) ، إرشاد العقل السليم (321/3) ، المقتطف من عيون التفاسير (339/2)].

(5) انظر[المغني فى توجيه القراءات (190/2)].

(1) انظر[روح المعاني (194/9) ، إرشاد العقل السليم (321/3)، الكشاف (157/2)، البحر المحيط : (495/4)].

(2) انظر[المغني في توجيه القراءات (191/2)].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين يكون تفسير الآية ، بأنَّ الله –سبحانه وتعالى– بصيرٌ بأحوال الكفار ومجازيهم على عملهم ، وكذلك بصير بما تعملون أيها المسلمون من جهادهم وحربهم وذلك بإخراجهم من الكفر إلى الإسلام بالجهاد والمقاتلة ، فأسلوب الالتفات إلى الخطاب أفاد معنى أعم وأشمل ، ودلّ على الاهتمام بشأن المخاطبين بحيث إنه أدخل الجميع فى المخاطبة، وهذا يدل على إعجاز القرآن.

17- ﴿ إِذۡ أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ٤٢ ﴾ الأنفال

أولاً : القراءات :

اختلف القراء في (**بِٱلۡعُدۡوَة**) في الموضعين :

1- أ- فقرأ:ابن كثير والبصريان(أبو عمر، ويعقوب) (بالعِدْوَة) بكسر العين فيهما.

ب_ وقرأ الباقون (**بِالْعُدْوَةِ**) بضم العين فيهما.

2- أ- قرأ المدنيان (نافع ،وأبو جعفر) ويعقوب وخلف والبزي وأبو بكر (**حيِيَ**) بياء ين ظاهرتين ، الأولى مكسورة والثانية مفتوحة .

ب_ وقرأ الباقون (قنبل ، أبو عمرو ، ابن عامر ، حفص ، حمزة ، الكسائي) (**حَيَّ**) بياء واحدة مشدَّدة.(1)

ثانياً : المعنى اللغوي للقراءات :

1- "**الْعُدْوَةِ**" مشتقة من الفعل عدا ومنه (**العُدَى**) الأماكن المرتفعة و (**الْعُدْوَةِ**) المكان المتباعد و(**الْعَدْوَةِ**) شاطىء الوادي وجانبه ، وقُرىء بضم العين ، فعليه

---

(3) انظر] روح المعاني (194/9) ، إرشاد العقل السليم (321/3)].

(1) انظر] النشر (207/2-208)].

يكون الجمع **عُدى** ، وهو اسم جمع للعدو ، وقرىء بكسر العين **(الْعِدْوَةِ)** فعليه يكون الجمعُ عِدى ، مثل لحية ولحى و**(العِدى)** أي الأعداء جمع عدو، المتباعدون الغرباء . شاطىء الوادي [2]

(والْعُدْوَةِ) ، **(والْعِدْوَةِ)** لغتان مشهورتان : فالضم لغة تميم وقيس ، والكسر لغة الحجاز وقريش[3] وسميت بذلك ؛ لأنها عدت ما في الوادي من ماء ونحوه أن يتجاوزها أي منعته.[4]

2-(حيي) حياةً ضد مات ويقال فيه : حيَّ يحيُّ بالإدغام والحياة نقيض الموت، وحيَّ : فعل بمعنى أقبل وعجل[5] والفك والإدغام لغتان مشهورتان.[6]

ثالثاً : التفسير الإجمالي للآية :

الحديث ما يزال عن وقعة بدر ، فالله تعالى بعد أن بيَّن حكم قسمة الغنائم ، بدأ بوصف حالة الجيشين ، ومواقع الصَّفين ، وقد وصف الله سبحانه وتعالى هذه المشاهد من يوم الفرقان (بدر) ؛ لتذكير المؤمنين بنعمه العظمى التى أنعم بها عليهم بالرغم من قلَّة عددهم وعدّتهم وضعفهم أمام المشركين ، وقوة شأنهم وتكامل عدتهم فقد نصرهم الله نصراً كبيراً[1] ليبيِّن لهم في هذه الحال أنَّ النصر ليس إلا من عند الله . والله سبحانه ذيَّل الآية السابقة (**وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**) [الأنفال :41] فَمِن آثار قدرته جلَّ شأنه ما شاهدتموه يوم التقى الجمعان.[2]

---

(2) انظر[مختار الصحاح ص419 ، منجد الطلاب ص464 مادة عدا ، المباح المنير ، مادة عدا ص237 ، والجامع لأحكام القرآن (382/10)].

(3) انظر[المزهر فى علوم اللغة وأنواعها : عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (277/2) – دار الفكر شرحه وعلق على حواشيه محمد أحمد جاد المولى وآخرون ، اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية ، تشيم رابين ، ترجمة د. عبد الكريم مجاهد ص252 -253 – دار الفارس – الأردن– ط1 -2002 م ، اللهجات العربية في القراءات القرآنية : د. عبده الراجحي ص251 – مكتبه المعارف – الرياض– ط1- 1420هـ -1999م].

(4) انظر[البحر المحيط (499/4) ، الدر المصون (609/5)].

(5) انظر[مجمل اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس ت395هـ (258/1) – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط2 -1406هـ – 1986م تحقيق عبد المحسن سلطان ، منجد الطلاب ص151 مادة حيي ، المصباح المنير ص96 كتاب الحاء مادة حيي].

(6) راجع القراءة في قوله (وحيي) في البحر المحيط (501/4) ، والمحرر الوجيز (534/2).

(1) انظر[نظم الدرر (220/3) ، التفسير المنير (16/3)] .

(2) انظر[روح المعاني (203/10)].

فقال : اذكروا أيها المؤمنون ذلك اللقاء الحاسم بينكم وبين المشـــركين ، واشـــكروه على نصره لكم ، عندما كنتم فى مواجهةٍ رهيبةٍ مع الأعداء ، إذ كنتم نازلين بجانب الوادي الأقرب إلى المدينة، **(وَهُم)** أي المشركون **(بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ)** .

(ٱلْقُصْوَىٰ): تأنيث الأقصى بمعنى الأبعد ، أي في جانب الوادي، الأخرى البعيدة من المدينة إلى ناحية مكة ، **(وَٱلرَّكْبُ)** أي العير الذى فيه أبو سفيان وأصحابه **(أَسْفَلَ مِنكُمْۚ)** في مكان أسفل من مكانكم –يعنى ساحل البحر– أي أسفل الوادي بثلاثة أميال. وقد ذكر المفسرون فائدة ذلك ؛ للدلالة على قوة العدو ، واستظهارهم بالركب . أي تقويتهم بهم ، لقربه منهم . فهم يدافعون عنه دفاع المستميت ، مما يقوي روحهم المعنوية ، وإظهار ضعف شأن المسلمين معلوم من الواقع ، لقلة عددهم واستبعاد غلبتهم ، ولذا ذكر مراكز الفريقين **(وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ)** أنتم وأهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال ، ثم علمتم حالكم وحالهم ، لاختلفتم فى الميعاد **(وَلَٰكِن)** جمع بينكم بلا ميعاد **(لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا)** أي ليقضي الله أمراً مفعولاً ، وهو نصر أوليائه ، وقهر أعدائه **(لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ)** **(وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍۗ)** والبينة : الحجة الظاهرة، أي ليموت من يموت عن بيّنة ، ويعيش من يعيش عن بيّنة ، لئلا يبقى لأحد على الله حجة بعد ما رأى من الآيات والعبر ، أو ليصدر كُفْر من كَفَر وإيمانُ من آمنَ عن وضوحٍ وبينة ، على أن الهلاك كناية عن الكفر ، والحياة كناية عن الإيمان والإسلام ، فقد جعل المهتدي بمنزلة الحي ، وجعل الضال بمنزلة الهالك . [1]

(1) انظر[معاني القرآن : النحاس (428/1)] .

(وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ) بأقوال وأفعال المؤمنين والكافرين ، وقد ختم بهاتين الصفتين ؛ لأن الكفر والإيمان يستلزمان النطق اللساني والاعتقاد القلبي فهو سميع لأقوالكم عليم بنياتكم ، ولا تخفى عليه خافيةٌ من باطن أو ظاهر [2]

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى:

1- لقد ذهب بعض أهل اللغة والتفسير إلى أنَّ القراءتين ترجعان إلى معنى واحد وهما لغتان مشهورتان بمعنى واحد [3]. فالحجة لمن ضم أو كسر أنهما لغتان معناهما جانب الوادي [4] ولكن لأنَّ الضم لا يُنطق إلا بانضمام الشفتين وارتفاعهما ولثقل وقوة الضم [5] فإنه يتناسب مع قراءة (**الْعُدْوَةِ**) بالضم ، فنفهم من هذه القراءة بأن مكان (**الْعُدْوَةِ**) كان مرتفعاً سواء الدنيا أو القصوى ، وهذا – في ظني- يتناسب مع المعنى اللغوي لهذه القراءة . في حين أنَّ قراءة الكسر (**الْعِدْوَةِ**) أفادت بأنَّ المسافة بين العدوتين كانت بعيدة و الله أعلم.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

يتبَّين لنا أنَّ المكانين اللذين نزل بهما الجيشان وهما العدوة الدنيا والعدوة القصوى كانا مرتفعين عن سطح الماء (شاطىء وادي بدر) وأنَّ المسافة بينهما بعيدة.

فكانت العدوة الدنيا أي العدوة التى من جهة المدينة ، أقرب لجيش المسلمين من العدوة التى من جهة مكة ، والعدوة القصوى هي التى مما يلي مكة وهى قصوى أي بعيدة بالنسبة لموقع بلد المسلمين .[1]

---

(2) انظر [جامع البيان (10/10-12) ، مدارك التنزيل (2/404-405)، البحر المحيط (4/501)، حاشية الشهاب (4/478-481)، فتح القدير (10/390-391) ، روح المعاني (10/204-205)، التفسير المنير (10/16-17)] .

(3) انظر[معاني القرآن : على بن حمزة الكسائي (ت189هـ) ص153 دار قباء للطباعة – القاهرة –1998م تقديم د. عيسى شحادة عيسى (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي معاني القرآن الكسائي) ، مجاز القرآن (1/146)، معاني القرآن : الأخفش (2/546) ، جامع البيان (10/10) ، روح المعاني (10/204)] .

(4) انظر[الحجة : ابن خالويه (94)].

(5) راجع ص70.

(1) انظر[التحرير والتنوير (10/16)] .

قال الشعراوي:"والعدوة شاطىء الوادي وجانبه – وهى جبل مرتفع ؛ لأن الجبال إذا كان بينهما فضاء يسمى هذا الفضاء وادياً ، فيكون الوادي هو الفضاء بين جبلين، ويكون المكان العالي الذى على يمين الوادي وعلى شماله عدوة".(2)

القراءة الثانية:

1- مَنْ اختار الإظهار فقرأ **(حَيِيَ)** بياءين فالحجة فى ذلك أنَّه أتى به على الأصل(3) ولأن الإدغام يؤدي إلى تضعيف حرف العلة وهو ثقيل في ذاته ، ولأن حركة الثاني **(حْيِىَ)** غير لازمة ، لأنك تقول فى المستقبل يحيا ، فيمتنع الإدغام في المضارع وهو يحيا، فأُجري الماضي على شاكلة المستقبل ، ولأن الحركتين مختلفتان في حييَ واختلاف الحركتين كاختلاف الحرفين لا يدغم.(4)

فتشير قراءة إظهار الياءين إلى أن **(وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ)** أي بالإسلام حياة هي في أعلى الكمال.(5) وذلك لأن الإظهار يدل على الكمال والزيادة .

2- ومن اختار التشديد **(حَيَّ)** فأدغم الياءين ، فالحجة له أنه استثقل اجتماع ياءين متحركتين ، فأسكن الأولى وأدغمها في الثانية ، ولأنَّ حركة الثانية لازمة ؛ لأنها حركة بناء ، ولا يضرُ زوالُها . أمّا إذا كانت حركة إعراب فالإظهارُ فقط (6) فيكون تفسير الآية على قراءة التشديد : **(وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ)** حياة فى أدنى الكمال ، فهذا يتناسب مع تخفيف الياء بالإدغام.(7)

الجمع بين القراءتين:

(2) تفسير الشعراوي (4712/8) .

(3) انظر[الحجة : ابن خالويه ص95].

(4) انظر[الدرالمصون (614/5) ، مدارك التنزيل (405/2)، روح المعاني (205/10) ، مجمع البيان (152/1)] .

(5) انظر[نظم الدرر (221/3)].

(6) انظر[الحجة : ابن خالويه ص95 ، الدر المصون (614/5)].

(7) انظر[نظم الدرر :(221/3)].

وبالجمع بين القراءتين يتبيَّن أنَّه من يحيا بعد ذلك ، فإنه يحيا حياة كريمة حياة بالإسلام هي في أعلى الكمال أو في أدنى الكمال حياة ناشئةعن حالة (**بَيِّنَةٍ**) أي: كائنة بعد البيان فى كون الكافرين على باطل ، والمؤمنين على حق.[1]

18- ﴿إِذۡ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلٗاۖ وَلَوۡ أَرَىٰكَهُمۡ كَثِيرٗا لَّفَشِلۡتُمۡ وَلَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٤٣﴾ الأنفال

أولاً: القراءات:

1- قرأ الأصحاب (حمزة، الكسائي، خلف)و البصري (يعقوب) (**وَلَوۡ أَرَىٰكَهُمۡ**) بالإمالة، و بالتقليل لورش بخُلفِهِ فله الفتح والتقليل.

2- وقرأ الباقون (**وَلَوۡ أَرَىٰكَهُمۡ**) بالفتح بدون إمالة.[2]

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

أراكهم: من الرؤية فهي من الفعل رأى، ومنه أراه الشيء أي جعل ينظر فيه.[3]

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

توضح الآية أنَّ الله سلّم القوم من الفشل و التنازع و ذلك بما أرى نبيه محمداً ﷺ في منامه أن الأعداء قلة، فأخبر بها أصحابه، فقويت نفوسهم و تشجعوا على حرب أعدائهم فكانت الرؤيا تثبيت لهم، ولو أراه الله العدو كثيراً، لفشل الصحابة رضوان الله عليهم و النبي ﷺ ، فجبنوا و خافوا، و لم يقدروا على حرب الأعداء، والله سميع لما يقول، عليم بما في القلوب، فهو يعلم ما سيكون فيها من الجرأة والجبن و الصبر والجزع و لذلك دبر ما دبر.[4]

رابعاً: العلاقة التفسيرية:

---

(1) انظر[نظم الدرر (221/3)] .

(2) انظر[النشر (208/2)، البدور الزاهرة ص161] .

(3) انظر[مفردات ألفاظ القرآن ص373 – 374 ، منجد الطلاب ص225] .

(4) انظر [جامع البيان (12/9–13)، صفوة التفاسير (501/1)، المقتطف من عيون التفاسير (342/2)].

1- الإمالة والفتح إحدى الظواهر اللغوية التي كانت متفشِّية بين القبائل العربية، والإمالة تنسب إلى القبائل التي كانت تعيش وسط الجزيرة وشرقها أمثال (تميم[1]، وقيس[2]، وأسد[3]، وطيء[4]، وبكر بن وائل[5]، وعبد قيس[6]) ، أما القبائل التي كانت تفتح هي التي كانت غربي الجزيرة العربية بما في ذلك قبائل الحجاز أمثال (قريش[7]، وثقيف[8]، وهوازن[9]، وكنانة[10]).[11]

وهناك رأيان للعلماء في أصل الفتح و الإمالة:

بعضهم يرى أنَّ كُلاً منهما أصل قائم بذاته، والبعض الآخر يرى أن الفتح أصل، والإمالة فرع عنه مع اتفاقهم على أنهما لغتان فصيحتان صحيحتان نزل بهما القرآن.[12]

وفائدة الإمالة: هي سهولة اللفظ وذلك أنَّ اللسان يرتفع بالفتح، وينحدر بالإمالة. والانحدار أخفُّ على اللسان من الارتفاع ، فلهذا أمال من أمال. وأما من فتح فإنَّه راعى الأصل.[13] ومن أمال إشعاراً بأن الألف الممالة تكون أصلية بدلاً من ياء، فالإمالة تترك في المسموع صوتاً يؤلفه نغم من صوتي الألف و الياء، لا تكاد تغلِّب

(1) تميم ينتسب إليها جماعة من الصحابة والتابعين إلى زماننا هذا ويرجع نسبهم إلى تميم بن مرّة انظر[الأنساب : للإمام أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التّميمي السّمْعاني (ت 562هـ) (478/1-481) دار الجنان – بيروت – لبنان – ط1 – 1408هـ- 1988م – تقديم : عبد الله عمر البارودي (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي الأنساب)].

(2) نسبة إلى قيس بن ثعلبة أو قيس بن مضر بن نزار انظر[الأنساب (575/4-578)].

(3) وهذه نسبة الأزد فيبدلون السين من الزاي والمشهور لهذه النسبة عبد الله بن مالك بن القط انظر[الأنساب (137/1)].

(4) نسبة إلى طيء واسمه : جُلْهُمَة بن أُدَدْ بن زيد بن يشجب ويرجع نسبهم إلى سام بن نوح انظر[الأنساب (35/4-40)].

(5) جماعة انتسبوا له وسمّوا البكريون منهم الأسود بن عامر البكري انظر[الأنساب (385/1)].

(6) نسبة إلى عبد القيس بن أفْصى بن دُعْميّ بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار انظر [الأنساب (135/4)].

(7) سميت قريش بهذا الاسم لتجمّعهم على قُصَيّ بن كِلاب ، وسمي قصيّ مُجَمِّعاً ، والتجمع : التقرُّش في بعض كلام العرب ، ويقال لقصي القريشي ولم تسمّ قريش قبله انظر[الأنساب (484/4-485)].

(8) نسبة إلى ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن غيلان بن مضر ، وقيل أن اسم ثقيف قسي ، ونزلت اكثر هذه القبيلة بالطائف وانتشرت بالبلاد انظر[الأنساب (508/1-511)].

(9) هوازن نسبة إلى هَوْزَن ، وهو بطن من ذي الكلاع بن حمير ، نزلت الشام ، والهوزن في العربية الغبار ، وقيل نوع من الطّير انظر[الأنساب (656/5)].

(10) و ينتسب إليها عدة من القبائل منها كنانة قريش ينسبون إليها انظر [الأنساب (98/5-99)].

(11) انظر[اللهجات العربية: د.إبراهيم أنيس – ص60، النشر (24/2)].

(12) انظر[النشر (25/2)] .

(13) انظر[المرجع السابق (28/2)] .

أحدهما على الآخر، و هكذا فالإمالة تؤلف مع غيرها من الظواهر اللغوية في سياق التلاوة القرآنية مجموعة من الإيقاعات في المسموع الصوتي في كل اختيار من اختيارات القراء.[1] وهذا من الإعجاز الموسيقي في القرآن، وبالإضافة إلى سهولة وعذوبة الإمالة فإنَّ الفعل أراكم نلاحظ أن فاء الفعل مفتوحة دائماً في الفعل الماضي الثلاثي و ذلك حتى يحصل للمتكلم العذوبة في اللفظ و يصغي السامع إليه، لأنس المسامع بالأخف.[2] فاجتمعت الإمالة مع ما ذكرنا سابقاً فناسبت ما أراه الله لرسوله ﷺ في المنام من قلة عدد الكفار فكانت هذه الرؤيا تحمل طابع اللين والرقة والرأفة والرحمة للرسول ﷺ وللمؤمنين وذلك لأنَّ الإمالة تكون في موضع اللين والخطاب الرقيق، و يتركها القارئ في موضع التهديد و الإنذار.[3]

خامساً: الجمع بين القرائتين:

بالجمع بين القرائتين يتبين لنا أنَّ كل قراءة قد أثرت في معنى الآية فالإمالة قد حملت طابع اللين والرقة و الرحمة من الله للمسلمين ولرسوله ﷺ والتي ظهرت أيضاً من خلال سياق التلاوة القرآنية فأعطت مجموعة من الإيقاعات والأنغام الصوتية التي تدل على الإعجاز الموسيقي في القرآن. في حين أن قراءة الفتح فيها تذكير للرسول ﷺ وللمؤمنين بنعمة الله العظيمة عليهم فكانت الرؤيا سبباً من أسباب النصر العظيم في غزوة بدر، فهي تحمل في مضمونها طابع الإنذار للمسلمين أن لا يعتقدوا أنَّ النصر من عندهم بل هو من عند الله وهذا المفهوم جاء مناسباً مع قراءة الفتح بالراء المفخمة والله أعلم.

---

(1) انظر [وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن: د.محي الدين رمضان – ص88-89 – دار الفرقان للنشر والتوزيع – عمان – الأردن – جبل الحسين – ط1- 1402هـ-1982م (و حيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي الإعجاز الموسيقي)].

(2) انظر [أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب: دراسات لسانية و لغوية: د.عصام نور الدين – ص192- المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع – ط1 – 1402هـ – 1982م (و حيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب].

(3) انظر [المعجزة الكبرى ص49].

19- ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ ﴾ الأنفال

أولاً: القراءات:

1- قرأ ابن عامر ، وحمزة ، والكسائي، ويعقوب ، وخلف**(تَرْجِعُ الأمُــورُ)** بفــتح حرف المضارعة وكسر الجيم .

2- وقرأ الباقون **(تُرْجَعُ الأمُورُ)** بضم حرف المضارعة وفتح الجيم.(1)

ثانياً : المعنى اللّغوي للقراءات :

1- **رجَع** : انصرف ، عاد **(تُرْجع)** تصير ، والرجوع نقيض الذهاب ، ويتعـدى بنفسه في اللغة الفصحى فيقال : رجعته عن الشيء وإليه .

والرجوع : العود إلى ما كان منه البَدْء ، والرَّجع : الإعادة والرَّجعة ، والرِّجعــة ، في الطلاق وفي العَوْد إلى الدنيا بعد الممات .(2)

ثالثاً : التفسير الإجمالي للآية :

واذكروا أيها الرسول والمؤمنون الوقت الذى يريكم الله الكفار قبل القتال عدداً قليلاً في رأي العين المجردة ، وفي ذلك تصديق لما أخبركم به النبي ﷺ في رؤياه كما في قوله تعالى : **(إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا)** [الأنفال :43] ويجعلكم قلة في أعين الكفار قبل اللقاء ، فيغتروا ، ولا يعدّوا العُدة لكم **(لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا)** أي فعل ذلك حتى يمهد للحرب ، فيُقتل المشركون ويُعز الدين ، وفي هذا المقام إتمام النعمة على المسلمين ، **(وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ)** أي إلى الله مصير

---

(1) انظر[النشر (157/2) ، اتحاف فضلاء البشر (80/2)].

(2) انظر[مفردات ألفاظ القرآن ص342 ، تهذيب الصحاح محمود بن أحمد الزنجاني (488/2) – دار المعارف بمصر – تحقيــق عبد السلام محمد هارون – أحمد عبد الغفور عطار ، المصباح المنير ص134 ، منجد الطلاب ص232] .

الأمور ومردّها.[1]

رابعاً : العلاقة التفسيرية بين القراءات :

لقد أفادت قراءة **(تُرْجَعُ الأمُورُ)** بضم التاء وفتح الجيم المبني للمفعول من رجع المتعدي أي يرجعها ، راجعٌ إلى الله – سبحانه وتعالى- ، والذي يرجعها هو الله فهو يرجعها إليه .

أما قراءة **(تَرْجِعُ الأمُورُ)** بفتح التاء وكسر الجيم ، فهى مبنية للفاعل حيث وقع في القرآن من **(رجع)** اللازم ، وذلك لأن **(رجع)** يكون لازماً ومتعدياً.[2]

فيكون التفسير أي: ترجع بنفسها إلى الله ، ورجوعها هو برجوع أسبابها.[3]

خامساً: الجمع بين القراءتين:

والمعنى : ولا عجب في ما كوّنه الله من رؤية الجيشين على خلاف حالهما في نفس الأمر ، فإنّ الإراءة المعتادة ترجع إلى ما وضعه الله من الأسباب المعتادة ، والإراءة غير المعتادة راجعة إلى أسباب يضعها الله عند إرادته.[4]

20- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ **الأنفال**

أولاً : القراءات :

1- قرأ أبو جعفر **(فِيةً)** بإبدال الهمز ياء أي بالتسهيل .

2- وقرأ الباقون **(فِئَةً)** بالهمز.[1]

ثانياً : المعنى اللغوي للآية :

---

(1) انظر[الجامع لأحكام القرآن (383/10) ، التفسير المنير (18/10)] .

(2) انظر[النشر (157/2)] .

(3) انظر[التحرير والتنوير (29/10)] .

(4) انظر[المرجع السابق (28/10)] .

(1) انظر[النشر (308/1)] .

سبق ذكره.[2]

ثالثاً : التفسير الإجمالي للآية :

بعد أن ذكر الله سبحانه نعمه على رسوله وعلى المؤمنين يوم بدر _ قفَّى على ذلك آداب اللقاء ، وطريق الشجاعة عند مواجهة الأعداء . فقال سبحانه (**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ**) أي إذا لقيتم فئة من أعدائكم الكفار فاثبتوا لقتــالهم ، ولا تولُّوهم الأدبار ، ولا تحدثوا أنفسكم بالفرار (**وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا**)أي أكثروا من ذكر الله في أثناء القتال في قلوبكم ، وبألسنتكم ، وادعوا الله بالنصــر علــيهم ، والظُّفر بهم .(**لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ**) لعلكم تظفرون بمرادكم من النصر ، والظفربهم والأجر والثواب عند الله.[3]

رابعاً : العلاقة التفسيرية بين القراءات :

القراءتان عبارة عن لغات .

1- فتحقيق الهمزة لغة تميم وقيس ، وتخفيفها هو لغة قريش ، وأكثر أهل الحجــاز والهمزة فيها ثقل [4] وهي للحالات الثقيلة النادرة فمن قرأها بالهمز أرى أنه يتناسب ثقلها مع ثقل الفئة التى أمامه ، أي إذا حاربتم أيها المؤمنون جماعة من الكفار مهما كانت قوية وثقيلة الوزن ، فاثبتوا لقتالهم ولاتفروا.

أما قراءة التسهيل : يكون المعنى أنَّه إذا حاربتم أيها المؤمنون جماعة من الكفــار قليلة ، فاثبتوا لقتالهم ايضاً ولا تستهينوا بهم.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين أرى المعنى أنَّ على المؤمنين الثبات أمــام جماعــة الكفار مهما كان عددهم ، سواء كثرة أم قلة وأن لا يفرُّوا من أمامهم والله أعلم.

---

(2) راجع ص84.

(3) انظر[جامع البيان (14/10) ، مدارك التنزيل (406/2) ، نظم الدرر (224/3)].

(4) راجع ص70.

21- ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ الأنفال

أولاً : القراءات :

1- قرأ البزي (وَلَا~ تَّنازَعُواْ) مع المد المشبع وصلاً وتشديد التاء .

2- وقرأ الباقون (وَلاَ تَنَازَعُواْ) بدون مد وبدون تشديد التاء أي بحذف أحد التاءين.[1]

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

" **تَنَازَعُواْ** " مشتق من الفعل نزع ، يقال نزع الشيء من مكانه نزعاً بمعنى قلعه و (تنازع القوم) : اختلفوا ، تخاصموا .[2]

لاَ : في هذا الموضع حرف يُستخدم في النهي.[3]

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

لما ذكر الله تعالى أنواع نعمه على الرسول وعلى المؤمنين يوم بدر ، علَّمهم آداب الإلتقاء بالجماعة من المحاربين ، أكّد على ذلك في هذه الآية بقوله (**وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ**) فهنا أمرهم بطاعة الله فيما يأمرهم به . وطاعة رسوله فيما يرشد إليه ، ثم نهاهم عن التنازع ؛ وذلك لأنه يوجب أمرين :

أحدهما: (**فَتَفْشَلُوا۟**) الفشل والضعف .

والثاني : قوله تعالى (**وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**) أي تذهب دولتكم وتنقطع [1] فيقال: هبت

(1) انظر[النشر (175/2) ، (208/2)].

(2) انظر[كتاب المُغرِّب في ترتيب المعرب : أبو الفتح ناصر بن عبد السيد بن على المطرزي الفقية الحنفي الخوارزمي ت 616هـ – ص 448 – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان ، المنجد ص784 مادة نزع ، المصباح المنير – ص365– مادة نزع].

(3) راجع ص102.

(1) انظر[مجاز القرآن (247/1)] .

ريح فلان : إذا دانت له الدولة ، وقيل : المقصود بالريح النصر [2] أي نصـــركم ، فتكون الريح هنا على الحقيقة ، فإنَّ النصرة لا تكون إلا بريح يبعثها الله تعالى من جانب المقاتلين في وجوه الأعداء ، فيكون الريح لنصرة من يهب بجانبه ، ولعدمـــه لمن قابله ، وفي الحديث[3] **(نُصِرت بالصّبا وأُهلكتْ عادٌ بالدبور)**[4]**(وَٱصۡبِرُوٓاْ)** على شدائد الحرب ، **(إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ)** يمدّهم بمعونته وتأييده ، فمن كان الله معه فلا غالب له ؛ لأنّ هذه المعيّة هي الضمان للصابرين بالفوز والفلاح.[5]

رابعاً : العلاقة التفسيرية بين القراءات :

1- من قرأ **(وَلَا تَنَازَعُواْ)** بدون مد مشبع ، جاء على أصل الفعل تتنازعوا ، ولكن حذفت تاء الفعل للتخفيف ، وبقيت تاء المخاطب ؛ لأن الحاجة أمسُّ ؛ ليبقى الفعـــل مستقبلا.[6]

فحذف الحدث وعدم تشديد التاء يدل على :

أ – قلة تنازع المؤمنين بشكل عام .

ب- كما أنه نهي للمؤمنين عن التنازع عن أي أمر مهما كان قليلاً .

2- أما من قرأ بالمد المشبع مع تشديد التاء وصلاً **(وَلَا~ تَّنَازَعُواْ)** فالمد فيه إطالـــة زمن ، وزيادةٌ فى النهي ، فهنا ينهاهم الله سبحانه وتعالى عن التنازع نهيـــاً شـــاملاً

---

(2) انظر[معاني القرآن : النحاس ص429] .

(3) أخرجه البخاري انظر[فتح الباري (520/2 رقم 1035) ،(300/6 رقـم 3205) و(376/6 رقـم 3343) و(399/7 رقـم 4105) متفق عليه، من طريق مجاهد عن ابن عباس] .

(4) الصبا هي ريح ويقال لها القبول لأنها تقابل باب الكعبة ، إذ مهبها من شرك الشمس وضدها الدّبور وهـــي أشـد مــن الصـبا ، وهـــي التىأهلكت بها قوم عاد ، ومن لطيف المناسبة كون القبول نصرت أهل القبول وكون الدبور أهلكت أهل الإدبـار انظـر[فـتح البـاري (521/2) ، النهاية في غريب الحديث والأثر : مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجـزري ابـن الأثيـر ص296- دار ابـن الجوزي – ط2 – ربيع الأول 1423 هجري – المملكة العربية السعودية – جدة – الرياض – قدم له علي بن حسن بن علي بـن عبـد الحميد (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي النهاية في غريب الحديث)].

(5) انظر[جامع البيان (15/10) ، المحرر الوجيز (536/2-537) ، حاشية الشهاب (484/4-485) ، مفاتيح الغيب (137/15-138)، نظم الدرر: (224/3)].

(6) راجع ص103.

يشمل التنازع في الحرب أو في غير الحرب ، ويشمل التنازع فيما بينهم ، ومراجعة بعضهم بعضاً . والتشديد فيه مبالغة في النهي .

والنهي عن التنازع أعمّ من الأمر بالطاعة لولاة الأمور ، لأنهم إذا نهوا عن التنازع بينهم . فالتنازع مع ولي الأمر أولى بالنهي.(1)

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين أرى أن كلاً منهما أوحت بمفهوم قد أثرى في تفسير الآيــة ، فقراءة عدم المد المشبع ، أوحت بعدم التنازع بشكل عام ومهما كان الأمر بســيطاً ، وقراءة المد والتشديد أكَّدت على النهي عن التنازع وشدَّدَت في ذلك ، فكــان نهيــاً عاماً شاملاً.

22- ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ ﴾ الأنفال

أولاً : القراءات :

1- قرأ أبو جعفر (**رِياء**) بإبدال الهمز ياء.

2- وقرأ الباقون (**رِئَاء**) بالهمز.(2)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(**رِئَاء**) من الفعل رأى ، يرى : أي نظر بالعين أو بالعقل(البصيرة) ، وأصل يرى يرأى ، ولا تستعمل على أصلها إلاّ نادراً . ومنه (راءيته مراءاةً ورئاء) أي أريُتــه خلاف ما أنا عليه و(الرئاء) التظاهر بخير دون حقيقة.(3)

---

(1) انظر[التحرير والتنوير (10/30-31)] .

(2) انظر[النشر (1/307) ، (2/208)].

(3) انظر[مفردات ألفاظ القرآن ص 373 -374 ، منجد الطلاب ص 225] .

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

(وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا) بطراً أي تكبراً.[1]

فنهاهم الله تعالى عن التشبه بالمشركين في خروجهم من ديارهم بطراً (وَرِئَاءَ ٱلنَّاسِ) أي المفاخرة والتكبر عليهم فكان الحامل لهم على الخروج أمرين :

أولاً : من أنفسهم (بَطَرًا) .

ثانياً : من غيرها (وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ) كما قال أبو جهل حين قيل له إنَّ العير قد نجا فارجعوا ، فقال: " لا والله لا نرجع حتى نَرِد بدراً ، فنقيم بها ثلاثاً فننحر الجُزُر[2]، ونطعم الطعام ، ونسقى الخمر ، وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبداً.[3] فسُقوا مكان الخمر كؤوس المنايا الحُمُر ، وناحت عليهم نوائح الزمان (وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ) أي وهم بخروجهم يمنعون الناس عن دين الله تعالى وهو الإسلام (وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٌ) أي والله عليم بما جاءوا لأجله ، لذلك جازاهم عليها أشد الجزاء.[4]

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

من الملاحظ أن القراءتين عبارة عن لغات من لغات العرب ، فتحقيق الهمز : لغة تميم وقيس ، والتخفيف: لغة قريش وأكثر أهل الحجاز [5] ولكن بالرغم من أنها لغات؛ إلاّ أنَّ لها دلالاتٍ ، تفيد في إثراء المعنى ، فلأن الهمزة ؛ لثقلها تستعمل

---

(1) انظر[القاموس المحيط مادة بطر– ص449] .

(2) مفرد الجزور وهو ما يجزر من النوق أو الغنم أو البعير ، انظر[القاموس المحيط ص495 ، منجد الطلاب ص82 مادة جزر]

(3) انظر[الكامل في التاريخ : ابن الأثير (ت 630هـ)(2/ 18)– دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط1–1407هـ–1987 م تحقيق : أبو الفداء عبد الله القاضي ، تاريخ ابن خلدون المسّمى بكتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ، في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت سنة 808 هـ) – (20/2) – دار الفكر – بيروت – لبنان – ط–1399 هـ – 1979م، السيرة النبوية : ابن هشام (201/2)].

(4) انظر[تفسير القرآن العظيم (307/2) ، نظم الدرر (226/3)].

(5) راجع ص86–87.

للحالات الثقيلة والنادرة[6] يتضح من قراءة تحقيق الهمز أنَّ هذه الصفة (رِئَاء) متمكنة فيهم ، فهم مجبولون على البطر والمفاخرة والعجب ، وأكد هذا المعنى كون (رِئَاء) جاءت اسماً وليس فعلاً كما في قوله تعالى (وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ) حيث إنَّ الاسم يدل على التمكين والاستمرار، في حين أن الفعل يدل على التجدد والحدوث[1] وأيضاً تدل القراءة على ندرة هذا الموقف ، حيث كان الأولى لأبي جهل ومن معه أن لا يكون منهم هذا الموقف ؛ لأن العير نجت من أيدى المسلمين . ولكنَّ عناد أبي جهل أبى إلا القتال.

أمَّا من قرأ بتخفيف الهمز وإبدالها ياء ، فالياء من حروف اللين ، وهي توحي بأن هذه الصفة ليست من صفات الرجال الأشداء ، بل مَنْ تكون به هذه الصفة ، يوجد به رعونة ، ومما يؤكد هذا المعنى ، أنه عندما عاد الرسول إلى أبي سفيان برد أبي جهل بالرفض قال أبو سفيان "واقوماه : هذا عمل عمرو بن هشام (يعني أبا جهل) كره أن يرجع ، لأنه ترأس على الناس فبغى ، والبغي منقصة وشؤم"[2]

أو احتمال أن يكون المعنى: أنَّ الله ينهاهم عن أدنى الرياء و ذلك لخفة الياء.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

أنَّ الله ينهاهم عن الرياء سواء كانت هذه الصفة متأصلة فيهم أم لا، فيمنعهم الله عن أي عمل بقصد المراءاة، والعمل الذي لا يُبتغى إرضاء الله فيه. فالمعصية مع الإنكسار أقرب إلى الإخلاص من الطاعة مع الافتخار.[3]

23- ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ ﴾ الأنفال

---

(6) راجع ص87.

(1) انظر[مفاتيح الغيب (139/15) ، دلائل الاعجاز ص133] .

(2)انظر [الظلال (1529/3) و لم أجد هذا الأثر إلا في الظلال].

(3) انظر[مفاتيح الغيب (139/15)].

أولاً: القراءات:

1- قرأ المدنيان (نافع وأبو جعفر) ،ابن كثير ، وأبو عمرو **(إِنِّــيَ أَرَى) (إِنِّــيَ أَخَافُ)** ياءات الإضافة بالفتح وقرأ الباقون **(إِنِّيْ~ أَرَى)** **(إِنِّيَ~ أَخَافُ)** بسكون ياءات الإضافة مع المد .[1]

2- **(بَرِيءٌ)** أ- أبدل أبو جعفر الهمزة ياء ، وأدغم الياء قبلها فيهـا بخلـف عنـه وتخفيف الهمزة في الوقف مشهور عند علماء العربية – وقد اختص حمزة بـذلك ، حيث إنَّ قراءته اشتملت على شدة التحقيق والترتيل والمد والسكت ، فناسب التسهيل في الوقف ، ولذلك روى عند الوقف بتحقيق الهمز إذا قرأ بالحدر .[2]

ب- وقرأ الباقون **(بَرِي~ءٌ)** بالهمز والمد

ج- ووقف هشام وحمزة [3] 1- بالإدغام مع السكون المحض

2- بالإشمام[4]

3- بالروم [5]

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

1- " **إِنِّــي**": **(إنّ)** إذا كانت بكسر الألف كان كالفعل والأداة ... معنـاه التثبـت للخبر الذى بعده .[6]

" **الياء**" هي ياء الإضافة ، والفرق بينها وبين ياءات الزوائد ، أنَّ هذه الياءات ثابتة في المصحف وتلك محذوفة ، وفي إصطلاح القراء : الياء الزائـدة الدالـة علـى

---

(1) انظر[النشر (208/2)].

(2) انظر[النشر (333/1)] .

(3) انظر[المرجع السابق (358/1-368)].

(4) الإشمام : هو عبارة عن الإشارة إلى الحركة من غير صوت ، بأن تجعل شفتيك على صورة النطق بالضمة دون اللفظ بها ، ولا تكـون الإشارة إلا بعد سكون الحرف انظر[النشر (90/2) ، المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات) : د. محمد التونجي ، راجـي الأسـمر ص681 – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط1- 1414هـ - 1993 م مراجعه د. إميل يعقوب].

(5) الروم : عبارة عن النطق ببعض الحركة وقيل : تضعيف الصوت بالحركة ، حتى يذهب معظمها ، وعند النحـاة عبـارة عـن النطـق بالحركة بصوت خفي انظر [النشر (90/2)].

(6) انظر[الصاحبى ص175]، و راجع ص68.

المتكلم... تتصل بكل من " الاسم والفعل والحرف " ... وتكون مع الحروف مجرورة المحل ، ومنصوبته نحو : "لي ، وإني" ، والخلاف في ياءات الإضافة عند القراء دائر بين "الفتح ، والاسكان" وهما لغتان فاشيتان عند العرب ، والإسكان فيها هو الأصل ، لأنها حرف مبني ، والسكون هو الأصل في البناء ، وإنمّا حُركت بالفتح؛ لأنها اسمٌ على حرفٍ واحد فقوي بالحركة ، وكانت فتحة لخفتها عن سائر الحركات.[1]

- (أَخَافُ) : من خاف – يخاف – خوفاً وخيفاً فزع ومنه " أخاف الطريق " أي أفزع.[2]

- (أَرَى) : من الفعل رأى ، يرى رأياً : أي نظر بالعين أو بالعقل.[3]

(بَرِيءٌ) "بروءاً وبراءً" من العيب أو الدَّين أي تخلَّص وسَلِم منه ، وتبرأ من الذنب: تخلَّص.

(والبرىء والبريّ) الخالص والخالي ، خلاف المذنب والمتّهم.[4]

ثالثاً : التفسير الإجمالي للآية :

(وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ) : أي اذكر أيها الرسول للمؤمنين حين زين الشيطان للمشركين أعمالهم ، حيث إنَّه جاءهم يوم بدر برايته وجنوده ، فألقى في قلوبهم أنهم لن ينهزموا ، وهم يقاتلون على دين آبائهم [5] وقال لهم : لا غالب لكم اليوم من المسلمين ، **(وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ)** أي معينٌ وحافظٌ لكم ، وأنا جارٌ لكم من بنى كنانة أن تأتيكم من ورائكم فأمنعكم منهم ، ولا تخافوهم . **(فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ)** أي لما قرَّب كلٌ من الفريقين المسلم والكافر ، ونظر بعضهم إلى بعض **(نَكَصَ عَلَىٰ**

---

(1) انظر[النشر (121/2) ، القراءات وأثرها في علوم العربية (119/1)] .

(2) انظر [القاموس المحيط- ص1045 مادة خوف ، منجد الطلاب- ص182 مادة خاف] .

(3) انظر[منجد الطلاب- ص224 مادة رأى] .

(4) انظر[القاموس المحيط – ص42 ، منجد الطلاب ص26 مادة برأ] .

(5) انظر[معاني القرآن : النحاس (429/1)] .

عَقِبَيۡهِ) أي : رجع بخزي على قفاه هارباً (وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ) تبرأ منهم ، وأيس من حالهم ، لما رأى إمداد الله تعالى المسلمين بالملائكة ، وكَذَبَ عدوّ الله ، فهو لا يخاف الله ؛ لأنه كافرٌ ، فلو خاف الله لعبده وأطاعه ، ولكنه ظنّ أنَّ الوقت الذى أُنْظر إليه قد حضر .

واحتمال أنَّه قال ذلك ؛ ليبرر سبب انهزامه من المعركة (وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ) فيجوز أن يكون من كلامه أو مستأنفاً من جهة الله عز وجل.(1)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

الفتح والإسكان في ياء الإضافة لغتان فاشيتان عند العرب ، وهما من التغييرات الصوتية ، وذلك أنَّ المقاطع الصوتية نوعان : متحرك وساكن ، فالمقطع المتحرك هو الذى ينتهي بصوت لين ، قصير أو طويل ، أما المقطع الساكن ، فهو الذى ينتهي بصوت مغلق.(2)

فمن قرأ بفتح الياء فيدل على أن الشيطان كأنه قالها مرة واحدة وفرَّ هارباً، والفتحة تدل أيضاً على الخفة، وهذا يدل على استخفافه بالقوم ، وأنَّ وعوده لهم وعود كاذبة فمجرد أن رأى المنظر نكص على عقبيه وولى هارباً متراجعاً إلى الوراء. أما من قرأ بالهمز والمد ، فالمد فيه طول زمن والهمز هو النبر ، وهو الضغط ، والضغط يعنى الضغط على الحرف ، مما يؤدي إلى ارتفاع الصوت بالكلام(3) و أرى أن هذا يدل على شدة خوف إبليس ، لدرجة أنَّ الخوف أثَّر على نبرة صوته ، فظلّ مستمراً في ترديده للكلام لمدة من الزمن مع ارتفاع في الصوت ، وهذا إن دلَّ فيدل على الحالة المرعبة التى مّر بها والله أعلم .

---

(1) انظر [جامع البيان (20/10) ، نظم الدرر (227/3) ، معاني القرآن وإعرابه : الزّجاج (420/2-421)] .

(2) انظر[علم وظائف الأصوات اللغوية الفونولوجيا: د.عصام نور الدين – ص 94 – دار الفكر اللبناني– بيروت ط1– سنة1992م].

(3) انظر[المرجع السابق ص175] .

أما (بَرِيءٌ) فلأن الهمزة فيها ثِقَل ، والمد فيه إطالة زمن ، فيدل ذلك على أن تبرأه تبرؤٌ كامل ، وأيضاً يدل على أنَّه تبرأ منهم بصوت عال ، واستمر في الكلام عدة مرات.

أمّا قراءة الإبدال مع الإدغام (بَرِيّ) فيدل على سرعة تبرؤ الشيطان من المشركين. فبمجرد أن رأى الفئتين تبرأ منهم، والتشديد يدل على الشدة التى كان بها الشيطان. أما مَنْ وقف عليها بالسكون المحض مع الإدغام، ومَنْ وقف بالروم، ومَنْ وقف بالإشمام، فهذا كلُّه- في رأيي- يدل على شدة الخوف والذعر الذى أثر على نفس الشيطان، مما جعل كلامه ليس على نبرة واحدة، بل على نبرات مرتجفة، وهذا زاد في أصوات التلاوة للنص ألواناً من الإيقاع ذات درجات والله أعلم.

24- ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ﴾ الأنفال

أولاً : القراءات :

1- قرأ ابن عامر (**إِذْ تتَوَفَّى**) بالتاء على التأنيث

2- وقرأ هشام على أصله (**إِذْ تّوَفَّى**) في إدغام الذال في التاء.

3- وقرأ الباقون (**إِذْ يتَوَفَّى**) بالياء على التذكرة.[1]

ثانياً : المعنى اللغوي للقراءات:

(**يتَوَفَّى**) مضارع من توفّى، وتوفاه الله: أماته، وتوفي فلان أي قبضت روحه ومات فالله (المُتَوفِّي)، والعبد (المُتَوَفَّى) ومنه استوفى حقه: أي أخذه تاماً وافياً. واستوفى حقه وتوفاه بمعنى واحد.[2]

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

---

(1) انظر[النشر (208/2)] .

(2) انظر[تحرير التنبية معجم لغوي : الإمام الحافظ شيخ الإسلام محى الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (631-676م) ص 214 – دار الفكر المعاصر – بيروت – لبنان – 1410هـ – 1990 م – تحقيق د. فايز الداية د. محمد رضوان الداية ، منجد الطلاب ص932 مادة وفى] .

شرح الله سبحانه أحوال الكافرين في الآيات السابقة ، ثم شرح أحوال موتهم في هذه الآية مخاطباً الرسول ﷺ وكل من له حظ في الخطـاب فقـال تعـالى: **(وَلَوۡ تَرَىٰٓ)** والمضارع هنا بمعنى الماضي أي لو رأيت **(إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ)** أي حين تستوفي الملائكة إخراج نفوس الكافرين، ممن قُتل في بدر ومن غيرهم، بعـد ذلك وقبله تفيض أرواحهم **(يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ)** أي يضربون ما أقبـل منهم وما أدبر ، يعني جميع أجسادهم ويقولون لهم **(وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ)** فهـي بشارة لهم بعذاب الآخرة وجواب (لو) محذوف تقديره لرأيت منظراً هائلاً فظيعاً(1)، و ترك الجواب حتى يتخيل كل إنسان ما سيكون له.

رابعاً : العلاقة التفسيرية بين القراءات:

من قرأ **(تَتَوَفَّى)** بالتاء على تأنيث فهو لتأنيث الجماعـة ، أي جماعـة الملائكـة . وعلى هذه القراءة يكون الفاعل (الملائكة).(2) وعبَّر بجمع الملائكة وملـك المـوت واحدٌ إذ له على ذلك أعوان من الملائكة(3) فيكون المعنى: ولو ترى يا محمد وقـت قبض الملائكة لأرواح الكفار ، وقد وجَّه النحاة قراءة ابن عامر هذه على أنَّـه قـد أُنِّث الفعل ؛ لكون الفاعل وهو الملائكة مؤنثاً ، ولعدم وجود فاصل بينهما ، ولكون الفعل مؤنثاً معها في غير هذا الموضع.(4)

من قرأ **(يَتَوَفَّى)** بالياء على التذكير:

1- فلأن الفاعل (الملائكة) مؤنث مجازي ، يجوز تأنيث الفعل وتذكيره ، وللفصل بين الفعل والفاعل فلتقديم فعل الجمع ذُكّر هنا ، فالمراد جمع الملائكة كما نقول "قال الرجال" أي جمع الرجال.

2- وقال بعض من قرأ هذه القراءة : إنَّ المعنى إذ يتوفى الله الذين كفروا .

---

(1) انظر[مفاتيح الغيب (143-142/15) ، التحرير والتنوير (9/40-41)] .

(2) انظر[المستنير (216/1) ، كتاب معاني القراءات ص200].

(3) انظر[المحر الوجيز (540/2)] .

(4) انظر[ما انفرد به كل من القراء السبعة وتوجيهه في النحو العربي : عبد القادر الهَيْتـي – ص150 –دار الكتـب الوطنيـة – منشورات جامعة قانيونس – بنغازي – ط1 – 1996 م] .

(والملائكة) رفع بالابتداء و(**يَضْرِبُونَ**) خبره ، والجملة في موضع حال.[5]

أمّا من قرأ بإدغام الذال في التاء (**إِذْ تَّوَفَّى**) فأرى أنَّ التشديد يوحي بالشدة والصعوبة التى يلاقيها الكافر ، عندما تَقْبض روحَهُ الملائكة ، وفيها مبالغة في العذاب على الكافر والله أعلم.

خامساً : الجمع بين القراءات :

بالجمع بين القراءات ، نجد أنَّه لا تعارض بين القراءات ، فالله سبحانه وتعالى يأمر ملك الموت بقبض الأرواح ، وملك الموت يقبض الأرواح ، ومعه من يُساعده من الملائكة الآخرين .

وبالجمع بين قراءة الإدغام والإظهار:

منهم من أدغم الذال والتاء وهما حرفان متقاربان فأدغم المتقاربين ، ومعلومٌ أنَّ أسباب الإدغام التماثل والتقارب والتجانس ، فالذال من حيث المخرج ، تخرج من ظهر اللسان عند احتكاكه برؤوس الثنايا العليا ، والتاء من حيث المخرج من ظهر حرف اللسان عند التصاقه بأصول الثنايا العليا ، فالفريق الذي أظهر راعى الأصل وهذا لونٌ من الجمال ، والفريق الذي أدغم ، ظفر بميّزة الإدغام ، وهو طلب التيسير والتخفيف وهذا لون آخر من الجمال ، حيث يصعب الانتقال من نطق المقارب إلى مقاربه مُظهراً.[1] ولابن خالويه الحجة لمن أظهر ، أنَّه أتى بالكلمة على أصلها، واغتنم الثواب على كل حرف منها[2]، ويقتضي كلام ابن خالويه ، أنَّ القارىء بالإدغام محروم من هذا الثواب ، إذ إنَّ الحرف بعد إدغامه عُدِم وكأنه لم يكن . وهذا غير صحيح فالحرف في سياقه وبيئته الصوتية كائن حي ، يؤثر ويتأثر ويتكيف ، وهو عند إدغامه في المماثل أو المقارب أو المجانس ما فعل شيئاً، إلا أنَّه ناظر لاحقه وأصبح مثيلاً له ، فهو موجودٌ بَيْد أنَّ وجوده بعد إدغامه مقترنٌ بالانسجام والتناغم والجمال.[3]

---

(5) انظر[الدر المصون (5/618-619) ، المحرر الوجيز (2/540) ، كتاب معاني القراءات ص200].

(1) انظر[التوجية اللغوي والبلاغي : د. صبري ص33-34].

(2) انظر[الحجة : ابن خالوية ص29].

(3) انظر[التوجية اللغوي : د. صبري ص39].

25- ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ الأنفال

أولاً : القراءات:

1- قرأ حمزة ويعقوب (إِلَيْهُمْ) بضم الهاء .

2- وقرأ الباقون (إِلَيْهِمْ) بكسر الهاء.[1]

ثانياً : التفسير الإجمالي للآية :

(وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ) أي من بدرت منه بوادر تؤذن بأنَّه سينقض العهد ، فحكمه أن يطرح الرسول ﷺ إليهم عهدهم ، ويعلمهم قبل حربهم أنه قد فسخ العهد بينه وبينهم بقوله لهم قد نبذت إليكم عهدكم ، وأنا مقاتلكم حتى يكون هو وهم في العلم بنقض العهد سواء ؛ وذلك حتى لا يتهموه بالغدر والخيانة (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ) أي إنَّ الخيانة مبغوضةٌ بجميع ضروبها، ولا وسيلة لاتقاء ضررها من الكفار إذا ظهرت، إلا بنبْذ عهدهم جهرة .[2]

ثالثاً : العلاقة التفسيرية بين القراءات :

قراءة الضم في (إِلَيْهُمْ) من لغة أهل الحجاز [3] فلثقل الضم توحي بثقل العهد المشعِر به الكلام ، فكانت قوة الحركة وهي الضمة مناسبة لقوة العهد ، وندرة هذه الحركة في هذا الموطن مناسبة لندرة نبذ العهد في مثل هذا الموطن.[4] والله أعلم.
أمَّا من قرأ بالكسر فهي لغة من لغات العرب ، وأمّا الثِّقل يدل على استعمال القوة مع الناقضين للعهد ، وذلك بسرعة النبذ القطع عليهم طريق الخيانة قبل وقوعها.

---

(1) انظر[فريدة الدهر (749/2)] .

(2) انظر[معالم التنزيل (216/2) ، تفسير المراغي (22/10)] .

(3) راجع ص 68.

(4) انظر[ص70 ، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص119].

والحكمة من ذلك أنَّ الإسلام لا يبيح الخيانة مطلقاً في الآية ، إيماناً بأنَّ ما أوجبه الإسلام من المحافظة على العهود مع الأعداء المخالفين في الدين ، وما حرَّمّه من الخيانة فيها ، لم يكن عن ضعفٍ ولا عن عجز ، بل عن قوة وتأييد إلهي.(5)

رابعاً: الجمع بين القراءتين:

قراءة الكسر : تدل على عدم الاكثرات إليهم ، وكأنه لا يُنبذ ولا يُرمى إلا الشيء التافه الذى لا يبالى به(1)، وقراءة الضم تدل على : قوة العهد واستعمال القوة مع النَّاقضين، والله أعلم .

26- ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ ٥٩ ﴾ الأنفال

أولاً : القراءات :

1- قرأ ابن عامر وحمزة ، وحفص ،وأبو جعفر وإدريس بخُلف عنه عن خلف **(ولاَ يَحْسَبَنَّ)** بياء الغيب وفتح السين .

وقرأ شعبه **(ولاَ تَحْسَبَنَّ)** بتاء الخطاب وفتح السين.

وقرأ باقي العشرة (**ولاَ تَحْسِبَنَّ**) بتاء الخطاب وكسر السين(2)

2- قرأ ابن عامر **(أَنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ)** بفتح الهمزة على إسقاط لام العلة أي سبقوا ؛ لأنهم لا يعجزون .

وقرأ الباقون **(إِنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ)** بكسر الهمزة على الاستئناف.(3)

ثانياً : المعنى اللغوي للقراءات :

(**يَحْسَبَنَّ**) مشتق من الفعل حسب ، حسبه وحسباناً وحساباً أي: عدَّه وظنه ومصدره الحُسْبان.(4)

---

(5) انظر[تفسير المراغي (23/10)] .

(1) انظر[البحر المحيط (509/4)] .

(2) انظر[النشر (208/2) ، اتحاف فضلاء البشر (82/2) ، الكافي ص104-105 ، المبسوط ص130 ، الجوهر المصون في رواية قالون ص106 – تحقيق السيد هادى بن حسن بن عبد الرحمن بن حسن السَّقاف العَلَوي ابن حسن السقاف العلوي (1266-1329 هـ) – دار الحاوي – ط1 – 1417 هـ - 1997 م] .

(3) انظر[مراجع الهامش (2) بنفس الصفحات].

(4) انظر[مفردات ألفاظ القرآن ص234 ، منجد الطلاب ص119 مادة حسب] .

(**يُعْجِزُونَ**) والماضي عجز ، وأعجز الشيء : أي فاته ولم يقدر عليه عجَّزته تعجيزاً : أي جعلته عاجزاً.[5]

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

(**وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ**) أي لا يظن الكفار أنفسهم سابقين ، أي مفلتين وناجين من انتقامنا ، وعذابنا ، ويُقال : إنَّها نزلت فيمن أفلت من الكفار يوم بدر حيث ظنّوا أنهم خلصوا من القتل والأسر يوم بدر، كلاّ ، فإنهم لن يفلتوا من قبضتنا(**إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ**) الله، أي لا يفوتونه ولا يعجزونه بهذا السبق في الانتقام منهم، إمّا في الدنيا بالقتل ، وإمّا في الآخرة بالعذاب الشديد.[1]

رابعاً : العلاقة التفسيرية للقراءات :

القراءة الأولى: قراءة ياء الغيب:

أ- إمّا أن يكون الفاعل مضمراً هو النبي ﷺ والمعنى : (**وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ**) والمفعول الأول (**ٱلَّذِين**) والمفعول الثاني جملة (**سَبَقُوٓاْ**) أو الفاعل محذوف اقتضاه المقام وتقديره : "وَلاَ يَحْسَبَنَّ أحد" أو "وَلاَ يَحْسَبَنَّ حاسب" فيكون المعنى: ولا يحسبن أحدٌ الذين كفروا سبقوا.

ب- وإمّا أن يكون الفاعل (**ٱلَّذِين**) على إضمار (أنَّ) الثقيلة أو المخففة منها ، وقيام جملة (أنّ) مقام المفعولين بعد تعليق (**تَحۡسَبَن**) عن العمل. والمعنى: ولا يحسبن الذين كفروا أنهم سبقوا. ويؤيد هذا الوجه قراءة ابن مسعود: (أنهم سَبَقُواْ)[2] أمّا قراءة (وَلاَ تحْسَبَنَّ) **بتاء الخطاب فهي:**

أ- على مخاطبة النبى ﷺ ، وإعراب (الَّذِينَ كَفَرُواْ) و(سَبَقُواْ) مفعولين ، والمعنى لا تحسبنَّ يا محمد ﷺ الذين كفروا سابقين ، أو لا تحسبن من أفلت من هذه الحرب قد سبق إلى الحياة .

---

(5) انظر[القاموس المحيط ص663 ، المصباح المنير ص235 ، منجد الطلاب ص466 مادة عجز] .
(1) انظر[البحر المحيط (510/4) ، تفسير الواضح (12/10)] .
(2) انظر[مفاتيح الغيب (147/15) ، البحر المحيط (510/4)] .

ب- أو الخطاب لكلِّ من يصلح له، أي لا تحسبن أيها المخاطب...، وهذا أولى لأنَّه ﷺ لا يحسب ذلك ثقة في ربه [3] وأمّا من قرأ بفتح السين وكسرها في (تحْسَبَنَّ) فهي لغتان من لغات العرب.[4]

خامساً: الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين بياء الغيب وتاء الخطاب، أجد أنَّ القراءتين سواء في الجمال وقوة التوجيه، فالآية خطاب للرسول ﷺ وللمخاطبين بأن لا يحسبوا الكفار سابقين، وأيضاً تهديد للكفار بأن لا يحسبنَّ أنفسهم سابقين و الله أعلم.

القراءة الثانية:

معنى قراءة فتح الهمزة (**أَنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ**) على إضمار اللام وحذفها لا يحسبن الكفار أنفسهم سبقوا ؛ لأنهم لا يعجزون : أي لا يفوتون [1] ومعنى قراءة كسر همزة (**إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ**) أن ذلك على الاستئناف والقطع ، وفيه معنى التأكيد على عدم العجز . والقراءتان بمعنى مع تنوع الأسلوب فيهما. [2] لكن مع ذلك فإن ، قراءة الكسر ، أفادت زيادةً في المعنى ، وهو التأكيد.

27- ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ الأنفال

أولاً : القراءات :

1- قرأ رويس (**تُرَهِّبُونَ**) بتشديد الهاء مضارع رهَّب مضعف العين .

---

(3) انظر[الكشف (493/1-494) ، التحرير والتنوير (54/10) ، القراءات وأثرها في التفسير ق1(565/2)] .

(4) انظر[المستنير (217/1)] .

(1) انظر[كتاب معاني القراءات ص201 ، المستنير (217/1)] .

(2) انظر[القراءات وأثرها في التفسير والأحكام ق2 (893/2)].

2- وقرأ الباقون (تُرْهِبُونَ) بتخفيف الهاء مضارع أرهب المزيد بالهمز .(3)

ثانياً : المعنى اللغوي للقراءات :

(تُرْهِبُونَ) من رهب رهباً ورهبةً أي خاف ومنه الراهب : الذى اعتزل الناس إلى دير طلباً للعبادة .

والرهيب والمرهوب ما يخاف منه.(1)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

أمر الله سبحانه في هذه الآية الكريمة المؤمنين بالاستعداد للحرب ، وذلك بإعداد ما استطاعوا من قوة ، وروي عن عقبة بن عامر أنَّه سمع النبي ﷺ وقد تلا هذه الآية يقول: **(ألا إنَّ القوةَ الرَّمي)**(2) وخص القوة بالرمى لأن معظم القوة وأنكاها للعدو الرمى.(3)

والآية الكريمة على اختصارها جمعت أنواع الإعداد للجيوش التى تتلاءم مع كل عصر وزمن ، وأيضاً من الاستعداد للحرب (رباط الخيل) يقول صاحب الكشاف: "الرباط اسم للخيل التى تربط في سبيل الله".(4)

ثم ذكرت الآية سبب الإعداد وهدفه وهو إرهاب عدو الله وعدو المسلمين من الكفار، وإرهاب العدو الخفي الموالي لهؤلاء الأعداء ، سواء أكان معلوماً لنا أم غير معلوم ، بل الله يعلمهم ، ولم يكن إعدادٌ ونصرٌ إلا بالمال ولا سبيل إليه إلاّ بالإنفاق كلٌّ على قدر طاقته وإن كان يسيراً **(يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ)** يؤدَّى بتمامه إليكم ، جزاؤه في الآخرة فالحسنة بعشر أمثالها ، والله يضاعف لمن يشاء ، ولا يمكن أن تقوم أمة

---

(3) انظر[النشر (208/2) ، الهادى شرح طيبة النشر في القراءات العشر والكشف عن علل القراءات وتوجيهها : د. محمد سالم محيسن (269/2) دار الجيل – بيروت – ط1 – سنة 1417هـ -1997 م(وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي الهادي)] .

(1) انظر[القاموس المحيط ص118 ، المنجد ص265] .

(2) انظر[المستدرك على الصحيحين (358/2) حديث رقم 384 ، وقال عنه الحاكم : " هذا صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجه البخاري "].

(3) انظر[البحر المحيط (511/4)] .

(4) الكشاف (165/2).

بهذا الإعداد الكامل ، ثم تُظلم من جيرانها أبداً ، وأنتم لا تظلمون كذلك في الآخرة بتضييع العمل أو نقص الثواب.[5]

رابعاً: العلاقة التفسيرية للقراءات:

قراءة (**تُرْهِبُونَ**) بتخفيف الهاء وتشديدها فلأن رهب يرهب رهبةً يعدى تارة بالهمز وتارة بالتشديد. فالتخفيف (**تُرْهِبُونَ**) من أرهب المزيدة بالهمزه والتشديد (**تُرَهِّبُونَ**) من رهّب المضاعف والمعنى واحد [1] إلاَّ أنَّ التشديد فيه مبالغة ، و تكرار للفعل فهو ترهيب بعد ترهيب تأكيد على فائدة الإرهاب من عدة أوجه :

1- باشتداد الخوف قد يلتزمون بالجزية إن لم يدخلوا في الإسلام .

2- قد يتركوا الكفر في قلوبهم ويصيروا مخلصين في الإيمان .

3- يخافهم المنافقون فيتركوا الفساد والتفريق فيما بين المسلمين ، ولا يعينون سائر الكفار .

4- يخاف المسلم كل من يعاديه ، مسلماً كان أو كافراً.[2]

أيضاً الكفار إذا علموا بما أعددتم للحرب من القوة ورباط الخيل ، خوَّفوا من يليهم من الكفار وأرهبوهم ، إذ يُعْلِمونهم ما أنتم عليه من الإعداد للحرب ، فيخافون منكم، وإذا كانوا قد أخافوا من يليهم منكم ، فهم أشد خوفاً لكم.[3]

28- ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾ **الأنفال**

أولاً : القراءات :

1- قرأ شعبه (أبو بكر) (**لِلسِّلْمِ**) بكسر السين .

---

(5) انظر[التفسير الواضح : د. محمد محمود حجازي (1/13-14) مطبعة الاستقلال الكبرى – القاهرة – ط6 – 1389هـ -1969م (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي التفسير الواضح) ، تفسير المراغي (10/24-26)] .

(1) انظر[معاني القراءات ص201].

(2) انظر[مفاتيح الغيب (15/149)] .

(3) انظر[البحر المحيط (4/512)] .

2- وقرأ الباقون (لِلسَّلْمِ) بفتح السين.(4)

ثانياً : المعنى اللغوي للقراءات :

السلم : مصدر سلم ، سلامة وسلاماً ، وقوم سِلمٌ وسَلَمٌ أي : سالمون ، الصلح ، السلام ، الإسلام . (5)

قال أبو عبيدة بن معمر بن المثنى، والأخفش **(السِّلْم)** بالكسر : الإسلام وبالفتح الصلح (1) وقيل **(السِّلْم)** اسم بإزاء الحرب والإسلام الدخول في السِّلم بكسر السين وهو أن يَسْلم كل واحد منهما أن يناله من ألم صاحبه.(2)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

بعدما أمر الله تعالى بإعداد العدة لإرهاب الأعداء والاستعداد التام للحرب ، أمر هنا بالصلح القائم على العزة والكرامة فقال ما معناه : وإن مالوا إلى السلم – ميل القاصد إليه – وطلبوا عقد الهدنة والأمان ، فأعطهم ما طلبوا ، وتوكل على الله أي ثق به ، وفوض الأمر إليه ، والله سميع لما يقولون ، عليم بما يفعلون (3) وقد علَّق الزمخشري على هذه الآية قائلاً : " والصحيح أنَّ الأمر موقوف على ما يرى فيه الإمام صلاح الإسلام وأهله من حربٍ أو سِلْم ، وليس يحتم أن يقاتلوا أبداً أو يجابوا إلى الهدنة أبداً ".(4)

رابعاً : العلاقة التفسيرية بين القراءات :

قراءة الفتح **(السَّلْم)** وهو الصُّلح وهي لغة لأهل الحجاز (5) فيكون المعنى إن مالوا إلى الصلح فمل إليه ، وتوكل على الله .

---

(4) انظر[النشر (208/2)] .

(5) انظر[القاموس المحيط ص1448 ، منجد الطلاب ص332 -333 مادة سلم].

(1) انظر[معاني القرآن الأخفش (548/2) ، مجاز القرآن (250/1)] .

(2) انظر[مفردات ألفاظ القرآن ص423].

(3) انظر[التفسير الواضح (15/1)] .

(4) الكشاف (166/2).

(5) انظر[معاني القرآن : الأخفش (548/2)] .

أمّا قراءة الكسر(**السِّلْم**) وهي لغة العرب ، والسِّلم بمعنى الإسلام . فمن كسر الحجة له ، أنه أراد الإسلام [6] ويكون المعنى : الدين الإسلامي هو دين السلام .

وما فرض الجهاد إلاّ دفاعاً عن النفس والعقيدة ، فإذا ما طلب الأعداء السلام ، فعليك يا محمد أن تكف عن قتالهم ، حتى ولو كانوا كاذبين في دعواهم[7] ومنهم من قال: "أنهما لغتان في الصلح".[8]

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين ، أرى أنَّ الصلح المراد به السَّلام، لأن الإسلام هو دين السلام ، فيكون المعنى إن مالوا إلى الصلح، أو طلبوا السَّلام، فمِل لهم وتوكل على الله و الله أعلم.

29- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ الأنفال

أولاً : القراءات :

1- قرأ الكوفيون (عاصم ، وحمزة ، والكسائي ، وخلف) ، والبصريان (أبو عمرو، ويعقوب) (**وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ**) بالياء على التذكرة.

وقرأ الباقون (نافع، وابن كثير، وابن عامر، وأبو جعفر) (**وَإِن تكن مِّنكُم مِّاْئَةٌ**) بالتاء على التأنيث.[1]

---

(6) انظر[الحجة في القراءات السبع : ص42].

(7) انظر[المستنير (218/1)] .

(8) انظر[الكشف (494/1)] .

(1) انظر[النشر (208/2) ، المبسوط في القراءات العشر : لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني (295-381هـ) ص130 - دار الصحابة للتراث بطنطا - 1424هـ - 2003م - تحقيق وتعليق : جمال الدين محمد شرف (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي المبسوط) ، تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة : للإمام المحقق محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري ص130 - دار الصحابة للتراث بطنطا - تحقيق : أ. جمال الدين محمد شرف(وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي تحبير التيسير)] .

2- قرأ أبو جعفر، ووقفاً حمزة **(ميتين)** بإبدال الهمز ياء.

وقرأ الباقون **(مائتين)** بالهمز.[2]

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(المائة) أصلها مِئْىٌ ، فحذفت لام الكلمة ، وعَوّض عنها الهاء ، والقياس عند البصريين ثلاث مئين ، ليكون جبراً لما نقَص مثل عزين وسنين .

والمائة بألف خطأً لا لفظاً تعني عشر عشرات وهي مفرد مئات ومئون ، والمائة هي الثالثة من أصول الأعداد ، وذلك أنَّ أصولها آحاد ، عشرات ، مئات ، آلاف.[1]

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

(يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ) أي رغِّب المؤمنين ، وخاصةً مَنْ شَهِد منهم بدراً ، بسائر أسباب التحريض والترغيب ، وذلك لإعلاء كلمة الله المأمور به **(إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ)** على القتال **(يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ)** من العدو **(وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟)** وذلك بسبب ؛ أنّهم قوم لا يفقهون حقيقة الدنيا ، ويجهلون اليوم الآخر ولا يؤمنون به ، ولا يثبتون عند اللقاء ثبات المؤمنين، بل قتالهم للحمية الجاهلية .[2]

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

1- من قرأ بالياء ؛ فلأنه أريد منه المذَكَّر ، بدليل قوله تعالى : **(يَغْلِبُوٓا۟)** ، وكذلك المائة الصابرة هم رجال[3] فاعتمدوا على معنى المائة لا على لفظها ولأن الفاعل (مائة)مجازي التأنيث، وفصل بينه وبين الفعل فيجوز تذكير الفعل ويجوز تأنيثه.[4]

---

(2) انظر[النشر (308/1) ، غيث النفع ص125 ، فريدة الدهر (752/2)] .

(1) انظر[مفردات ألفاظ القرآن ص784 ، المصباح المنير ص349 ، منجد الطلاب ص709 مادة مأى].

(2) انظر[مجمع البيان (175/10) ، التفسير الواضح (15/1-16)] .

(3) انظر[زاد المسير (223/2)] .

أما من قرأ بتاء التأنيث (تكن) فلتأنيث لفظ مائة[5] وهذا نـوعٌ مـن التلـوين فـي الأسلوب، وهو نوعٌ من إعجاز القرآن .

2- تحقيق الهمز وتسهيله : عبارة عن لغات من لغات العرب ، فتحقيق الهمز لغـة تميم وقيس ، أمّا التخفيف فلغة قريش وأكثر أهـل الحجـاز[6] واسـتعمال الهمـز للحالات الثقيلة النادرة.[1] فيكون المعنى لمن قرأ بالهمز : أن العشرين الصـابرين المؤمنين يغلبوا مائتين من الرجال الأقوياء الأشداء في أجسادهم ، أيضاً نُدْرَة هـذه الحالة دلَّت عليها هذه القراءة ، أما قراءة التخفيف دلَّت على أنَّ المائتين من الرِّجال ضعافٌ لا وزن ولا ثقل لهم أمام المؤمنين ، وذلك بسبب كفرهم .

خامساً: الجمع بين القراءتين:

أرى أنَّ كل قراءة قد أثرت في معنى الآية ، فالفرد المؤمن الصابر يستطيع أن يقاتل بعشرة من الكفار الأقوياء في الجسد ، ولكنهم ضِعافٌ أمام المؤمنين ؛ لأنه لا حجـة لهم ولا عقيدة.

30- ﴿ ٱلۡـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ الأنفال

أولاً : القراءات :

1- قرأ عاصم ، وحمزة ، وخلف **(ضَعْفًا)** بفتح الضاد.

-وقرأ أبو جعفر **(ضُعَفَآءَ)** بفتح العين والمد والهمز مفتوحة.

-قرأ الباقون**(ضُعْفًا)** بضم الضاد،وإسكان العين،والفاء منونـاً مـن غيـر مـدٍ ولا همز.[2]

---

(4) انظر[الكشف (495/1)] .

(5) انظر[المستنير (218/1)] .

(6) راجع ص86.

(1) راجع ص87.

(2) انظر[النشر (208/2) ، الهادى (271/2)].

2- قرأ الكوفيون (عاصم ، حمزة ، والكسائي ، وخلــف) (**فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ**) بالياء على التذكرة.

- وقرأ الباقون (**فَإِن تَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ**) بالتاء على التأنيث.[3]

3- قرأ ورش، و ابن وردان بخلفه (**ألان**) بنقل حركة الهمزة إلى اللام مع حذف الهمزة الثانية. وقرأ الباقون (**ألْآن**) بالهمز وسكون اللام.[1]

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(**الضَعف**) بفتح الضاد في لغة تميم ، وبضمها (ضُعف) في لغة قريش ، خلاف القوة والصحة . والضَعف والضُعف لغتان فالمضموم مصدر : ضَعُف "بضـم العــين"، والمفتوح مصدر (ضعَف) "بفتح العين" ومنهم من يجعل المفتوح (ضَعف) في الرأي، والمضموم (ضُعف) في الجسد وهو ضعيف ، والجمع ضعفاء وضعاف وضعف عن الشيء : أي عجز عن احتماله فهو ضعيف.[2]

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية السابقة بيَّنت أنَّه ينبغي على المؤمن أن يقاتل بعشرة من الكفار ، ولمَّا كان في ذلك مشقة على المسلمين من كثرة الجهاد والعمل ، وعلم الله أنَّ فيهم ضــعفاً فــي البدن أيضاً خفَّف الله عنهم ، وجعل الفرد يقاتل باثنين ، والله مع الصابرين بالمعونة والرعاية.[3]

رابعاً : العلاقة التفسيرية بين القراءات :

القراءة الأولى:

ضَعفاً وضُعفاً لغتان كما ذكرنا سابقاً يقول الطبري : " وهما لغتان مشهورتان فــي كلام العرب فصيحتان بمعنى واحــد ، فبأيتهمــا قــرأ القــارىء ، فهــو مصــيب

(3) انظر[النشر (208/2)] .

(1) انظر[النشر (322/1) ، فريدة الدهر (752/10)] .

(2) انظر[مفردات ألفاظ القرآن ص506 -507 ، المصباح المنير ص216 مادة ضعف].

(3) انظر[التفسير الواضح (16/1)] .

الصواب"[4] أمّا مَنْ قال بأنَّ قراءة (**ضُعفاً**) بالضم أي : ضعف في الجسد فيكون المعنى : أنَّ الضعف الطارىء بعد عدم القوة البدنية على الحرب ؛ لأنَّه قد صار فيهم الشيخ والعاجز نحوهما ، وكانوا قبل ذلك طائفة منحصرة معلومة قوتهم وجلادتهم.

أمّا قراءة (**ضَعفاً**) بالفتح أي: ضعف في الرأي والبصيرة، فيكون المعنى: أنَّ الضعف الطارىء ضعف البصيرة والاستقامة ، وتفويض النصر إلى الله تعالى، إذ كان فيهم قوم حديثو عهد بالإسلام ، ليس لهم ما للمتقدمين من ذلك.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

و بالجمع بين القرائتين يكون فيهم ضعفٌ في الجسد وفي البصيرة والله أعلم.

وأمّا قراءة (**ضُعفآءَ**) فهذا الجمع يفيد أنَّ: الكثرة هي سببٌ للضعف ؛ لأنّ بها يضعف الاعتماد على الله تعالى والتوكل عليه سبحانه ، ويقوى جانب الاعتماد على الكثرة كما في حُنين ، فيكون المعنى : الآن خفَّف الله تعالى عنكم لمَّا ظهر متعلق علمه، أي : كثرتكم التي هي موجب ضعفكم ، بعد ظهور قلتكم وقوتكم.[1]

القراءة الثانية:

من قرأ (**فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ**) بالياء على التذكير.فمن ذكَّر فلأن (**مِّاْئَة**) وقعت على عدد مذكر ، وأخرى وهي : أنَّه لمّا حجز بين الاسم والفعل بحاجز ، ذكَّر الفعل لأنَّ الحاجز صار كالعِوَض عنه ، ولأن تأنيث (**مِّاْئَة**) مجازي فجاز التذكير[2] ولتذكير الفعل (**يَغْلِبُوٓا**).

وأمّا من قرأ (**فَإِن تكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ**) بالتاء على التأنيث فلِتأنيث لفظ (**مِّاْئَة**) ولأنها وصفت بصابرة[3] وتذكير الفعل وتأنيثه من باب التلوين في الأسلوب، وهذا

(4) جامع البيان (42/10).

(1) انظر[روح المعاني (227/10-228)] .

(2) انظر[الحجة : ابن زنجلة ص313].

(3) انظر[المرجع السابق ص313 ، روح المعاني (228/10)] .

(4) انظر [لسان العرب (42/13-43)].

يدل على جمال أسلوب القرآن الكريم ، وفي هذا إعجازٌ ، حيث تنوَّع الأسلوب ولم يختلف المعنى .

والمعنى : خفَّف الله عن المسلمين لماّ كان في قتال المسلم لعشرة من الكفار مشقة، فجعل الفرد يقاتل باثنين والله مع الصابرين.

القراءة الثالثة:

من قرأ (**ألْآن**) بالهمز فهو اسم للوقت أما من قرأ (**ألان**) فهو من اللين[4]، فيكون المعنى على قراءة الهمز إن الله خفف عنكم في هذا الوقت، أما القراءة الأخرى فهي تُظهر الرحمة و الرأفة من الله لهم و ذلك بالتخفيف عنهم في القتال والله أعلم.

31- ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ ﴾ **الأنفال**

أولاً : القراءات :

1- قرأ البصريان (أبو عمرو ، ويعقوب) وأبو جعفر (**أَن تكُونَ لَهُ**) بالتاء على التأنيث .

وقرأ الباقون (**أَن يكُونَ لَهُ**) بالياء على التذكير .

2- قرأ أبو جعفر (**لَهُ أُسَارَى**) بضم الهمزة وبألف بعد السين .

وقرأ الباقون (**لَهُ أَسْرَى**) بفتح الهمزة وإسكان السين من غير ألف بعدها . [1]

ثانياً : المعنى اللغوي للقراءات :

الأسر : الشد بالقدّ .. وسمي الأسير بذلك ، ثم قيل لكل مأخوذ ومقيد ، وإن لم يكن مشدوداً ذلك ، وقيل في جمعه : أَسارى وأُسارى ، وأَسْرى [2] وأَسَر قَتَبَهُ [3] أي شده [4] قال ابن منظور : " ومن قرأ أَسارى وأُسارى فهو جمع الجمع ، يقال أسير وأسرى ثم أسارى جمع الجمع".[5]

---

(1) انظر [النشر (208/2)] .

(2) انظر[مفردات ألفاظ القرآن ص76].

(3) القتب إكاف البعير وإكاف البعير أي بردعته انظر [لسان العرب (775/1) مادة قتب ، القاموس المحيط ص1024 ، ص157]

(4) انظر[لسان العرب (19/4) مادة اسر].

(5) لسان العرب (19/4).

ثالثاً : سبب نزول هذه الآية :

سبب نزول هذه الآية أنَّ النبي ﷺ استشار في الأسارى أبا بكر فقال: قومك وعشيرتك فخلِّ سبيلهم، فاستشار عمر فقال: اقتلهم قال: ففداهم رسول الله ﷺ فأنزل الله عز وجل : (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ) إلى قوله (فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ) [الأنفال:67-69] قال: فلقي النبيﷺعمر قال: (كاد أن يصيبنا في خلافك بلاء).(1)

رابعاً : التفسير الإجمالي للآية :

(مَا كَانَ لِنَبِيٍّ) أي ما صح وما استقام لنبي أن يكون له أسرى ويقبل الفداء فيهم إلا بعد أن (يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ) أي يبالغ ويغالب في قتل الأعداء ، أو حتى يتمكن في الأرض (2) وذلك ؛ ليوقع الرعب في قلوبهم ، حتى يمتنعوا عن التعرض للمسلمين بالقتل والإيذاء. (تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا) أي أتريدون أيها المؤمنون متاع وطمع الدنيا (3) وحطامها الزائل بأخذكم الفداء ؟ والله يريد لكم ثواب الآخرة ، بقهركم المشركين ونصركم دين الله –عز وجل – ، ولله العزة ولرسوله والمؤمنين ، والله حكيم في كل أفعاله . (4)

خامساً : العلاقة التفسيرية بين القراءات :

1- قرأ " أبو عمرو ، وأبو جعفر ، ويعقوب " **(تكون)** بتاء التأنيث ، وذلك لتأنيث لفظ (الأسرى) بألف التأنيث المقصورة أي مراعاة لمعنى جماعة الأسرى .

---

(1) انظر[المستدرك على الصحيحين – 27 ك التفسير – 8 تفسير سورة الأنفال (359/2) حديث رقم 387/3270 وعلق عليه النيسابوري : " هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه " والحديث بروايه ابن عمر رضى الله عنهما].

(2) انظر[مجاز القرآن (250/1) ، معاني القرآن : الزجاج (425/2)] .

(3) انظر[مجاز القرآن (250/1)] .

(4) انظر[التفسير الواضح (17/1)].

– وقرأ الباقون (**يكــون**) بياء التذكير مراعاة لمفرد الأسرى ، وهو أسير أي حمــلاً على تذكير معنى (الأسرى) لأن المراد به " الرجال " ، ولأنَّ الفعل المتقدم ، قد وقع الفصل بين الفعل والفاعل وكلٌّ واحدة من هذه الثلاثة ، إذا انفــرد أوجــب تــذكير الفعل...، فإذا اجتمعت هذه الأشياء كان التذكير أولى.[5]

2- قرأ أبو جعفر (**أُسَارى**) بإثبات الألف وضم الهمز ، وهو علــى وزن فُعــالى وشبَّهَهُ بكُسالى ، وذلك أنَّ الكسل أمر يدخل على الإنسان بغير شهوته ، كذلك الأسر يدخل عليه بغير شهوته ، فلمَّا اتفقا في المعنى امتزجا في الجمع ، فجُمــع كســلان على كُسالى وجُمع أسير على أُسارى[1] ونقل الأزهري[2] قول أبي عمرو أنه قال:" يقال لهم (**أُسارَى**) إذا شدّوا بالقِدِّ ، وأما الأسرى فهم الــذين أُخــذوا ولــم يُشَــدُّوا بقِد[3]"[4] وقال أيضاً : "إذا كان عند القتال ، فأَسَرَ القوم عدوهم فهم الأسرى ، فــإذا ذهبت زحمة القتال فصاروا في أيديهم ، فهم الأسارى"[5] وذكر الزَّجاج أنَّ أســارى جمع الجمع [6] فيكون التفسير على هذا المعنى : ما كان لنبــي أن يحــبس كــافراً ويأسره ويشدّه بالقيد ، بعد زحمة القتال قبل الإثخان في الأرض ، أي قبــل إعــزاز الإسلام وإذلال الكفر .

– وقرأ الباقون (أَسرى) بطرح الألف وفتح الهمز وحجته أنه أراد جمــع أســير[7] وأسير جمعها أسرى على وزن قتيل قتلى ، جريح جرحى ، فلأنها كلها على وزن فعيل وأشبهتها في اللفظ ، أيضاً أشبهتها في المعنى ؛ لأنها كلها عِلل ابتُلوا بها وهــم كارهون [8] وبالرجوع إلى أقوال أبي عمرو السابقة ، يكون تفسير الآية: مــا كــان لنبي أن يأسِر الكفار أثناء القتال ، حتى يثخن في الأرض ويتمكن الإسلام فيها.

---

(5) انظر[الدر المصون (637/5) ، المستنير (220/1) ، مفاتيح الغيب (157/15) ، الهادى (271/2)].

(1) انظر[الكشف (496/1)] .

(2) هو العلامة اللغوي الأديب أبو منصور ، محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة نسبته إلى جده الأزهر، ولد في سنة اثنتين وثمانين ومائتين وتوفي في سنة سبعين وثلاثمائة انظر[ترجمته في مقدمة كتابه معاني القراءات ص4-7 ، الأعلام (311/5)] .

(3) القدّ : حديدة يقتد بها أو جلد السخلة انظر[المصباح المنير ص293 ، المنجد ص575 مادة قد].

(4) معاني القراءات ص203.

(5) الحجة: ابن زنجلة ص314 .

(6) انظر[معاني القرآن : للزجاج (424/2-425)].

(7) انظر[الحجة : ابن خالويه ص96].

(8) انظر[الكشف (496/1)].

سادساً: الجمع بين القراءتين:

أرى من خلال القراءتين: أنَّ المسلمين قد أسَروا من الكفار أثناء القتال و بعده فمنهم من قيدوه بسلاسل من حديد ، ومنهم من لم يُقيد ، وجمع الجمع (أُسارى) أيضاً فيها نوعٌ من المبالغة في الأسر ، فأرى في ذلك: أنَّ المسلمين قد أسروا عدداً كبيراً من الأسرى، و الدليل على ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن ابن عباس من قتل المسلمين سبعين من الكفار و أسر سبعين[9] والله أعلم.

32- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠ ﴾ الأنفال

أولاً: القراءات:

1. قرأ أبو عمرو ، وأبو جعفر (مِنَ الأُسَارَى) بضم الهمز وبألف بعد السين.
2. وقرأ الباقون (مِنَ الأَسْرَى) بفتح الهمزة وإسكان السين من غير ألف بعدها.[1]

ثانياُ: المعنى اللغوي للقراءات:

تقدم ذكره فيما سبق.[2]

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

أنزل الله هذه الآية استمالة للأسرى ، وترغيباً لهم في الدخول بالإسلام ، وذلك بعدما أخذ الرسول ﷺ الفداء من الأسرى ، وشق عليهم أخذ أموالهم ، فبيّن لهم الله من خيري الدنيا والآخرة قائلاً :(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم) أي لمن في مُلْككم من الأسرى الذين أخذتم منهم الفداء ، إن يعلم الله في قلوبكم إخلاصاً وحسن نية وصدقاً وإيماناً (يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ) يعني يعطيكم في الدنيا أفضل مما

---

(9) سبق ذكر و تخريج هذه الرواية راجع ص73.

(1) انظر[النشر (208/2) ، البحر المحيط (521/4)] .

(2) راجع ص152.

أخذ منكم من الفداء (**وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**) الله غفور ، لمَّا كان منكم مـن الشـرك، رحيم بكم في الإسلام ، فهو غفور رحيم لمن آمن وتاب ، والظاهر أنَّ الآية عامـة لسائر الأسرى . (3)

رابعاً: العلاقة التفسيرية للقراءات:

قال أبو عمرو : " ما كان في الأيدي وفي السجن فإنها أسارى ، ومالم يكن في الأيدى ولا في السجن فقل ما شئت ، أسرى و أُسارى ".(1)

وأيضاً ذكرت في المثال السابق أن أسارى جمع الجمع (2) فهي تفيد المبالغة وعلى هذا يكون تفسير الآية على من قرأ (الأُسارى) بضم الهمزة وألف بعد السـين : يـا أيها النبي: قل لمن في أيديكم من الأسرى المسجونين عندكم الذين لم يُفـادوكم ، أنَّ الله يحكم لكم بإسقاط الفداء عنكم ، ويأمر المسلمين بتركه وإطلاقكم مجاناً ، وذلـك بما يعلم في قلوبكم من خير وإيمان كنتم تكتمونه.(3)

أما من قرأ (الأَسْرَى) بفتح الهمزة وإسكان السين من غير ألف بعدها يكون تفسـير الآية: يا أيُّها النبيُّ قل لمن في مِلككم من الأسرى الذين أخذتم منهم الفداء ، إن يعلم الله منكم إخلاصاً وحسن نية ، يؤتكم ويعوضكم خيراً ممّا أُخذ منكم فـي الفـداء ، ويغفر لكم.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

يتبين لنا أن الأسرى من المشركين (أسرى بدر)

أولاً : عددهم كان كثيراً ، وهذا الفهم دلَّت عليه قراءة (أُسارى) جمع الجمع .

---

(3) انظر[تفسير السمرقندي المسمّى بحر العلوم : أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت375هـ)(2/27-8) دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط1 -1413 هـ – 1993 م – تحقيق على محمد مَعّوض ، عـادل أحمـد عبـد الموجود ، د.زكريا عبد المجيد النُوتي (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي تفسير السمرقندي) ، المقتطف مـن عيـون التفاسـير (2/356-57)، تفسير المراغي (10/38) ، التفسير الواضح (1/18)].

(1) الحجة : ابن زنجلة ص314 .

(2) راجع ص152، و انظر[تفسير السمرقندي (2/27)] .

(3) انظر[نظم الدرر (3/246)].

ثانياً : أنَّ الأسرى منهم ، من دفع الفداء عن نفسه وعن غيره .

33- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٧٢ ﴾ الأنفال

أولاً: القراءات:

1- قرأ حمزة **(من وِلايَتِهِم)** بكسر الواو

2- وقرأ الباقون **(من وَلايَتِهِم)** بفتح الواو.[1]

ثانياً : المعنى اللغوي للقراءات :

وَلِيَ ، يَلِي وِلايةً ووَلايةً ، والوَلاية والوِلاية بمعنى البلاد التى يتسلط عليها الوالي وبمعنى القرابة ، وأيضاً الوَلاية بالفتح والكسر النصرة ، وقال سيبويه:

" الوَلاية بالفتح : المصدر ، والوِلاية بالكسر : الاسم ، مثل الإمارة والنقابة ".

والولاية ، مصدر وليه يليه أي قام به وملَك أمْرهُ .والولي ، النصير والمعين أو: ابن العم والنسيب .[2]

ثالثاً : التفسير الإجمالي للآية :

ذكر الله تعالى أصناف المؤمنين في هذه الآية وقسَّمهم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : المهاجرين الذين خرجوا من ديارهم وأموالهم ، وجاءوا لِنصرِ الله ورسوله وإقامة دينه ، وبذلوا أموالهم وأنفسهم في ذلك .

---

(1) انظر[النشر (208/2)].

(2) انظر[مفردات ألفاظ القرآن ص885 ، لسان العرب (407/15) مادة ولى ، المصباح المنير ص400 ، المنجد ص941 ، الجوهر المصون في رواية قالون ص107].

القسم الثاني : الأنصار الذي آوَوْا الرسول ﷺ ، ومَنْ هاجر من أصحابه في منازلهم وواسوهم في أموالهم وقاتلوا مع الرسول ﷺ فهؤلاء (**بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ**) في النصرة والإرث ، ولهذا آخى الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار .

أما القسم الثالث : (**وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ**) أي هؤلاء ليس لكم ولاية عليهم ، وليس بينكم توارث ، وإن كانوا ذوي قربى حتى يهاجروا ، ولكن إن استنصركم الذين آمنوا ، ولكنهم لم يهاجروا في قتال ديني على عدو لهم فانصروهم ، إلاّ أن يستنصروكم على قوم من الكفار بينكم وبينهم معاهدة وميثاق ، فلا تنصروهم وتنقضوا أيمانكم مع الذين عاهدتم ؛ لأن الميثاق مانعٌ من ذلك (**وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ**) ، تحذير عن تعدي حد الشرع.(1)

رابعاً : العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ حمزة (**مِّن وِلَايَتِهِم**) بكسر الواو وحجة من كسر: أنَّه جعله من "وليت الشيء" إذا توليته ولايةً فأراد ولاية الإمرة.(2)

وذكر الأخفش: "أنَّ الولاية بكسر الواو في السلطان".(3)

ووِلاَيَتِهِم بالكسر مصدر الوالي ، لأن ولاية الوالي كالصناعة كما يقال : الإمارة ، والصِّرَافة ، والنِّقَابة ، فكلُّ ما كان من جنس الصناعة فهو مكسور ، ومن العرب من يجيز الوِلاية بالكسر في التناصر ؛ لأنَّ في تولي القوم بعضهم بعضاً ، ضرباً من الصناعة ، فكأنَّه بتوليه صاحبه ، يزاول أمراً ويباشر عملاً ، ولأن الولاية تحتاج إلى تدرب فشبهت بالصناعة.(4)

وعلى هذا تكون ولاية المؤمن للمؤمن المؤازرة والمعاونة واتصال الأيدي ، ومن ذهب إلى هذا المعنى ، فإنما يحمل نفي الله تعالى ولايتهم عن المسلمين في قوله تعالى (**مَا لَكُم مِّن وِلَايَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ**) على أنها صفة الحال لا أنَّ الله حكم بأنْ لا

---

(1) انظر[تفسير القرآن العظيم (328/2–329) ، مدارك التنزيل (413/2–414) ، التفسير الواضح (20/1)].
(2) انظر[الحجة : ابن خالويه ص96 ، الكشف (497/1)].
(3) انظر[معاني االقرآن : الأخفش (549/2)] .
(4) انظر[معاني القراءات ص203 ، الكشاف (170/2)].

ولاية بين المهاجرين وبينهم جملة ، وذلك أنَّ حالهم إذا كانوا متباعدي الأقطار، يقتضي أنَّ بعضهم إن حَزَبَه حازبٌ ، لا يجد الآخر ولا ينتفع به ، فعلى هذه الجهة نفي الولاية.(5)

أيضاً قال الفراء(6): " (مَا لَكُم مِّن وِلَايَتِهِم) يريد من ميراثهم ، وكسر الواو في الولاية أعجب إليّ من فتحها ؛ لأنها إنما يفتح أكثر من ذلك إذا كان في معنى (نصرة) قال: فكان الكسائي يفتحها ويذهب بها إلى النُّصرة ، ولا أراه علم التفسير، ويختارون في (وِليته وِلاية) الكسر".

وكذلك سائر المفسِّرين تأوَّلوا الآية على أنها الميراث ، وهو إنماّ يقال له : وِلاية وليس وَلاية ، وجمع السُّيوطي رواياتٍ كثيرة في "الدر المنثور" تفيد أنَّ هذه الآية نزلت في توارث المسلمين بالهجرة ، فكان لا يرث الأعرابيُ المسلمُ من المهاجر المسلم شيئاً حتى نُسِخ بقوله تعالى:

(وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ) [الأنفال :75] ورُدّت المواريث إلى القرابات (1) وأيضاً أخرج البخاري روايةً عن ابن عباس رضي الله عنه (وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ) [النساء:33] قال: ورثة(وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ) [النساء:33] كان المهاجرون ؛ لما قدموا المدينة ، يرث المهاجرُ الأنصاريَّ دون ذوي رحِمِه للأخوّة التى آخى النبي ﷺ بينهم، فلما نزلت (وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ) نُسخت ثم قال: (وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ) من النصر والرفادة (2) والنصيحة وقد ذهب الميراث ويوصِي له.(3) ويكون تفسير الآية على أنَّ المقصود من الوِلاية الميراث ، حيث إنَّه كان الذي آمن ولم يهاجر لا يرث من أجل أنَّه لم يهاجر ولم ينصر، فبرأ الله المؤمنين المهاجرين من ميراثهم، بسبب عدم الهجرة. ومعنى الآية:

---

(5) المحرر الوجيز (556/2).

(6) معانى القرآن : الفراء (418/1) .

(1) انظر[الدر المنثور (117/4-118)] .

(2) الرفادة : شيء كانت قريش تترافد به في الجاهلية ، فيخرج كل إنسان مالاً بقدر طاقته ، فيجمعون من ذلك مالاً عظيماً أيام الموسم ، يشترون للحج الطعام والزبيب للنبيذ ، فلا يزالون يطعمون الناس ؛ حتى تنقضى ايام موسم الحج انظر[لسان العرب (181/3) ، النهاية في غريب الحديث ص366-367] .

(3) انظر[فتح الباري (247/8) ، 65 كتاب التفسير ،7 باب (ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون الذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم ، إن الله كان على كل شيء شهيداً) الآية].

أنَّها حكم من الله ينفي الولاية في الموارثة لمن لم يهاجر.[4] أماّ القراءة بالفتح فأنَّ الغالب ورودها بمعنى النصّرة وكان الكسائي يفتحها، ويذهب بها إلى النصرة.[5]

ونقل القرطبي نقلاً غير معزو لأحد: "أنه ليس في الآية نسخ ، إنما هي بمعنى النصر والمعونة"[6] واختار أبو بكر الأصم[7] أنَّ الآية محكمة غير منسوخة ، وأن المراد بالولاية النصَرة والمظاهرة.[8]

والعرب تقول : (نحن لكم على بني فلان وَلاية) أي أنصار[1] وعلى هذا المعنى (النُصره) يكون تفسير الآية .

لا تنصروا ولا تناسبوا الذين آمنوا ولم يهاجروا ؛ إلاّ إذا استنصروكم على قوم من الكفرة ، فواجب عليكم نصرهم ؛ ولكن إن استنصروكم في الدين على قوم كفّار قد عاهدتموهم أنتم وواثقتموهم على ترك الحرب ، فلا تنصروهم عليهم ؛ لأنَّ ذلك عذر ونقض للميثاق ، وترك لحفظ العهد والوفاء به.[2]

خامساً: الجمع بين القراءتين:

1- بالجمع بين القراءتين نفهم: أنَّ الآية نَفَت عن المسلمين وجوب النصرة لمن آمن ولم يهاجر، ونَفَت عنهم أيضاً حق الإرث فيهم ، فكأنما قالت : مالهم عليكم نصرة ، ومالكم فيهم من ميراث وهذان الحكمان لا يؤخذان من قراءة واحدة بل من القراءتين.

2- قراءة الجمهور أُحكمت (وَلايتهم) بالفتح في حين أنَّ قراءة حمزة (وِلايتهم) بالكسر نسخ حكمها بعد أن عمل بها المسلمون زمناً ، حين أنزل الله توريث ذوي الأرحام.[3] فقراءة الكسرالتى تعني الميراث أنه باقٍ تلاوة منسوخ حكماً وقراءة الفتح التى تعني النُصرة باقٍ تلاوة وحكماً .

---

(4) انظر[جامع البيان (52/10)] .

(5) انظر[معاني القرآن : الكسائي ص154].

(6) الجامع لأحكام القرآن (411/4).

(7) هو شيخ المعتزلة ، كان ديّناً وقوراً مات سنة إحدى ومائتين ، وله تفسير وكتاب خط القرآن ، والرد على الملحدة انظر[سير أعلام النبلاء (402/9) ، تهذيب سير أعلام النبلاء (335/1-336)].

(8) انظر[التفسير المنير : (82/10)].

(1) انظر[الحجة: ابن زنجلة ص314].

(2) انظر[المحرر الوجيز (556/2)] .

(3) انظر[فتح الباري (246/8-249)].

وهذا القول بأن الوِلاية بالكسر محمولة على الميراث ، وهو الذى دلّ عليه السّياق ، واختاره جماهير المفسرين والنحاة .

3- أظهرت ثمرة الخلاف بين القراءتين: أنَّ الله عز وجل أسقط عن المسلم الذي لم يهاجر حق النصرة ، وحق الميراث ، فمن جزم أنَّ الكسر يدل على الميراث وجَبَهُ قَبُول الفتح أيضاً ، دليلاً على النصرة وذلك لثبوت التواتر.

وأمّا من جعلهما لغتين بمعنى واحد[4] فإنَّ هذا يجعل الخلاف هنا بلا ثمرة .

4- ألزمت ثمرة الخلاف بين القراءتين الكسائي بقبول دِلالة الآية على نفي التوارث، لأنه كان يجزم بالنصب على معنى النُّصرة ، فلأنَّه ثبت التواتر في قراءة الكسر وجب إلزامه بها أيضاً.[1]

ومما سبق أجد أنَّ: الله سبحانه وتعالى حجب الولاية عن الذين آمنوا ولم يهاجروا إلى دولة الإسلام بكل أنواع الولاية سواء بالميراث أو بالنصرة والمؤازرة ، وهذا الحكم منطقي مع طبيعة هذا الدين ، فهؤلاء الأفراد ليسوا أعضاء في المجتمع المسلم ؛ لذلك لا تكون بينهم وبينه ولاية ولكن هناك رابطة العقيدة .

وهذه لا ترتب وحدها تبعاتٍ على المجتمع المسلم تجاه هؤلاء الأفراد ، اللهم إلا أن يُعتدى عليهم في دينهم ، فعلى المسلمين أن ينصروهم إذا استنصروهم ، وذلك حتى لا يفتنوا عن عقيدتهم ، شرط ألا يخلَّ هذا بعهد من عهود المسلمين مع معسكر آخر[2] والقراءتان تفيد حض المؤمنين إلى الهجرة.

---

(4) انظر[روح المعانى (233/10)].

(1) انظر[القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية : د. محمد الحبش ص336 -339 ، ص343 -345، دار الفكر المعاصر بيروت -لبنان - ط1 1419 هـ - 1999 م (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني)].

(2) انظر[الظلال (1559/10)].

الفصل الثاني

تفسير سورة التوبة من خلال القراءات القرآنية العشر

المبحث الأول: بين يدي السورة.

المبحث الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة التوبة المتضمنة للقراءات العشر.

المبحث الأول:

بين يدي السورة.

الفصل الثاني

تفسير سورة التوبة من خلال القراءات القرآنية العشر

المبحث الأول

بين يدي السورة

سورة التوبة سورة مدنية نزلت في العام التاسع للهجرة عام غزوة تبوك، عدد آياتها مائة وتسع وعشرون آية كوفي، ومائة وثلاثون في عدّ أهل المدينة ومكة والشام والبصرة ولها عدة أسماء، وقد كشف الله سبحانه وتعالى في هذه السورة أسرار المنافقين.[1]

نوع السورة:

هي مدنية بالاتفاق[2] قاله صاحب الإتقان[3]: واستثنى بعضهم قوله: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ۝١١٣ ﴾ التوبة

ففي صحيح البخاري أنّ أبا طالب لمّا حضرته الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية فقال رسول الله ﷺ:(يا عمّ قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله) فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فقال النبي ﷺ: لأستغفرنّ لك ما لم أُنهَ عنك، فنزلت ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ۝١١٣ ﴾ التوبة [4]

---

(1) انظر[مدارك التنزيل (415/2)، فتح القدير (415/2)، والتحرير والتنوير (98/10)].

(2) انظر[المراجع السابقة، في رحاب التفسير (1510/10)].

(3) انظر[الإتقان (44/1)].

(4) انظر[البخاري (4675) في فتح الباري (314/8)- 65 كتاب التفسير- 16 باب (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ)].

وترتيب سورة التوبة حسب الرسم العثماني هي السورة التاسعة وتاريخ نزولها بعد سورة المائدة. (1)

وهي من أواخر ما نزل من القرآن، ففي صحيح البخاري ، عن زيد بن ثابت قال: "آخر سورة نزلت سورة براءة"، كذا ترجمها البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير. (2)

وفي المستدرك: عن أُبيٍّ بن كعب قال: "آخر آية نزلت: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾.... ﴾ [التوبة: 128-129] إلى آخر السورة. (3) وترجم لها الترمذي في كتابه باسم التوبة. (4) والتوبة وبراءة هما الاسمان المشهوران في المصاحف.

وقد اختلف العلماء في سبب سقوط البسملة من أولها على أقوال:

الأول: أخرج الحاكم وصحَّحه عن ابن عباس قال: قلت لعثمان بن عفان: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي في المثاني، وإلى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتموها في السبع الطوال فما حملكم على ذلك؟ فقال عثمان: كان رسول الله ﷺ مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه من السور ذوات العدد قال: وكان إذا أُنزل عليه الشيء دعا بعض من يكتب له فيقول: (ضعوا هذه في السورة التي فيها كذا وكذا) ، وكانت الأنفال من أوائل ما نزلت بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت أنها منها، فقُبض رسول الله ﷺ ولم يُبيِّن لنا أنَّها منها ، فلم أكتب بينهما سطر "بسم الله الرحمن الرحيم". (5)

---

(1) انظر[تاريخ القرآن: أبو عبد الله الزنجاني، قدّم له: الأستاذ أحمد أمين، من مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت- لبنان – ط3، 1388هـ ، 1969م].

(2) أخرجه البخاري رقم (4654) في فتح الباري (316/8) – 65 كتاب التفسير، باب (بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)}.

(3) المستدرك: كتاب التفسير، باب تفسير سورة التوبة (368/2) حديث (413/3296)، وعلق عليه الحاكم: "صحيح على شرط الشيخين " ولم يخرجاه.

(4) انظر[صحيح سنن الترمذي (54/3) صححه محمد ناصر الألباني – الناشر مكتبة التربية العربي لدول الخليج – الرياض- أشرف على طباعته زهير الشاويش ط1- 1408هـ - 1988م].

(5) انظر[المستدرك: كتاب التفسير باب تفسير سورة التوبة حديث رقم (389/3272)، (360/2)]، وعلق عليه الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه".

وهذا الحديث ضعيف ضعفه الألباني[1]، وناقش هذا الحديث د. فضل حسن عباس وعلق في نهاية مناقشته له "أنَّ من غير المعقول أن يظل القرآن غير مرتب حتى يأتي عثمان رضي الله عنه".[2]

الثاني: وأخرج أيضاً عن ابن عباس قال: سمعت أبي يقول: سألت علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لِمَ لم تكتب في براءة "بسم الله الرحمن الرحيم"؟ قال: لأن باسم الله أمان وبراءة نزلت بالسيف وليس فيها أمان.[3]

وقد ناقش هذا القول الشيخ الشعراوي في تفسيره وردّه.[4]

ومع هذه الآراء السابقة أميل لما ذُكر في التفسير الواضح من أنَّ البسملة آية فذة من القرآن، أُنزلت للفصل والتبرك بها، وأنه لا دخل لأحد بالمرة في إثباتها أو تركها وإنما هذا كله توقيف ووحي، ولا يُعقل أن يَتْرك ذلك النبي ﷺ ولا يصح أن يتشكك مسلم في هذا أبدا ، ولا شك في عدم نزول البسملة ها هنا بالإجماع.[5]

أسماء السورة:

ذكر علماء التفسير عدة أسماء لسورة التوبة وهي:

1- **سورة التوبة:** لقوله فيها: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ **التوبة**[6]

---

(1) انظر[صحيح سنن الترمذي(691/2) – 14 كتاب التفسير – 10 باب من سورة التوبة، حديث رقم (3086) ، وقال الألباني عنه ضعيف].

(2) إتقان البرهان : فضل حسن عباس (461/1).

(3) انظر[المستدرك (361/2)، حديث رقم (390/3273) ، ولم يعلق عليه الحاكم].

(4) انظر[تفسير الشعراوي (4832/8-4833)].

(5) انظر[التفسير الواضح (22/10)].

(6) انظر[الإتقان (172/1)].

2- **الفاضحة:** أخرج البخاري عن سعيد بن جبير[1] قال: قلت لابن عباس: سورة التوبة؟ قال: التوبة، بل هي الفاضحة، ما زالت تنزل: ومنهم، ومنهم .. حتى ظنَّنَّا ألاّ يبقى أحد منا إلا ذُكر فيها. [2]

3- **العذاب:** أخرج الحاكم في المستدرك عن حذيفة قال: تُسمّونها سورة التوبة، وهي سورة العذاب.[3] لأنها تكشف ما في الصدور وأعطت لكل عدو للإسلام جزاء.

4- **المقشقشة؛** لكونها تقشقش من النفاق: أي تبرئ منه.

5- **المنقّرة؛** لكونها نقّرت عما في قلوب المشركين.

6- **البَحوث:** بفتح الباء وسمِّيت بذلك لأنها تبحث عن أسرار المنافقين.

أخرج الحاكم عن المقداد أنه قيل له: لو قعدت العام عن الغزو! قال: أتت علينا البَحوث يعني براءة ... الحديث. [4]

7- **الحافرة؛** لكونها حفرت عن قلوب المنافقين.

8- **المثيرة؛** لكونها تثير أسرار المنافقين وتظهر ما خفي عن العيون.

9- **المبعثرة؛** لكونها بعثرت أسرار المنافقين.

10- **المخزية؛** لكونها أخزت المنافقين.

11- **المنكّلة؛** لما فيها من التنكيل لهم.

12- **المدمدمة؛** لأنها تدمدم عليهم؛ ولأنها أوضحت العقاب لكل مجرم.

13- **المشردة**[5]؛ لأنها تشردهم.

وكثرة أسمائها الواردة، دليل على أنها سورة مستقلة، ليست جزءاً مما قبلها.[6]

---

(1) هو سعيد بن جبير بن هشام ، الإمام الحافظ المقرئ المفسّر الشهيد ، أبو محمد الأُسدي مولاهم الكوفي أبو عبد الله ، روى عن ابن عباس كثيراً وعن عائشة، وكثير من الصحابة، وأيضا عن التابعين مثل أبي عبد الرحمن السّلمي ، وهو من كبار العلماء انظر [سير أعلام النبلاء (4/321-342) ترجمة رقم 116].

(2) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عباس حديث رقم(4882)- 65 كتاب التفسير- 59 باب تفسير سورة الحشر- ص1034.

(3) انظر[المستدرك (27) كتاب التفسير، 9- باب تفسير سورة التوبة (2/361) حديث رقم (391/3274)]، وعلق عليه الحاكم قائلاً: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".

(4) انظر[المستدرك: كتاب التفسير، باب تفسير سورة التوبة (2/363) حديث رقم (399/3282)]، وعلق عليه: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".

(5) انظر[الإتقان (1/172 -173)، فتح القدير: (2/415)، تفسير الشعراوي ص 4857] .

(6) انظر[التفسير الواضح (1/22)].

تاريخ نزول سورة التوبة:

سورة براءة من آخر ما نزل من القرآن، نزلت في السنة التاسعة من الهجرة، وهي السنة التي حدثت فيها غزوة تبوك، وهي آخر غزواته ﷺ، خرج فيها لغزو الروم، وقت الحر الشديد، زمن العسرة، حين طابت الثمار، فكانت ابتلاء لإيمان المؤمنين، وافتضاحاً لنفاق المنافقين. (1)

وقد أخبر أبو هريرة أن النبي ﷺ أرسل علياً؛ ليقرأ براءة على المشركين في موسم الحج. (2)

سبب نزول سورة التوبة:

نزلت براءة في نقض ما بين رسول الله ﷺ وبين المشركين ، من العهد الذي كانوا عليه فيما بينه وبينهم: أن لا يصدَّ عن البيت أحدٌ جاءه ، ولا يخاف أحدٌ في الشهر الحرام، وكان ذلك عهداً عاماً بينه وبين الناس من أهل الشرك، وكانت العهود بين رسول الله ﷺ وبين قبائل العرب خصائص، إلى آجال مسمّاة، فنزلت سورة براءة فيه وفيمن تخلَّف من المنافقين عنه في تبوك، وكشف الله تعالى فيها سرائر المنافقين.(3)

ولما نزلت براءة على رسول الله ﷺ ، أخبر أبو هريرة أنَّ أبا بكر بعثه في تلك الحجة ، وكان ﷺ قد بعث أبا بكر الصديق ؛ ليقيم للناس الحج – في مؤذِّنين بعثهم يوم النحر ، يؤذِّنون بمنى أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ثم أردف رسول الله ﷺ بعلي بن أبي طالب فأمره أن يؤذِّن ببراءة، فأذَّن معنا عليّ يوم النحر في أهل منى ببراءة ، وأن لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عُريان.(4) فلم يحج بعد ذلك العام مشرك، ولم يطف بالبيت عُريان، ثم قدما على رسول الله ﷺ.(5)

---

(1) انظر[السيرة النبوية: لابن هشام ، أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري (ت213هـ) ، (118/4) – دار الجيل – بيروت – 1975م (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي السيرة النبوية: ابن هشام) ، البداية والنهاية: (5/ 3 – 4)].

(2) انظر[المستدرك (361/2) – 27 كتاب التفسير، – 9 باب تفسير سورة التوبة حديث رقم (392/3275)]، وصححه الحاكم .

(3) انظر[السيرة النبوية: ابن هشام (139/4 –140)].

(4) انظر[البخاري رقم (4655) في فتح الباري(317/8)– 65 كتاب التفسير، 2– باب (فسيحوا في الأرض أربعة أشهر ..)]

(5) انظر[السيرة النبوية (141/4)].

فضل سورة التوبة:

سورة التوبة من السور التي ترغِّب في الجهاد وتَحُثُّ عليه ، والجهاد في سبيل الله هو ذروة سنام الإسلام، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ **التوبة** ،وأيضاً قوله تعالى:﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ **التوبة**

إذن من فضائل سورة التوبة:

1- تحث على الجهاد في سبيل الله:

عن إبراهيم النّخعي قال: خرج عبد الرحمن بن يزيد مرة وهو يريد أن يجاعل[1] في بَعْث خرج عليه، ثم أصبح فتجهَّز، فقلت: ألم تكن أردت أن تجاعل؟ فقال: بلى، ولكن قرأت البارحة سورة براءة، فسمعتها تحث على الجهاد. [2]

2- كتب أمير المؤمنين بتعلمها :

عن أبي عطية[3] قال: كتب إلينا عمر بن الخطاب أن: تعلَّموا سورة التوبة، وعلِّموا نساءكم سورة النور. [4]

---

(1) الجُعْل: هو الأجرة على الشيء فعلاً أو قولاً والمراد هنا أن يكتب الغزو على الرجل فيعطي رجلاً آخر شيئا ليخرج مكانه انظر[النهاية في غريب الحديث ص 156].

(2) أخرجه أبو عبيدة في فضائل القرآن في باب ذكر براءة (51/2) فقال حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم قال: ...
الحكم على رجال الإسناد: أبو معاوية هو محمد بن حازم، ثقة من التاسعة انظر [تقريب التهذيب: ص554، ترجمة رقم 5841].
إبراهيم النخعي: إبراهيم هو ابن يزيد النخعي ثقة انظر [تقريب التهذيب: ص120، ترجمة رقم 270].
الأعمش: هو سلمان بن مهران، ثقة انظر [تقريب التهذيب: ص303، ترجمة رقم 2623].
إذاً الحكم على الإسناد صحيح.

(3) أبو عطية الهمداني الوادعي الكوفي، اسمه مالك و أبوه اختلف في اسمه على أقوال فقيل عامر و قيل غيره و هو ثقة انظر [تقريب التهذيب ص 760، ترجمة رقم 8253].

(4) انظر[فضائل القرآن: (48/2) حديث رقم (451)، فضائل سور القرآن دراسة: د. إبراهيم علي السيد علي عيسى من ص(244-245) مصر – القاهرة – الإسكندرية- دار السلام – ط2- 1425هـ - 2005م، وذكره السيوطي في الدر المنثور في التفسير المأثور : عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي (120/4) – دار الفكر – بيروت – لبنان -1414هـ -1993م (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي الدر المنثور) وعزاه لأبي عُبيد، وسعيد بن منصور، وأبي الشيخ، والبيهقي في شعب الإيمان].

مناسبة السورة (التوبة) لما بعدها (سورة يونس):

وجه مناسبتها لما بعدها:

1- أنها خُتِمت بذكر رسالة النبي ﷺ واختُتمت بها سورة يونُس، أيضاً بُدئت سورة يونس بتبديد الشكوك والأوهام نحو إنزال الوحي على الرسول ﷺ للتبشير والإنذار.

2-أنَّ جُلَّ آيات هذه السورة في أحوال المنافقين، وما كانوا يقولونه، وما كانوا يفعلونه حين نزول القرآن، أما سورة يونُس فكانت في أحوال الكفار، وما كانوا يقولونه في القرآن، وما كانوا يفعلونه حين نزول القرآن.[1]

مناسبة السورة لما قبلها:

فقد ذكرته في بداية تفسير سورة الأنفال.[2]

مقاصد سورة التوبة:

سورة التوبة هي السورة التاسعة في ترتيب المصحف[3]. والسورة بجملتها نزلت في العام التاسع من الهجرة ، ويُرجِّح سيد قطب أنها لم تنزل دفعة واحدة وإنما نزلت على ثلاث مراحل .

المرحلة الأولى : كانت قبل غزوة تبوك في شهر رجب من هذا العام،

والمرحلة الثانية: كانت في أثناء الاستعداد لهذه الغزوة ثم في ثناياها،

والمرحلة الثالثة: كانت بعد العودة منها. [4]

وقد خرج الرسول ﷺ في السنة التاسعة بالمسلمين إلى تبوك بقصد غزو الروم ، كما خرج أبو بكر في أواخر سنة تسع على رأس المسلمين لحج بيت الله الحرام، وقد كان لهذه السورة بحكم هذين الحادثين العظيمين في تاريخ الدولة الإسلامية

هدفان أصيلان:

أحدهما: تحديد القانون الأساسي الذي تقام عليه دولة الإسلام؛ وذلك بتصفية وإلغاء المعاهدات التي كانت بين المسلمين ومشركي العرب، ومنعهم من الحج، وأكدت

---

(1) انظر[روح المعاني (55/11) ، في رحاب التفسير: (631/11)، التفسير المنير: (93/11)] .

(2) راجع ص62-63.

(3) انظر[تاريخ القرآن: أبو عبد الله الزنجاني- ص50- مؤسسة الأعلمي- بيروت- لبنان- ط3 - 1388هـ- 1969م - قدّم له الأستاذ أحمد أمين مؤلف كتاب فجر الإسلام (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي تاريخ القرآن)] .

(4) انظر[الظلال (1564/3)].

قطع الولاية بينهم وبين المسلمين، ووضعت الأسس في قبول أهل الكتاب في جزيرة العرب وكيفية التعامل معهم.

ثانيهما: إظهار ما كانت عليه نفوس أتباع النبي ﷺ حينما استنفرهم ودعاهم إلى غزو الروم، فكشفت الغطاء عن فتن المنافقين وما انطوت عليه قلوبهم ونواياهم من أحقاد للرسول ﷺ وللمسلمين عامة. ثم تحدثت عن المتثاقلين من أتباع الرسول ﷺ والمتخلفين عن هذه الغزوة. (1)

وقد عرضت السورة من أولها للهدف الأول فقد كان في:

المقطع الأول منها من بدايتها إلى ختام الآية الثامنة والعشرين تحديداً للعلاقات النهائية بين المعسكر الإسلامي والمشركين عامة في الجزيرة.

والمقطع الثاني (29-37) في السورة تضمن تحديداً للعلاقات النهائية بين المجتمع المسلم وأهل الكتاب عامة، مع بيان الأسباب العقدية والتاريخية والواقعية التي تحتم هذا التحديد؛ وتكشف عن طبيعة الإسلام وحقيقته المستقلة، وعن انحراف أهل الكتاب عن دين الله الصحيح عقيدة وسلوكاً.

وفي المقطع الثالث (38-41) يبدأ النعي على المتثاقلين والمتكاسلين عن النفير وهؤلاء ليسوا كلهم من المنافقين.

ثم يجيء **المقطع الرابع** (42-96) في سياق السورة وهو أطول مقاطعها، وهو يستغرق أكثر من نصفها في فضح المنافقين وأفاعيلهم في المجتمع المسلم.

ثم بعد ذلك **المقطع الخامس** (97-110) الذي يتحدث عن الجماعات الأخرى غير الجماعة المخلصة من المهاجرين والأنصار، فهذه جماعة الأعراب وفيهم المخلصون والمنافقون، وآخرون خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاَ، ولم يتم انطباعهم بالطابع الإسلامي، وطائفة مجهولة الحال لا تعرف حقيقة مصيرها متروكٌ أمرها لله، فيقرر الله كيف تُعامل هذه الجماعات في المجتمع المسلم ، ويُوجه الرسول ﷺ المسلمين الخُلَّص إلى طريقة التعامل مع كل منهم.

ثم بعد ذلك يجيء **المقطع السادس** (111-127) يتضمن تقريراً لطبيعة البيعة

(1) انظر[أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم: د. عبد الله محمود شحادة (112/1)].

الإسلامية مع الله على الجهاد في سبيله وطبيعة هذا الجهاد وحدوده، وواجب أهل المدينة ومن حولهم من الأعراب فيه، وأنهم لا يحل لهم أن يتخلَّفوا عنه، وفي ثنايا هذا المقطع يَرِدُ بيانٌ لِمَا قضى الله به في شأن بعض الذين تخلَّفوا عن الغزوة مخلصين غير منافقين.(1)

وتختتم السورة آياتها بذكر صفات رسول الله ﷺ، وبينت رحمته لهذه الأمة وأمر الله نبيه بالتوكل عليه في جميع أحواله، فقد تكفل الله بنصره حتى لو تخلى عنه جميع الناس، فإنَّ الله القوي القدير معه يحفظه ويرعاه .

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ **التوبة**

---

(1) انظر[الظلال (3/1565 – 1569)].

المبحث الثاني
عرض وتفسير لآيات سورة التوبة المتضمنة للقراءات العشر

1- ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢ ﴾ **التوبة**

أولاً: القراءات:

1- قرأ ابن عامر **(لا إيمانَ لَهُمْ)** بكسر الهمزة على أنه مصدر.

وقرأ الباقون **(لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ)** بفتح الهمزة على أنه جمع يمين.(1)

2- قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف وروح **(أَئِمَّة)** بتحقيق الهمزتين.

وقرأ نافع وأبو عمرو وابن كثير وأبو جعفر ورويس **(أيمَّة)**(2) بتحقيق الهمزة الأولى وتسهيل الهمزة الثانية.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(إيمان) مصدر أمن – أمناً، وأَمَنَاَ، وأماناً، وأمِنةً بمعنى اطمأن، فهو أَمِـن، وآمِـن، ومنه آمنهُ إيماناً: أي صدّق ووثق به، والإيمان: التصديق مطلقاً.(3) وآمنت بالله إيماناً: أسلمت له، واستُعمل المصدر في الأعيان مَجازاً ، فقيل الوديعة أمانة ونحوه. والإيمان: الإسلام أيضاً.(4)

(أيمان) جمع يمين وهو بمعنى القسم، والأيمان جمع اليمين أيضاً بمعنى البركة والقوة. يقال: "فلان عندنا باليمين، أي بالمنزلة الحسنى.(5)

---

(1) انظر[النشر (209/2)، البدور الزاهرة ص 164].

(2) انظر [النشر (294/1-295)].

(3) انظر[لسان العرب (23/13) مادة أمن، المنجد ص13 مادة أَمِن].

(4) انظر[لسان العرب (23/13) مادة أمن، المصباح المنير ص20 مادة أَمِن].

(5) انظر[لسان العرب (458/13-462) مادة يمن، المنجد ص 952 مادة يمن].

وقيل سُمِّي الحَلف يميناً؛ لأنهم كانوا إذا تحالفوا ، ضرب كلٌّ واحدٍ منهم يمينه على يمين صاحبه فسمي الحلف يميناً مجازاً.(1)

(أئمة) جمع إمام، والإمام الخليفة أو العالِم المقتدى به، والأصل أأْممه، فأدغمت الميم في الميم بعد نقل حركتها إلى الهمزة. فمن القراء من يبقي الهمزة مخففة على الأصل ، ومنهم من يسهلها على القياس بين بين، وبعض النحاة يبدلها ياء للتخفيف.(2) وأئمة: أي رؤساء الكفر وقادتهم ، الذين ضعفاؤهم تبعٌ لهم، وأيمة: قلبت الهمزة ياء ؛ لثقلها ، لأنها حرف سَفُلَ في الحلق وبَعُدَ عن الحروف ، وحصل طرفاً فكان النطق به تكلفاً.(3)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للسورة:

الإسلام يُلزم أهله باحترام العهود، وتنفيذ المواثيق ذلك ما دام الطرف الآخر ملتزماً بتلك العهود والمواثيق، أمّا إذا نكث الأعداء أيمانهم كما في قوله تعالى (وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَـٰنَهُم) أي إن نقضوا أيمانهم وهي جمع اليمين من الحلف(4) وهم أهل مكة (مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ) أي أنقضوا ما أبرمته أيمانهم من الوفاء بالعهد الذي عقدوه معكم، وعابوا دينكم واستهزءوا به (فَقَـٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ ۙ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَـٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ) وهم أبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف، وعتبة بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، وسهيل بن عمرو، وهم الذين نكثوا عهد الله وهمّوا بإخراج الرسول ﷺ من مكة.(5) وذلك لأنهم لا عهد لهم ، فقاتِلوهم حتى ينتهوا بقتالكم إيّاهم عن الكفر ونكث الأيمان ونقض العهود، والعودة إلى قتالكم كلّما قدروا

---

(1) انظر[المصباح المنير ص405- كتاب الياء – مادة يمن].

(2) انظر[المنجد ص20 مادة أمّ].

(3) انظر[لسان العرب (12/24-25) مادة أمم].

(4) انظر[مجاز القرآن: (1/253)].

(5) وهذا الأثر عن ابن عمر رضي الله عنه من طريق مجاهد. في المستدرك (2/362) 27 كتاب التفسير- 9 باب تفسير سورة التوبة، حديث رقم (3279/396) وعلق عليه الحاكم النيسابوري قائلاً: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه".

عليه.[1] والآية عامة أيضاً في كل من نكث الأيمان، وطعن في الدِّين، فحينئذٍ أباح الله للمسلمين نقض تلك المواثيق وقتال الكفار.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

1-قرأ ابن عامر **(لا إيمان لهم)** بكسر الألف ففيها وجهان: **أحدهما:** لا أمان لهم، أي لا تطمئنوا لهم ولا تؤمِّنوهم، فيكون مصدراً من الإيمان الذي معناه الاطمئنان وهو ضد الإخافة. فيكون التفسير: قاتلوا أئمة الكفر لأنهم لا يوفون لأحد بأمان يعقدونه، ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى عنهم: ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ **التوبة**

والمعنى الآخر : أنهم كفرة لا إيمان لهم، أي لا تصديق ولا دين لهم.[2] ولكن هذا المعنى أبعده د.محمد سالم محيسن[3] في كتابه المغني معللاً ذلك بقوله : "لأن الله وصفهم بالكفر قبله، فتبعد صفتهم بنفي الإيمان عنهم، لأنه معنى قد ذكر إذا أضاف الكفر إليهم، فاستعماله بمعنى آخر أولى ؛ ليفيد الكلام فائدتين".[4]

وقرأ الباقون **(أيمان)** بفتح الهمزة على أنه جمع "يمين" ومعناه لا أيمان لهم على الحقيقة وأيمانهم ليست بأيمان، ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى بعد: ﴿ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ ﴾ [التوبة:13].

ولو لم يكن منعقداً لما صح وصفها بالنكث، ومعنى هذه الآية عند الشافعي رحمه الله "أنّهم لمّا لم يفوا بها صارت أيمانهم كأنها ليست بأيمان"[5] وفتحت همزة الجمع لثقله وكسرت همزة المصدر لخفته.[6]

---

(1) انظر[تفسير المراغي (65/10-66)].

(2) انظر[الحجة: أبو علي الفارسي (178/4)].

(3) أستاذ مشارك للدراسات القرآنية واللغوية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وعضو لجنة تصحيح المصاحف ومراجعتها بالأزهر، وتخصص في القراءات وعلوم القرآن دكتوراه بمرتبة الشرف الأولى انظر[مقدمة كتابه المغني].

(4) المغني (201/2).

(5) انظر[المغنى (201/2)، مفاتيح الغيب (187/15)].

(6) الحجة: ابن خالويه ص97.

خامساَ: الجمع بين القراءتين:

أ- بالجمع بين القراءتين أرى أنَّ الكفرة لا عهود لهم ، وبالتالي لا أمان لهم فمن لا يفي بوعده فلا أمان له.

ب- قراءة ابن عامر قررت أن علة مقاتلة المشركين هي الكفر، وقراءة الجمهور بينت معنىً آخر لقتال المشركين ، وهو أنهم لا عهود ولا أيمان ، ولا ميثاق لهم ولا حلف.

فالجمع بين القراءتين يكون أن قراءة ابن عامر تقرير لعلة القتال ، وقراءة الجمهور كانت وصفاً لأحوال المشركين حين قتالهم، أو حين الأمر بقتالهم. [1]

2- من قرأ قوله تعالى: (فَقَـٰتِلُوٓاْ أَيِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ) بهمزتين مفتوحة ومكسورة وهي قراءة أهل الكوفة[2] فالحجة لمن حقق الهمزتين: أنه جعل الأولى همزة الجمع، والثانية همزة الأصل التي كانت في إمام، والأصل (أَأْمِمَة) على وزن أَفْعِلة ، فنقلوا كسرة الميم إلى الهمزة ؛ لأنهم استثقلوا الجمع بين الميمين متحركتين فأسكنوا الميم الأولى وأدغموا الميم في الميم للمجانسة.

أما من قرأ (أيمة الكفر) بهمزة واحدة وتسهيل الأخرى بياء فالحجة له: أنَّه كره الجمع بين همزتين في بِنْية واحدة، ولا اعتبار بكون الأولى زائدة كما لم يكن بها اعتبار في (آدم)، فقلب الثانية ياء لكسرها، وحرَّكها لالتقاء الساكنين.[3]

ولثقل الهمزة نستطيع أنْ نفسر أنَّه أمرٌ من الله ، أن يقاتلوا أئمة الكفر مهما كانت قوتهم وشدتهم.

وأما تسهيل الهمزة فتفسِّر أنَّ أئمة الكفر مهما كانوا أقوياء فإن فيهم ضعفاً ووهناً كبيت العنكبوت، لذلك لا تهابوا الكفار حين تقاتلونهم والله أعلم، وتحقيق الهمزة

---

(1) انظر[القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني ص 336].

(2) انظر[لسان العرب (25/12) مادة أمم].

(3) انظر[الحجة: ابن خالويه ص96، الحجة: ابن زنجلة ص315] .

فيه جمال صوتي، والياء فيها لين، والهمزة فيها شدة.

2- ﴿ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٥ ﴾ التوبة

أولاً: القراءات:

1- انفرد رويس في (ويتوبَ اللهُ) بنصب الباء.

2- وقرأ الباقون (ويتوبُ اللهُ) بضم الباء.[1]

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(يتوب) مضارع تاب، والمصدر توباً، وتوبةً، ومتاباً.

ومعنى تاب الله عليه: أي غفر له ورجع عليه بفضله ووفَّقه لها ، فالله تواب، والتوبة الرجوع من الذنب.[2]

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين في الآيات السابقة أن يقاتلوا الكفار، وعدَّد بعد الأمر سبعة أشياء ، كل واحدة منها يوجب إقدامهم على القتال. وفي هذه الآية ذكر في ذلك القتال نوع من الفوائد وهو (وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡ) أي يشفِ قلوب المؤمنين التي ملئت غيظاً وألماً من أفعال المشركين بهم في مكة. (وَيَتُوبُ ٱللَّهُ) بعد ذلك (عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ) من عباده حسب مشيئته، ولا غرابة، فالله عليم بخلقه، عليم بكل ما يعمل و يفعل في ملكه وملكوته حكيم لا يفعل إلا ما فيه الخير والحكمة لعباده.[3]

---

(1) انظر[النشر (209/2)].

(2) انظر[الصحاح تاج اللغة، وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجواهري (1/91-92) - دار العلم للملايين - بيروت- ط2- 1399هـ- 1979م- تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، مادة تاب ، المنجد ص 59 مادة تاب] .

(3) انظر[مفاتيح الغيب (4/16-5)، التفسير الواضح (32/1)].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ الجمهور (وَيَتُوبُ ٱللَّهُ) برفع الباء على الاستئناف، لأن معناه ليس من شروط الجزاء؛ إنما هو استئناف ليس بشرط للجزاء. كقولك للرجل: ايتيني أُعْطِك، وأُحبُّك بعد، وأكرمُك.[1] فيكون المعنى أنَّ الآية استأنفت الخبر ، بأنَّه قد يتوب على بعض الكفرة الذين أمر بقتالهم.[2]

وقرأ رويس **(ويتوبَ الله)** بفتح الباء، على أنه جواب الأمر من حيث إنه داخلٌ منه من جهة المعنى.

قال ابن عطية [3] في توجيه ذلك: "يتوجه ذلك عندي إذا ذُهب إلى أنَّ التوبة يُراد بها هنا أنَّ قتل الكافرين ، والجهاد في سبيل الله هو توبة لكم أيها المؤمنون وكمالٌ لإيمانكم، فتدخل التوبة على هذا في شرط القتال".

قال أبوحيَّان[4]:"وهذا الذي قدّره من كون التوبة تدخل تحت جواب الأمر هو بالنسبة للمؤمنين الذين أُمروا بقتال الكفار. والذي يظهر أنّ ذلك بالنسبة إلى الكفار والمعنى: على من يشاء من الكفار، لأن قتال الكفار وغلبة المسلمين إياهم، قد يكون سبباً لإسلام كثير، ألا ترى إلى فتح مكة كيف أسلم لأجله ناسٌ كثيرون ؟ وحَسُن إسلام بعضهم جدا". فيكون المعنى: إن تقاتلوهم ، يتب الله على من يشاء من الكفار، أي: يُسلم من شاء منهم.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

إن حصل القتال والجهاد في سبيل الله ، فإنه سوف يكون كمال إيمان وتوبة للمؤمنين. وقد يتوب الله على بعض الكفرة إذا أسلموا وحسُن إسلامهم ، فلا مانع من أن تكون التوبة للمؤمنين المجاهدين، وتكون للكفرة إذا أسلموا والله أعلم.

---

(1) انظر[معاني القرآن: الفراء (426/1)].

(2) المحرر الوجيز (14/3).

(3) انظر[المرجع السابق (14/3)].

(4) البحر المحيط (17/8).

3- ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ التوبة

أولاً: القراءات:

1- قرأ البصريان (أبو عمرو ويعقوب) وابن كثير (**مسجد الله**) على التوحيد.

2- وقرأ الباقون (**مساجد الله**) بالجمع.(1)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(**المسجد**) هو الموضع الذي يُسجد فيه أو هو كل موضع يُتعبَّد فيه، والجمع مساجد. والفعل سجد سجوداً، أي انحنى خاضعاً أو وضع جبهته بالأرض متعبداً.(2)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

ابتداء الآية ، له غرضٌ من أغراض معاملة المشركين، وهو منع المشركين من دخول المسجد الحرام في العام المقبل، وهو مرتبطٌ بما تضمنته البراءة التي في بداية السورة، فأكدت هذه الآية على أنَّه لا يحق للمشركين أنْ يعمروا مساجد الله التي منها المسجد الحرام بالإقامة فيه للعبادة أو الخدمة أو الولاية عليه (شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِۚ) أي انتفى تأهلهم ، لإعمار مساجد الله بحال شهادتهم على أنفسهم بالكفر، فهي حاصلة في كثير من أقوالهم وأعمالهم، فهم لا يستطيعون إنكار ذلك، مثل قولهم في التلبية: "لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك"، ومثل سجودهم للأصنام وطوافهم بها (أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ) أي أولئك المشركون ، بطلت أعمالهم التي يفخرون بها ، من عمارة المسجد الحرام في الدنيا، وفي الآخرة (وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ) وماكثون.(3)

---

(1) انظر[النشر (209/2)].

(2) انظر[لسان العرب (204/3-206) مادة سجد، المنجد ص302 مادة سجد].

(3) انظر[التحرير والتنوير (139/10-140) ، تفسير المراغي (74/10)].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو (**مسجد الله**) بالإفراد وهي تحمل وجهين:

1- أن يراد مسجد بعينه، وهو المسجد الحرام. ودليله قوله تعالى: (فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَـٰذَا ۚ) [التوبة:28] ، وقوله تعالى:(أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ) [التوبة :19].

2- ويحتمل أنَّ المراد بالإفراد الجنس، فتَنْدرج سائر المساجد ، ويدخل المسجد الحرام في مقدمته.

أما قراءة الجمع (مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ) فالدليل عليها قوله تعالى: (إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ) [التوبة:18] ، وفيها أيضاً أوجه:

1- أنّ المراد جميع المساجد ، فاحتجوا بأنَّ الخاص يدخل في العام، وليس العكس، لذلك يدخل المسجد الحرام دخولاً أولياً على طريق الكناية ، كما لو قلت: "فلان لا يقرأ كتب الله" فإنك أكدت نفي قراءته للقرآن من تصريحك بذلك.

2- أنّ المراد المسجد الحرام، وأطلق عليه الجمع:

أ- إمّا لأنَّ كل بقعة من المسجد الحرام يُقال لها مسجد.

ب- وإمّا لأنَّه قبلة سائر المساجد فصح أن يطلق عليه لفظ الجمع.(1)

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين ألاحظ أن من قرأ الآية بالجمع (**مساجد**) أفادت نفي أن يعمّر المشركون أي مسجد من المساجد، في حين أنَّ قراءة الإفراد أفادت تعيين المسجد الحرام بالذكر تأكيداً لشأنه في ذلك، فالقراءتان من باب ذكر بعض أفراد العموم لا من باب التخصيص وذلك ، لتفيد التأكيد والاهتمام بهذا الفرد والله أعلم.

---

(1) انظر[الحجة : ابن خالويه ص97 ، معاني القراءات ص205، الدر المصون (29/6) ، القراءات وأثرها في التفسير للأحكام: محمد بازمول (690/2)].

4- ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ التوبة

أولاً: القراءات:

1- قرأ ابن وردان بخلف عنه (سُقاةَ الحاجّ وعَمرَةَ) **سُقاة:** بضم السين وحذف الياء بعد الألف جمع ساق، **عَمرَة:** بفتح العين وحذف الألف جمع عامر، مثل صانع وصنعة.

2- وقرأ الباقون وهو الوجه الثاني لابن وردان (سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ) **سِقَايَة:** بكسر السين وبياء مفتوحة بعد الألف، **وعِمارة:** بكسر العين وبألف بعد الميم.(1)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

السِقَاية: بفتح السين وبكسرها من الفعل سقى، سقيا، أسقيته إذا جعلت له سُقياً، والسَّقي المصدر، وهي موضع السقي، وهو الموضع الذي يُتخذ لسقي الناس، والسِّقاء يكون للماء واللبن.

سُقاة: جمع ساقٍ وهو اسم فاعل.(2)

عمارة: ما يُعمَّر به المكان وهو أخص من القبيلة ويقصد به المنزل، وقيل هو الحي العظيم الذي يقوم بنفسه.

عَمرَة: عُمِّر المنزل بأهله عَمْراً فهو عامر، وعَمَرَهُ أهله سكنوه، وعَمَرة جمع عامر، مثل صانع وصنعة، وهو ساكن الدار.(3)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

(1) انظر[النشر (209/2)، البدور الزاهرة ص 165].

(2) انظر[مجمل اللغة (465/2-466) ، المصباح المنير ص169- كتاب السين مادة سقي ، المنجد ص323 مادة سقي].

(3) انظر[لسان العرب (606/4) مادة عمر،المصباح المنير ص255، كتاب العين مادة عمر، المنجد ص498 مادة عمر].

(أجعلتم) في الفضيلة وعلو الدرجة (سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ) الخطاب موجهٌ للمشركين ، وأستدل بما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس، قال: " إنّ المشركين قالوا: عمارة بيت الله تعالى، وقيامٌ على السّقاية، خير ممن آمن وجاهد فنزلت الآية "[1] ، وقيل: إن بعض المؤمنين فضّلوا السقاية والعمارة على الهجرة والجهاد ، وأستدل له بما أخرجه مسلم وأبو داوود عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ في نفرٍ من أصحابه، فقال رجل منهم، ما أبالي أن لا أعمل لله عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج، وقال آخر: بل عمارة المسجد الحرام. وقال آخر: بل الجهاد في سبيل الله خير مما قلتم. فزجرهم عمر رضي الله عنه وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند رسول الله ﷺ وذلك يوم الجمعة- ولكن إذا صليتم الجمعة دخلت على رسول الله ﷺ فاستفتيته فيما اختلفتم فيه، فأنزل الله الآية.[2] ، ومعنى الآية: هل سويتم في الفضيلة وعلو الدرجة بين السقاية والعمارة وبين الإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيله.(لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ) [التوبة: 19] أبداً وإن كان في كل خير فإن كانت صادرة عن المؤمن ، فالجهاد في سبيل الله والإيمان به وباليوم الآخر أعلى درجة وأعظم مكانة عند الله، وإن كانت صادرة عن الكافر فقد حبط عمله (وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ) إلى الحق في أعمالهم؛ ولا إلى الحكم العدل في أعمال غيرهم.[3]

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قوله تعالى:(أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ) السقاية صيغة للصناعة، صناعة السقي من ماء زمزم، لذلك أضيف السقي إلى الحجاج، والعمارة

---

(1) ذكره السيوطي في الدر المنثور (145/4)، و ابن كثيرفي تفسيره (341/2).

(2) أخرجه مسلم (25/13-26) في صحيحه، كتاب الأمارة – باب فضل الشهادة في سبيل الله، وذكره الطبري في جامع البيان (95/10)، وذكره ابن كثير في تفسيره (342/2) ، والسيوطي في الدر المنثور (144/4).

(3) انظر[التفسير الواضح (35/1-36)، المقتطف من عيون التفاسير (374/2)].

صناعة التعمير، وأضيف إلى المسجد الحرام، لأنها عمل في ذات المسجد.[1] فعلى هذا المعنى فإنه يحتمل وجهين: إما حذف في الأول أو حذف في الثاني.

أحدهما: على تقدير محذوف أهل أو أصحاب مثل: **(وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ)** [يوسف: 82]،

المراد أصحاب القرية، فيكون تفسير الآية: أجعلتم أصحاب أو أهل سقاية الحاج، وأهل عمارة المسجد مثل من آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيله، أو كالمؤمنين والمجاهدين في سبيل الله.

والآخر: على تقدير الحذف في **(مَنْ آمَنَ)** أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كالإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيل الله، أو أجعلتم عمل الحاج كعمل من آمن أو كإيمان من آمن .. أي لا يستوي العملان مع العملين ولا عاملوا هذين بعاملي ذينك العملين.[2]

أما قراءة **(سُقَاة الحاج وعَمَرَة المسجد)** فسقاة جمع ساقٍ والأصل سقية على وزن فُعلة، وعمرة جمع عامر.

والتقدير: أجعلتم سقاة الحاج وعمّار المسجد كالمؤمنين والمجاهدين في سبيل الله.[3]

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين نجد أن كل قراءة أثرت وأفادت معنى في تفسير الآية، فعلى القراءتين يكون التقدير:

أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كالإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيل الله، وجعلتم سقاة الحاج وعمّار المسجد كالمؤمنين والمجاهدين في سبيل الله.

5- ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ التوبة

---

(1) انظر[التحرير والتنوير (143/10)].

(2) انظر[التحرير والتنوير (146/10)].

(3) انظر[الجامع لأحكام القرآن (438/8-439)].

أولاً: القراءات:

1- قرأ حمزة (**يَبْشُرهُم**) بفتح الياء وسكون الباء وضم الشين مخففة.

2- وقرأ الباقون (**يُبَشِّرُهُم**) بضم الياء وفتح الباء وكسر الشين مشددة.(1)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(يُبَشِّرُهُم) من البشارة أي الخبر المفرح، يقال بَشَّرتُه بِشَارةً، أي فرَّحه وبلَّغه البشرى أو البشارة، وسميت بذلك ؛ لأن أثرها يظهر في البشرة ، وهي ظاهر جلد الإنسان.

(**يَبْشُرهُم**) معناه يَسرُّهم، يقال بشر وأبشر أي بلَّغه البشرى، بشر بشرا: فرح، واسم الفاعل من الفعل المخفف بشر هو (بشير) ويكون البشير في الخير أكثر من الشر، وإن استعملت في الشر فبقيد كقوله تعالى: (فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ)(2) [آل عمران:21].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

هذه الآية بيان للدرجة العظيمة التي في قوله(أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ) [**التوبة:20**] في الآية السابقة، فتلك الدرجة هي عناية الله تعالى بهم ، بإدخال المسرة عليهم، وتحقيق فوزهم ، وذلك على لسان نبيه محمد ﷺ فيبشرهم (بِرَحْمَة) عظيمة (مِّنْه) تعالى و (وَرِضْوَان) كبير كامل (وَجَنَّـٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ) أي وجنات عالية لهم فيها نعيم دائم مستمر. (3)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

التخفيف لغة تهامة: وهو فعل مضارع من بشر، فتتغير عنده بشرةُ الوجه وتنبسط عادة، والتشديد لغة أهل الحجاز وهو فعل مضارع من بَشَّر مضعَّف العين، يقال بشره يبشره تبشيرا من أبشر(4)، وذهب بعض القراء: إلى أنها لغات بمعنى واحد فأرى أن قراءة التخفيف أفادت أن آثار البشرى من الله ظهرت على وجوه المؤمنين فبان السرور عليها.

---

(1) انظر[النشر (180/2)، (209/2)، البدور الزاهرة ص165].

(2) انظر[المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية (59/1-60)- ط3- مادة بشر، المصباح المنير ص35 مادة بشر، المنجد ص33 مادة بشر ، الدر المصون (209/1-210)].

(3) انظر[المقتطف من عيون التفاسير (375/2) ، التحرير والتنوير (149/10-150)].

(4) انظر[لسان العرب (162/4)، القراءات وأثرها في العلوم العربية (264/1)].

وقال ابن خالويه [1] عن التشديد والتخفيف بأنهما "لغتان فصيحتان" ، وقال الأزهري[2]: "فمن العرب من يجيز بشرته وأبشرتُه، وبَشَرْتُه بمعنى واحد، و يقال: بشّرتُه، فأبشر وبَشَر، أي سُرَّ وفَرِح".

ومع هذا فإن قراءة التشديد ، أفادت المبالغة والتأكيد على البشارة ، والتكثير بالنسبة للمبشر به، وأفادت أيضاً تكراراً للبشارة فهي بشرى عظيمة لا نهاية لها ،ولا يحاط بمعرفة مقدارها، وبينت أن هذه البشرى ثواب عظيم للمؤمنين المهاجرين.

فهي بشارة تلو بشارة ، حيث إنَّ الله –سبحانه وتعالى– يبشرهم في كتابه على لسان رسوله، وعلى لسان ملائكته، حين الموت برحمة منه، ورضوان كامل لا يشوبه سخط، وجنات تجري من تحتها الأنهار، ولهم فيها نعيم مقيم ، لا يزول على عظمته وكماله.[3] وفي ذلك حث على الإيمان و الهجرة و الجهاد في سبيل الله.

ويقول الألوسي:"وكونه سبحانه هو المبشر،لا يخفى من اللطافة واللطف".[4]

6- ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ التوبة

أولاً: القراءات:

1- قرأ شعبة **(وعشيراتُكُم)** بالألف على الجمع.

2- وقرأ الباقون **(وَعَشِيرَتُكُم)** بغير ألف على الإفراد.[5]

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

---

(1) الحجة: ابن خالويه ص51 .

(2) معاني القراءات ص102.

(3) انظر[في رحاب التفسير (1529/10)].

(2) انظر[روح المعاني (263/5)].

(3) انظر[النشر (209/2)].

(**العشيرة**) القبيلة ولا واحد لها من لفظها، والجمع عشيرات، وعشائر.[1] وعشيرة الرجل بنو أبيه الأدْنَونَ، **والعشيرة:** العامة مثل بني تميم وبني عمرو بن تميم، **والعشير:** القريب والصديق. [2]

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

المعنى العام للآية أي قل لهم: إن كنتم تفضلون شهوات الدنيا وحظوظها من الآباء والإخوان والأزواج والعشائر والأموال والتجارة والمساكن، على حب الله ورسوله والجهاد في سبيله (فَتَرَبَّصُوا) أي انتظروا حتى يأتي أمر الله وعقوبته ، التي تحل بكم أجلاً أم عاجلاً،(وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ) الخارجين عن حدود الدين والشريعة ؛ لأنهم يؤثرون الدنيا وشهواتها على حب الله ورسوله ، فهم محرومون من الهداية. [3]

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ شعبة (**عشيراتُكُم**) بألف بعد الراء، على الجمع حملاً على المعنى، لأن كل واحد من المخاطبين عشيرة، فجمع لكثرة عشائرهم، والعشيرة القبيلة، والجمع عشيرات وعشائر.

وقرأ الباقون (عَشِيرَتُكُمۡ) بالتوحيد أي بغير ألف على الإفراد، لأنَّ العشيرة واقعة على الجمع، أي عشيرة كل منهم، فاستغنى بذلك لخفته، وأيضاً استغنى بما أضيف إليه من الجمع عن جمعه لدلالته عليه. [4]

والعشيرة الأقارب الأدنون ، وكأنَّه مشتق من العِشْرة وهي الخلطة والصحبة.[5]

---

(1) انظر[المصباح المنير ص244- كتاب العين مادة عشر].

(2) انظر[لسان العرب (574/4)].

(3) انظر[في رحاب التفسير (1531/10-1533)].

(4) انظر[الحجة: أبو علي الفارسي (180/4)، الكشف (500/1)، الفريد في إعراب القرآن المجيد (456/2)].

(5) انظر[التحرير والتنوير (153/10)].

وعقَّب مكي قائلاً على قراءة (عَشِيرَتُكُم): "وهو الاختيار لأنَّ الجماعة عليه"[1] وهذا ما لا أقبله لأنَّ القراءتين إذا استوتا في التواتر استوتا في الجمال وقوة التوجيه. وهذه بلاغة في أسلوب القرآن الكريم ذكر البقية بلفظ واحد يتناول الكل وهي لفظ العشيرة.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

أرى أنَّ قراءة (**عشيراتكم**) يكاد الموجهون يجمعون على أن المراد الجمع ولكن الجمال الصوتي أولى بالاعتبار من مجرد التعبير عن الجمع، وإلا استخدام كلمة(**عشائر**) وقد نقل مكي عن الأخفش أن العرب لا تجمع عشيرة إلا على عشائر.[2]

إن ذلك الجمال الصوتي(**عشيراتُكُم**) يكمن في تطويل نواة المقطع الثالث (را)، وهو مقطع طويل مفتوح، وهو مركَّب من حاشية أولى /ر/ + النواة + حاشية ثانية /صفر/ وهذا مألوف في لغة العرب (فتحة طويلة) إذا أريد التعبير عن تفخيم المعنى وتعظيمه ومن ذلك: قرابات ورجالات.

ولعل ممّا يقوي رأينا هذا أنَّ ، المقطع الثالث هو نقطة التميز الوحيدة بين القراءتين /را/ - /رَ/[3]

7- ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ التوبة

أولاً: القراءات:

1- أ- قرأ عاصم والكسائي ويعقوب (عُزَيْرٌ ٱبْنُ) بالتنوين وكسرة حالة الوصل.

---

(1) الكشف (500/1).

(2) انظر[الكشف (500/1)].

(3) التوجيه اللغوي والبلاغي : د.صبري ص213.

ب- وقرأ الباقون (**عزيرُ ابن**) بغير تنوين أي حذفه.[1]

2- أ- قرأ عاصم (يُضَـٰهِـُٔونَ) بكسر الهاء وهمزة مضمومة بعدها.

ب- وقرأ الباقون (**يضاهُوْن**) بضم الهاء من غير همز بعدها.[2]

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(عُزير) على صيغة المصغر نبي الله -عليه الصلاة والسلام- وهم اسم ينصرف لخفته وإن كان أعجمياً مثل نوح، لوط، لأنه تصغير عَزْر، ويسمّيه أهل الكتاب عزرا، وينتهي نسبه إلى العازار بن هارون عليه الصلاة والسلام. [3]

(يُضَـٰهِـُٔونَ) يقال ضاهيته مضاهاة: وهي مشاكلة الشيء بالشيء. [4] وأصل المضاهاة في اللغة المشابهة واشتقاقه من قولهم: امرأة ضهباء، وهي التي لا ينبت لها ثدي، وقيل هي التي لا تحيض. فالمعنى أنها أشبهت الرجال في أنها لا ثدي لها أو في أنها لا تحيض. [5]

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

تقرر هذه الآية لما مرَّ من الآيات السابقة، وتؤكد له ، ببيان أنهم لا يؤمنون بالله. حيث إن من أكبر الكبائر الإشراك بالله تعالى، وجميع الشرائع السماوية اتفقت على الدعوة لتوحيد الله تعالى ، وتنزيهه عن أن يكون له ولد أو شريك أو صاحبة؛ ولكن اليهود ، لم تنفتح قلوبهم لتوحيد الله وقالوا: (عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ) تعالى الله عما يشركون علواً كبيرا!

---

(1) انظر[النشر (209/2)، البدور الزاهرة ص165].

(2) انظر[النشر (315/1) (209/2)].

(3) انظر[لسان العرب مادة عزر (563/4)، المصباح المنيرص243 مادة عزر، تفسير المراغي (97/10)].

(4) انظر[المصباح المنير ص218- كتاب الضاد مادة ضهأ].

(5) انظر[معاني القرآن وإعرابه: الزجاج (443/2)، مجمل اللغة: ابن زكريا (567/2)].

وقد ذكر الطبري عند تفسيره لهذه الآية روايات ، تدل على : أنَّ عزيراً هذا هو الوارد في كتبهم ، التي أجمعت على أنَّ أهل الكتاب مدينون لعزير في كتابة كتبهم المقدسة ، وأنه هو الذي أملاها فقالوا: ما أعطاه الله هذا ؛ إلا لأنَّه ابنه.

وهذا القول : كان شائعاً في اليهود أنفسهم ، وقت نزول الآية، فلم يكذبوها بل كانوا يقولون مثلها، وأيضاً النصارى نسبت المسيح إلى أنَّه ابن الله ، فهي ضاهت كلام اليهود من قبل، واليهود والنصارى شابه قولهم في الكفر والشناعة مَنْ قبلهم من المشركين، (قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ) أي لعنهم الله أو دعاء عليهم بالإهلاك، فإنَّ من قاتله الله هلك، أو تعجب من شناعتهم (أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ) أي كيف يصرفون الحق إلى الباطل؟ بعد قيام الأدلة عليه.(1)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى:

اختلف القراء في قراءة **(عزير ابن)** فقرأه عامةُ قُرّاء أهل المدينة وبعض المكيين والكوفيين **(عزيرُ)** لا ينونون عزيرا.

وقرأه بعض المكيين والكوفيين (عُزَيْرٌ) بتنوين.(2) وقد ذُكر في التحرير والتنوير(3): عزير اسم حبرٍ كبيرٍ من أحبار اليهود الذين كانوا في الأسر البابلي، واسمه في العبرانية **(عِزرا)** بكسر العين المهملة، (عُزَيْرٌ) بالتنوين قرأ على أنَّه عربيٌ ، بسبب التصغير الذي أدخل عليه ؛ لأنَّ التصغير لا يدخل في الأعلام الأعجمية، وقد ذُكر اسم عزير بصيغة التصغير في الآية ، فيحتمل أنَّه لمّا عُرّب عُرِّب بصيغة تشبه صيغة التصغير ، فيكون كذلك اسمه عند يهود المدينة، ويحتمل أنَّ تصغيره جرى على لسان يهود المدينة تحبيباً فيه.

---

(1) انظر[جامع البيان (10/111-113)، التفسير الواضح (1/45)، معالم التنزيل (2/240-241)].

(2)انظر[جامع البيان (10/112)].

(3) انظر[التحرير والتنوير (10/168)].

وعلى هذا فمن قرأه بالتنوين فهو على أساس أنَّه اسم عربي ، بسبب ما ذكرناه سابقاً، فيكون (عُزَيْر) مبتدأ **(وابن)** خبر المبتدأ، ورفضوا[1] أن يكون الابن نعتاً لعزير، وقالوا: لأنَّ العرب لا تنون الأسماء إذا كان الابن نعتاً للاسم ، كقولهم هذا زيد بن عبد الله، فأرادوا الخبر بأن ابن الله هو عزير ، ولم يريدوا أن يجعلوا الابن له نعتا. [2]

وقد نقل السيوطي عن ابن خباز[3] قوله: "والتنوين حرف ذو مخرج وهو نون ساكنة ، وجماعةٌ من الجهال بالعربية لا يُعدونه حرف معنى ولا مبنى ؛ لأنَّهم لا يجدون له صورة في الخط، وإنّما سمّي تنويناً ؛ لأنه حادث بفعل المتكلم والتفعيل من أبنية الأحداث"[4]

والتنوين زيادة على الكلمة كما أنّ النّفل زيادة على الفرض[5] وفائدة التنوين تكثير اللفظ [6] **وحجّةُ من نوّن:**

1- أنَّه جعل الاسم عربياً ؛ لأنه على مثال المصغرات من الأسماء العربية وله اشتقاق.

2- أنَّه إنْ كان الاسم أعجمياً ، فهو خفيف وتمام الاسم في الابن.

3- أنَّ (عزير) قد أضيف إلى غير أبيه، والعرب إذا أضافت الاسم إلى غير أبيه نوّنوا لقلة الاستعمال.[7]

أما من منع التنوين ، فنظر إلى عُجْمته مع العلمية ، وليس فيه تصغير[8] على أساس أنَّه مكبر كـ(سليمان). ومن حذف التنوين له وجهان:

---

(1) انظر[المرجع السابق بنفس الصفحة].

(2) انظر[جامع البيان (112/10)].

(3) هو أحمد بن الحسين بن أحمد الأربلي الموصلي، أبو عبد الله شمس الدين ابن الخباز، نحوي ضرير، له تصانيف منها الغرّة المخفية في شرح الدرة الألفية توفي عام 639هـ – 1241م انظر[الأعلام (117/1)، بغية الوعاة (304/1) ترجمة رقم 560].

(4) انظر[الأشباه والنظائر (139/2)].

(5) انظر[الأشباة والنظائر (139/2)].

(6) انظر[المرجع السابق (140/2)].

(7) انظر[إعراب القراءات: ابن خالويه (236/1)].

(8) انظر[نظم الدرر (300/3)].

الأول: (عزيرُ ابن) فيكون عزير مبتدأ وابن خبر، وحُذِف التنوين ؛ لاجتماع الساكنين كما يروى في قراءة بعضهم[1] (أحدُ الله الصمد) حُذِف التنوين ؛ لالتقاء الساكنين بترك التنوين من أحد. قال ابن عطية: "فالألف على هذه القراءة والتأويل ثابتة في (ابن).

الثاني: أنَّ (ابن) صفة لعزير فجعلت الصفة والموصوف بمنزلة اسم واحد. وحَذْف التنوين إذا جاء ساكنان كأنهما التقيا في كلمة واحدة. فالمعنى يكون عزير ابن الله معبودنا وإلهنا. أو المعنى معبودنا وإلهنا عزير بن الله.[2]

وقال ابن عطية أيضاً : "وقياس هذه القراءة والتأويل أن تحذف الألف من (ابن) لكنها تثبت في خط المصحف".[3]

خامساً:الجمع بين القراءتين:

من قرأ بالتنوين ، تعمّد صب المادة في قالب عربي، أمَّا من قرأ بدون تنوين، آثر الإبقاء على تركيبه حتى يعلم –لأول وهلة– أنه أعجمي ، والله أعلم.

القراءة الثانية:

قرأ عاصم **(يضاهِئون)** بكسر الهاء والهمز وهي لغة ثقيف.

وقرأ الباقون **(يضاهُون)** بضم الهاء وبغير همز وهي قراءة عامة قراء الحجاز والعراق [4] وقد ذكر كثير من المفسرين بأنهما لغتان [5]، يقال ضاهيت: ضاهأت مثل: أرجيت وأرجأت. والحجة لمن همز: أنَّه أتى به على الأصل، والحجة لمن ترك الهمز: أنه أراد التخفيف فأسقط الياء لحركتها بالضم، والضم لا يدخلها.

الجمع بين القراءتين:

(1) ذكرها ابن عطية في تفسيره (23/3)، أبو حيان في تفسيره (31/5) ولم ينسبها إلى أحد، وذكرها السمين الحلبي في تفسيره (38/6) ولم أجد هذه القراءة في كتب القراءات الشاذة.

(2) انظر[المحرر الوجيز (24/3)].

(3) المحرر الوجيز (26/3).

(4) انظر[جامع البيان (113/10)].

(5) انظر[جامع البيان: الطبري (113/10) ، المحرر الوجيز (25/3) ، معالم التنزيل (241/2)، مفاتيح الغيب (30/15)].

أرى أنهما لغتان من لغات العرب ، ولكن استعمال الهمزة لثقلها للحالات الثقيلة النادرة[1]، توحي بثقل القول الذي يخرجونه من أفواههم. وهل يوجد قول أثقل من قولهم هذا (عزير ابن الله) أو (المسيح ابن الله) ؟ تعالى الله عما يصفون ويشركون علواً كبيرا !.

8- ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ التوبة

أولاً: القراءات:

1- قرأ أبو جعفر (**اثنآ عْشَـر**) بالمد المشبع –مد ألف اثنا لالتقاء الساكنين- وإسكان العين.

2- وقرأ الباقون (**اثنا عَشَر**) بدون مد مع فتح العين.[2]

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(**عشر**) العشرة أول العقود، من العرب من يُسكّن العين فيقول: أحدَ عْشر، ونقل ابن منظور عن الأخفش: "إنما سكّنوا العين لما طال الاسم وكثُرت حركاته".[3]

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

أعلم الله عز وجل في هذه الآية : أنَّ عدة شهور المسلمين يعني – شهور السنة – التي تؤدى فيها الزكاة اثنا عشر شهراً على منازل القمر، فجعل حَجَّهم وأعيادهم وصلاتهم في أعيادهم هذا العدد.

---

(1) انظر[بلاغة الكلمة: د. فاضل السمرّائي ص57].

(2) انظر[النشر (209،210/2)، البدور الزاهرة ص166].

(3) انظر[لسان العرب (568/4 – 569) مادة عشر].

فأعلم الله عز وجل أن سني المسلمين على الأهلة ومن يوم أن خلق الله السموات والأرض من الشهور : أربعةٌ حُرُم (محرم – رجب – ذو القعدة– ذو الحجة) (ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ) وكان ذلك الحساب الصحيح المستقيم لا يزيد ولا ينقص (فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡ) في الاثني عشر بالمعصية، ويقال في الأشهر الحرم (وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةً) جميعاً غير متفرقين (كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةًۚ) جميعاً (وَٱعۡلَمُوٓاْ) يا معشر المؤمنين أنَّ الله مع المتقين ضامنٌ لهم النصر.[1]

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ أبو جعفر (**اثنآ عْشر**) بإسكان العين ومد الألف مداً مشبعاً لأجل الساكن ، لأنَّه حينئذٍ أصبح من باب المد اللازم.[2]

وسكون حرف العين ؛ لأنَّ الاسمين (اثنا عشر) كالاسم الواحد وبني الأول منهما ؛ لأنَّه كصدر الاسم، والثاني منهما ؛ لتضمنه معنى واو العطف ، فجعل تسكين أول الثاني دليلاً على أنهما قد صارا كالاسم الواحد.[3]

وقرأ الباقون(اثنا عَشر) بفتح العين وصلاً وبدءاً، والإسكان والفتح لغتان صحيحتان. غير أنَّ المد فيه طول زيادة[4] يدل على طول الزمن. فيكون التفسير إنَّ عدة الشهور اثنا عشر شهراً عند الله في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض، فهو مكتوبٌ عند الله منذ أن خلق الله السموات والأرض وسيستمر إلى يوم القيامة و هذا المعنى أخذناه من توالي الحركات الذي يفيد الاستمرارية. أفادت قراءة المد: أنَّ ذلك العدد واجبٌ متقررٌ في علم الله، وفي كتاب الله من أول ما خلق الله الخلق.

(1) انظر[معاني القرآن: الزجاج (445/2–447)، معاني القرآن: النحاس (446/1 – 447)، مجاز القرآن (258/1)، تفسير ابن وهب المسمى الواضح في تفسير القرآن الكريم: أبو محمد عبد الله بن محمد بن وهب الدينوري (ت 308هـ) (313/1) – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان– ط1– 1424هـ – 2003م– تحقيق : أحمد فريد].

(2) انظر[المغني في توجيه القراءات (205/2)].

(3) انظر[مجمع البيان (55/10)].

(4) انظر[النشر (245/1)].

والمد اللازم: من أقوى أنواع المدود، ولا يتمكن النطق بالساكن بحقه إلا بالمد لذلك اتفق القراء على مده مداً مشبعاً.[1]

9- ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٧ ﴾ التوبة

أولاً: القراءات:

1- أ- قرأ ورش وأبو جعفر (**إِنَّمَا النسيُّ**) بتشديد الياء من غير همز ولا مد؛ وأبو جعفر أبدل الهمزة حرف مد ، بحسب حركة ما قبله.

ب- قرأ الباقون (**إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ**) بالمد والهمز.[2]

2- أ- قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص (**يُضَلّ**) بضم الياء وفتح الضاد.

ب-وقرأ يعقوب (**يُضِل**) بضم الياء وكسر الضاد.

ج-وقرأ الباقون (**يَضِل**) بفتح الياء وكسر الضاد.[3]

3- أ- قرأ أبو جعفر (**ليواطُوا**) بحذف الهمزة وضم ما قبلها من أجل الواو.

ب- قرأ الباقون (**لِيُوَاطِئُوا**) بالهمز وكسر الطاء.[4]

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(**النسيء**) مصدر من الفعل نسأ، نسأً، ومنسأ، أي أخّر، والنّسيء التّأخير.[5]

---

(1) انظر[العمادي في شرح طيبة النشر في القراءات العشر (الكشف عن علل القراءات وتوجيهاتها) د. محمد سالم محيسن (182/1) دار الجيل – بيروت – ط1- 1417هـ – 1997م].

(2) انظر[النشر (303/1)، (210/2)، تحبير التيسير: ابن الجزري ص131].

(3) انظر[النشر (210/2)].

(4) انظر[النشر (308/1) ، البدور الزاهرة ص166] .

(5) انظر[مجمل اللغة: ابن زكريا حمادة (866/3) ، المنجد ص 788 – 789 مادة نسأ].

(النسيُّ) مصدر من الفعل نسا، ينسى، نسياً، ضد الحفظ، وأنساه الشيء أي أمره بتركه، ونسيء الشيء ضد حفظه والنسيان الكثير النسيان، والنسيّ أيضاً الكثير النسيان ومن لا يعد في قومه. (1)

(يضل) المضارع من ضل – ضلالاً– وضلالة ضد اهتدى أي حاد عن الدين أو حق أو طريق، ومنه أضل الشيء، أي أضاعه وأهلكه.

وأهل الحجاز يقولون ضللت أضَل ، وأهل نجد يقولون ضللت أضِل . (2)

(ليواطئوا) ليوافقوا من وطئت، والمواطأة المواتاة. (3) والمواطأة الموافقة أيضاً، وطي وتوطية أي خفض و حطّ ، وطّاه فتوطّى أي فصار كذلك هي لغة في وطّأ، وطِئتُهُ، وطأً، وتوطأ بالهمزة. (4)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

كل شيء في الكون خلقه الله ، وَفْقاً لنظام دقيق بديع ، وإذا حاول أيُّ مخلوق التغيير وقلب هذا النظام ، فهو ملحد وكافر.

فمنذ أن خلق الله الكون جعل العام اثنيْ عشر شهراً ، وجعل أربعة أشهر حُرماً ، يوقف فيها القتال، ولكنَّ أهل الجاهلية كانوا يؤخرون حرمة الشهر الحرام في القتال إلى شهر آخر، ولما جاء الإسلام نهى عن ذلك وحرّمه ، وجعل هذا العمل (زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ) فهو كفر آخر ، ضموه إلى كفرهم (يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ) ضلالاً زائداً على ضلالهم (يُحِلُّونَهُۥ) أي : النسيء ، وهو التأخير الذي يؤخِّره أهل الشرك بالله من الشهور الحرم الأربعة ، من تصييرهم الحرام منهنّ حلالا، والحلال منهنّ حراما (عَامًا) أي سنة يجعلونه حلالاً (وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا) فيتركونه على حرمته، أي إذا أحلُّوا شهراً من الأشهر الحُرُم عاماً رجعوا فحرَّمُوه في العام المقبل (لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا

---

(1) انظر[المنجد ص 792 – 793 مادة نسا].

(2) انظر[لسان العرب (390/11) مادة ضلل ، المنجد ص 429 مادة ضل].

(3) انظر[معاني القرآن: الأخفش (554/2)، مجاز القرآن (259/1) ، المصباح المنير ص395 مادة وطي – كتاب الواو].

(4) انظر[لسان العرب (396/15) مادة وطي، المنجد ص 927 مادة وطي].

حَرَّمَ ٱللَّهُ) أي ليوافقوا عدة الأربعة المحرمة ، وقد خـالفوا التخصـيص (فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ) بمواطأة العدة وحدها من غير مراعاة الوقت ، وهذا نتيجة تزيين وتضليل الشيطان لهم ذلك ، فحَسَبوا أعمالهم القبيحة حسنة، وحُبِّب إليهم ذلك (وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ) حال اختيارهم الثبات على الباطل. [1]

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى:

قرأ ورش (**النسـيُّ**) بتشديد الياء من غير همز، وذلك أنَّه خفَّف على ما يجب مـن الأصول، فلما أراد تخفيفها وجد قبلها ياء زائدة فأبدل من الهمزة ياء، وأدغـم فيهـا الياء التي قبلها كقولك في تخفيف خطيئة خطيّة. [2] والنسي مصدر من الفعل نسـا ومنه نسيت الشيء أنساه.

يقول الطبري[3]: "وتوجيهه معنى الكلام إلى أنَّه فعل من قول القائل: نسيت الشيء أنساه، ومن قول الله (نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ) [التوبة:67] بمعنى تركوا الله فتَركهم" فيكون المعنى : أنَّ تفسير قوله تعالى: (إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ) أي يحلون المحرَّم عاماً، وعاماً يحرمونه.

أما (**النَّسيء**) بالهمز كما قرأ الباقون ، والمد فهو مصدر من نسأه : أي إذا أخَّره ، ويكون المعنى تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر. [4] فلأنه تأخير في المـدة فيلزم منه الزيادة. [5]

وقال الطبري[6]: "النسيء بالهمز معناه الزيادة". والتأخير ؛ لأنهـم كـانوا أصحاب حروب وغارات فإذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق علـيهم تـرك

(1) انظر[جامع البيان (129/10 – 130) ، مدارك التنزيل (426/2)، مجمل اللغة (866/3)].
(2) انظر[الكشف (502/1)].
(3) جامع البيان (130/10) .
(4) انظر[مدارك التنزيل (426/2)، نظم الدرر (308/3)].
(5) انظر [الدر المصون (46/6)].
(6) جامع البيان (129/10).

المحاربة، فيحلونه ويحرمون مكانه شهراً آخر ، حتى رفضوا تخصيص الأشهر الحرم بالتحريم ، فكانوا يحرِّمون من بين شهور العام أربعة أشهر.[1]

خامساً: الجمع بين القراءتين:

أرى أنَّ القراءتين تعضد إحداهما الأخرى، فالنسيء بمعنى الترك والنسيان أو التأخير. فهم إذاً بتركهم الشهر المحرم عاماً يكونوا قد أخَّروه للعام المقبل فيحرمونه.

القراءة الثانية:

قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص **(يُضَل)** بضم الياء وفتح الضاد وهو مضارعٌ للمفعول ، والحجة له: أنَّه جعله فعل ما لم يُسمَّ فاعله [2] ، والحجة الأخرى: أنَّ الكلام أتى عقيب ذلك بترك تسمية الفاعل وهو **(زُيِّن)** [3]

فدلَّ على أنَّ ما تقدِّمه من الفعل جرى بلفظه، إذ كان التزيين إضلالاً في الحقيقة ، فجعل ما قبل التزيين شاملاً للفظه ليأتلف الكلام على نظامٍ واحدٍ ، وصيغة المضارع المبني للمجهول من الفعل الرباعي **(أضل –يُضل)** ومعنى ذلك أنَّ المسند إليه وهو الفاعل الحقيقي محذوف لغرض ، وهو أن يرد على الذهن كل من يمكن أن يسند إليه الإضلال ويكون **(الذين كفروا)** نائب فاعل.

وخير ما يفسِّر لنا هذا الغرض البلاغي ، قراءة يعقوب التي جاء فيها الفعل مبنياً للمعلوم **(يُضِل)** فيكون الفعل مقدراً و **(الذين كفروا)** مفعول به.

فيكون التقدير:

1- يُضل الله به الذين كفروا.

2- يُضل الشيطان به الذين كفروا.

3- يُضل به الذين كفروا كبراءهم وتابعيهم ؛ لأنهم يحملونهم على تأخير حرمة الشهر الحرام فيضلونهم بذلك. [4]

---

(1) انظر[مدارك التنزيل (426/2)، وذكر ذلك أيضا البقاعي في نظم الدرر (308/3)].

(2) انظر[الحجة: ابن خالويه ص97].

(3) انظر[الحجة: ابن زنجلة ص318].

(4) انظر[طلائع البشر: محمد قمحاوي ص11، التوجيه اللغوي: د. صبري ص214-215].

أما باقي القراء العشرة قرأوا (**يَضِل**) بفتح الياء وكسر الضاد ، على أنه مضارع (ضل) الثلاثي مبني للفاعل. و (**الذين كفروا**) الفاعل وأضيف الفاعل إلى الكفار مباشرة ؛ لأنَّهم الضالون في أنفسهم بذلك التأخير، لأنَّهم يحلِّون ما حرَّم الله ، وأيضاً هم ضلُّوا غيرهم ، فضلوهم بتأخيرهم شهراً وتقديمهم شهراً.(1)

لذلك حَسُن إسناد الضلال إليهم إن كانوا ضالِّين في أنفسهم، وحَسُن إسناد الضلال إليهم أيضاً إن كانوا مضلين لغيرهم، وذلك لأنَّ المضلَّ لغيره ، ضال في نفسه لا محالة.(2) ويقول الطبري في قراءة (**يُضَل**) و(**يَضِل**) "هما قراءتان مشهورتان".(3)

الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: أرى أنَّهما متقاربتا المعنى، لأنَّ من أضله الله فهو ضال، ومن ضلّ فبإضلال الله إياه وخذلانه له ضل، ومن كان ضالاً فهو يضل غيره.(4) وهو شاهد على بلاغة حذف المسند إليه.(5)

القراءة الثالثة:

قرأ معظم القراء (**ليواطِئوا**) بالهمز وكسر الطاء من واطأت فلاناً على شي: أي وافقته عليه، معيناً له، غير مخالف عليه، فيكون معنى الكلام: أنهم يوافقون بعدة الشهور التي يحرمونها عدة الأشهر الأربعة التي حرّمها الله، لا يزيدون عليها، ولا ينقصون منها، وإن قدّموا وأخروا فذلك مواطأة عدتهم، عدة ما حرم الله.(6)

فهم كانوا يحرِّمون القتال في المحرم فإذا عزموا على أن يقاتلوا فيه جعلوا صفرا كالمحرم، وقاتلوا في المحرم وأبدلوا صفراً منه، فجعلوا صفرا كالمحرم في العدة. والمواطأة المماثلة والاتفاق على الشيء. (7)

---

(1) انظر[الكشف (502/1) ، معاني القراءات: ص208، الحجة: ابن خالويه ص97-98].

(2) انظر[التوجيه اللغوي: د. صبري ص215].

(3) جامع البيان (129/10).

(4) انظر[المرجع السابق نفس الصفحة].

(5) انظر[التوجيه اللغوي : د. صبري ص 214] .

(6) انظر[جامع البيان (132/10)].

(7) انظر[معاني القرآن: الزجاج (447/2)].

يقول ابن عطية: "يحتفظوا في كلِّ أربعة أشهر في العدد ، فـأزالوا الفضـيلة التـي خص الله بها الأشهر الحرم وحدها ، بمثابة أحد يفطر رمضان ويصوم شـهراً مـن السنة بغير مرض أو سفر". [1]

أما قراءة حمزة **(ليواطُوا)** قرأها بحذف الهمزة وضم ما قبلها، فأصلها **(ليواطِيـوا)** بكسر الطاء وضم الياء الصريحة، ولمّا أبدل الهمزة ياءً، اسـتعمل الضـمة محلهـا فحذفها، فالتقى ساكنان، فحذفت الياء وضمت الطاء لتجانس الواو.[2]فحَذْف الهمـزة يدل على الخفة،فهم استخفوا بسنن الله وغيَّروا نظام الكون وكان لهم العقاب من الله.

أما قراءة الهمزة **(ليواطئوا)** ففيها ثِقَل في المعنى لثقل الهمز ؛ وذلك يُـوحي بثقـل جُرْم هؤلاء الكفار ، بسبب تلاعبهم بالسنن الإلهية وتغييرهم فـي أوقـات العبـادة، فكانوا يرتبون وقت الحج في زمنٍ يناسب ظروف تجارتهم ، بدلاً من تقلبه تارة في الصيف وتارة في الشتاء، وكانوا يشنوا الغارات والحروب ، أو يستمروا في القتـال على وفق رغباتهم وأهوائهم ومصالحهم.[3]

الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين : أرى أنَّ قراءة التسهيل أفادت خفَّـتهم واسـتهانتهم بالسُّـنن الكونية وقراءة الهمز أفادت عِظمَ وثِقَل جرمهم بهذه الاستهانة بالسنن الكونيـة والله أعلم.

10- ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ التوبة

---

(1) المحرر الوجيز(33/3).

(2) انظر[الدر المصون (48/6)].

(3) انظر[التفسير المنير (214/10)].

أولاً: القراءات:

1-أ- قرأ أبوعمر والكسائي من رواية الدوري من طريق جعفر(**ٱلْغَار**) بإمالة الألف.

ب- وقرأ الباقون (**ٱلْغَار**) بدون إمالة. (1)

2- أ- قرأ يعقوب (**كلمةَ الله**) بنصب تاء التأنيث.

ب- وقرأ الباقون (**كلمةُ الله**) برفع تاء التأنيث. (2)

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

(الغار) يغور غوراً، أي أتى الغَوْر، والغار هو الكهف والجمع أغوار.(3) وأيضاً هو المنخفض من الأرض، الغار الذي أوى إليه الرسول ﷺ ومعه أبو بكر في جبل ثور، وهو مطل على مكة (4)، والغار هو الثقب في التراب أو الصخر.(5)

(الكلمة) كلم: القرآن: كلام الله وكلمُ الله، وكلماتُه وكلمتِه، والكلمة هنا كلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله والكلمة لغة تميميّة والكلمة لفظه حجازية وجمعها كلَّم تُذكر وتؤنث ، وكلمة ربك تعني: أمر الله.(6) وكلمة : مفرد كلام وهو القول أو ما كان مكتفياً بنفسه ، يقال كلّمه تكليماً وكلاماً (7) أصلها اللفظة من الكلام ثم أطلقت على الأمر والشأن.(8) وهنا في الآية كلمة الله قيل: لا إله إلا الله، وقيل: وعد النصر.(9)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

هذه الآية تضمَّنت حادث الهجرة من مكة إلى المدينة الذي كان نقطة تحوُّلٍ في سبيل الدعوة الإسلامية حيث أظهر الله الإسلام على الكفر.

فقال الله تعالى (إِلا تَنصُرُوهُ) أي إن لم تنصروا الرسول الذي استنصركم في سبيل الله على من أرادوا قتاله من أعداء الله ، فإنَّ الله ناصره ومؤيده وحافظه كما تولى

---

(1) انظر[النشر (2/42-43)، (2/210)، إتحاف فضلاء البشر (2/92)].

(2) انظر[النشر (2/210)، البدور الزاهرة ص167] .

(3) انظر[لسان العرب (5/35) مادة غور، المنجد ص529 مادة غار] .

(4) انظر[المصباح المنير ص 271- كتاب الغين مادة غور].

(5) انظر[التحرير والتنوير (10/203)، فتح القدير (2/454)].

(6) انظر[لسان العرب (12/522-525) مادة كلم].

(7) انظر[القاموس المحيط ص1491].

(8) انظر[التحرير والتنوير (10/205)].

(9) انظر[الجامع لأحكام القرآن (4/485)].

نصره في الوقت الذي اضطره المشركون إلى الهجرة، حين كان ثاني اثنين في الغار، وكان صاحبه قد ساوره الحزن فقال له: لا تحزن إنَّ الله معنا (فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمۡ تَرَوۡهَا) أي تأييده ونصره للرسول ﷺ وقوَّاه بجنود من عنده ، يسترونه هو وصاحبه عن أعين الكفار. وجعل كلمة الشرك هي السُّفلى ، وكلمة الله هي العليا بظهور نور الإسلام وإزالة سيادة المشركين في الجزيرة العربية (وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) أي والله غالب على أمره ، عزيز في انتقامه وانتصاره، حكيم في أقواله وأفعاله. (1)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى:

من قرأ (ٱلۡغَار) بالفتح و بدون إمالة فإنه راعى الأصل(2)، و من أمال لأسباب: أنَّ الإمالة لأجل كسرة تعرض في أحوال الكلمة (ٱلۡغَار) ومنها الفعل (غار) فالفاء تكسر من ذلك إذا اتصل بها الضمير المرفوع من المتكلم و المخاطب و نون جماعة الإناث فنقول غِرت.(3)و قراءة الإمالة تكون في موضع اللين و الخطاب الرقيق فناسبت خطاب الرسول ﷺ لأبي بكر الصديق الذي يحمل طابع اللين و الرقة، أما من ترك الإمالة ففي موضع التهديد و الإنذار(4) و هذا يتناسب مع الإنذار في بداية الآية في قوله تعالى: **(إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ)**.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

يتبين بالجمع بين القراءتين أسلوب القرآن العظيم في جمعه بين خطاب اللين و الرقة و بين خطاب الإنذار و التهديد والله أعلم.

القراءة الثانية:

---

(1) انظر[تفسير القرآن العظيم (2/359،358)، في رحاب التفسير (10/1558-1559)].

(2) انظر [النشر(2/28)].

(3) انظر [المرجع السابق(2/26-27)].

(4) راجع ص125.

جمهور القراء قرأ (**وكلمةُ الله**) على رفع كلمة على أنها مبتدأ والخبر(**هي العليا**) ويجوز أن تكون هي مبتدأ ثانياً والعليا خبرها، والجملة خبر الأول.ويجوز أن تكون هي فصلاً والعليا الخبر.[1] والاستئناف يفيد أنَّ كلمة الله هي العليا على كل حال[2] لأن الرفع أثبت في الإخبار.[3]

وخالف يعقوب الجمهور فقرأ (وَكَلِمَةَ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا) بنصب التاء، توجيه ذلك:

أ- إما أنَّها معطوفة على (كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ) وجملة (هِيَ ٱلْعُلْيَا) في محل نصب مفعول ثان.

ب- أو على تقدير محذوف (**وجعل**) فيكون التقدير وجعل كلمة الله هي العليا، وتكون هي العليا المفعول الثاني لجعل.[4]

الجمع بين القراءتين:

1-قراءة النصب أفادت أنَّ الله جعل كلمته عليّةً ظاهرة، ثم عاد فقرَّر أنَّ علوَّ كلمته سبحانه قديم لم يطرأ بعد أن لم يكن ، فالمسألة مسألة إبداء وليست مسألة ابتداء، فكلمة الله عالية أصلاً، ولكنَّ بعض الناس ظن خلاف ذلك ، فأظهر الله سبحانه إرادته حين نصر النبي ﷺ على المشركين يوم الغار.

2- أنَّ الله- سبحانه وتعالى - أخبر- وذلك من خلال قراءة يعقوب المتواترة على تقدير وجعل - أن جعل الشيء لا يعني حدوثه وهذا دليل ضد المعتزلة الذين قالوا: بأنَّ القرآن مخلوق؛ حيث قالوا كل مجعول فهو مخلوق، مستدلين بقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف:3].

وقوله: ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾[الشورى:52]

فأوهموا باستدلالهم حدوث القرآن على أساس أنه مجعول.

فبم تردُّ المعتزلة على هذه القراءة المتواترة ؟

فهل كانت كلمة الله هي العليا يوم الهجرة ؟ ولم تكن غير ذلك من قبل؟ وهل طرأ عليها العلو بعد أن لم يكن؟[1]

---

(1) انظر[الفريد في إعراب القرآن المجيد (471/2) ، الدر المصون (52/6)].

(2) انظر[مجمع البيان (63/10)].

(3) انظر[البحر المحيط (44/5)].

(4) انظر[معاني القراءات ص208 ، المستنير في توجيه القراءات (225/1)].

11- ﴿قُلۡ أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ قَوۡمًا فَٰسِقِينَ ۝٥٣﴾ التَّوبة

أولاً: القراءات:

3- قرأ حمزة والكسائي وخلف **(كُرْهاً)** بضم الكاف.

4- وقرأ الباقون **(كَرْهاً)** بفتح الكاف.(2)

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

(كَرِه – كَرها، كُرهــا) ضد أحب. والكَره، والكُره مصدران بمعنى : الإباء والمشقة أو ما أُكره الإنسان عليه، وقال الفرَّاء(3) : "هو بالضم ما أكرهــت نفســك عليــه، وبالفتح ما أكرهك غيرك عليه"(4) ، وقد أتى ابن منظور بأقوال ودلائل تــدل علــى حُجَّة ما ذهب إليه الفرَّاء. وقيل بالفتح المشقة وبالضم القهر وقيل العكس(5) ، وقال أبو عبيدة: "مفتوح ومضموم سواء".(6)

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

(قُل أَنفِقُواْ) أموالكم في سبيل الله (طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا) مصدران وقعا موقع الفاعــل أي طائعين أو كارهين ، وهو أمرٌ في معنى الخبر والمعنى أنفقتم طوعًا أو كرهــاً (لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡ) أي لن يتقبل الله منكم شيئاً ؛ لأنكم فاسقون خارجون عن حدود الله؛

---

(1) انظر[القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني: د. محمد حبشي ص150. نقل عن ما حرره القاضي عبد الجبار بن أحمد المعتزلي في كتابه طبقات المعتزلة ص 1570- بتحقيق السيد فؤاد السيد- ط دار التونسية للنشر- ولكنني بحثت عن هذا الكتاب فلم أجده].

(2) انظر[النشر (187/2) ، (210/2)، البدور الزاهرة ص 168].

(3) سبقت ترجمة ص100.

(4) انظر[معاني القرآن: الفرّاء (441/1)].

(5) انظر[لسان العرب (534/13) مادة كره، منجد الطلاب ص640 مادة كره].

(6) مجاز القرآن (262/1).

لأن هؤلاء المنافقين خلت أعمالهم من الصواب والإخلاص ، فكانت كرماد اشتدت به الرّيح في يوم عاصف.[1] وهذه الآية وإن كانت خاصة في إنفاق المنافقين فهي عامّة في حق كل من أنفق ماله رياء وسمعة.[2]

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ حمزة والكسائي وخلف (كُرهاً) بضم الكاف من المشقة.

وقرأ الباقون (كَرهاً) بالفتح من الإكراه، وقيل هما لغتان، وقيل بالضم المشقة ، وبالفتح ما أكرهت عليه.[3]

وهو أمرٌ في اللفظ وليس بأمر في المعنى؛ لأنَّه أخبرهم أنَّه لن يتقبل منهم، وهو في الكلام بمنزلة (إن) في الجزاء، كأنك قلت: إن أنفقت طوعاً أو كرهاً فليس بمقبول منك، ومثله (ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ) [التَّوبة:80] ليس بأمر، إنما هو على تأويل الجزاء [4] ، فمعناه الخبر فقط فلم يأمره بالاستغفار ، ولكن أعلمه أنَّه إن استغفر أو لم يستغفر فلن يغفر الله لهم فإن قال قائل : كيف يكون الأمر في معنى الخبر ؟ فقل له : إذا كان في الكلام دليلٌ عليه جاز.[5]

واعلم أنَّ الخبر والأمر يتقاربان، فيحسن إقامة كلِّ واحد منهما مقام الآخر[6]، فإن كان الكُره بضم الكاف بمعنى المشقّة أو ما أكرهت نفسك عليه يكون المعنى: إن أنفقتم طائعين من غير إلزام من الله ورسوله أو مكرهين من قبل الله ورسوله، وسمّي الإلزام إكراهاً لهم ؛ لأنَّهم منافقون، فكان إلزام الله إيّاهم الإنفاق شاقاً عليهم كالإكراه.

وأما بقراءة الفتح كَرها من الكَره أي ما أُكره عليه صاحبه ، وأُجبر عليه إجباراً فيكون التقدير: إن أنفقتم طائعين من غير إكراه من رؤسائكم؛ لأن رؤساء

(1) انظر[إرشاد العقل السليم: (3/400-401)، في رحاب التَّفسير (10/1570-1571)].

(2) انظر[تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي ، الشهير بالخازن (3/106) – مطبعة البابي الحلبي بمصر– ط– 1375هـ – 1955م].

(3) انظر[مفاتيح الغيب (15/71)].

(4) انظر[معاني القرآن: الفرَّاء (1/441)، جامع البيان (10/152)].

(5) انظر[معاني القرآن: الزّجاج (2/453)].

(6) انظر[مفاتيح الغيب (15/71)].

أهل النّفاق ، كانوا يحملون الأتباع على الإنفاق ، لما يرون من المصلحة فيه أو مكرهين من جهتهم.[1]

وأيضاً قراءة الفتح (الكَره) فهو أشد الإلزام أي أُجبر عليه إجباراً ، والأمر في أنفقوا للتسوية دلّت عليه (أو) في قوله (طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا) [2]

وقال قوم: (الكَره المصدر تقول كَرهته كَرها مثل شربته شَرباً، والكُره اسم ذلك الشيء) [3]

خامساً : الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: نجد أنَّ الفهم يزيد عمقاً للآية فيكون المعنى: قل أنفقوا طوعاً أو كرهاً ، سواء أنتم كرهتم ذلك ؛ لأنَّه إلزام من الله ورسوله، أو استكرهتم عليه؛ لأن أحداً أمركم بذلك ، فشقَّ عليكم ذلك، فلن يُتقبّل منكم على جميع الأحوال ومما يدل على هذا المعنى أن (أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا) لا يدل على أنَّهم ينفقون طائعين بل غايته أنّه ردَّد حالهم بين الأمرين وكون الترديد ينافي القطع محل نظر، كما تقول: إن أحسنت أو أسأت لا أزورك ، مع أنَّه لا يحسن مطلقاً، ويكون التّرديد لتوسّع الدائرة.[4]

12- ﴿وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾ **التَّوبة**

أولاً: القراءات:

1- قرأ حمزة والكسائي وخلف **(أن يُقبَلَ)** بالياء على التذكير.

---

(1) انظر[مفاتيح الغيب (71/15)].

(2) انظر[التحرير والتنوير (226/2)].

(3) انظر [الحجَّة: ابن زنجلة ص195 –196].

(4) انظر[روح المعاني (308/10)].

2- وقرأ الباقون (**أن تُقبلَ**) بالتاء على التأنيث.(1)

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

قبــل: قبولا وقبلت العقد أقبله من باب تَعِبَ، وقبولاً بالفتح والضم، وقبلــت القــول: صدّقته، وقبلت الهديّة: أخذتها، وقبل الله دعاءنا وعبادتنا تقبّله.(2)

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

بعد أن بيَّن الله تعالى عاقبة المنافقين في الآيات السابقة لهذه الآيــة .. وهــي العذاب في الدنيا والآخرة ، قُفّي على ذلك ببيان : أنَّ نفقاتهم على الجهاد طوعــاً أو كرهاً لا ينتفعون بها في الآخرة، وذلك لأنَّهم إنما يفعلونه رئاء الناس وخوفــاً علــى أنفسهم من الفضيحة إذا هم تركوها . فالصلاة يقيمونها لا إيماناً بوجوبها ولا احتساباً لأجرها، إنما مخافة على أنفسهم بتركها من المؤمنين، والأمــوال لا ينفقونهــا فــي مصالح الجهاد وغيره ؛ إلا وهم كارهون لذلك من غير طيبة نفس ، ولذلك لا يتقبل الله منهم لا نفقة ولا عملاً ؛ لأنَّه إنما يتقبل من المؤمنين المتقين.(3)

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ حمزة والكسائي وخلف (**أن يُقبل منهم نفقاتهم**) على التذكير، وعلى البناء للمفعول، وجاز هنا التذكير(4) ، لأن (نفقات) مؤنّث غير حقيقي، ولأنَّه قد فرَّق بينهما وبين الفعل بــ(منهم)، ولأن النفقات أموال، فكأنَّه قال: أن يقبل منهم أموالهم، النفقات في معنى الإنفاق ، فالكلام محمولٌ على المعنى وهو المصدر فذُكِّرَ. كما قال تعالى: (فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ) [البقرة: 275] ، وقوله تعالى أيضاً: (وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ) [هود:67].

---

(1) انظر[النشر (210/2)، البدور الزاهرة ص 168، إرشاد المريد إلى مقصود القصــيد: علــي محمــد الضــباع – ص259- دار الصحابة للتراث بطنطا – 1423هـ – 2002م].

(2) انظر[لسان العرب (536/11) مادة قبل، القاموس المحيط ص1351 مادة قبل].

(3) انظر[جامع البيان (152/10) ، التَّفسير المنير (250/10)، في رحاب التَّفسير (1571/10)].

(4) انظر[شرح قطر الندى ص 182-183].

أما قراءة الباقين بالتاء **(أن تُقبَــل)** والتاء والياء على البناء للمفعول ، جاءت قراءة التاء على الأصل ؛ لأن الفعل أُسند إلى فاعل مؤنّث ، حيث إنَّ النفقات مؤنّثة في اللفظ فأُنث الفعل ليعلم أن المسند إليه مؤنّث.[1]

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: أرى أنَّ الفعل قد أُنث مراعاةً لتأنيث اللفظ الواقع نائب فاعل، والفعل قد ذُكر مراعاة لمعنى اللفظ الذي أسند إليه هذا الفعل، فكلمة **(نفقاتهم)** في هذا السياق ضمنت معنى النفقات والإنفاق ، وهــذا المعنــى لا نأخــذه إلا مــن قــراءة تذكير الفعل.[2]

13- ﴿لَوۡ يَجِدُونَ مَلۡجَـًٔا أَوۡ مَغَٰرَٰتٍ أَوۡ مُدَّخَلٗا لَّوَلَّوۡاْ إِلَيۡهِ وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ ٥٧﴾ التَّوبة

أولاً: القراءات:

1- قرأ يعقوب **(أو مَدْخَلاً)** بفتح الميم وإسكان الدال مخففة.

2- وقرأ الباقون **(أو مُدَّخَلاً)** بضم الميم وفتح الدال مشدّدة.[3]

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

مَدخَلاً: اسم مكان من الفعل الثّلاثي دخل يدخل مَــدخلا، والمَــدْخل أي: الــدَّخول وموضع الدَّخول أيضا ودخل نقيض خرج.[4]

مُدَّخَلاً: من أدخل المزيد، والمُدْخل بضم الميم، الإدخال والمفعول من أدخله، تقــول أدخلته مُدخل صِدْق.

ومُدَّخلا أصله مُدْتخِلٌ، ولكن التاء تُبدل بعد الــدال ؛ لأن التــاء مهموســة والــدَّال مجهورة والتاء والدال من مكان واحد ، فكان الكلام من وجه واحد أخف ، والمُدّخل

---

(1) انظر [الفريد في إعراب القرآن (480/2) ، الحجَّة : ابن زنجلة ص319، معاني القراءات ص209] .

(2) انظر[التَّوجيه اللُّغوي والبلاغي: د. صبري ص263].

(3) انظر[النشر (210/2)].

(4) انظر[معاني القرآن: الزّجّاج (455/2)، القاموس المحيط ص1290 مادة دخل].

شِبْه الغار يُدخل فيه ، وهو مفتعل من الدَّخول أو سِرباً في الأرض، وهو مكان يُدخلون فيه أنفسهم أو يُدخلهم الخوف فيه.(1)

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

يقول تعالى: (لَو يَجِدُونَ) هؤلاء المنافقون (مَلْجَئًا) أي مكان يُتحصَّن فيه (أَوْ مَغَرَٰتٍ) وهي : جمع مغارة وهو : الموضع الذي يغور فيه الإنسان ، ويستتر فيه (أَوْ مُدَّخَلًا) أي : قوماً ، يدخلون في جملتهم(2) أو سرباً في الأرض ، يدخلون فيه، والمعنى : لو وجدوا هذه الأشياء (لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ) أي لانصرفوا إليه مسرعين، لا يَرُدُّ وجوههم شي هرباً من الرَّسول ﷺ وأصحابه، فكانت صحبة المنافقين للرسول ﷺ والصحابة ، صحبة اضطرار لا اختيار.

وهذا الوصف الدقيق ، الذي يصفه الله بما في ضمائرهم ، إنما وصفه ؛ ليظهر مدى البغض والحقد الذي يكنُّه المنافقون لرسول الله ﷺ وأهل الإيمان به، والعداوة لهم.(3)

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ الحضرميُّ يعقوب وحده **(أو مَدْخلا)** بفتح الميم وسكون الدال، ومَدْخلاً: هو موضع الدخول فهو مكانٌ يدخلونه بغاية العسر والصعوبة ؛ لضيقه أو لمانع في طريقه، فهم يُدخلون أنفسهم فيه ، أو يدْخلهم الخوف فيه ، والمعنى : لو وجدوا هذا المكان لهربوا إليه.

أما الباقون فقرأوا **(مُدَّخَلاً)** بضم الميم وتشديد الدال وكان في الأصل كما ذكرنا في المعنى اللُّغوي **(مُدْتخلا)** فأدغمت التاء في الدال، وجعلتا دالاً مشددة، وهو مفتعل، من الدخول يقال: إدّخل، يَدّخل، ادّخالا، ومُدّخلا، وهذا مُدّخل القوم.

---

(1) انظر[لسان العرب (240/1) مادة دخل ، جامع البيان (80/10)، روح المعاني (309/10)].

(2) انظر[معاني القرآن: الزجّاج (454/2 – 455)].

(3) انظر[جامع البيان (154/10)، القاموس المحيط (54/5)، تفسير القرآن الكريم المسمّى السِّراج المنير الخطيب الشربيني (622/1) – دار المعرفة – بيروت – لبنان – ط2].

والمعنى لو يجدون قوماً يدخلون في جملتهم ؛ لاشتدّوا في التّوجه إليهم متولّين مرتدّين عنكم على أعقابهم. أي: لو يجدون قوماً يمنعونهم منكم لهربوا إليه.(1)

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: أرى أنَّ كلَّ قراءة منهما أفادت معنىً جديداً في تفسير الآية : فمعنى الآية أنَّ المنافقين يتظاهرون بالإيمان ؛ لأنَّهم لا يجدون ما يحميهم من المؤمنين من ملجأ يلجئون إليه ، أو حصن ، أو جبل ؛ هرباً من المؤمنين . وهذا ما أفادته قراءة التخفيف (مَدخلا) أو قوماً يمنعونهم من أذى المؤمنين ، ويحمونهم منهم ، وهذا ما أرشدت إليه قراءة التشديد (مُدّخلا)، وأفادت أيضاً أن المدّخل مهما كان ضيقاً عسير الدخول رغم ذلك لو وجدوه لهربوا إليه دون تردد، وهو يعبِّر عن حالة الاحتقان في قلوبهم والله أعلم.

14- ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ التّوبة

أولاً: القراءات:

1- قرأ يعقوب **(يلمُزُك)** بضم الميم.

2- وقرأ الباقون **(يلمِزُك)** بكسر الميم (2)

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

لمزَ: منه اللَّمز كالغمز في الوجه ، تلمزه بفيك بكلام خفي، قال الزجّاج (3): "اللُّمَزَ: الكثير العيب للنّاس".

اللَّمزُ: العيب في الوجه، وأصله : الإشارة بالعين والرأس والشفة مع كلام خفي، وقيل : هو الاغتياب، وقيل : هو العيب والوقوع في النّاس.(4)

---

(1) انظر[معاني القراءات ص209، زاد المسير (268/2) ، تفسير البيضاوي (273/10)، نظم الدرر (335/3)].

(2) انظر[النشر (210/2)، البدور الزاهرة ص 168].

(3) انظر [معاني القرآن : الزجّاج (456/2)].

(4) انظر[لسان العرب (406/5-407) مادة لمز].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

يقول تعالى: ومن الذين نافقوا ، الذين وصفت لك يا محمد ، صفتهم في الآيات السابقة (مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ) أي : من يعيبك في الصدقات ويطعن عليك في قسمتها ، يقولون : لم يقسم بيننا بالسوية. (فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ) أي من الصدقات حظّاً وافراً (رَضُوا) بالقسمة (وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ) أي إن لم تعطهم من الصدقات حظاً وافراً ، سخطوا عليك ، وعابوك ، فهم يقيسون العدل في القِسمة على حَسْب ما ينالهم منها.(1)

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ يعقوب (**يلمُزك**) بضم الميم، وقرأ الباقون (**يلمِزك**) بكسر الميم، وهما لغتان (**يلمُز، ويلمِز**) مثل **يعكُف،يعكِف**، لمزَهُ، يلمِزُه، ويلمُزُه، إذا عابه.(2)

والحجَّة لذلك: أنَّ كلَّ فعل انفتحت عين ماضيه ، جاز كسرها وضمها في المضارع قياساً ؛ إلا أن يمنع السماع من ذلك.(3)

ولثقل الضم يمكننا أن نستشعر ثقل اللمز الذي كان من قبل المنافقين ، فهم بالرغم من أنَّه لا أحد يشك في خُلق الرَّسول ﷺ مؤمن بهذا الدين وهو المعروف حتى قبل الرسالة بالصادق الأمين ؛ إلا أنَّهم طعنوا في عدل الرَّسول ﷺ ففي رواية (4) أنَّه أتى رجل رسول الله ﷺ بالجِعْرَانة (5) مُنْصَرَفَهُ من حنين وفي ثوب بلال فضة، ورسول الله ﷺ يقبضُ منها يُعطي الناس فقال: يا محمد، اعدل، قال: (ويلك ومن يعدل إذا لم أكن أعدل؟! لقد خبتُ وخسرتُ، إن لم أكن أعدل)، فقال عمر رضي الله

---

(1) انظر [معاني القرآن: الفرَّاء (443/1) ، جامع البيان (155/10-156)، تفسير القرآن الكريم : د. عبد الله شحاتة (1892/10-1893) – دار غريب – القاهرة].

(2) انظر[معاني القراءات ص58 ، معالم التنزيل (255/2)].

(3) انظر[الحجَّة: ابن خالويه ص89] .

(4) رواها جابر بن عبد الله عن سعيد بن أبي الزبير في صحيح مسلم بشرح النَّووي (159/7)- كتاب الزكاة- باب إعطاء المؤلفة ومن يخاف على إيمانه.

(5) موضع قريب من مكة، وهي في الحل وميقات للإحرام والجعرانة بكسر أوله إجماعاً هي ماء بين الطائف ومكة، وهي إلى مكة أقرب نزلها الرَّسول ﷺ واعتمر منها انظر [معجم البلدان (165/2-166)، النِّهاية في غريب الحديث ص155].

عنه: دعني يا رسول الله ، أقتل هذا المنافق، فقال: (معاذ الله أن يتحدث الناس أنـــي أقتل أصحابي، إنَّ هذا وأصحابه يقرءون القرآن لا يجاوزُ حناجرَهم ، يمرقون كمـــا يمرُقُ السَّهمُ من الرَّمِيَّة)".(1)

خامساً: الجمع بين القراءتين:

أفادت قراءة الضم بكثرة اللمز عند المنافقين، وقراءة الكسر أفـــادت بخفـــة عقـــول هؤلاء الذين يلمزون و دناءتهم، فكان وصفاً شاملاً لهم والله أعلم.

15- ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ التوبة

أولاً: القراءات:

1- أ- قرأ نافع (أُذْنٌ) في الأولى و الثانية بإسكان الذال.

ب- وقرأ الباقون (أُذُنٌ) بضم الذال.(2)

2- أ- قرأ حمزة (ورحمةٍ) بالخفض.

ب- وقرأ الباقون (ورحمةٌ) بالرفع.(3)

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

(أَذِنَ بالشّيء) إذْنا وأَذَناً وأَذَانَةً: علم، وأذن وصف مبني على فعل مـــن أذن يـــأذن إذناً، والأُذْن والأُذُن يُخفّف ويُثقّل: من الحواس.

وأُذُن خير: أي مستمع خير، ورجلٌ أُذُن، وأذْن، أي مستمع لما يقال له.(4)

(رحمة) مِنْ رحم وهي الرِّقّة والتَّعطف، والمرحمة مثله، وتراحم القوم: رحم بعضهم بعضاً،والرَّحمة المغفرة،ورحمة للذين آمنوا أي هو رحمة؛ لأنَّه كان سبب إيمانهم.(5)

---

(1) يمرقون .. أي يجوِّزونه ويخرقونه ويتعدونه، كما يخرق السهم الشيء المرمى به، ويخرج منه انظر[النِّهاية في غريـــب الحـــديث ص866]

(2) انظر[النشر (162/2)].

(3) انظر[المرجع السابق (210/2)].

(4) انظر[لسان العرب (13/9-11) مادة أذن، البحر المحيط (62/5)].

(5) انظر[لسان العرب (230/12) مادة رحم].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

بيّن الله تعالى أنّ من المنافقين من كان يبسط لسانه بالطّعن والشّتم في أذيَّة النَّبي ﷺ ويقول: إن عاتبني ، حلفتُ له بأنّي ما قلتُ هذا ، فيقبله فأنَّه أُذُنٌ سامعة (قُل) لهم يا محمد (أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ) ، أي يسمع منكم ويصدقكم بالخير لا بالكذب، ويقال (أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ) إن كان أُذناً فهو خيرٌ لكم، ثم بيَّن سبحانه المراد من أُذن الخير بقوله (يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ) يصدق قول الله الذي يُنزَّل عليه (وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ) ويصدق قول المؤمنين المخلصين ، وهو رحمة للذين آمنوا منكم ؛ لأنَّ الله استنقذكم به من الضلالة (وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ) أي الذين يؤذون الرَّسول بالقول أو بالفعل فجزاؤهم العذاب الشديد الإيلام في الدنيا والآخرة.(1)

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى:

قرأ نافع (أُذْنُ) بسكون الذال: أي وقع على التخفيف وذلك لاجتماع ضمتين لازمتين كـ (طُنُب، وطُنْب، وعُنُق، وعُنْق) فاستثقل ثلاث ضمات فسكن. والإسكان هو الأصل وهو لغة تميم وأسد.

وقرأ الباقون (أُذُن) بالضم على الأصل، وحسن ذلك لقلة حروف الكلمة، والضم لمجانسة ضم الحرف الأول ، وهو لغة الحجازيين. والقراءتان عبارة عن لغتين من لغات العرب.(2) و(أُذْنُ) على وزن فُعُل وهو وصف يفيد مبالغة اسم المفعول(3).

فيكون هذا الوصف للرسول ﷺ اتهام ثقيل على نفسه ﷺ ، وأيضاً يمثل شدة الحقد في نفوس المنافقين للرسول، فجاء بثلاثة أوصاف للرسول ﷺ توجب كونه أُذُنَ خير، ثم بيَّن بعد ذلك أنَّ كل من آذاه استوجب العذاب الأليم؛ لأن هذا الاتهام اتهام باطل و طعن فاسد وبه إيذاء ثقيل للنبي ﷺ.

---

(1) انظر[معاني القرآن: الفرّاء (444/1)، جامع البيان (168/10-169)، زاد المسير (273/2)].

(2) انظر[الكشف (503/1-504)، حجَّة القراءات: ابن زنجلة ص319، المستنير (229/1)، القراءات وأثرها في علوم العربية (181/1)].

(3) انظر [معاني الأبنية ص68].

القراءة الثانية:

قرأ حمزة **(ورحمةٍ)** والحجَّة في ذلك أنَّه عطفها على **(خيرٍ)** فتصبح جملة **(يُـؤمن)** اعتراضاً على المتعاطفين وتكون (يؤمن) صفة لـ (أذن خير) ، ويكـون المعنـى: أي هو أذن خير وأذن رحمة للمؤمنين ؛ لأنَّ الخير هو الرحمـة، والرحمـة هـي الخير، وجاز أن يُخبر عن الخير والرحمة بالاستماع، وإن كانـا لا تُسـتمعان، لأنّ المعنى مفهوم أنَّ المراد به المخبر عنه، وهو النَّبي ﷺ أي هو مستمع خير ورحمـة لا يسمع غيرهما ولا يقبله، وهذه القراءة فيها تخصيص للخير ، فخُصِّصت الرحمـة بالذكر من بين ضروب الخير لغلبة ذلك في وصف الرَّسول ﷺ وكثرته.

وقرأ الباقون **(ورحمةٌ)** بالضم والحجَّة في ذلك أنَّه عطفها على أُذُن، أي هو أذن خير لكم ورحمة، أي هو رحمة ، بطريق إطلاق المصدر على الفاعل ، وذلك للمبالغة، أي هو مستمع خير وهو رحمة فجعل النَّبي هو الرحمة لكثرة وقوعها به، وعلى يديه ؛ ولأنَّه كان سبب إيمان المؤمنين. قال تعالى: (وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ) [الأنبياء:107] وقال أيضاً(بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) [التَّوبة:128].

ويجوز أن يكون الرفع على إضمار مضاف محذوف تقديره (قل هو أذن خير لكم، وهو ذو رحمة) أو يكون خبر ابتداء أي **(وهو رحمة)** لأنَّه كان سبب المؤمنين فـي إيمانهم ، فهو رحمة لمن اتبعه واهتدى بهداه وصدّق بما جاء به من عند الله، وهـو رحمة أيضاً للمنافقين ، يسمع ما يبلغه عنكم ولا يؤاخذكم ويسمع معاذيركم ويقبلهـا منكم، فقبوله ما يسمعه فينفعكم ولا يضركم ، فهذا أُذُن في الخير وأيضاً رحمة.[1]

الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: أرى أنَّ قراءة **(رحمةٍ)** بالخفض ؛ لأنَّها معطوفة على خير أفادت أنَّ من صفات النَّبي ﷺ:أنَّه مستمع خير ورحمة لا يسـمع غيرهمـا ولا يقبله، أما قراءة الضم **(ورحمةٌ)** لأنَّها معطوفة على أذن أفادت معنى آخر ، وهو أنَّ النَّبي ﷺ هو الرحمة بعينها، فأطلق المصدر على الفاعل وهذا يفيد المبالغة في أنَّ الرَّسول ﷺ هو رحمة للعالمين جميعاً. فكل قراءة أعطت مفهوماً جديداً للآية . والله أعلم.

---

(1) انظر[جامع البيان (169/10)، الحجَّة: ابن زنجلة (319-320)، الحجَّة :لأبي فارس (204/4)، الكشف (503/1-504)، الفريـد (483/2-484)، البحر الميحط (63/5)، إرشاد العقل السليم(404/3)، التحرير والتنوير (243/10)].

16- ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ٦٤﴾ التَّوبة

أولاً: القراءات:

1- أ- قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب **(أن تُنْزَلَ)** بإسكان النون وتخفيف الزاي.

ب- وقرأ الباقون **(أن تُنَزَّلَ)** بفتح النون وتشديد الزاي.(1)

2- أ- قرأ حمزة، ويعقوب **(عليهُم)** بضم الهاء.

ب- وقرأ الباقون **(عليهِم)** بكسر الهاء.(2)

3- أ- قرأ أبو جعفر **(قل استهزُوا)** بحذف الهمزة وضم ما قبلها من أجل الواو.

ب- وقرأ الباقون **(قل استهزِءوا)** بالهمز وكسر ما قبلها.(3)

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

(نزل) سبق تعريفه.(4)

(هَزَأَ هُزْءاً، وهُزُؤاً، ومَهْزَأَةً) أي سخر كتَهزأ، واستَهْزَأَ.(5)

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

(يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ) أي إن المنافقين كانوا يحذرون نزول القرآن فيهم، ومعنى (عَلَيۡهِمۡ) أي على المؤمنين في شأن المنافقين تفضح أسرارهم، وتكشف أحوالهم، وتبين بما في قلوبهم من نفاق، ثم أمر الله رسوله بأن

(1) انظر [غيث النفع في القراءات السبع ص128، البدور الزاهرة ص169].

(2) انظر [المراجع السابقة بنفس الصفحات] .

(3) انظر [النشر (308/1)].

(4) راجع ص76.

(5) انظر [القاموس المحيط ص72 مادة هزأ] .

يجيب عليهم، فقال: (قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ) وهو أمر تهديد: أي : قل استهزءوا بمحمد ﷺ والقرآن ، إنَّ الله مخرجٌ ما تحذرون من ظهوره، فيطَّلع عليه المؤمنون، وذلك إما بإنزال سورة، أو بإخبار رسوله ﷺ بذلك أو نحو ذلك.[1]

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى:

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب **(أن تُنْزَلَ)** بإسكان النُّون والتخفيف والحجَّة لمن خفف أنَّه أخذه من الفعل أنزل يُنزل، نفهم منه أن المنافقين يحذرون أن يُنزِّل الله – سبحانه وتعالى- عليهم أو على المؤمنين ، فالضَّمير في (عليهم) يعود على المنافقين أو على المؤمنين[2]سورة واحدة، أو جملة واحدة، تفضح فيها نفوس المنافقين وكلامهم وأفعالهم.

وقرأ الباقون **(تُنَزَّلَ)** بالتشديد فحجته أنَّه أخذه من (نزّل، يُنزّل)، وذلك للمبالغة في كون السورة مشتملة على أسرارهم ، كأنما تعلم من أحوالهم الباطنة ما لا يعلمونه ، فتنبئهم بها ، وتنعى عليهم قبائحهم.[3] والحجَّة أيضاً لمن شدَّد أنَّ في ذلك تكرار النزول ومداومته شيئاً بعد شيء. فيكون المعنى أنَّهم – أي المنافقين- يحذرون أن ينزل الله سبحانه وتعالى سورة على مراحل أو أكثر من سورة تنبئ بما في قلوب المنافقين من الكفر والنّفاق وبما في ضمائرهم.والتّشديد والتّخفيف لغتان.[4]

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: يتبين أنَّ قراءة التخفيف أفادت أنَّ المنافقين يخافون أن ينزّل على المؤمنين قرآنٌ يفضحهم، وقراءة التشديد لأنَّ التشديد فيه زيادة في المبنى على قراءة التخفيف ، فأيضاً فيها زيادة في المعنى كذلك، حيث إنَّ خوف المنافقين شديد من فضح القرآن لهم ، سواءٌ بإنزال سورة أو أكثر أو يستمر النزول في فضحهم و هذا من بلاغة القرآن و إعجازه. والله أعلم.

---

(1) انظر[فتح القدير (472/2)، تاج التفاسير لكلام الملك الكبير: محمد عثمان عبد الله المَرغني (188/1) – دار الفكر – ط2].

(2) انظر[الكشاف (200/2)، مفاتيح الغيب (96/16)].

(3) انظر[إرشاد العقل السليم (407/3)].

(4) راجع ص79 عند ذكرنا لقراءة يُنزل، ويُنزّل في آية 11 من سورة الأنفال.

القراءة الثانية:

أمَّا قراءة **عليهِم وعليهُم** بكسر الهاء وضمّها فهي لغات كما ذكرنا في الآيات السابقة من سورة الأنفال[1] ، إلاَّ أنَّ قراءة الضم ، تفيد أنَّ إنزال السورة ثقيل جداً على المنافقين ، لما سيكون ما بداخل هذه السورة من فضائح لنوايا وخبايا المنافقين، أما قراءة الكسر فيوحي بانكسار نفوس المنافقين و شدةِ خوفهم عند إنزال السّورة التي تفضحهم. والله أعلم.

القراءة الثالثة:

أما قراءة أبي جعفر **(استهزُوا)** بدون همز والباقين بالهمز **(استهزءوا)** وهي لغة أهل الحجاز[2] ، والقراءة الأخرى جرت بإبدال الهمزة واواً [3] ، وقد ذكرنا نظيراً لهذا المثال عند ذكرنا الآية (30) من سورة التَّوبة ، وتكلمنا عن توجيه القراءات.[4]

ولأنّ الهمزة فيها ثِقَل ، فقراءة الهمز توحي : بثقل التّهديد والوعيد من الله سبحانه وتعالى للمنافقين، فهو أمر ﴿ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ﴾ للتّهديد والوعيد كقوله ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ ﴾ [فصلت:40] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ أي مبرز إلى حين الوجود ما تحذرونه من إنزال السورة أو مظهر ما كنتم تحذرونه من إظهار نفاقكم.[5] قيل: كانوا سبعين رجلاً ، أنزل الله أسماءهم وأسماء آبائهم في القرآن ثم رفع ذلك ونسخ رحمة ورأفة على خلقه ؛ لأن أبناءهم كانوا مسلمين. [6]

وتوحي أيضاً : بثِقل الاستهزاء الذي كان من المنافقين ، فهم خاضوا بالله وآياته ورسوله فما أعظمه من جُرْم لهؤلاء المنافقين ﴿ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ **التَّوبة** .

---

(1) راجع ص70.

(2) نسبة إلى الحجاز وهي مكة وما يتعلق بها إلى المدينة يقال لها الحجاز انظر[الأنساب (175/2-176)].

(3) انظر[حجَّة القراءات: ابن زنجلة ص101].

(4) راجع ص192.

(5) انظر[البحر المحيط (66/5)].

(6) ذكر هذا الأثر أبو حيان في البحر المحيط (66/5) ولم يعزه إلى أحد. وعزاه القرطبي في تفسيره إلى ابن عباس انظر[الجامع لأحكام القرآن (523/4)].

أما قراءة الإبدال بدون همزة فهي توحي : بضعف المنافقين أمــام جبــروت الله، وقوته، وعظمته ، فهم العبيد الضعفاء يتحدون مَــنْ ؟! رب العبــاد ســبحانه! ويستهزئون بمن ؟ برسول الله ﷺ ! وبآيات الله! فحقٌ على الله ، أن يعــاقبهم بمــا فعلوا.

17- ﴿لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ التَّوبة

أولاً: القراءات:

1- قرأ عاصم (إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً) **نَعفُ**: بنون مفتوحة، وضم الفاء، **نُعذِّب**: بالنون وكسر الذال، **وطائفةً الثانية** بالنصب.

2- و قرأ الباقون (إن يُعفَ عن طائفةٍ منكم تُعذَّب طائفةٌ) **يُعفَ**: بياء مضــمومة وفتح الفاء، **تُعذَّب**: بتاء مضمومة وفتح الذال، **وطائفةٌ الثانية** بالرفع [(1)].

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

(نعفُ) من العفو، وعفو الله –جل وعز– عن خلقه: أي الصــفح وتــرك عقوبــة المُستحقّ، والعفو أيضاً هو الفضل والمعروف.[(2)]

(طائفة) من الفعل طاف وطَوف، طَوَافاً، وطَوْفــاً، وطــوّف تطويفــاً، وتَطْوافــاً، والطائفة من الشيء جزء منه، أو القطعة منه، أو الواحد فصاعداً أو إلى الألــف أو أقلُّها رجلان أو رجل فيكون بمعنى النّفس.[(3)]

(نعذِّبّ) من عذّب، يُعذّب تعذيباً، والعذاب النّكال.[(4)]

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

يقول تعالى لنبيه محمــد ﷺ : قــل لهؤلاء الذيــن وصفــت لك صفتهــم:

---

(1) انظر[النشر (210/1)، البدور الزاهرة ص 169].

(2) انظر [القاموس المحيط ص1693، مادة عفا].

(3) انظر[لسان العرب (226/9) مادة طوف ، القاموس المحيط ص1077– مادة طوف].

(4) انظر[القاموس المحيط ص 145 مادة عذب].

(لا تَعۡتَذِرُواْ) لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة الباطلة فتقولوا:(إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ) [التَّوبة: 65] فهي لا تنفعكم بعد ظهور سرِّكم (قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَـٰنِكُمۡ) قد أظهرتم كفركم باستهزائكم وقولكم ، ما قلتم في رسول الله ﷺوالمؤمنين (إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمۡ) إن نعف عن طائفة منكم ، لتوبتهم وإخلاصهم (نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ) أي مصرين على الكفر، وطعنهم في رسول الله ﷺ فاكتسبوا الجرم بذلك.[1]

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ عاصم (إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ) الفعلان نعف، نعذب بنون العظمة وفتح النون الأولى (نَعفُ) لأن ماضيها ثلاثي، وضم النون الثانية (نُعذب) لأنَّها من فعل ماضيه رباعي؛ لأن الذال المشدد يقوم مقام حرفين، وقرأ (طائفةً) بالنصب.

وحجَّة من قرأ بالنون ، أنَّه جعله من إخبار الله تعالى عن نفسه بنون الملكوت، فكان الفاعل في الفعل (الله) عز وجل، (وطائفةً) الثانية منصوبة ؛ لوقوع الفعل عليها وهو (نُعذب).[2]

فيكون معنى الآية: إن نعفُ عن طائفةٍ منكم بالتوفيق للتوبة، نُعذِّب طائفة بترك التَّوبة.

وقرأ الباقون (إن يُعفَ عن طائفةٍ منكم تُعذَّب طائفةٌ) فقرأوا (يُعف) بياء مضمومة، والمعنى معنى تعف، فكان التذكير هنا للفعل ؛ لأن المسند إليه ظرف، وقرأوا (تُعذّب) بتاء تأنيث مضمومة ، فلأن الفعل في اللفظ أُسند إلى مؤنّث (طائفة)،

وقرأوا (طائفةٌ) بالرفع على ما لم يُسمَّ فاعله (نائب فاعل)، وتكون عن (طائفةٍ) الأولى في موضع نصب مفعول، لأن (عفا) لا يتعدّى إلا بحرف جر.[3]

---

(1) انظر[جامع البيان (10/173-174)، مدارك التنزيل (2/433)].

(2) انظر[الحجَّة: ابن زنجلة ص 320 ، الحجَّة: ابن خالويه ص98، معاني القراءات ص211].

(3) انظر[الحجَّة: ابن زنجلة ص 320 ، الحجَّة: ابن خالويه ص 98، الحجَّة: أبو علي الفارسي (4/206)، الكشف (1/504)].

وهذه القراءة لم يصرِّح بها بالفاعل ؛ لأنَّه لمَّا كان الحال مقتضياً لبيان ما صاروا إليه بعد إكفارهم من توبتهم أو إصرارهم بيّن أنَّهم قسمان:

أحدهما: مطبوع على قلبه ، ومقضي توبته وحبه ، وهذا الأشرف هو المراد به بانياً للمفعول إعلاماً بأنَّ المقصود الأعظم هو الفعل لا بالنَّظر إلى فاعل معين.(1)

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: يتبين أنَّ بناءُ الفعل للفاعل أو المفعول ، نوع من تلوين الأسلوب البياني في القرآن الكريم.

ففي القراءة الأولى : صرّح بالفاعل ، وذلك تنبيها للأذهان على أنَّ الله وحده ، هو القادر الذي بيده العفو والعذاب في الدنيا والآخرة.

وفي القراءة الثانية : ترك الفاعل ليس للجهل به، بل لأنَّ العناية انصرفت إلى ذكر وقوع الفعل بالمفعول، سواء عرف لنا الفاعل أم لم يعرف، وإن كان الفعل والفاعل مهمان . والله أعلم.

18- ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ التوبة

أولاً: القراءات:

1- قرأ شعبة (أبو بكر) **(رُضوانٌ)** بضم الراء.

2- قرأ الباقون **(رِضوانٌ)** بكسر الراء.(2)

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

(رضي) ورضيت بالشيء، رضا أي اخترته، وارتضيته مثله، ورضيت عنه،

---

(1) انظر[نظم الدّرر (343/3)].

(2) انظر[النشر (179/2) ، البدور الزاهرة ص169].

ورضيت عليه، **والرضوان**: مصدر من الرضا وهو خلاف السخط. **والرِّضوان**: بالكسر لغة أهل الحجاز، **والرُّضوان**: بالضم لغة قيس وتميم.(1)

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

(وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ) هذا في مقابلة الوعيد السابق للمنافقين (جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا) أراد بها البساتين التي يتناولها المناظر فهي لكل أحد منهم على اختلاف طبقاتهم (وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ) ومساكن يطيب بها العيش والإقامة دائمة فيها مع الهناء وصحة الجسم وطيب مقرٍّ وموطنٍ ومنبت ، فهي أبهى أماكن الجنات (وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ) قال الزَّجّاج: " أكبر ممَّا هم فيه من النَّعيم" (2) ، أي قدرٌ يسير من رضوانه أكبر من ذلك كله وأعظم. أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري(3) عن النَّبي ﷺ قال: (يقول الله عز وجل لأهل الجنة: يا أهل الجنة، هل رضيتم؟ فيقولون: ربنَّا وما لنا لا نرضى، وقد أعطيتنا ما لم تُعطِ أحداً من خلقِكَ ! فيقول: أفلا أُعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: وأيُّ شيءٍ أفضل من ذلك؟ قال: أُحِلُّ عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم أبداً) (4) ، (ذَٰلِكَ) الرضوان (هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ) الذي تستحقر دونه الدنيا وما فيها.(5)

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ شعبة **(ورُضوان)** بضم الرَّاء، وقرأ الباقون **(ورِضوان)** بكسر الرَّاء. والحجَّة لمن كسر الرَّاء أنَّه مصدر، والأصل فيه، رضيت رضىً، ثم زيدت الألف والنون، فرُدّت الياء إلى أصلها، كما كان الأصل في كفران: كفرا.

---

(1) انظر [المصباح المنير ص140] .

(2) انظر[معاني القرآن: الزجّاج (461/2)].

(3) سبقت ترجمة له ص19.

(4) انظر[البخاري رقم (7518) في فتح الباري (487/13)، 97 كتاب التوحيد، 37 باب كلام الرب مع أهل الجنة].

(5) انظر[زاد المسير (277/2) ، نظم الدرر (359/3)، تفسير مقاتل بن سليمان: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي (59/2) – دار الكتب العلمية– بيروت – لبنان– ط1 – 1424هـ – 2003م – تحقيق: أحمد فريد].

والحجَّة لمن ضم الراء (**رُضوان**):

1- أنَّه فرّق بين الاسم والمصدر ، فجعله اسم المصدر.[1]

2- إنَّ الضمَّ في المصادر مع زيادة الألف والنون أكثر وأشهر كقوله (فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ) [الأنبياء:94] (ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٍ) [الرحمن:5][2]

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين : نجد أنَّ الجزاء أو الوعد الذي وعده الله للمؤمنين والمؤمنات لا يكمن في الرضا المعتاد ؛ ولكنه يتجلى بالرضوان الأكبر ، ولهذا كانت كلمة (رضوان) في اللغتين كلتيهما المصدر رِضوان، واسم المصدر رُضوان أشدّ تعبيراً عن الرضوان الأكبر من رضا، وذلك لأنَّ المعنى الذي يؤديه المصدر المجرد عن الزوائد (رضا) لا يغني بحال عن المعنى الذي يؤديه المصدر المزيد باللاحقة ، والذي اختارته العرب لغة القرآن [3]، فالرضوان أكبر مما ذكر من الجنات والمساكين ، حيث إنَّه يضمن للمؤمن أن يظفر برؤية ربِّه ، لذلك أظهر الله فيه اسم الجلالة فقال تعالى: رضوان من الله، ولم يقل: رضوان من ربهم، وذلك لِما في اسم الجلالة من الإيماء إلى عظمة ذلك الرضوان.[4]

فالرُّضوان: اسم مبالغة في معنى الرضا ، وهو على نبرة امتلاء بما تعرب عنه الألف والنون ، وتشعر ضمة رائه بظاهر إشباعه وكسرتها بباطن إحاطته.[5]

فإن قيل : لِمَ كان الرضوان أكبر من النعيم؟ ففيه جوابان:

أحدهما: أنَّ سرور القلب برضى الرب نعيم يختصُّ بالقلب، وذاك أكبر من نعيم الأكل والشرب.

(1) المصدر : هو الأصل الذي تؤخذ منه جميع المشتقات، ويدل على الحدث مجرداً عن الزمان، واسم المصدر ما دل على معنى المصدر، ولم يماثل حروفه عدداً ولا ضبطاً ولا زنة نحو (سلام = تسليم، رضوان – رُضوان) انظر [شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك (3/93-99)– دار الاتحاد العربي – ط5 – 1397هـ–1978م، شذا العَرف في فن الصرف: أحمد الحملاوي ص70 – مطبعة مصطفى الحلبي– مصر– ط16 – 1384هـ – 1965م (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي شذا العرف)].

(2) انظر[الحجَّة: ابن خالويه ص50].

(3) انظر[التَّوجيه اللُّغوي : د. صبري ص 81-82].

(4) انظر[التحرير والتنوير (3/184)، تفسير الشعراوي (3/1327)].

(5) انظر[نظم الدرر (2/38)].

الثاني: أنَّ الموجب للنعيم الرضوان، والموجَبُ ثمرة الموجِبِ ، فهو الأصل[1]، والله تعالى نصَّ على أنَّ الفوز بالرضوان أعلى وأعظم وأجل وأكبر، وذلك دليلٌ قاطعٌ على أنّ السّعادات الروحانية أكمل وأشرف من السعادات الجسمانية.

وأيضاً ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ إشارة إلى منازل المقربين الشاربين من تسنيم، والذين يرون كما يرى النَّجم في الأفق وجميع مَنْ في الجنَّة راض، والمنازل مختلفة وفضل الله متّسع.[2]

19- ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾ التَّوبة

أولاً: القراءات:

1- أ- قرأ يعقوب، وحمزة، والكسائي، وخلف، وشعبة **(معي~ أبداً)** بالإسكان (ياء الإضافة) مع المد.

ب- قرأ الباقون **(معيَ أبدا)** بفتح ياء الإضافة.

2- أ- قرأ حفص **(معيَ عدوا)** بفتح ياء الإضافة.

ب- قرأ الباقون **(معيْ عدوا)** بإسكان ياء الإضافة.[3]

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

(مع) من الظروف التي لا تتصرف وتستعمل مضافة فتكون ظرفاً، ولها حينئذ ثلاثة معاني أحدهما: موضع الاجتماع.[4]

---

(1) انظر[زاد المسير (2/277-278)].

(2) انظر[مفاتيح الغيب (16/106)].

(3) انظر[النشر (2/211)، البدور الزاهرة ص 170].

(4) انظر[دراسات لأسلوب القرآن: عبد الخالق عضيمة ق3 (2/639)، دار الحديث- القاهرة، كتاب سيبويه (1/420)].

(الياء) من الحروف اللَّينة ، وذلك لأنَّ مخرجها ، يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرها.(1) وياء الإضافة تسمَّى ياء المتكلم ويكسر ما قبلها ولا يفتح.(2)

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

يقول عز وجل لنبيه ﷺ : إنْ ردّك الله إلى المدينة، وفيها طائفة من المتخلفين المنافقين بعد غزوتك هذه (3) فاستأذنوك للخروج معك إلى غزوة أخرى بعد تبوك، فقل لهم: (لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّا) من الأعداء، وهو إخبار في معنى النهي للمبالغة، وذلك عقوبة لهم (إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ) والجملة في موضع التَّعليل لما سبق، أي لأنكم رضيتم بالجلوس في أول مرة من غزوة تبوك (فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ) أي اقعدوا عن الجهاد مع المتخلّفين من النّساء والصّبيان والعاجزين ؛ لأنكم منهم، فاقتدوا بهديهم، فقد سخط الله عليكم.(4)

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

راجع نظير هذا المثال في توجيه الآية (48) من سورة الأنفال (5)، إلاّ أنّ هنا في هذا المثال التقييد بالمعية ، كما يؤذن باستثقالهم، يُخرج ما كان بعده ﷺ مع أصحابه رضي الله عنهم من سفرهم وقتالهم (المنافقين)(6) وهذا المثال : شاهد على فتح ياء المتكلّم ، وسرّ جواز العدول عنه، و فائدة المد في قراءة (معي) يفهم منه عدم خروج المنافقين مع الرسولﷺ مهما طال الزمان، وفيه مبالغة في النهي.

20- ﴿ وَجَآءَ ٱلۡمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ لِيُؤۡذَنَ لَهُمۡ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٩٠﴾ ﴾ التَّوبة

---

(1) انظر[كتاب سيبويه (435/4)].

(2) انظر[المرجع السابق (385/2)].

(3) إنما قال إلى طائفة لأن منهم من تاب عن النفاق وندم على التخلف.

(4) انظر[جامع البيان (203/10)، المقتطف من عيون التفاسير (416/2-417)، نيل المرام من تفسير آيات الأحكام: محمد صديق حسن ص 415-416- مكتبة المدني – جدة – ط 1399هـ- 1971- تحقيق : علي السيد صبح المدني].

(5) راجع ص 136-137.

(6) انظر[نظم الدرر (369/3)].

أولاً: القراءات:

1- قرأ يعقوب (**المُعْذِرُون**) بتخفيف الذال.

2- وقرأ الباقون (**المُعَذِّرُون**) بتشديد الذال.(1)

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

(**المُعذِرون**) من الفعل عَذَرَ، والمُعذِر الذي له عُذر، قرأها ابن عباس ساكنة العين، وكان يقول: "والله هكذا أنزلت"، وقال : "لعن الله المُعذّرين".

(**المُعَذِّرون**) من عَذّر الرجل فهو مُعذّر، إذا اعتذر ولم يأت بعذْر، وعذَّر أيضاً: لم يثبت له عذر، فالمعذّرون : هم الذين لا عذر لهم ؛ ولكن يتكلفون عذراً ، وأصل (**المعذِّرون**) المعتذرون ، فأسكنت التاء ، وأبدل منها ذال ، وأدغمت في الذال ، ونقلت حركتها إلى العين ، فصار الفتح في العين أولى الأشياء، ومن كسر العين جرّه لالتقاء السّاكنين.(2)

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

بيّن الله تعالى في هذه الآية حال ذوي الأعذار في ترك الجهاد الذين جاءوا الرّسول ﷺيعتذرون إليه فقال تعالى: (وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ) أي المعتذرون (3) وهم من أحياء العرب ممن حول المدينة من بين غِفار ، ولم يكن لهم عذر (لِيُؤْذَنَ لَهُمْ) لكي يأذن لهم رسول الله ﷺ بالتّخلف عن غزوة تبوك (وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ) أي: وقعد آخرون من الأعراب عن المجيء للاعتذار ، فخالفوا الله ورسوله في السّير عن الجهاد بغير إذن ؛ لذلك أوعدهم بالعذاب الأليم المُوجع فقال: (سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ).(4)

---

(1) انظر[النشر (210/2)، البدور الزاهرة ص 170] .

(2) انظر[لسان العرب (546/4)، مادة عذر، القاموس المحيط ص 562 مادة عذر].

(3) انظر[معاني القرآن: النَّحاس (460/1)].

(4) انظر[تفسير القرآن العظيم (381/2)، تفسير ابن وهب المسمى الواضح في القرآن (324/1-325)].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ يعقوب **(المُعْذِرُون)** بسكون العين وتخفيف الذال ، وهو اسم فاعل من أعذر، والمعذر الذي بلغ أقصى العذر، وكان ابن عباس [1] يقرؤها كذلك، ويقول: (هم أهل العذر) أو هم الذين تخلَّفوا بعذر ، فأذن لهم النَّبي ﷺ وقيل: هم أسد وغطفان قالوا : إنَّ لنا عيالاً ، وإنَّ بنا جهداً ، فَأْذَن لنا في التَّخلف، وقيل: هم رهط عامر بن الطّفيل قالوا : إنْ غزونا معك غارت أعراب طي على أهالينا ومواشينا، فعذرهم النَّبي ﷺ.[2]

وقرأ الباقون **(المُعَذِّرون)** بفتح العين وكسر الذال مشدّدة .

وهذه القراءة تحتمل وجهين:

أ- أن يكون اسم فاعل من **(عذّر)** مضعّف بمعنى التّكلف ، والمعنى : أنَّه يوهم أنَّ له عذراً، ولا عذر له، فهو غير محقّ في عذره [3] ، وعلى هذا المعنى : يكونون هم قوماً من غِفار ، اعتذروا فلم يعذُرْهم النَّبي ﷺ [4].

ب- أن يكون اسم فاعل من **(اعتذر)** فأدغمت التَّاء في الذال ، والاعتذار قد يكون بحق وقد يكون باطلاً. ومن ذهب إلى أنَّه مَنْ اعتذر ، النَّحاس[5] ، والأخفش[6]، والفرَّاء[7] ، والزَّجّاج [8] ، والمعتذر : يقال لمن له عذر ولمن لا عذر له.

خامساً : الجمع بين القراءتين :

بالجمع بين القراءتين : أجد أنَّ قراءة التَّخفيف **(المُعذِرون)** المقصود بهم الذين اعتذروا للرسول ﷺ ، وقَبِل الرَّسول منهم العذر ، فكانوا محقّين بعذرهم.

(1) انظر[قراءة ابن عباس في جامع البيان (200/10)، البحر المحيط (83/5-84)].

(2) انظر[البحر المحيط 84/5، الجامع لأحكام القرآن (547/4-548)].

(3) انظر[حجَّة القراءات: ابن زنجلة ص321].

(4) انظر[السيرة النبوية: ابن هشام (120/4)، جامع البيان: (210/10)، البحر المحيط (84/5)، الجامع لأحكام القرآن (548/4)].

(5) انظر[معاني القرآن: النَّحاس (460/1)].

(6) انظر[معاني القرآن: الأخفش (558/2)].

(7) انظر[معاني القرآن: الفرَّاء (447/1)].

(8) انظر[معاني القرآن: الزجّاج (464/2)].

وقراءة التّشديد (**المُعذِّرون**) هم المنافقون الذين لا عـذر لهـم ؛ ولكـنهم اعتـذروا للرسول ﷺ ، مع علمه أنَّهم غير محقّين ، والله أعلم.

وهكذانصل إلى أنَّ: لكلِّ قراءة من القراءتين المتواترتين سبب نزول ، ولا تعارض بين السّببين، وكأنّ كلَّ قراءة ، تمثل آية مستقلّة وسبب نزول مستقل، وهـذا دليـل واضح على إعجاز القرآن الكريم وروعته المتمثّلة بالقراءات القرآنية.

21-﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ التَّوبة

أولاً: القراءات:

1- قرأ ابن كثير، وأبو عمرو (**السُّوء**) بضم السين.

2- وقرأ الباقون (**السَّوء**) بفتح السين.

3- وقرأ ورش على أصله (**السَّوْ~ء**) في مد الواو.(1)

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

(**السوء**) الاسم من ساءَه، سَوْءاً، وسَوَاء، وسواءَةً، وسَـوايَة، وسـوائيةً، ومسـاءَةً، ومسائيةً، ومساءً: أي فعل به ما يكره فاستاء هو.

(**السَّوء**) بالفتح معناه قول قبيح.

(**السُّوء**) بالضم معناه أن تقول سوءاً، وفي الآية بـالوجهين: أي الهزيمـة والشَّـر والرَّدى والفساد. أو المضموم الضَّرر والمفتوح الفساد (2).

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

يقول سبحانه وتعالى: ومن الأعراب من يَعُدُّ نفقته التي ينفقها في الجهـاد أو في معونة مسـلم مغرمـاً أي: غُرمـاً وخسـراناً (3) (وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ) أي وينتظرون بكم الدَّوائر ، أن تدور به الأيَّام واللَّيالي ، ويدور به الزمان من المكروه

---

(1) انظر[النشر (210/2)].

(2) انظر[القاموس المحيط ص54، مادة سيأ].

(3) انظر[معاني القرآن: النَّحاس (461/1)].

وأصل الدَّوائر: صروف الزّمان مرّة بالخير، ومرّة بالشَّر [1] ، أو ينتظـــرون لكـــم الموت والقتل.[2]

ثم قال عز وجل (عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ) أي على هؤلاء المنافقين دائرة السّوء ونزول البلاء والمكروه بهم ، لا بكم أيها المؤمنون ، وهذا دعاء عليهم بنحو ما تربّصون به (وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) لما يقولونه (عَلِيم) بتدبيرهم وبما يضمرونه وما ينـــالهم مـــن عقاب الله الأليم.[3]

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قال أبو علي[4]: "(عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ) الدائرة **لا تخلو من أن تكون:**

1- إما صفة.

2- أو بمنزلة العافية والعاقبة، والصفة أكثر في الكلام فينبغـــي أن يحمـــل عليهـــا، فالمعنى فيها أنَّها خلة تحيط بالإنسان حتى لا يكون له منها مخلص، وأضـــيف إلـــى السُّوء أو السَّوء **على الوجهين:**

1- على وجه التأكيد.

2- على وجه الزّيادة والتّبيين، ولو لم تصف ، لعُلـــم منهـــا المعنـــى الـــذي فهـــم بالإضافة".[5]

وعليه فالذي قرأ **(السَّوء)** بالفتح فإنَّه أراد المصدر وهو من سؤته، سَوْءاً، ومساءة، ومَسَائية، وسوائية، فهذه مصادر.[6] ويُراد بالسَّوء الرداءة والفساد ، عكس صـــدق. عندما نقول: (ثوب صدق) وليس (صدق). اللسان الذي هو خلاف الكذب. فيكـــون التقدير: عليهم دائرة الفساد والرداءة.[7]

---

(1) انظر[معاني القرآن: النحاس(461/1)].

(2) انظر[معاني القرآن: الفرَّاء (449/1)].

(3) انظر[جامع البيان (4/11)].

(4) هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان بن أبان الإمام أبو علي الفارسي النحوي المشهور أصله من فسا من أعمال شيراز ولد عام 288هـ، وتوفي عام 377هـ، انظر[غاية النَّهاية في طبقات القراء (206/1-207)].

(5) الحجَّة: أبو علي الفارسي (206/4-207).

(6) انظر[معاني القرآن: الفرَّاء (450/1)].

(7) انظر[الحجَّة: أبو علي الفارسي (208/4)، الحجَّة: ابن خالويه ص99].

وأما من قرأ بالضم : فجعله اسماً كقولك عليهم دائرة البلاء والعذاب والهزيمة، فاجتمعا في جواز إضافة الدائرة إليهما، من حيث أريد بكل واحدة منهما الرداءة والفساد. والتقدير: عليهم دائرة الضرر والمكروه من ذلك سُوُته، مساءة، ومسائية، والمعنيان متقاربان.(1)

وقال الزمخشري:" المضموم العذاب، والمفتوح ذم الدائرة، لأنَّ من دارت عليه يذقها ، فهي من باب إضافة الموصوف إلى صفته ، فوصفت في الأصل بالمصدر مبالغة، ثم أضيفت لصفتها كقوله تعالى: (مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ) [مريم: 28] ". (2)

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين : أرى أنَّ هذا الموضوع نوع من التلوين في أسلوب القرآن الكريم، فقراءة الفتح أراد المصدر، وقراءة الضم جعله الاسم، ومع ذلك لم يتغير المعنى وهذا يدل على جمال أسلوب القرآن وإعجازه.

أما قراءة ورش (**السَّو~ء**) بالفتح مع مد الواو، فلأن المد يفيد الزيادة، يكون المعنى عليهم دائرة الفساد والرداءة مستمرة أي دائمة، وهذا زيادة في الدعاء على المنافقين ، وفي الفساد الذي سوف يصيبهم، وقيل الضم، والفتح لغتان بمعنى، مثل (الضُّرّ، والضَّرّ).(3)

22- ﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٩﴾ التوبة

(1) انظر[الحجَّة: أبو علي الفارسي (209/4)].

(2) الكشاف (209/2).

(3) انظر[حجَّة القراءات: ابن زنجلة ص322].

أولاً: القراءات:

1- قرأ ورش **(قُرُبة)** بضم الراء.

2- وقرأ الباقون **(قُرْبة)** بسكون الراء.[1]

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

(قُرْبَة) من الفعل قَرُب، قَرْباً، وقُرْباناً، وقِرْباناً. أي دنا فهو قريب. والقُرُبة ، القرْبة والقُربى، أي القرابة، وهي قريبي وذو قرابتي.[2]

و**(قُرْبة)** بسكون الراء، هي لما يُتقرّب به إلى الله تعالى والضم للإتباع.[3]

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

ذكر الله سبحانه وتعالى في الآيات السَّابقة أحوال الأعراب المنافقين ، وبيَّن في هذه الآية : حال الأعراب المؤمنين منهم والصَّادقين فقال تعالى: (وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ) أي : أنَّ الأعراب ليسوا سواء ، فمنهم من يؤمن بالله ويقرّ بواحدنيته ويؤمن باليوم الآخر، وينوي بما ينفق من نفقة في جهاد المشركين قربة يتقرب بها من رضا الله ومحبته (وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ) ويبتغي بنفقته أيضاً دعاء الرَّسول واستغفاره له (أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ) أي ألا إنَّ تلك النفقة التي اتخذت ، قد تقبلها الله ، وكانت لهم قربة ورضى لهم عند الله، فأدخلهم برحمته الجنة (إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) أي أنَّه واسع المغفرة والرحمة لمن يتوب إلى الله ويُخلص في توبته ، وهذه سنّة الله في أوليائه، يطهّرهم ثم ينعم عليهم بجواره.[4]

---

(1) انظر[النشر (162/2)، إتحاف فضلاء البشر ص97].

(2) انظر[القاموس المحيط ص (157-158) مادة قرب].

(3) انظر[المصباح المنير ص295 مادة قرب].

(4) انظر [معاني القرآن: الزجّاج (466/2)، جامع البيان (5/11-6)، تفسير المراغي (9/11-10)، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: أبو بكر جابر الجزائري (324/2) – المكتبة العصرية- صيدا – بيروت – ط2 – 1422هـ ، 2001م].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ ورش **(قُرُبَة)** بضم الراء، وقرأ الباقون **(قُرْبَة)** بإسكان الراء، والإسكان والضم: لغتان في كلِّ اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم، والإسكان هو الأصل، وهو لغـــة (تميم، وأسد) ، والضم لمجانسة ضم الحرف الأول، وهو لغة الحجازيين.(1)

من قرأ**(قُرْبَة)**على بناء**(فُعْلَة)**وجمعها قُربات،وقُرَبَات،ومن قرأ**(قُرُبَة)**مثقلة فهو مثـــل الجُمُعة والجُمْعة(2)والأصل أن يكون بالإبقاء على العين ساكنة،خلافاً لما يراه بعض الصّرفيين.(3)وما عدل النّاطق عن هذا الأصل؛ إلا التماساً لجمال صوتي يجري وَفْق قانون الإتباع في الحركات، فهنا الخلاف دائر بين جمال الإبقاء على الأصل ، حيث خفة اللَّفظ بالإمكان، وجمال الإتباع، حيث التَّوافق الحركي والانسجام الصّوتي.(4)

وقراءة التسكين توحي بأن هذه القرْبة باقية رصيد لهم عند الله، في حين قراءة الضم توحي بثقل هذه القرُبة و عظمها عند الله تعالى وذلك لثقل الضم والله أعلم.

23- ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ التوبة

أولاً: القراءات:

1- أ- قرأ يعقوب **(وَٱلۡأَنصَارُ وَٱلَّذِين)** برفع الرّاء.

ب- قرأ الباقون **(وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ)** بخفض الرّاء.

2- أ- قرأ ابن كثير **(تَجۡرِي من تحتِها)** بزيادة كلمة **(من)** وخفض تاء تحتها، وكذلك هي في المصاحف المكِّية.

---

(1) انظر[المفردات في غريب القرآن ص399].

(2) انظر[معاني القراءات ص213].

(3) انظر[الخصائص (54/1)، التَّوجيه اللُّغوي والبلاغي: د. صبري ص 52].

(4) انظر[التَّوجيه اللُّغوي : د. صبري ص52].

ب- قرأ الباقون (**تَجْرِى تَحْتَهَا**) بحذف لفظ (**من**) وفتح التاء وكذلك هي في مصاحفهم عند البصريين.[1]

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

(ٱلْأَنصَارِ) من نصر، والنصر هو إعانة المظلوم، والنصرة حسن المعونة. والأنصار هم: أنصار النَّبي ﷺ ، غلبت عليهم الصفة ، فجرى مجرى الأسماء وصار كأنَّه اسم الحي ، ولذلك أضيف إليه بلفظ الجمع ، فقيل :أنصاري.[2]

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

يقول تعالى:(وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ) أي الذين سبقوا الناس أولاً إلى الإيمان بالله ورسوله من المهاجرين وهم الذين صلُّوا إلى القبلتين ، أو الذين شهدوا بدراً أو الذين أسلموا قبل الهجرة (وَٱلْأَنصَارِ) الذين نصروا رسول الله ﷺ على أعدائه من أهل الكفر ، وهم أهل بيعة العقبة الأولى والعقبة الثانية (وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ) أي والذين سلكوا سبيلهم في الإيمان بالله ورسوله، وفي الهجرة من دار الحرب إلى دار السَّلام، ابتغاء مرضاة الله (رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ) أي رضي الله عن جميعهم ، بقبول طاعتهم ، وارتضاء أعمالهم (وَرَضُوا۟ عَنْهُ) بما نالوه من الله من الثَّواب والكرامة ، وأعدَّ له جناتٍ وبساتين ، تجري الأنهار من تحتها خالدين فيها ومقيمين لا يموتون فيها ، ولا يخرجون منها ، وذلك الرضوان والجنات هو الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه.[3]

---

(1) انظر[النشر (211/2)، كتاب المصاحف: أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني الحنبلي ، المعروف بابن داوود (230هـ - 316هـ) - (276/1)- دار البشائر الإسلامية- بيروت- لبنان- ط2- 1423هـ- 2002م- تحقيق: د. محمد واعظ ،البدور الزاهرة ص171 ، وقد اتفقت القراءات القرآنية على إثبات (من) قبل (تحتها) في سائر المواضع من القرآن الكريم انظر [النشر (211/2)].

(2) انظر[لسان العرب (210/5) مادة نصر].

(3) انظر[جامع البيان (6/11-9)، تفسير البيضاوي (280/11)].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى :

قرأ يعقوب **(والأنصارُ)** بالرّفع عطفاً على السّابقين الأوّلين .[1] وقد رويت قراءة يعقوب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقرأ **(والأنصارُ)** عطفا على **(والسابقون)** .[2]

فتكون قراءة يعقوب : قد جعلت فضل الأنصار عامّاً ، إذ لم تدخل عليهم **(من)** التّبعيض بل تكون للبيان، فيتناول المدح جميع الصّحابة، ويكون المراد بالتّابعين من بعدهم من الأمة إلى يوم القيامة.[3]

فتكون حصيلة قراءة يعقوب أن رضوان الله مكتوب لثلاثة أصناف:

الأول : السابقون الأولون من المهاجرين.

الثّاني: الأنصار (بعموم سابقهم ولاحقهم).

الثّالث: الذين اتبعوهم بإحسان.[4]

وشمول الأنصار بالجَّنة والرضوان لا يعني استواءهم في المنزلة، حيث صرَّح القرآن بأنَّهم ليسوا سواء. قال تعالى عز وجل :(لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ) [الحديد :10] [5]

وقرأ الجمهور **(والأنصارِ)** بالخفض عطفاً على المهاجرين.[6]

فتكون قراءة الجمهور : قد نصت على مزيّة فضلٍ للسابقين من الأنصار وتكون **(من)** للتبعيض. قال الأخفش: "والوجه هو الجر ؛ لأنَّ السَّابقين الأوَّلين ، كانوا من الفريقين جميعاً ".[7]

---

(1) انظر[معاني القراءات ص214].

(2) انظر[فتح القدير (2/397-398)].

(3) انظر[المرجع السابق (2/498)].

(4) انظر[القراءات المتواترة وأثرها في الرسم: د. محمد الحبشي ص184].

(5) انظر[المرجع السابق ص185].

(6) انظر[معاني القراءات ص214].

(7) انظر[معاني القرآن: الأخفش (2/560)].

وتكون حصيلة قراءة الجمهور أنَّ رضوان الله مكتوب لثلاثة أصناف:

الأول: السّابقون الأوّلون من المهاجرين.

الثّاني: السّابقون الأوّلون من الأنصار.

الثّالث: الذين اتبعوهم بإحسان .[1]

وعلى قراءة الخفض ، فإن السّابقين من المهاجرين والأنصار ، هم الذين صلُّوا القبلتين، أو الذين شهدوا بيعة الرّضوان، وهي بيعة الحديبية، أو أهل بدر، ولا مانع من حمل الآية على هذه الأصناف كلها .[2]

ويكون الذين اتبعوهم بإحسان من المهاجرين والأنصار من سائر الصّحابة ، أو اتَّبعوهم بالإيمان والطَّاعة إلى يوم القيامة.

أو يكون السَّابقون من المهاجرين ، الذين سبقوا بالإيمان والهجرة، والسَّابقون من الأنصار (وهم أهل بيعة العقبة الأولى) وهم سبعة نفر ، وأهل العقبة الثَّانية ، وهم سبعون نفراً.[3]

أمَّا على قراءة الرفع يكون السَّابقون من المهاجرين الذين هاجروا من المؤمنين من مكَّة إلى المدينة، والأنصار بعمومهم سابقهم ولاحقهم، وذلك لأنَّهم ناصروا النَّبي ﷺ ووقفوا بجانبه.

فقد قال عنهم رسول الله ﷺ برواية عن أبي هريرة: (لو أنَّ الأنصار سلكوا وادياً أو شِعْباً ، لسلكت في وادي الأنصار؛ ولولا الهجرة ، لكنت امرءاً من الأنصار) [4]، أيضاً قال ﷺ برواية عن البراء: (الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله) [5] فجعل رسول الله ﷺ محبة الأنصار من الإيمان ، وبغضهم من النِّفاق، وفي رواية أخرى عن ابن مالك قال:

---

(1) انظر[القراءات المتواترة: محمد الحبشي ص184].

(2) انظر[فتح القدير (498/2)].

(3) انظر[مدارك التنزيل (442/2)].

(4) رواه البخاري رقم (3779) في فتح الباري (112/8) – 63 كتاب مناقب الأنصار– 2 باب قول النَّبي ﷺ (لولا الهجرة ..)

(5) رواه البخاري رقم (3783) في فتح الباري (113/8) – 63 كتاب مناقب الأنصار – 4 باب حب الأنصار من الإيمان.

رسول الله ﷺ : **(آية الإيمان حب الأنصار، وآية النّفاق بغض الأنصار)**[1] وروايات كثيرة ، أوردها البخاري في صحيحه في كتاب مناقب الأنصار.

ومع ذلك لو قال قائل : إنّ السَّابقين الأوّلين هم جميع من هاجروا إلى أن انقضت الهجرة ، لكان قولاً يقتضيه اللفظ وتكون **(من)** لبيان الجنس، والذين اتبعوهم بإحسان هم سائر الصَّحابة ، ويدخل التَّابعون وسائر الأمم بشرط الإحسان.[2]

ولا مانع أن يُصرف اللَّفظ إلى ما اتصف به السَّابقون من المهاجرين والأنصار ، فيكون السَّابقون في الهجرة والنُّصرة، فالسَّبق إلى الهجرة صفة عظيمة، من حيث كونها شاقَّة على النَّفس، مخالفة للطَّبع ، فمن أقدم أولاً صار قدوةً لغيره فيها، وكذلك السّبق في النُّصرة ، فاز بمنصب عظيم.[3]

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: أرى أنَّ قراءة يعقوب بالرَّفع: تكلَّمت في فضلهم عامَّة، وقراءة الجمهور بالخفض: تكلَّمت في تخصيص السَّابقين منهم بمنزلة أعلى من القرب والرُّضوان، والله أعلم.[4]

القراءة الثّانية :

قرأ ابن كثير(**تجري من تحتها)** بزيادة **(من)** وكذلك هي ثابتة في مصاحف مكَّة[5]، ولها معنيان:

الأول: المراد أنَّ الماء يأتي من موضع ، وتجري تحت هذه الأشجار التي في الجنّة.[6]

الثَّاني: وهذه القراءة تبيِّن أيضاً : أنَّ منبع تلك الأنهار ومبتدأ جريانها ، هو كذلك تحت الجنّة.[7]

---

(1) البخاري رقم (3784) في فتح الباري (113/8) – 63 كتاب مناقب الأنصار – 4 باب حب الأنصار من الإيمان.

(2) انظر[المحرر الوجيز (75/3)].

(3) انظر[مفاتيح الغيب (134/16)].

(4) انظر[القراءات المتواترة: محمد الحبشي ص186].

(5) انظر[البحر المحيط (92/5)، المصاحف لابن أبي داوود (276/1)].

(6) انظر[النشر (211/2)].

(7) انظر[دراسات في مناهج المفسرين: إبراهيم عبد الرحمن محمد خليفة (65/1-66)- دار الوفاء- مكتبة الأزهر- القاهرة- ط 1399هـ- 1979م].

أما قراءة الجمهور **(تجري تحتها)** بحذف **(من)** وكذلك هي في سائر المصـــاحف[1]، لها معنيان:

أحدهما: على هذه القراءة يكون المراد من الحذف : أنَّ المـــاء ينبـــع من تحـــت أشجارها ، لا أنَّه يأتي من موضع وتجري من تحت هذه الأشجار.[2] وعلى هـــذا المعنى الأخير ،أرى أن هذه الجنَّات تكون معدة ، لمن ذُكر في الآية من السَّـــابقين الأوَّلين من المهاجرين والأنصار والذين اتَّبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضـــوا عنه، أعدَّها لهم تعظيماً لأمرهم وتنويهاً لفضلهم وإظهـــاراً لمنـــزلتهم، لمبـــادرتهم بتصديق هذا النَّبي الكريم – عليه أفضل الصَّلاة وأكمـــل التَّســـليم- ولمـــن تـــبعهم بالإحسان والتَّكريم . والله أعلم.[3]

الآخر: قراءة الحذف لا نص فيها على مبتدأ جريان الأنهار، بل كلٌّ مـــا فيهـــا أنَّ الأنهار تجري تحت الجنّة، ويكون منبعها ومبتدؤها موضعاً آخر يعلم الله به.

الجمع بين القراءتين:

فعلى هذا المعنى تكون قراءة الإثبات ، قد بيّنت المجمل ونصَّت على أنَّ منبع تلك الأنْهار ومبتدأ جريانها هو تحت الجنَّة، وقراءة الحذف لا نص فيها على مبتـــدأ جريانها ؛ بل كلٌّ ما فيها أنَّ الأنْهار تجري تحت الجنّة وهو أعمّ، كما يلاحظ أن:

1- المعنى السَّابق في توجيه القراءة في هذا الموضع بإثبات **(مـــن)** وبحذفها لـــم يراع فيه ملاحظة تخصيص هذا الموضع دون سواه بذلك، بينما المعنى الآخر فـــي توجيه القراءة بالإثبات والحذف في هذا الموضع ، لوحظ فيه وجه تخصيص هـــذا الموضع بالإثبات والحذف ، دون سائر المواضع.

2- لوحظ في سياق الآية من جهة تخصيص المذكورين بمزيد فضـــل، وعظـــيم الشَّأن عند الله سبحانه وتعالى.[4]

---

(1) انظر[البحر المحيط (92/5)].

(2) انظر[النشر (211/2)].

(3) انظر[النشر (211/2)] .

(4) انظر[القراءات وأثرها في التَّفسير والأحكام: محمد بازمول ق2 (772/2-773)].

24- ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٠٣﴾ **التوبة**

أولاً: القراءات:

1- أ- قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص **(صلاتَك)** على التّوحيد وفتح التّاء.

ب- قرأ الباقون **(صلواتِك)** بالجمع وكسر التّاء.(1)

2- أ- قرأ يعقوب **(وتزكّيهُم)** بضم الهاء.

ب- قرأ الباقون **(وتزكّيهِم)** بكسر الهاء.(2)

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

(زكا) زكاء، زُكوّاً، وزكيَ، وتزكيَّ، وزكّاه الله، وزكّى نفسه تزكيه مدحها، والزَّكاة: الصّلاح، وقوله تعالى **(وَتُزَكِّيهِم بِهَا)** ، قالوا: تطهّرهم بها.(3)

(الصّلاة) لغة: الدّعاء، قال تعالى **(وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡ)** أي ادعُ لهم ، وهي من صلا وهي الرّكوع والسّجود، والصّلاة من الله تعالى الرّحمة، والصّلاة من الملائكة دعاء واستغفار، وبه سمّيت الصّلاة لما فيها من الدُّعاء والاستغفار، ولا يجوز أن تقال لغير النَّبيﷺ.(4)

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ خذ يا محمد من هؤلاء الذين اعترفوا بذنوبهم صدقة تطهّرهم بها من الذّنوب، ومعنى التَّطهير(5): ذهاب ما يتعلق بهم من آثار

---

(1) انظر[النشر (211/2)، البدور الزاهرة ص171].

(2) انظر[فريدة الدهر (791/2)، البدور الزاهرة ص171].

(3) انظر[لسان العرب (358/14) مادة زكا].

(4) انظر[المرجع السابق (466/14) مادة صلا].

(5) انظر[الكشّاف (211/2)، نيل المرام ص420].

الذّنوب ، والتّزكية : المبالغة في التّطهير أو بمعنى : الإنماء والبركة في المال (وَتُزَكِّيهِم بِهَا) وترفعهم بها عن خسيس منازل أهل النّفاق، والمقصود بالصّدقة أي الزّكاة، قال الجصّاص: "الصحيح أنّها الزّكوات المفروضة إذ لم يثبت أنّ هؤلاء القوم أوجب الله عليهم صدقة دون سائر الناس، سوى زكوات الأموال، وإذا لم يثبت بذلك خبر، فالظاهر أنّهم وسائر الناس سواء في الأحكام والعبادات، وأنّهم غير مخصوصين بها دون غيرهم من الناس " [1] فأمره – سبحانه – بأخذ زكواتهم وأخبرهم ، أنّها تطهير لهم وتزكية ، وأمره أن يدعو لهم بقوله: (وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡ ۖ)[2] أي واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم (إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمۡ) أي إن دعاءك لهم تثبيت وسكون ورجاء [3]. والسّكن من السّكون وهو : ما يسكن إليه من الأهل، والوطن [4] . والجملة تعليل للأمر بالصّلاة عليهم (وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) أي يسمع اعترافهم بذنوبهم ، ويسمع دعاءك لهم ، وغير ذلك من كلام خلقه، (عَلِيمٌ) بما في ضمائرهم من الندم ، لما فرط منهم وعليهم بدعائك ، لهم ولغير ذلك من أمور عباده.[5]

رابعاً: العلاقة التّفسيرية بين القراءات:

1- القراءة الأولى :

قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص عن عاصم **(صلاتَك)** بغير واو ، وفتح التاء على التوحيد بصيغة الإفراد : هو مصدر بمعنى الدُّعاء، الدُّعاء صنف واحد، والأصل في المصدر أن يفرد؛ لأنّه دال على الجنس كله؛ بمعنى أن يقع على الكثير والقليل

---

(1) أحكام القرآن: أبو بكر الرازي (370هـ)، (216/3)- دار الفكر – بيروت – لبنان ط1 – 1421هـ- 2001م- راجعه: صدقي محمد جميل.

(2) انظر[ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل: الإمام أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي (600/1) – دار الغرب الإسلامي – بيروت – لبنان – ط1 – 1403هـ – 1983م – تحقيق: سعيد الفلاّح] .

(3) انظر[مجاز القرآن: (268/1)].

(4) انظر[حاشية الشهاب (632/4)].

(5) انظر[جامع البيان (16/11)، تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل: محمد جمال الدين القاسمي- (3252/8-3253) – دار إحياء الكتب العربية- رقّمه وصحّحه وخرّج أحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي].

بلفظ واحد [1] كقوله تعالى ﴿ ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ﴾ [غافر: 67] فيكون المعنى: إنَّ دعاءك تسكن نفوسهم إليه ، وتطمئن قلوبهم به إلى الغاية ، ويثقون بأنَّه سبحانه قبلهم [2]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام:162].

وقوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءٗ وَتَصۡدِيَةٗۚ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴾ [الأنفال:35].

وقرأ شعبة **(صلواتك)** بالجمع وكسر التّاء والحجَّة في ذلك، جمع المصدر للدّلالة على اختلاف أنواع الدعاء ، التي تندرج تحت هذا الجنس، وذلك لتعدد المدعو لهم[3]، وتعدّد صيغ الدّعاء، فقد يراد بالصّلاة عليهم: الدّعاء لهم أو الاستغفار لهم، أو الصلاة عليهم إذا ماتوا، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [التَّوبة:99].[4]

خامساً : الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين : أرى أنَّ كل قراءة أعطت معنىً جديداً، فبذلك تنوع أسلوب القرآن، مرة بقراءة الإفراد ومرة بقراءة الجمع، فقراءة الإفراد: مصدر بمعنى الدعاء:هو صنف واحد. أما قراءة الجمع فتدل على تعداد المدعو لهم. فالداعي: هو الرّسول ﷺ ، والمدعو لهم أفراد ، وليس فرداً بعينه، وزيادة المبني فيه زيادة المعنى. وهذا المثال شاهد على جواز جمع المصدر لاختلاف الأنواع. والله أعلم.

(1) انظر[الكشف (106/1)].
(2) انظر[روح المعاني (15/11)].
(3) انظر[المرجع السابق بنفس الصفحة] .
(4) انظر [التَّوجيه اللُّغوي: د. صبري ص219].

القراءة الثانية :

(تزكيهُم) قرأ يعقوب بضم الهاء، وقرأ الباقون **(تزكيهِم)** بكسر الهاء، وقد سبق توجيه ذلك في الآية الثانية من سورة الأنفال [1]، فلأن الضَّمة ثقيلة ، فثقلها يتناسب مع ثقل التّزكية، فالتّزكية هنا مبالغة في التّطهير ، وقيل بمعنى الإنماء، والمعنى أنَّه تعالى يجعل النّقصان الحاصل بسبب إخراج قدر الزّكاة ، سبباً للإنماء.

وقيل: الصّدقة تطهّرهم عن نجاسة الذّنب والمعصية، والرّسول ﷺ يزكّيهم ويعظِّم شأنهم ، ويُثني عليهم ، عند إخراجها إلى الفقراء.[2]

أما قراءة الكسر: مرتبطٌ بالآية التي قبلها ، واستحضارها ضروري لفهم المعنى: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ [التّوبة:102] فتكون قراءة الكسر

تدل على انكسار أنفسهم بسبب ذنبهم ؛ لأنَّهم خلطوا عملاً صالحاً ، وآخر سيئاً فمن كان كذلك يجب ألا يقنط من رحمة الله ، ويسرع بالتَّوبة إليه سبحانه ، ويخرج الصّدقة، وبذلك تنمو نفوسهم على حب الخير، وعلى العطف على الفقير، والضّعيف المحتاج، فبهذا تنمو النّفس وترتفع ، بعد أن كانت منكسرة [3]. والله أعلم.

25- ﴿وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ١٠٦﴾ التّوبة

أولاً: القراءات:

1- قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، ويعقوب، وأبو بكر **(مُرْجَؤُوْن)** بهمزة مضمومة بعدها واو ساكنة مدّية.

---

(1) راجع ص70-71.

(2) انظر[مفاتيح الغيب (143/16)].

(3) انظر[في رحاب التَّفسير (1600/11-1601)].

2- وقرأ الباقون (مُرْجَوْنَ) بغير همز وواو ساكنة بعد الجيم.[1]

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

(مُرْجَوْنَ) من أرجى الأمر: أخّره، ومرجوؤن من أرجأه وأرجأت الأمر، وأرجيته إذا أخَّرته، يهمز ولا يهمز ، فالإرجاء التَّأخير[2].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

إن الله سبحانه وتعالى قسَّم المتخلّفين عن الجهاد ثلاثة أقسام:

1- المنافقون الذين مردوا [3] على النِّفاق وذلك لقوله تعالى ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَـٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ [التَّوبة: 101].

2- التّائبون وهم المرادون بقوله تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التَّوبة:102]. وبيّن تعالى أنَّه قبل توبتهم.

3- الذين بقوا موقوفين ، وهم المذكورون في هذه الآية، والفرق بين القسمين الثّاني والثّالث : أنَّ أولئك سارعوا إلى التَّوبة، وهؤلاء لم يسارعوا[4] ، والموقوفون هم : أولئك الرّهط الثّلاثة من المسلمين من غير شك ولا نفاق، فندموا على ما فعلوا ولم يعتذروا إلى رسول الله ﷺ عند مقدمِه وهم (كعب بن مالك، ومرارة بن الرَّبيع،

(1) انظر[النشر (315/1)، البدور الزاهرة ص171].

(2) انظر[لسان العرب (311/14) مادة رجا].

(3) مرنوا عليه، وحذقوه حتى بلغوا الغاية القصوى فيه وبمعنى تطاولوا وطغوا ،انظر[لسان العرب (400/3) ،في رحاب التَّفسير (1598/11)].

(4) انظر[مفاتيح الغيب (152/16)].

وهلال بن أميَّة) فقال الرَّسول ﷺ لأصحابه لا تكلمن أحداً من هــؤلاء الثَّلاثــة [1] (وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ) أي هؤلاء المشار إلــيهم فــي القســم الثالــث و(مُرۡجَوۡنَ) مؤخرون عن التَّوبة (لِأَمۡرِ ٱللَّهِ) أي لحكم الله تعالى فيهم، (إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ) بأن يميــتهم من غير توبة (وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ) إن تابوا (وَإِمَّا) هنا للشَّك بالنسبة إلى المخاطب ؛ لأنَّ الله منزَّهٌ عن ذلك سبحانه ، (وَإِمَّا) للإبهام بالنسبة إلى أنَّه أبهم على المخاطبين (وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) والله ذو علم بأمرهم، وما هم صائرون إليه من التَّوبة (حَكِيم) فيما يفعل بهم.[2]

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ أهل المدينة والكوفة **(مُرْجَوْن)** بدون همز ، وهي لغة الحجاز. وهي اسم مفعول بمعنى مؤخرون من الفعل **(أرجى)** دون الهمز، يقــال أرجأتــه، وأرجيتــه، كأعطيته، وحجَّة من لم يهمز أنَّه جعله من **(أرجيت الأمر)** يعني أخرته ، وهي لغــة قريش والأنصار، وأصله **(مرجيون)** فلما انضمّت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفــا، وبعدها واو ساكنة، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين ، وبقيت فتحة الجيم، تــدل علــى الألف المحذوفة ، فهو مثــل قولــه تعــالى (وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ) [آل عمــران:139] اعتلالهما واحد.

وقد يجوز أن يكون أصله الهمز، ولكن سُهّلت الهمزة، فأبــدل منهــا اليــاء مضمومة، ثم أُعل على ما ذكرنا، والأول أحسن وأقوى[3]، وقد نقل القرطبــي عــن المبرد[4] قوله: "لا يقال أرجيته بمعنى أخرته، ولكن من الرجاء".[5] وقال عنه مكــي

---

(1) انظر[السَّيرة النَّبوية: ابن هشام (129/4)].

(2) انظر[جامع البيان (21/11 –22)، مفاتيح الغيب (152/16)، الدر المصون (118/6–119)].

(3) انظر[الكشف (506/1)، المحرر الوجيز(80/11) ، روح المعاني (17/11)].

(4) هو محمد بن يزيد المبرد أبو العباس تلميذ المازني وأبو حاتم السجستاني، له كتاب الكامل والروضة، توفي في بغداد 216هــ، انظر[وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان:لأبي العباس شمس الدين أحمد بن خلكان (313/4) – دار الثقافة – بيروت – تحقيق : د. إحسان عباس (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي وفيات الأعيان)] .

(5) الجامع لأحكام القرآن (570/4) .

بن أبي طالب هذا قول شاذ، وأنكره ابن عطية [1]، ويكون المعنى: ليكن أمرهم عندكم على الرجاء ؛ لأنَّه ليس للعباد أكثر من هذا.

وقرأ أبو عمرو وعاصم وأهل البصرة **(مرجئون)** بالهمز من أرجأ، يرجئ، بمعنى التَّأخير[2]، وحُجَّة من همز أنَّها لغة تميم وسفلى قيس [3]، وهو اسم مفعول من الفعل أرجأ، يرجئ ، دون تسهيل ، إتباعاً للأصل، فطبق قانون صياغة اسم المفعول من الفعل الثلاثي المزيد بهمزة.[4]ويقال أنَّهما لغتان بمعنى واحد[5]، ولا خلاف؛ إلاَّ في عدد المقاطع. فقراءة الهمز ثلاثة، وقراءة التسهيل أربعة، وهذا المثال شاهِدٌ على صياغة اسم المفعول من الفعل الثَّلاثي المزيد بهمزة.[6]و مع ذلك يمكننا أن نفسر قراءة الهمز على أنَّ الفترة ستكون ليست قصيرة في الإرجاء، وعلى ثقل هذا الإرجاء على نفوس هؤلاء الصحابة، و قراءة التسهيل تُفَسر على أنه سيأتي الفرج على هؤلاء، ويسهل أمرهم والله أعلم.

26- ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧﴾ التوبة

أولاً: القراءات:

1-قرأ المدنيان (نافع وأبو جعفر)، وابن عامر(ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا) بغير واو،و كذا هي في مصاحف أهل المدينة والشام.

---

(1) انظر[الكشف (506/1)، المحرر الوجيز (80/11)].

(2) انظر[المحرر الوجيز (80/11)].

(3) قيس نسبة إلى القَيْسيّ ويرجع نسبهم إلى قيس بن ثعلبة أو قيس بن مُضَر بن نزار ، وقيس لقبه ، وتقيس الرجل : إذا تشبه بهم انظر [كتاب النسب (575/4) ، اللباب (69/3) ، لب الألباب (195/2)].

(4) وصياغته يكون اسم المفعول كاسم فاعله، ولكن يفتح ما قبل الآخر نحو مُكرَم، انظر[شذا العرف في فن الصرف– باب اسم المفعول ص 97] .

(5) انظر[الكشف (506/1)، روح المعاني (17/11)].

(6)انظر[التَّوجيه اللُّغوي: د. صبري 219 –220].

2-وقرأ الباقون (وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ) بالواو وكذا هي في مصاحفهم [1].

ثانياً: التَّفسير الإجمالي للآية:

لمّا ذكر الله أصناف المنافقين، وطرائقهم المختلفة، عطف على ما سبق هذه الطّائفة منهم، -وهم الذين اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً-وهم بنو عمرو بن عوف من الأنصار، بنوا مسجدهم ضراراً لمسجد قباء أي مضارة، ومسجد قباء أول مسجد بني على التّقوى. فلمّا قدم النَّبي ﷺ من غزوة تبوك ، أمر بإحراق مسجد الشّقاق وهدمه.[2]

فقد أخبر الله سبحانه ، أنَّ الباعث لهم على بناء هذا المسجد أمور أربعة:

الأول: الضرار لغيرهم، وهو المضاررة.

الثَّاني: الكفر بالله والمباهاة لأهل الإسلام، فأرادوا ببنائه تقوية أهل النّفاق.

الثَّالث: التّفريق بين المؤمنين، لأنَّهم أرادوا أن لا يحضروا مسجد قباء، فتقل جماعة المسلمين، وفي ذلك من اختلاف الكلمة وبطلان الألفة ما لا يخفى.

الرَّابع: الإرصاد والانتظار[3]، ومعناه من أرصدت أي ارتقبت.[4]

وقوله (مِن قَبۡلُ) أي من قبل أن ينافق هؤلاء ، ويبنوا مسجد الضرار (وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰ) أي ما أردنا ؛ إلا الخصلة الحسنى ، وهي الرِّفق بالمسلمين، فردَّ الله عليهم بقوله (وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ) فيما حلفوا عليه.[5]

ثالثاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ المدنيان وابن عامر (**الذين اتخذوا**) بغير واو، وكذلك هي في مصاحف أهل المدينة وأهل الشام، جعلوه مستأنفاً. وقرأ الباقون بالواو ، وكذا في مصاحفهم.

---

(1) انظر[النشر (211/2)، البدور الزاهرة ص171].

(2) انظر[معاني القرآن: الفرَّاء (452/1)، معاني القرآن: النَّحاس (464/1)، السيرة النبوية: ابن هشام (128/4-129)].

(3) انظر[معاني القرآن: الزجّاج (468/2)].

(4) انظر[معاني القرآن: النَّحاس (464/1)].

(5) انظر[فتح القدير: الشّوكاني (504/2)].

والحقيقة أنَّ حذف الواو وتركها ، من أدق المسالك في الفكر البلاغي؛ لــذلك كــان موضوع الفصل والوصل هو البلاغة كما يقولون، والذي يتتبع أسلوب القرآن الكريم يجد فيه ما يثلج الصدر ، ويبهر النفس من أسرار الفصل والوصل وحذف الواو في موضع وذكرها في موضع آخر.وذكر الواو يدل على العطف، و العطــف يقتضــي الاشتراك والتغاير وقد يكون عطف صفة على صفة لبيان أهمية الصفات المذكورة.

وقد يكون حذف الواو ناشئاً عن سؤالٍ مُقَّدرٍ في جملة سابقة ، فتأتي الجملــة إجابــة على هذا السؤال المقدَّر خالية من الواو، وهذا ما يعبر عنه البلاغيون بشــبه كمــال الاتصال، ويسمى استئنافاً. وقد يكون ناشئاً عن تغاير بين الكلام السَّابق والذي يليه، وهو ما يسميه البلاغيون كمال الانقطاع.(1)

وعلى هذا ، فيمكن أن تشير كلٌّ من القراءتين في الآية الكريمة إلى معنى، فالقراءة بحذف العطف تدل على اتصال هذه الأصناف التي ذكرت في سورة براءة ابتداءً من قوله سبحانه (وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ) [التَّوبة: 58]،(وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ)[التَّوبة: 75] (وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ) [التَّوبة:61] .. فكأنَّه قيل : ومنهم الذين اتَّخذوا مسجداً ضراراً، فيكون عطف جملة على جملة.

أما القراءة الثانية بدون حرف العطف، ففيها قطعٌ لهــؤلاء الــذين اتَّخــذوا مســجد الضِّرار، أي تكون الجملة على الابتداء، وفي خبره وجهٌ محذوف وفيه تقديران:

أحدهما: فيمن وصفنا الذين اتخذوا. **والثاني:** ننتقم منهم أو نجازيهم.

واحتمال إضمار المبتدأ وجعل (وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ) الخبر.

ولكن لا يحسُن أن يكون (ٱلَّذِينَ) في هذه القراءة بدلاً من (وآخرين) لأن (آخرين) ترجى لهم التَّوبة، (وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ) لا ترجى لهم توبة لقوله تعالى:

(لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ

(1) انظر[القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص33- 35].

حَكِيمٌ) [التَّوبة :110].[1]

وهكذا فقراءة القطع فيها من التشنيع والذَّم الكثير الكثير، وكيف لا وقد اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين، وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل، إلى جانب كذبهم.[2]

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين : يتبين لنا أنَّ كلَّ قراءة من القراءتين ، والتي هي حذف الحرف أو ذكره في كتاب الله تعالى ، في كل منهما إشارة لمعنىً جديد ، منسجم مع جلال الموقف المتَحدَّث عنه.

فقراءة العطف ، وصلت الآية بالآيات السابقة ، بحيث إنَّ المعنى لم ينقطع فكانت تعداداً لصفات المنافقين. في حين أنَّ القراءة الثانية الخالية من حرف العطف بيَّنت شناعة أفعال أولئك المنافقين، وهكذا نرى انسجام آيات القرآن الكريم.[3]

27- ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ التَّوبة

أولاً: القراءات:

1- أ- قرأ نافع وابن عامر (**أُسِّسَ بنيانُه**) في الموضعين معاً بضم الهمزة، وكسر السِّين ، ورفع النون فيهما.

ب- وقرأ الباقون (**أَسَّسَ بنيانَه**) بفتح الهمزة، والسين ونصب النّون فيهما.[4]

2- أ- قرأ حمزة، وخلف، وابن ذكوان، وأبو بكر، وهشام بخلف عنه (**جُـرْف**) بإسكان الراء.

---

(1) انظر[الكشف (507/1) ، الفريد (509/2)].

(2) انظر[القراءات من الوجهة البلاغية : د. صبري ص 35].

(3) انظر [المرجع السابق نفس الصفحة] .

(4) انظر[النشر (211/2)، البدور الزاهرة ص171].

ب- وقرأ الباقون (**جُرُف**) بضم الراء.[1]

3- أ- قرأ أبو عامر، والكسائي وأبو بكر و(قالون، وابن ذكوان بخلفه عنهما) (**هارٍ**) بالإمالة.

ب- وقرأ الباقون (**هَارٍ**) بالفتح بدون إمالة.[2]

4- أ- قرأ شعبة (**رُضوان**) بضم الراء.

ب- وقرأ الباقون (**رِضوان**) بكسر الراء.[3]

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

(**الأُس**) أصل البناء كالأساس ، والأسس ، وأصل كل شيء، والجمع إساسٌ، كعِساسٍ، والتأسيس: بيان حدود الدار ، ورفع قواعدها وبناء أصلها.[4]

(**البنيُ**) ضد الهدم، بناه يبنيه، بنياً، وبناءً، وبنياناً، وبنايةً، والبنيان: مصدر بمعنى المبنى ، سمِّيَ المبني بالمصدر.[5]

(**جَرف من الجُرْف**) وهو الأخذ بالكثير، وجرف الشَّيء يجرُفه بالضم جُرْفاً، أخذه أخذاً كثيراً، و**الجُرُف** ما أكل السَّيلُ من أسفل شق الوادي والنَّهر، **والجُرْف** عرض الجبل الأملس.[6]

(**هارَ يهور هوراً**) عن الشيء أي صرفه عنه، وهار البناء: هدمه، أو انهدم وسقط.[7]

(**رضوان**) مصدر رضا وهو خلاف السَّخط.[8]

---

(1) انظر[النشر (162/2)، البدور الزاهرة ص171] .

(2) انظر[النشر (43/2-44)، إتحاف فضلاء البشر (98/2)].

(3) انظر[النشر (179/2) ، إتحاف فضلاء البشر(98/2)، غيث النفع ص127].

(4) انظر[القاموس المحيط ص682 مادة أسّ].

(5) انظر[المرجع السابق ص1632 مادة بني].

(6) انظر[لسان العرب (24/9-25) مادة جرف].

(7) انظر[القاموس المحيط ص 642 مادة هار، منجد الطلاب ص889 مادة هار].

(8) انظر[القاموس المحيط ص 1662 مادة (رضي)، المصباح المنير ص14، منجد الطلاب ص249 مادة رضي].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

(أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ) التَّأسيس وضع الأساس، وهو أصل البناء ، ويستعمل بمعنى الإحكام ، أي أفمن أسس بنيان دينه (عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ) أي على قاعدة محكمة هي التَّقوى، والخوف من الله، وطلب مرضاته بالطَّاعة (خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ) أي خير أم من أسس بنيانه على قاعدة ضعيفة واهية رخوة ، فكانت عُرضة للانهيار ، فأدى بها إلى السقوط في النار ، كما قال تعالى (فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ) فشبّه الباطل والنّفاق في ذهابه واضمحلاله ، ببناء بني على حافة هُوَّة سحيقة فهوى البناء ، لعدم وجود أساس، ولأنَّه على حافة الحفرة ، فهلك بمَن فيه ، وهو تمثيل رائع (وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ) والله لا يوفّق للرّشاد في أفعاله مَنْ كان منافقاً ، مخالفاً بفعله أمر الله وأمر رسوله.

وخلاصة المثل: بيان ثبات الإسلام وقوته وسعادة أهله به وجزائهم عليه برضوان الله عنهم، وبيان ضعف الباطل ووهيه وخيبة صاحبه، وسرعة انقطاع آماله، وبيان أنَّ شر أعمال أهله المنافقين، ما اتّخذوه من مسجد الضرار لمفاسده الأربع المتقدّمة في الآية السّابقة.[1]

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى:

قرأ نافع وابن عامر(أفمن أُسِّسَ بنيانُه...خيرٌ أمن أُسِّسَ بنيانُه) [التَّوبة:109] بضم الألف في الحرفين، ورفع البنيان، والفعل أسس على البناء للمفعول،(**وبنيانُه**) بالرَّفع نائب فاعل.

وقرأ الباقون(أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ ... خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ) بفتح الهمزة والسين على البناء للفاعل، والفاعل ضميرٌ مستتر يعود على (**من**) و(**بنيانَه**) بالنّصب مفعول به.

---

(1) انظر[جامع البيان (11/32-33)، المقتطف من عيون التفاسير(2/432 -433)، تفسير المراغي (11/28)].

وقراءة الضَّم: تدل على أنَّه لم يُسمِّ فاعله، وأضاف الفعل إلى البنيان، فارتفع به، والفاعل هو الباني والمؤسس، وقد أجمعوا على الضَّم في قوله (لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ) [التَّوبة:108]، أضاف الفعل إلى المسجد، ففي (أُسِّس) ضمير و(**المسجد**) هو البنيان بعينه، لذلك حسن رفع البنيان.

ويكون حاصل الكلام : أنَّ الباني لَمَّا بنى ذلك البناء ، لوجه الله تعالى، وللرَّهبة من عقابه، والرَّغبة في ثوابه، كان ذلك البناء أفضل وأكمل من البناء الذي بناه الباني لداعية الكفر بالله والإضرار بعباد الله.

وقراءة النَّصب : تدل على الفاعل والمفعول وأضافوا الفعل إلى (**من**) في قوله (**أفمن، وخير أم من**) ففي الفعلين ضمير(**من**) وهو صاحب البنيان. ويقوي ذلك أنَّه قد أُضيف (**البنيان**) إلى ضمير، وهو الهاء في بنيانه، وهو صاحب البنيان، فكما أضيف البنيان إلى (**من**) كذلك يجب أن يضاف الفعل إليه.

والمعنى : أفمن أسس بنيانه على الإيمان، كمن أسس بنيانه على الكفر؟ لأنّ المنافقين بنوا لهم مسجداً ، حتى ينفض أصحاب رسول الله ﷺ من مصلاّهم إلى مسجدهم.[1]

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين : نجد أنَّ القراءتين في المعنى واحد ؛ إلا أنَّ البيان القرآني عندما يستغني عن الفاعل ويبني الفعل إلى ما لم يسم فاعله، فإنَّه لم يترك ذكر الفاعل للجهل به، بل إنَّ العناية انصرفت إلى ذكر وقوع الفعل بالمفعول، سواء عُرف لنا الفاعل أم لم يُعرّف.[2]وحصيلة القراءتين أنَّ الباني و البناء على تقوى الله خير من الباني و البناء على غير تقوى الله والله أعلم.

القراءة الثانية:

قرأ ابن عامر، وحمزة، ويحيى عن أبي بكر عن عاصم (**عَلَىٰ شَفَا جُرْف**) بسكون الراء تخفيفاً، وقرأ الباقون (**جُرُف**) بضم الراء على الأصل.[3]

---

(1) انظر [الحجَّة: ابن خالويه ص99، معاني القراءات ص215.، الكشف (507/1)، مفاتيح الغيب (156/16)].

(2) انظر[القراءات وأثرها في التَّفسير ق2 (832/2)].

(3) انظر[معاني القراءات ص215].

قال أبو منصور[1]: "هما لغتان بمعنى واحد (جُرُف، وجُرْف)، والعرب تقول للرجل: لا حَزمَ له ولا عقل: فلانٌ جُرفٌ منهارٌ، والجرف في كلام العرب: أن يجنح ماء السيل عُدْوَة الوادي ، فيأكل أصلها، فإذا وطئت دابَّة أو إنسان الموضع الذي أكل السيل ما تحته انقطع فانْهار به " [2] .. وقد تقدم مثال نظيره.[3]

وأصل المعنى: هذا مثلٌ مضروبٌ للحق والباطل، والمثل عِلمٌ من علوم القرآن ، يقوم بتقريب المراد للعقل، وتصويره بصورة المحسوس، فمن غرضه تشبيه الخفيّ بالجليّ، والغائب بالشّاهد حتى يكشف لنا المعاني.[4]

ويقول الفخر الرّازي[5] في حاصل معنى هذه الآية: "ولا نرى في العالم مثالاً أكثر مطابقة لأمر المنافقين من هذا المثال: فالمراد أنّ أحد البناءين : قَصَدَ بانيه ، تقوى الله ورضوانه، والبناء الثّاني : قصد بانيه ببنائه ، المعصية والكفر، فكان الأوّل شريفاً واجب الإبقاء، وكان الثّاني خسيساً واجب الهدم".[6]

وفي الأثر الفنّي لترشيح الاستعارة يقول الزمخشري: "رشح المجاز فجيء بلفظ الانهيار الذي هو للجرف، وليصور أنّ المبطل ، كأنَّه أسّس بنياناً على شفا جرف من أودية جهنم ، فانهار به ذلك الجُرف فهوى في قعرها" [7]، وأنت ترى ما في هذا الكلام من بلاغة.

وقد احتفى[8] الإمام عبد القاهر[9] بنوع استعارة المحسوس للمعقول فقال: "اعلم أن هذا الضَّرب هو المنزلة التي تبلغ عندها الاستعارة غاية شرفها، ويتسع لها، كيف شاءت المجال في تفنّنها وتصرّفها،وها هنا تخلصُ لطيفةٌ روحانية،فلا يبصرها إلا ذوو الأذهان الصّافية،والعقول النّافذة،والطّباع السّليمة،والنفوس المستعدة لأن

---

(1) سبقت له ترجمة راجع ص154.

(2) معاني القراءات ص215.

(3) راجع الآية 99 ص230.

(4) انظر[الإتقان (1041/2-1042) النوع السادس والستون].

(5) سبقت له ترجمة ص26.

(6) مفاتيح الغيب (157/16).

(7) الكشاف (215/2).

(8) حفي الرجل يحفى من باب تَعِبَ انظر [المصباح المنير ص89 ، المنجد ص131].

(9) سبقت ترجمة له راجع ص2.

تعي الحكمة،وتعرف فصل الخطاب".[1]وقراءة الضم تدل على ضخامة هذا الجرف.
ونختم هذا الموضع بتجلية الملخص الصَّوتي فقراءة الضم **(جُـرُف)** جـاءت علـى الأصل، وقراءة الإسكان **(جُرْف)** تخفيفا لتوالي الحركات.[2]

القراءة الثالثة:

قرأ ابن كثير، وحفص عن عامر، وحمزة ويعقوب **(هار)** مفخمة، وقرأ نـافع وابـن عامر، ويحيى عن أبي بكر عن عاصم والكسائي ممالاً.

وأما **(هار)** كانت راؤه لاماً ، فجعلت عينا بالقلب ، وذلك أنَّ أصله، هاير، أو هاور، من هار يهير أو يهور، وهو الأكثر، فقدّمت اللاّم إلى موضع العين، وأخّرت العـين إلى موضع اللاّم ثم فعل به ما فعل **(قاض)** فالراء حينئذٍ ليسـت بطـرف ؛ ولكنّهـا بالنّظر إلى صورة الكلمة طرف، وكذا إلى لفظها الآن، فهي بعد الألـف متطرّفـة، فلذلك ذكرت هنا لا على تقدير الأصل، ليست كذلك بل بينهما حرف مقدّر فهو مـن هذا الوجه يشبه **(كافر)**.[3]

قال الأزهري: "هما لغتان"[4]، إذاً فالحجَّة لمن فخم: أنَّه أتى بـه علـى الأصـل، والحجَّة لمن أمال: فلكسرة الراء.[5]

والفتح فتح القارئ فاه بلفظ الحرف، وهو لغة الحجازيين ، ولا سـيما أبـو جعفـر المدني، وابن كثير، والتفخيم والفغر من قولهم فلان فغر فاه، أي فتحه.

الإمالة الكبرى: هي تقريب الفتحة من الكسرة، والألف من الياء والترقيق والإمالـة مذهب حمزة والكسائي.

والتقليل (الإمالة الصغرى): النطق بالألف ، بحالة بين الفتح والإمالـة ، ويسـمى أيضاً بين بين، والتقليل مذهب ورش عن نافع.

---

(1) أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني (ت سنة 471هـ) ص54- دار الكتب العلمية - بيروت- لبنان - ط1 - 1422هـ - 2001م - تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي.

(2) انظر[التَّوجيه اللُّغوي والبلاغي : د. صبري ص221 - ص222].

(3) انظر[النشر (43/2)]

(4) معاني القراءات ص216.

(5) انظر[الحجَّة: ابن خالويه ص99].

والإمالة بنوعيها: لغة أهل نجد من بني أسد، وتميم، وقيس، وكلُ أسباب الإمالة ترجع باختصار إلى كسر موجود أو مقدر في اللفظ قبلاً أو بعداً ، وتكون وظيفتها حينئذٍ إشعاراً بالكسر المقدَّر كما في **(هار)** الهاء الطويلة إشعار بكسرة هذه الهاء ؛ لأن الأصل هير.

فمن قرأ بالفتح مطلقاً التي على الأصل وهي لغة الحجاز ، فهذا لونٌ من ألوان الجمال، أما الإمالة المطلقة على لغة تميم ، حيث إنّ العدول عن الأصل يكون التماساً للونٍ من ألوان الجمال ، له ما يبرّره ، فقد أمال إشعاراً بالأصل [1].

وجمال آخر للإمالة: أنَّها تتناسب مع الجرف الهائر الساقط ، فهي تتناسب مع السُّقوط والانهيار ، في حين أنَّ قراءة الفتح تفيد أنَّ المبنى كان قائماً ، فجاءت الإمالة تشعر بأنَّ هذا المبنى القائم ، لم يكن على أسس متينة، لذلك مال وتعرَّض للانهيار السريع ، والله أعلم.

والإمالة هنا حسنة ، لِما في الرَّاء من التكرير ، فكأنك قد لفظت بـ(رَاءين) مكسورتين، وبحسب كثرة الكسرات تحسن الإمالة [2].

الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: أرى أنّ القرائتين قد جمعت بين أسلوبين فقد خاطب الله تعالى بأسلوبين: أسلوب التهديد والإنذار، وهذا ما دلت عليه قراءة عدم الإمالة. وأسلوب اللين والخطاب الرقيق، وهذا ما دلّت عليه قراءة الإمالة، والله أعلم.[3]

القراءة الرابعة:

قرأ حفص **(ورِضوان)** بكسر الراء، وقرأ شعبة **(ورُضوان)** بضم الراء.

والحجَّة لِمَن كسرها: أنَّه مصدر، والأصل فيه رضيتُ رضىً، ثم زِيدت الألف والنون، فرُدت الياء إلى أصلها، كما كان في الأصل في كفران: كفراً.

والحجَّة لمن ضم:

1- أنَّه فرَّق بين الاسم والمصدر.[4]

---

(1) انظر[الإتقان في علوم القرآن (284/1-288)، التَّوجيه اللُّغوي : د. صبري ص150 -151].

(2) انظر[الحجَّة: أبو علي الفارسي (224/4)] .

(3) انظر[المعجزة الكبرى ص 49].

(4) ذكرت الفرق بين المصدر و اسم المصدر سابقاً، راجع ص214 – الهامش رقم (1).

2- أنَّ الضم في المصادر مع زيادة الألف والنون أكثر وأشهر كقوله تعالى: (فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ) [الأنبياء:94] (ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) [الرحمن:5].

ومن قرأ باللغتين ليُعلم جوازهما.(1) **وِرضوان** بالكسر: لغة أهل الحجاز.

وبالضم: **رُضوان** لغة قيس وتميم.(2)

الجمع بين القراءتين:

نجد أنّ كلمة رضوان في اللغتين كلتيهما: المصدر، واسم المصدر أشدّ تعبيراً عن الرِّضوان الخير من رضا، حيث إنّ المعنى الذي يؤديه المصدر المجرد عن رضا ، لا يُغني بحال عن المعنى الذي يؤدّيه المصدر المزيد، فالتأسيس الحسن القويّ لأهل التقى لا يكمن في الرّضا المعتاد، ولكنّه يتجلّى في الرّضوان النّاتج عن تقوى الله؛ لهذا كما قلنا سابقاً كلمة **(رضوان)** في اللّغتين أشد تعبيراً عن الرّضوان العظيم(3). فكان البناء الذي بناه الباني لوجه الله تعالى، وللرّهبة من عقابه، والرّغبة في ثوابه أفضل وأكمل بناء ، فيتناسب مع الرّضوان وخيريَّته.(4)

28- ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ التَّوبة

أولاً: القراءات:

1-قرأ ابن عامر، وحفص، وحمزة، وأبو جعفر **(إلاّ أن تَقَطَّعَ) (إلاّ)**: بتشديد اللاّم، على أنَّه حرف استثناء، و **(تَقطّع)** بفتح التاء.

2-وقرأ الباقون **(إلاّ أن تُقَطّع)** بضم تقطع.

3-وقرأ يعقوب **(إلى أن تَقطَّع) (إلى)**: بتخفيف اللام فجعله حرف جر، **(تَقطّـع)**: بفتح التاء.(5)

---

(1) انظر[الحجَّة: ابن خالويه ص50].

(2) انظر[المصباح المنير ص140].

(4) راجع ص220-221.

(4)انظر[البحر المحيط (72/5)، مفاتيح الغيب (200/7)، التَّوجيه اللُّغوي : د. صبري ص81-82] .

(5) انظر[النشر (211/2)، البدور الزاهرة ص171].

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

(قطع) من القطع وهو إبانة بعض أجزاء الجُرْم من بعض فصلاً قطعة ومَقْطَعة، وقطعاً وقطيعة، وقطوعا، والقطع مصدر قطعت الحبل قطعاً فانقطع (1) ... ومعنى (إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡ) إلا أن يموتوا، وقال غيرهم: إلا أن يتوبوا توبة تتقطّع بها قلوبهم ندماً وأسفاً على تفريطهم.(2)

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

يقول سبحانه وتعالى : (لا يَزَالُ بُنۡيَـٰنُهُمُ) يحتمل أن يكون البنيان هنا مصدراً، أي : لا يزال ذلك الفعل وهو البنيان. أمّا إذا كان البُنيان بمعنى المبنى ، أو جمع بناية كان في الكلام حذفاً مضافاً تقديره: لا يزال بناء بنيانهم الذي بنوه (رِيبَة) شكاً ونفاقاً في قلوبهم، والُبنيان هو مسجد الضّرار والكفر ، وهو مسجد النّفاق، فهم يظنّون أنَّهم كانوا محسنين في بنائه (إلا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡ) فلا يزال هذا البنيان شكاً في قلوبهم ، حتى تتصدّع قلوبهم فيموتوا، أو حتى يتوبوا توبة يندمون على ما فعلوا ، فيكونوا بمنزلة من قد قُطّع قلبُه (ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) أي عليم بجميع الأشياء ، التي من جملتها ما ذُكر من أحوالهم (حَكِيم) في تدبيره إياهم، وتدبيره جميع خلقه.(3)

رابعاً:العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ ابن عامر، وحفص، وحمزة، وأبو جعفر **(إلاَّ أن تَقَطع)** بفتح التاء ، والأصل إلا أن تتقطع ، فحذفوا إحدى التّاءين ؛ لاجتماع المثلين بحركة واحدة،

---

(1) انظر[لسان العرب (280/8)] .

(2) انظر[معاني القرآن: الزجّاج (471/2)، معاني القرآن: النَّحاس (465/1-466)] .

(3) انظر[معاني القرآن: الفرّاء (452/1)، جامع البيان (33/11)، معاني القرآن: النَّحاس (466/1)، البحر المحيط (101/5)] .

وماضيه تقطّعت، فهي تتقطّع.[1]

وحجَّة من قرأ بفتح التاء : أنَّه جعله فعلاً لـ(القلوب) فرفعها به؛ لأنَّها -القلوب- هي المتقطّعة بالبلاء، فهو محمولٌ على معنى تَبْلى قلوبهم فتتقطّع، و(**إلاّ**) حرف استثناء، والمستثنى منه محذوف، وقدّر (**إلاّ**) بتقدير (إلى وحتى)؛ لأنّ التّقطّع منتهى ينتهي إليه، (وإلى وحتى)، كلاهما للغاية فينتهي. ويعضده قراءة من قرأ حتى الممات (**وهو أُبيّ**) [2] وقراءة من قرأ (**إلى أن**) وهي قراءة يعقوب.[3]

وفي هذه القراءة، أسند الفعل إلى القلوب، لمّا كانت هي البالية مثل مات زيد، ومرض عمر، وسقط الحائط، ونحو ذلك، ممّا يستند فيه الفعل إلى من حدث فيه، وإن لم يكن فيه.[4]

وعلى هذا فالمعنى: لا يزال هدم مبانيهم حزازة وغيظاً في قلوبهم؛ إلاّ أن تتقطّع قلوبهم قطعاً، وتتفرق أجزاءً بحيث لا يبقى لها قابلية إدراك، وإضمار (**قطعاً**). وهذا الاستثناء من أعمّ الأوقات وأعمّ الأحوال، ومحلُّه النّصب على الظّرفية، أي لا يزال بنيانهم ريبة في كلِّ الأوقات، أو كلِّ الأحوال؛ إلا وقت تقطّع قلوبهم، أو حال تقطّع قلوبهم فحينئذ يسْلون عنها، وأمَّا ما دامت سالمة، فالرّيبة باقية فيها، فهو تصوير؛ لامتناع زوال الرّيبة عن قلوبهم، ويجوز أن يكون المراد حقيقة تقطّعها عند قتلهم أو في القبور، أو في النّار.[5]

فقلوبهم لا تَثْلُج بالإيمان أبداً، ولا يندمون على الخطيئة، التي كانت منهم في بناء المسجد [6].

---

(1) انظر[الحجَّة: ابن زنجلة ص324، الحجَّة: ابن خالويه ص99].

(2)انظر[قراءة (أبي) في الكشف (509/1) ، و في البحر المحيط (101/5)] .

(3)انظر[الكشف (508/1)، المستنير: محمد سالم محيسن (236/1)] .

(4) انظر[الحجَّة: أبو علي الفارسي (230/4)] .

(5) انظر[إرشاد العقل السليم (443/3)] .

(6) انظر[الحجَّة: أبو علي الفارسي (230/4)] .

وقرأ الباقون **(إلا أن تُقطَّع)** بضم التاء على البناء للمفعول، مضـــارع قطـــع بالتشديد، و**(قلوبُهم)** نائب فاعل، والفعل أُضيف إلى المقطـــع المُبْلـــي [1] للقلـــوب بالموت في المعنى وإن لم يُذكر في اللّفظ فأُسند الفعل الذي هو لغير القلـــوب فـــي الحقيقة إلى القلوب. أي أنَّه لمّا حُذِف الفاعل من اللفظ ولم يُسمَّ قامـــت **(القلـــوب)** مقامه، فارتفعت بالفعل، فالمعنى: إلاّ أن تُقطّع قلوبهم بالموت والبلاء، ويعضّد ذلك حرف أُبيّ **(حتى الممات)** [2] أو: إلاّ أن يُقطِّع الله قلوبهم بالإماتة، أي بـــأن يميـــتهم تعضدها، قراءة بعضهم ،(إِلا أَنَ تُقَطِّعَ قُلُوبَهُم)[3] بضم التاء وكسر الطّاء على البنـــاء للفاعل، وهو رسول الله ﷺ، على معنى: إلاّ أن تقطِّع أنت قلوبهم بقَـــتلهم[4]، وهـــذا يدل على أنَّهم يموتون على نفاقهم، فإذا ماتوا عرفوا بالموت ما كانوا تركـــوا مـــن الإيمان، وأخذوا من الكفر.[5]

وهذه القراءة **(أن تُقطَّع)** الفعل المبني للمفعول يُعدُّ شاهداً رائعاً على بلاغـــة حذف المسند إليه حتى يرتسم في الذّهن كلُّ ما يمكن أن يُسند إليه الفعل، وهذا سبب من أسباب ثراء التَّفسير.[6]

الجمع بين القراءتين:

يقول الطبري: "والقول عندي في ذلك، أنَّ الفتح في التاء والضـــم متقاربـــا المعنى؛ لأن القلوب لا تتقطّع إذا تقطعت إلا بتقيطع الله إياها، ولا يقطّعها الله إلا وهي متقطعة، وهما قراءتان معروفتان".[7]

---

(1) يقال بلي الثوب، يبلى بلاءاً، أي رثَّ، والبلاء: بالضم كأنَّه يبلي الجسم انظر [القاموس المحيط ص 1632، منجد الطلاب ص44، مادة بلا].

(2) انظر[الكشف (509/1)، الحجَّة: أبو علي الفارسي (231/4)، المستنير (236/1)] .

(3) انظر[هذه القراءة في البحر المحيط (101/5)] .

(4) انظر[الفريد (515/2)] .

(5) انظر[الحجَّة: أبو علي الفارسي (231/4)] .

(6) انظر[التَّوجيه اللُّغوي والبلاغي: د. صبري ص223].

(7) جامع البيان (35/11).

أما القراءة الثّالثة: فقرأ بها يعقوب وهي **(إلى أن تَقَطَّع)** على معنى إلـــى أن يموتوا، أو إلى أن يتوبوا توبة نصوحاً، يكون معها من النّدم والحسرة على الذّنب ما يقطّع القلوب همّاً وفكراً [1]. وبالجمع نلاحظ: أنَّ القــراءة الثّالثــة قــد شــرحت ووضّحت وساعدت، في فهم القراءتين السّابقتين.

الجمع بين القراءة الثّالثة والقراءتين السّابقتين:

والعلاقــة بــين قــراءة **(إلــى أن تَقَطَّــع)** **وبــين قــراءة (إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ)** (التاء: مضمومة ومفتوحة) تنوُّع أسلوب الآية في القراءتين وكلاهما خبر؛ إلاّ أنَّــه في القراءة الأولى **(إلى)** أخبر عن غاية الرّيبة في قلوبهم، وهي أن تقطّع يعني: إمّا بالموت وإمّا بالتَّوبة.[2]

أمّا في القراءة الثانية **(إلا)** أخبر عن الريبة، أنَّها لا تزال في بنيانهم في كــلِّ وقت، باستثناء وقت تقطيع قلوبهم أو في كل حال باستثناء حال، تقطيعها بحيــث لا يبقى لها قابلية الإدراك والإضمار.[3]

29- ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ التّوبة

أولاً: القراءات:

1- قرأ حمزة والكسائي وخلف **(فيُقتلون ويَقْتلون)** بتقديم الفعل المجهول فيهما.

2- وقرأ الباقون **(فيَقتلون ويُقتلون)** بتقديم الفعل المسمّي الفاعل فيهما.[4]

---

(1) انظر[المحرر الوجيز (86/3)] .

(2) انظر[القراءات وأثرها في التَّفسير والأحكام: محمد بازمول ق2 (916/2)] .

(3) انظر[إتحاف فضلاء البشر (99/2)] .

(4) انظر[النشر (185/2)، البدور الزاهرة ص 172].

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

قَتَلَ قَتْلاً وتَقْتَالاً أي أمات،وقَتَلتُهُ قتلاً أزهقت روحه فهو قتيل، وأقتَلهُ عرضه للقتل.[1]

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

(إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ) ترغيب للمؤمنين في الجهاد وذلك ببيان فضيلته، إثر بيان حال المتخلّفين عنه. وعبّر عن قبول الله من المؤمنين أنفسهم وأموالهم، بمقابلتها الجنّة بالشراء على طريقة الاستعارة التبعية، ثم جُعل المبيع الذي هو العمدة والمقصد في العقد، أَنفُسَ المؤمنين وأموالهم، والثمنُ الذى هو الوسيلة في الصّفقة الجنّةُ، ولم يُجعل الأمر على العكس. وذلك ليدل أنّ المقصد في العقد هو الجنّة، وما بذله المؤمنون في مقابلتها من الأنفس والأموال وسيلة إليها. ثم أنَّه لم يقل بالجنّة بل قيل: (بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ) مبالغة في تقرير وصول الثّمن إليهم. واختصاصه بهم (يُقَـٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ) استئناف؛ وذلك لبيان البيع الذي يستدعيه الشراء المذكور (فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَ) المؤمن يقاتل في سبيل الله حتى يُقتل (وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقًّا) وعدهم الله الجنة وعداً مثبتاً (فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ) كما هو مثبت في القرآن (وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ) فالمقصود إنكار المساواة، ونفيها قطعاً.

أي: لا أحد أوفى بما وَعَدَ مِن الله (فَٱسۡتَبۡشِرُواْ) التفات إلى الخطاب، تشريفاً لهم على تشريف، والاستبشار إظهار السرور (بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦ) أي أظهروا السرور على ما فزتم به من الجنّة (وَذَٰلِكَ) أي الجنّة أو البيع والشراء (هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ) الذي لا فوز أعظم منه.[2]

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ حمزة والكسائي وخلف **(فيُقتلون ويَقتلون)** على البناء للمفعول والثاني على البناء للفاعل، فهنا يبدأ بالمفعولين قبل الفاعلين، وهذا مدحٌ؛ لأنّ من طلب

(1) انظر [القاموس المحيط ص1352، أساس البلاغة ص354،المصباح المنير ص291.

(2) انظر[إرشاد العقل السليم (446/3-447) ، المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص 280، وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة القرآن والسنة – ط18 – القاهرة – 1416هـ ، 1995م].

الموت لا يقف له خصمه، فيكون المعنى، فطلبوا أن يكونوا مقتولين فقَتلوا أقرانهم.[1]ففي هذه القراءة بيان لحبهم للشهادة في سبيل الله وحرصهم عليها.

ويجوز أنْ يكون النَّظر للمجموع، فيكون المعنى: بعد أن يُقتل منهم، ويروا مصارع أصحابهم، من غير أنْ يوهنهم ذلك، وإنما قُتل بعضهم، فقَتل الباقون القاتلين[2] وهو كقوله (فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ) [آل عمران: 146].

وجاز أن يكون المعنى مثل القراءة الثانية. أي: يَقتلون فيُقتلون؛ لأنّ المعطوف بالواو، يجوز أن يراد به التّقديم.[3]

وقرأ الباقون(فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَ)على البناء للفاعل(المقدم)فهنا يبدأ بالفاعلين قبل المفعولين،وحجتهم في ذلك:أنَّ الله وصفهم بأنّهم قاتلوا أحياء ثم قُتلوا بعد أن قاتلوا،وبحجَّة أيضاً:أنَّه إذا أخبر عنهم،وبدأ بأنَّهم قد قُتلوا،فمحال أن يَقتلوا بعد هلاكهم.هذا ما يوجبه ظاهر الكلام.[4]وتدل هذه القراءة على شدة المسلمين وحرصهم على قتل أعدائهم.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

الإسناد في الفعلين ليس بطريق اشتراط الجمع بينهما، ولا اشتراط الاتّصاف بأحدهما ألبتّة، بل بطريق وصف الكل بحال البعض، فأنَّه يتحقق القتال من الكل، سواء وُجد الفعلان أو أحدُهما منهم أو من بعضهم، بل يتحقق ذلك، وإن لم يصدر منهم أحدهما أيضا، وكذلك يتحقق للجهاد بمجرد العزيمة والنّفير وتكثير السواد، وتقديم حالة القاتلية (ويَقتلون) على حالة المقتولية للإيذان بعدم الفرق بينهما في كونهما مصداقاً لكون القتال بذلاً للنفس، وقرئ بتقديم المبني للمفعول (ويُقتلون) رعايةً؛ لكون الشهادة عريقة في الباب، وإيذاناً بعدم مبالاتهم بالموت في سبيل الله تعالى بل بكونه أحب إليهم من السّلامة.[5]

---

(1) انظر[نظم الدرر (389/3)] .

(2) انظر[الحجَّة: ابن زنجلة ص 325، إعراب القراءات: ابن خالويه (256/1)] .

(3) انظر[مجمع البيان (146/11)] .

(4) انظر[الحجَّة: ابن زنجلة ص325، إعراب القراءات: ابن خالويه (256/1)] .

(5) انظر[إرشاد العقل السليم (445/3)] .

30- ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ التوبة

أولاً: القراءات:

1- قرأ هشام (إبراهام) في الموضعين بفتح الهاء و ألف بعدها فيهما.

2- وقرأ الباقون (إِبْرَٰهِيم) في الموضعين بكسر الهاء و ياء ساكنة مدية بعدها فيهما.(1)

ثانياً: المعنى اللغوي:

إبراهيم: هو اسم قديم ليس بعربي، و قد تكلمت به العرب على وجوه أشهرها: إبراهيم، إبراهام، وأبراهم بحذف الياء، وإبْرَهَمَ، وهو اسم سريانيّ معناه: أبٌ رحيم، وقيل مشتق من البرهمة، و هي شدة النظر. وهو ابن آزر، ويرجع نسبه إلى سام بن نوح عليه السلام ويقال أنه عاش مائة و خمسة وسبعين عام.(2)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

وعد إبراهيم –عليه السلام– أباه أن يستغفر له؛ لرجائه إيمانه، فلما مات على شركه تبرأ من أفعاله ومن الاستغفار له، ووصفه الله سبحانه بالأوَّاه حيث إنَّه يكثر التأوه، وهو كناية عن فرط ترحم ورأفة قلبه، ووصفه أيضاً بالحليم أي الصبور على الأذى.(3)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

ذكر أبو منصور أنَّ القراءة (إبراهيم) بالياء لتتابع القراءة عليه، ومن قرأ (إبراهام) بالألف فهي لغة غير عربية تركت على حالها لم تُعرَّب.(4)

---

(2) انظر [النشر (166/2)(211/2)، البدور الزاهرة ص172].

(3) انظر [معجم المقاييس ص166، الإتقان (1063/2-1064)].

(4) انظر [جامع البيان (41/11-53)، صفوة التفاسير (65/1)].

(1) انظر [معاني القراءات الأزهري ص63].

والألف يعتبر حرف مد وعلة ولين دائماً لأنَّ ما قبله لا يكون إلا مفتوحاً، بخلاف الواو و الياء فهما حرفا لين إن سكنا و الفتح على ما قبلهما، وهما حرفا مد وعلة إن كانت حركة ما قبلهما من جنسهما.(1)

فقراءة الألف هنا تفيد زيادة في الوصف، والمبالغة فيه وذلك لزيادة مدة فتحة الألف على مدة فتحة الياء، وللكلام الذي سبق ذكره، فيكون تفسير الآية على هذا، أن إبراهيم عليه السلام كان شديد الرأفة والرحمة. أما قراءة (إبراهيم) بالياء تفيد ثبوت الصفة به وملازمتها له وأنها متأصلة فيه عليه السلام؛ وذلك لأن صيغة فعيل تدل على ثبوت الصفة.(2)

خامساً: الجمع بين القراءتين:

أرى أن كل قراءة أثرت المعنى بمفهوم جديد فقراءة (إبراهيم) أفادت أنه يتصف بشدة الرحمة والرأفة، وقراءة (إبراهام) أفادت بأن هذه الصفة متأصلة به و لم يكتسبها اكتساب فإبراهيم اسم على مسمى، وجاء وصف الله له بأوَّاه يؤكد هذه المعاني والله أعلم.

31- ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ التّوبة

أولاً: القراءات:

1- أ- قرأ أبو عمر **(العُسُرة)** بضم السين.

ب- وقرأ الباقون **(العُسْرة)** بسكون السين. (3)

(2) انظر [أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب ص209].

(3) انظر [معاني الأبنية في العربية ص94].

(3) انظر[النشر (162/2)، البدور الزاهرة ص 172].

2- أ- قرأ حمزة، وحفص **(كاد يزيغ)** بالياء على التذكير.

ب- وقرأ الباقون **(كاد تزيغ)** بالتاء على التأنيث.(1)

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

(عسر) من العسْر، والعُسُر: ضد اليسر، وهو الضّيق والشّدة والصّعوبة، ويجوز أن يكون العُسُر لغة في العُسْر، كما قالوا: كلُّ اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم وأوسطه ساكن، من العرب من يثقّله، ومنهم من يخفّفه مثل عُسْر، وعُسُر. والعُسرة: قلة ذات اليد، والعُسْرة: الهم. والمصدر: الإعسار. وقيل: العسر هو المصدر(2).

(زيــغ) الزيغ: الميل، زاغ يزيغ زيغاً وزيغاناً وزيوغاً، تزيغ القلوب: أي تميل عن الهدى والقصد وتضل.(3)

ثالثاً: سبب نزول هذه الآية :

روى البخاري عن كعب بن مالك قال: " لم أتخلّف عن النَّبي ﷺ في غزوة غزاهــا إلا بدراً، حتى كانت غزوة تبوك، وهي آخر غزوة، وآذن الناس بالرحيل .... فأنزل الله توبتنا: (لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ) إلى قولــه...(إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ) [التَّوبة: 118] ، قال: وفينا نزل أيضــاً: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ) [التَّوبة:119] ". (4)

رابعاً : التَّفسير الإجمالي للآية :

بعد شرح أحوال غزوة تبوك باستغراق، وأحوال المتخلّفين عنها، عاد في هذه الآية إلى شرح ما بقي من أحكامها. وهذا أسلوب القرآن في تفريــق الآيــات فــي الموضوع الواحد؛ للتأثير على النَّفس، فذكر توبة الله على النَّبي والمهاجرين. فقــال سبحانه: **(لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ)** وتوبة الله تكون على

---

(1) انظر[النشر (211/2)، البدور الزاهرة ص 172].

(3) انظر[لسان العرب (563/4-564) مادة عسر] .

(4) انظر[لسان العرب (432/8) مادة زيغ] .

(4) البخاري رقم (4418) في فتح الباري (113/8-116)- 64 كتاب المغازي- 79 باب حديث كعب بن مالك.

ثلاثة أقسام: دعاؤه إلى التَّوبة، يقال: تاب الله على فلان، أي دعاه. ويقال: تاب الله عليه: يسَّره للتوبة، ويقال: تاب عليه: ثبَّته عليها، ويقال: تاب عليه: قَبل توبته، وذلك كلُّه صحيح، وقد جمع ذلك كلَّه لـ (ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ) وتوبة الله على النَّبي، ردُّه من حالة الغفلة إلى حالة الذكر- و ليست التوبة نقص بحق الرسول ﷺ بل هي من أفضل الكمالات لأنها ترفعه درجات عند الله(1) - وتوبة المهاجرين والأنصار، رجُوعُهم من حالة المعصية إلى الطاعة، وانتقالهم من الكسل إلى النشاط وهكذا.

والمعنى: ما من أحد إلا وهو محتاج إلى التَّوبة، حتى النَّبي ﷺ والمهاجرين والأنصار لقوله تعالى (وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ) [النور: 31].

وكأنَّه يذكر سبب توبتهم فيقول عز وجل: (ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ) أي في وقتها، وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عُسْرة، وكانوا في شدَّة من الظهر، يتعقب العشرة على بعير واحد، وفي شدَّةٍ من الزاد، وبلغت بهم الشدَّة، أن يقسموا التمرة عليهم جميعاً، وفي شدَّةٍ من الماء، حتى نحروا الإبل، وشربوا من ماء كروشها من الحر، وفي شدَّة زمانٍ من الجدب والقحط؛ لذلك سمّيت بغزوة (ٱلۡعُسۡرَةِ)، وسمّي جيشها بجيش العسرة (مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ) يقول ابن العربي(2): "وهذا ليس للنبي ﷺ فيه مدخل باتفاق من الموحِّدين" والمعنى من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم من الشَّباب على الإيمان، أو عن إتباع الرَّسول في تلك الغزوة والخروج معه، وذلك للشّدّة، وليس أن يزيغ عن الإيمان (ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ) تكرير للتّأكيد، وفيه تنبيه على أن توبته سبحانه بمقابلة ما قاسوه من الشَّدائد (إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ) أي بالمؤمنين لذلك تاب عليهم.(3)

---

(1) انظر [التفسير الكبير: ابن تيمية (389/4-390) - دار الكتب العلمية - بيروت - ط1 - 1408هـ-1988م] تكلم في هذا المعنى بتوسع.

(2) أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي الاشبيلي المالكي من حفاظ الحديث، ولد سنة 468هـ وتوفي سنة 543 هـ، انظر[الأعلام (230/6)، نفح الطيب (199/2-212)].

(3) انظر[معاني القرآن وإعرابه: الزجّاج (474/2)، أحكام القرآن: ابن العربي(595/2)، مفاتيح الغيب (170/16-171)، مدارك التنزيل (448/2) ، إرشاد العقل السليم (450/3-451)] .

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى:

قرأ أبو عمرو (العُسُرة) بضم السين، وقرأ الباقون (العسْرة) بسكون السين، وقد سبق نظير هذه القراءة.(1)مع مراعاة أنَّ الضم يدل على شدة و ثقل هــذه العســرة التي مرَّ بها المؤمنون.

القراءة الثانية:

قرأ حمزة وحفص **(كاد يزيغ قلوب فريق منهم)** بالياء على التَّذكير **(يزيــغ)** وهــذا نمط فريد لجملة **(كاد)** من أفعال المقاربة، وهي تتكون أساساً مما يلي:

1- الفعل النَّاقص **(كاد)** وهو يتصرف تصرفاً ناقصاً أي يــأتي منــه الماضــي والمضارع فقط.

2- الاسم ويكون بعدها مرفوع.

3- الخبر ويكون جملة فعلية، فعلها مضارع يرفع ضمير الاسم السَّابق، مجــرد من **(أن)** وهي تفيد الدِّلالة على وقوع الفعل بعَسْر، ونفيها نفي، وإثباتهــا إثبــات. وفائدتها أنَّها ترد بمعنى أراد.(2)

وقد أراد بعض العلماء ، أن يجعل هذا الموضع شاهداً على التَّركيب الأصلي لجملة **(كاد)** فقدروا محذوفاً بعدها، تقديره (القوم)، فيكون المعنى: من بعد ما كاد القــوم يزيغ قلوب فريق منهم.

وجنح بعض العلماء إلى جعل الجملة نمطاً فذاً لا يخضع لضوابط النُّحاة، وخلاصة ما قالوا:

1- أنَّهم جعلوا اسم كاد ، ضمير الشَّأن محذوفاً ، وهو المنقول عــن ســيبويه (3) والتَّقدير: من بعد ما كاد الشَّأن يزيغ قلوب فريق منهم ، حين أشرفوا على الزَّيــغ، ولكنَّ المرفوع هنا ، ليس ضميراً يعود على اسم كاد ، بل ولا سبباً له.

---

(2) راجع آية 99 من سورة التوبة ص230.

(2) انظر[الإتقان (532/1-533)] .

(3) انظر[كتاب سيبويه (71/1)] .

فيكون اسم كاد ضمير الشأن، وجعل الاسم هنا ضمير الشأن ؛ لتهويل شأنِهم حـين أشرفوا على الزيغ، وارتفعت القلوب بـ (الزيغ)، ولأجل هذا الإضمـار أن يلـي (يزيغ) كاد فكأنَّه ذلك المضمر حال بينهما وصارت (يزيغ قلوب) خبر كاد.[1]

2- جعلوا اسم كاد كلمة (قلوب) على أساس توسط الخبر. والمعنى: من بعد ما كادت قلوب فريق منهم تزيغ[2] ، وهذا التّقدير في قراءة من قرأ بالتاء يحسن، فأجازوا أن ترتفع (القلوب) بـ(كاد) ويقدر في (يزيغ) التَّأخير ، ولكن المعهود أن يكون الخبر المتوسط اسماً مفرداً نحو قوله تعالى: (وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾) [الروم: 47].

3- جعلوا (كاد) زائدة ومعناها مراد ولا عمل لها، واستأنسوا بقراءة عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – الشاذة (من بعد ما زاغت) بإسقاط كاد ؛ ولكنَّ المعهود أيضاً زيادة (كان) دون (كاد).[3]

والحجَّة لمن قرأ بالياء: أنَّه حمله على تذكير كاد، أو لأنَّه جمعٌ ليس لتأنيثه حقيقة أو على تذكير الجمع[4] ، كما قال تعالى: (وَقَالَ نِسۡوَةٌ) [يوسف: 30] ، وحجَّة هذه القراءة قوله تعالى: (وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا) [المائدة: 113].[5]

وقرأ الجمهور (كاد تزيغ) بالتأنيث ، والتقدير: من بعد ما كادت قلوب فريق تزيـغ. ونفس التوجيه الذي قلناه هنالك بخصوص تركيب جملة (كاد) نقوله هنا ، مع ملحظ جديد يقتضيه المقام وهو أن:

---

(1) انظر[التحرير والتنوير (50/11)] .

(2) انظر[الكشف (510/1)] .

(3) انظر[مفاتيح الغيب (171/16)، البحر المحيط (109/5)] .

(4) انظر[كتاب سيبويه (40/2)] .

(5) انظر[الحجَّة: ابن خالويه ص100، الكشف (510/1)] .

1- فعل جماعة يتقدم لمذكر أو مؤنّث إن شئت أنَّث فعله إذا قدمتــه، وإن شــئت ذكرته، فإذا أنَّث أردت جماعة، وإذا ذكرت أردت جمعاً[1]، والحجَّة في هذه القراءة الأخيرة قوله تعالى: (قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ) [الحجرات: 14]

2- أنَّه يجوز تأنيث الفعل وتذكيره ، لأنَّ الفاعل مؤنّث غير حقيقي ، ولأنَّ الفاعــل جمع تكسير.[2]

32- ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١١٨﴾ التوبة

أولاً: القراءات:

1- قرأ حمزة (**ضَاقَت**) بالإمالة في الموضعين من الآية.

2- و قرأ الباقون (**ضَاقَت**) بالفتح بدون إمالة.[3]

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

ضاقت: من الفعل ضاق، وهو خلاف اتسع فهو ضيّق، وضاق صدره حَرِجَ فهو ضيق، وضاق بالأمر ذرعاً أي شق عليه، والمصدر الضيق بمعنى الشدة.[4]

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

أخبر تعالى أنَّه تاب على النبي ﷺ والمهاجرين والأنصار في الآية السابقة لهذه الآية، و أيضاً تاب على الثلاثة الذين خُلِّفوا، وهؤلاء الثلاثة الذين وصفهم الله في هذه الآية بما وصفهم به فيما قبل،هم الآخرون الذين قال جلَّ ثناؤه:(وَءَاخَرُونَ

---

(1) انظر[الحجَّة: ابن زنجلةص325].

(2) انظر[كتاب سيبويه (48/2)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (89/2-95)] .

(3) انظر [النشر (211/2)، البدور الزاهرة ص173، في هامش القرآن ص206].

(4) انظر [المصباح المنير ص219، منجد الطلاب ص432].

﴿مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ﴾ [التوبة:106] فجاءت هذه الآية تبشرهم بأن الله تاب عليهم وهم كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع و كلهم من الأنصار.[1]

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

من قرأ (ضاقت) بالفتح فإن هذه القراءة توحي بالشدة والكربة والضيق الذي كان يشعر به هؤلاء الثلاثة لدرجة أنَّ الأرض (ضاقت) عليهم على سعتها بالخلق جميعاً؛ خوفاً من العاقبة، وجزعاً من إعراض النبي ﷺ، ومنع المؤمنين من مكالمتهم، وأمر أزواجهم باعتزالهم، حتى بقوا على هذه الحالة خمسين يوماً أو أكثر، وضاقت صدورهم أيضاً بسبب هذا الهم[2]، فضاقت إشارة إلى عظيم الأمر وأكدها بأداة الإستعلاء.

ومن قرأ (ضاقت) بالإمالة، فقد ذكرت توجيه نظير هذه القراءة سابقاً فليرجع إليها.[3]

خامساً: الجمع بين القراءتين:

تظهر في مسموع تلاوة النص سمة صوتية ونغمات يمثلها التناسب في الإمالة إذا كان القارئ يميل، وفي الفتح إذا كان يؤثر الفتح، وهذا من الإعجاز الموسيقي في القرآن ، كما أنَّ قراءة الفتح بينت الشدة التي كان بها هؤلاء الثلاثة والإمالة بينت أنَّه لابد من لين وفرج بعد هذه الشدة والله أعلم.

33- ﴿مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ وَلَا نَصَبٞ وَلَا مَخۡمَصَةٞ فِي

---

(1) انظر قصتهم في صحيح البخاري رقم4418 في فتح الباري (113/8)-64 كتاب المغازي – 79باب حديث كعب بن مالك، وفي جامع البيان (58/11).

(2) انظر [المحرر الوجيز (94/3) ، نظم الدرر(398/3)، التفسير المنير(67/11)].

(3) راجع ص124-125، ص201.

سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ **التوبة**

أولاً: القراءات:

1- أ- قرأ أبو جعفر (ولايطَوْن) بحذف الهمزة فيصير النطق بواو ساكنة بعد الطاء المفتوحة،ولحمزة في الوقف عليه وجهان:الوجه المتقدم،والتسهيل بين بين.

ب- وقرأ الباقون (وَلَا يَطَـُٔونَ) بالهمزة المحققة.

2- أ- قرأ أبو جعفر بخلف عنه (موطياً) بإبدال الهمزة ياء خالصة وصلاً ووقفاً، وبهذا الوجه وقف حمزة.

ب- وقرأ الباقون (مَوۡطِئٗا) بالهمزة المحققة، وهو الوجه الثاني لأبي جعفر.[1]

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

وطأ: كلمة تدل على تمهيد شيء وتسهيله، ووطي من وطّى توطية، ووطّى الشيء:أي خفضه وحطه ووطئته برجلي أطَؤه وطْئاً أي علوته.[2]

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

(مَا كَانَ) ما جاز (لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ) سكان البوادي، الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك (أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ) في الغزوة (وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦ) لا يرغبوا بصحبة أنفسهم، عن صحبة النبي ﷺ في الجهاد (ذَٰلِكَ) الخروج (بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ) عطش في الذهاب والمجيء (وَلَا نَصَبٞ) ولا تعب (وَلَا مَخۡمَصَةٞ) ولا مجاعة (فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ) في الجهاد (وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ) ولا يطؤون أرضاً يغيظ الكفار وطؤهم إياها (وَلَا

---

(1) انظر [النشر(309/1)،(211/2)، البدور الزاهرة ص172، في هامش القرآن ص206].

(2) انظر [لسان العرب (48/12) مادة وطأ، المصباح المنير ص395، منجد الطلاب ص927].

يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوٍّ نَّيۡلًا) قتلاً وهزيمة(إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ) ثواب عمل صالح في الجهاد(إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ)لا يبطل ثواب المؤمنين في الجهاد.(1)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

من قرأ (ولا يطؤون-موطئاً) بالهمز المحقق فإنه يدل على ثقل الوطأ، ويعم كل موطأ يغيظ الكفار سواء كان من أمكنة الكفار أم من أمكنة المسلمين إذا كان في سلوكه غيظهم، والوطأ يدخل فيه بالأرجل و الأخفاف و الحوافر و هذا المعنى يتناسب مع ثقل الهمز، ويجوز أن يكون الوطأ هنا مستعار لإذلال العدو وغلبته وإبادته.(2)

أما قراءة (ولا يطَوْن-موطِياً) بدون همز، فالحجة لمن قرأ بهما أنهم أرادوا التخفيف، ووطّى بمعنى خفض وحطّ، وحذف الهمزة يدل على الخفة فيكون المعنى أنهم لا يدوسون بأرجلهم أو حوافر خيولهم مكاناً صغيراً يُغضب الكفار.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

يتبين أنَّ قراءة الهمز فيها العموم سواء في أمكنة الكفار أو أمكنة المسلمين ففي هذا الوطأ يكون غيظ الكفار، أما القراءة بدون همز فلم تعمم المكان، وقراءة الهمز فيها معنى ثقل الوطأ في حين أن القراءة بدون همز لا تحمل الثقل فيكون المعنى أنَّ هذا الوطأ سواء كان وطئاً خفيفاً أو ثقيلاً يُكتب لهم به عمل صالح والله أعلم.

34- ﴿أَوَلَا يَرَوۡنَ أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ ١٢٦﴾ التَّوبة

أولاً: القراءات:

1- قرأ حمزة، ويعقوب **(أولا تَرَون)** بالخطاب.

(1) انظر [جامع البيان(64/11)، معاني القرآن وإعرابه الزجاج (475/2)، المقتطف من عيون التفاسير(440/2)].

(2) انظر [البحر المحيط (112/5)، التحرير والتنوير (56/11)].

2- وقرأ الباقون **(أولا يَرَون)** بالغيب.[1]

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

(رأى) يرى رأياً، ورؤية، وراءه، ورئيانا: نظر بالعين أو بالعقل ، وأصلها يــرأى ولا تستعمل ؛ إلا نادراً على أصلها.

والرُّؤية: النَّظر بالقلب، وأما الرُّؤية بالعين: فتتعدَّى إلى مفعول واحــد ، وبمعنــى العلم تتعدَّى إلى مفعولين.[2]

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

هذه الآية عطف على جملة (فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ) [التَّوبة: 125]، فهي من تمام التَّفصيل، والاستفهام هنا (أَوَلَا يَرَوْنَ) هو استفهام إنكار وتعجيب، لعدم رؤيتهم فتنتهم ، فلا تعقبها توبتهم ولا تذكرهم أمر ربهم، والغرض منه بيان ازديــاد كفر المنافقين.[3]

والمعنى العام للآية: ألا يزدجر هؤلاء المنافقون عن ضلالهم القديم، ويرجعون عن كفرهم، ويتذكرون، ويعتبرون ، وهم يرون أنَّهم يُختبرون كل عام مرة أو مــرتين، ويبتلون بالقحط والمرض ، ويريهم الله في الجهاد ما يُنْزله على نبيــه مــن نصــر وتأييد، أو يفتنهم الشيطان فينقضون العهود مع رسول الله ﷺ ، فيقتلهم وينكل بهــم؟ ومع هذه الدلائل الواضحة الموجبة للإيمان ، فهم لا ينزجرون ولا يعتبرون بما رأوه من تأييد الله لنبيه وللمؤمنين ، ولا ينتهون عن كفرهم.[4]

---

(1) انظر[النشر (211/2)] .

(2) انظر[لسان العرب (291/14)] .

(3) انظر[التحرير والتنوير (67/11)] .

(4) انظر[الكشاف (222/2)] .

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ حمزة،ويعقوب(**أولا ترون**) بالتاء على المخاطبة من الله للمؤمنين والتّنبيه لهم،فقد نبّه المسلمون على قلَّة اعتبار المنافقين،وقلَّة اتّعاظهم،بالرغم من أنَّهم يُمتَحنون بالأمراض والأسباب التي لا يؤمَنُ معها الموت،إلا أنَّهم لا يزدجرون بها عن نِفَاقهم. فالخطاب هنا والرُّؤية (**أنتم فقط**) لمحمد ﷺ وأصحابه وعظة لهم، وهو على جهة التَّعجب.[1]

وفي قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (**أو لا ترى أنَّهم**)[2] والعرب تقول: ألا ترى للقوم، وللواحد، كالتَّعجب، وكما قيل: "ذلك أزكى لهم، وذلكم"[3].

وقرأ الباقون (أَوَلا يَرَوْنَ) بالياء على الغيب ، على الإخبار عن المنافقين؛ لتقدم ذكرهم، وفي الكلام معنى التَّوبيخ لهم ، والتَّقريع على تماديهم على نفاقهم مع ما يرون من الفتن والمحن في أنفسهم ، فلا يتوبون من نفاقهم.

وتكون: يرى من رؤية العين أو من رؤية القلب، وتسد (**أنَّ**) مسدّ المفعولين، وكونه من رؤية العين أحسن ؛ لأنَّه عِلمٌ لا يدخله ريب، فذلك أقوى عليهم بالحجَّة، وأيضاً لأن رؤيتهم لِمَا يحل بهم أعظم في الحجَّة عليهم ، من رؤية غيرهم لما يَحِل بهم.

وجاء الفعل بالياء هنا جرياً على قوله تعالى (وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ) [التَّوبة: 125][4] فيكون معنى الآية: أفلا يرى هؤلاء المنافقون ، أنَّهم يفتنون قيل: بالجوع، وقيل: بالمرض، وقيل: بالجهاد، ولكن ابن عطيّة[5]يقول:"يظهر مما قبل الآية ومما بعدها أنَّ الفتنة والاختبار، إنما هي بكشف الله تعالى أسرارهم وإفشائه عقائدهم، فهذا هو الاختبار الذي تقوم عليه الحجَّة برؤيته وترك التَّوبة.أما الجهاد فلا يترقَّب معهما ما ذكرناه".[6]

---

(1) انظر[الحجَّة: أبو علي الفارسي (232/4-233)، والمستنير (238/1)] .

(2) هذه القراءة عن ابن مسعود وأُبَي، ذكرها أبو حيان في تفسيره البحر المحيط (116/5).

(3) انظر[معاني القرآن: الفرَّاء (455/1)] .

(4) انظر[الكشف (509/1)، إعراب القراءات: ابن خالويه (258/1)، المستنير (239/1)] .

(5) سبقت ترجمة له راجع ص 3 .

(6) المحرر الوجيز (99/3).

ومعنى الآية على هذا: أفلا يزدجر هؤلاء الذين تُفضح سرائرهم كلَّ سنة مـرة أو مرتين ، ويعلمون أنَّ ذلك من عند الله ، فيتوبون ويتذكَّرون وعد الله ووعيده.(1)

وإذا كانت الفتنة بمعنى الجوع أو المرض أو الجهاد ، فالمعنى: أفلا يـرون أنَّهـم يفتنون ويبتلون بالمرض، والقحط ، ثم لا يتوبون من نفاقهم ولا يعتبرون ، أو يبتلون بالجهاد مع رسول الله ﷺ ، ويعاينون أمره وما يُنْزل الله عليه من النَّصر وتأييـده ، أو يفتنهم الشيطان ، فينقضوا العهود مع رسول الله ﷺ فيقتلهم ثم لا ينزجرون.(2)

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالنَّظر إلى قراءة الجمهور (أَوَلا يَرَوْنَ) بالغيب ، تفيد أنَّ المقصود من الخطاب هـم المنافقون، وهذا فيه توبيخ لهم، وأمّا قراءة حمزة ويعقوب **(ترون)** فالمقصود: النَّبي ﷺوالصحابة، فيكون من تنزيل الرَّائي منزلة غيره ، حتى ينكر عليه عدم رؤيته ما لا يخفى وهو على جهة التَّعجب(3) ، وذلك الأسلوب من بـاب الالتفـات(5) فمعنـى أسلوب الغيب (أَوَلا يَرَوْنَ) يدل على تفظيع ما عملوه ، فهم ليسـوا حـريين بهـذا الخطاب، ولكنَّ أسلوب الخطاب **(ترون)** فيه نظرٌ إلى جهة أخرى ، وهـو توجيـه المؤمنين، والتنبيه لهم على قلة اتعاظ المنافقين ، بالرغم مما يحصل وما حصل لهم، والله أعلم.

---

(1) انظر[المرجع السابق نفس الصفحة] .

(2) انظر [البحر المحيط (117/5)] .

(3) انظر[التحرير والتنوير (67/11)]

(5) الالتفات: هو الانتقال من التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى صاحبه ، أو هو نقل الكلام من أسلوب إلى آخر ، أو نقل الكلام من حالة إلى حالة أخرى ، والعرب تنتقل في كلامها من أسلوب إلى أسلوب ، وذلك على عادة افتنانهم في الكلام والتّصرف فيه ، وانتقـال الكلام من أسلوب إلى أسلوب أحسن تطرية لنشاط السامع ، وفيه إيقاظ للإصغاء إليه من إجرائه على أسـلوب واحـد ، وصـيانة لخاطره من الملل والضّجر ، بدوام الأسلوب الواحد على سمعه ، وهذه فائدة الالتفات العامة انظر[البرهـان (314/3) ، الاتقـان (902/2) ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: السيد أحمد الهاشمي ص261 – مؤسسة المعارف – بيروت ، الإيضـاح في علوم البلاغة: الخطيب البغدادي ص157 – منشورات الكتب – لبنان – ط4 ، الفوائد المشوق في علوم القرآن: ابن الجوزيـة ص98 – مكتبة المتنبي – القاهرة – ط1 – 1983م].

وجمع آخر: وهو أنَّ الله أراد أن تكون الرُّؤية للجميع – للنبي والمــؤمنين – كمــا أشارت إليها قراءة الخِطاب ، والرُّؤية للكفار كما أشارت إليها قراءة الغيب، وبــذلك يكون الخطاب عامةً والله أعلم.

الفصل الثالث

تفسير سورة يونس من خلال القراءات العشر

المبحث الأول: بين يدي السورة.

المبحث الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة يونس المتضمنة للقراءات العشر.

المبحث الأول:

بين يدي السورة.

الفصل الثالث

تفسير سورة يونس في ضوء القراءات القرآنية العشر

المبحث الأول: بين يدي السورة

سورة يونس سورة مكية على المشهور[1] ، وقيل في بعض آياتها أنها مدنيّة على اختلاف في ذلك.[2]

ولكن صاحب الظلال ينفي ذلك حيث يقول عنها :" يصعب تقسيمها إلى قطاعات متميزة؛ لأنَّ الظاهر من سياقها، أنها لُحمة واحدة تواجه واقعاً متصلاً ".[3]

نزلت بعد سورة الإسراء وقبل سورة هود ، وسورة يونس وهود متواليتان في ترتيب المصحف، وفي ترتيب النزول أيضاً.[4] عدد آيات سورة يونس مائة وتسع آيات في عد أكثر الأمصار ومائة وعشر في عد أهل الشام.[5]

وهي من أواخر ما نزل من القرآن بمكة، فهي السورة الحادية والخمسون في ترتيب نزول السور ، نزلت سنة إحدى عشرة بعد البعثة.[6]

تسميتها :

سميت سورة يونس، لذكر قصة نبي الله يونس –عليه السلام – فيها ، ولكن قصة يونس –عليه السلام– لا تتجاوز إشارة سريعة على هذا النحو ﴿ **فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾** ﴾ **يونس**

ومع ذلك سميت باسمه؛ لأنَّها هي المثل الوحيد البارز للقوم الذين يتداركون أنفسهم قبل مباغتة العذاب.

---

(1) انظر[البحر المحيط (119/5)، نظم الدرر (411/3)].

(2) انظر[معالم التنزيل (289/2) ، مفاتيح الغيب (3/17)].

(3) الظلال (1752/3).

(4) انظر[تاريخ القرآن : أبو عبد الله الزنجاني ص50 ، والظلال (1745/3)].

(5) انظر[التحرير والتنوير (78/11)].

(6) انظر[المرجع السابق (78/11)].

فيثوبوا إلى ربهم وفي الوقت سعة، وهم وحدهم في تاريخ الدعوات الـــذين آمنـــوا جملة بعد تكذيبهم ، فكشف عنهم العذاب.[1]
وقد بحثت كثيراً في كتب التفاسير وغيرها فلم أجد اسماً آخرَ لهذه السورة.

موضوع سورة يونس:

وموضوعها هو موضوع السور المكية، حيث يدور على إثبات أصـــول التوحيـــد، وهدم الشرك، وإثبات الرسالة والبعث والجزاء، وما يتعلق بذلك من مقاصـــد الـــدين وأصوله.[2]

من هو النبي يونس ؟

يونس- عليه السلام- هو يونس ابن متّىَ بفتح الميم وشدة مثناه على التاء نسبة إلـــى أبيه[3] وهذا الأصح وليس اسماً لأمّه، ولم يقف السّيوطي في شيء من الأخبار على اتّصال نسبه، وقد قيل: إنّه في زمن ملوك الطوائف من الفرس[4] ،وفي يونس ســـت لغات ، والقراءة المشهورة بضم النون مع الواو[5]، وقد أورد السّيوطي أقوالاً عـــن مدّة مكثه في بطن الحوت، منها أربعون يوماً، وقيل: سبعة أيام ، وقيل: ثلاثة،وقيل: أقل من ذلك[6] ، دعاه الله في القرآن بأحد عشر لقباً، منها ذوالنون، ومغاضباً فقال (وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا) [الأنبياء :87].[7] و كان قوم يونس بنينـــوي فـــي أرض الموصل[8].

---

(1) انظر[الظلال (1752/3)].

(2) انظر[التَّفسير المنير وهبه الزحيلي (93/11) ، وتفسير المراغي (58/11)].

(3) في البخاري (رقم3413)عن ابن عباس-رضى الله عنهما-قال النّبي صلى الله عليه وسلم : " ما ينبغي لعبد أن يقول إنّى خير من يونس بن متىّ و نسبه إلى أبيه انظر[فتح الباري (450/6)- 60 كتاب أحاديث الأنبياء- 35 باب قول الله تعالى (وإنّ يونس لمن المرسلين)، المغني في ضبط أسماء الرجال ومعرفه كُنى الرّواة وألقابهم وأنسابهم: العلامة المحدّث محمد طاهر بن على الهندي صاحب مجمع البحار في لغة الأحاديث والآثار (ت986هـ) ص 220- دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان- 1399هـ-1979م]

(4) انظر[الإتقان : السّيوطي (1071/2)].

(5) انظر[المرجع السابق بنفس الصفحة].

(6) انظر[المرجع السابق بنفس الصفحة].

(7) انظر[بصائر التمييز (53/6)].

(8) الجامع لأحكام القرآن (679/8).

فضل سورة يونس :

1- من السّور المثاني [1] التى أعطيها النّبي ﷺ مكان الزّبور، فهي من السّبع الطّوال فعن سعيد بن جبير[2] في قوله تعالى (**سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي**) [الحجر: 87] قال: (السّبع الطّوال ، البقرة ، وآل عمران ، والنّساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، ويونُس).[3] وذكر أبو عبيد [4] حديثاً عن فضائل السبع الطوال، عن الصّحابي واثلة بن الأسقع[5]: عن النبي ﷺ قال : (أعطيت السبع الطوال مكان التوراة وأعطيت المئين مكان الإنجيل ، وأعطيت المثاني مكان الزبور ، وفضلت بالمفصّل).[6]

2- قرأها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- في صلاة الصبح، عن الأخنف [7] قال: "صلّيت خلف عمر الغداة ، فقرأ بيونس ، وهود، ونحوهما".[8]

مناسبتها لما قبلها (التوبة):

وجه مناسبة سورة يونس لما قبلها سورة براءة.

1- إنَّ سورة براءة، ختمت بذكر الرسول ﷺ، وسورة يونس ابتدئت به.

2- سورة التوبة: فيها بيانٌ لما يقوله المنافقون عند نزول سورة من القرآن، وسورة يونس: بيانٌ لما يقوله الكفار في القرآن .

---

(1) التى تقصر عن المئين وتزيد عن المفصل كأن المئين مبادي والتى تليها ثاني، انظر[النهاية في غريب الحديث والأثر ص129]

(2) سبقت ترجمة له ص167.

(3) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان – باب في تعظيم القرآن – فصل في فضائل السور والآيات ذكر السبع الطوال (466/2) – رقم 2418 ، وذكره أبو عبيد في فضائل القرآن باب فضائل القرآن (30/2) رقم 412 .

(4) سبقت ترجمة له ص19.

(5) الكناني الليثي صحابي مشهور خدم رسول الله ﷺ كان من أصحاب الصُّفة، سكن البصرة والشام وتوفي ببيت المقدس أو بالشام سنة 83هـ وقيل 85هـ انظر [أسد الغابة (628/4-629) ترجمة رقم 5422].

(6) فضائل القرآن : ابو عبيد القاسم بن سلام ، باب فضائل السبع الطوال (29/2) رقم 409 ، والمفصل أي تفصيل آياته بالفواصل أو بمعنى التبيين انظر[لسان العرب (521/11-524) مادة فضل].

(7) هو الأخنف بن قيس بن معاوية بن حصين التّميمي ، أبو بحر ، ولد في البصرة عام 3قبل الهجري = 619م وأدرك النّبي ﷺولم يره ، روى عن عمر وعلى- رضى الله عنهما – وغيرهما ومات سنة72هـ – 691م انظر[تهذيب التهذيب (191/1) ، الأعلام (276/1)].

(8) ذكره السيوطي في الدر المنثور في أول تفسير سورة يونس (324/3) وعزاه لإبن أبي شيبة ، والحكم على الأثر إسناده صحيح حكم عليه: د. إبراهيم علي السيد علي عيسى صاحب كتاب فضائل سور القرآن الكريم ص246-247.

3- سورة التوبة: فيها ذمٌ للمنافقين بعدم التوبة، والتذكر إذا أصابهم البلاء ، وفي هذه السورة ذم، لمن يصيبه البلاء، ثم يعود إذا كُشف عنه البلاء .

4- سورة التّوبة فيها براءة من الله ورسوله ﷺ من المشركين ، مع الأمر بقتالهم، وفي هذه براءته ﷺ من عملهم ، ولكن دون أمر بقتال.(1)

مناسبة بداية سورة يونس وخاتمتها:

الترابط في سياق السورة يوجد بين مطلعها وختامها فيجىء في المطلع قوله تعالى: ﴿الٓر ۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ ۝٢﴾ **يونس** .. ويجىء في الختام ﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ۝١٠٩﴾ **يونس**

فالحديث عن قضية الوحي هوالمطلع وهو الختام،كما أنه هو الموضوع المتصل الملتحم بين المطلع والختام . (2)

مناسبة سورة يونس لما بعدها (سورة هود) :

1- ذُكر في سورة يونس قصة نوح- عليه السّلام- مختصرة جداً مجملة فشرحت في هذه السورة، وبسطت ما لم تبسط في سورة الأعراف ولا في سورة نوح .

2-مطلع سورة يونس شديد الارتباط بمطلع سورة هود ، حيث إن مطلع سورة يونس قوله تعالى ﴿الٓر ۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١﴾ **يونس** ومطلع سورة هود قوله تعالى : ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ **هود**

---

(1) انظر[روح المعاني (55/11)].

(2) انظر[الظلال (1752/3)] .

3- بين مطلع سورة هود وختام سورة يونس ارتباط شديد، حيث ختمت بنفي الشرك واتباع الوحي ، وافتتحت سورة هود ببيان الوحي والتحذير من الشرك. [1]

مقاصد سورة يونس :

1- ابتدأت السورة بمقصد إثبات رسالة محمد ﷺ وعجز المشركين عن معارضة القرآن، ولذلك أُتبعت الحروف المقطّعة في أول السورة بقوله تعالى : ﴿ **تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ** ﴾ وذلك إشارة إلى أنَّ إعجازه لهم، هو الدّليل على أنّه من عند الله.

2- وانتقل بعد ذلك إلى إثبات انفراد الله – تعالى– بالألوهيَّة، بدلالة أنَّه خالق كلّ شيء ومدبّره، ثمّ التَّذكير بمصير الخلائق إليه بالبعث والجزاء.

3- وعيد منكري البعث المعرضين عن آيات الله ، ووعد للمؤمنين، فكان معظم هذه السورة يدور حول محور تقرير هذه الأصول .

4- التّنبيه على أنَّ من حكمة الله إمهال الله تعالى الكافرين، دون تعجيل العذاب .

5- التذكير بما حلَّ بأهل القرون الماضية لمّا كذَّبوا الرسل وأشركوا.

6- ذكرت آثار القدرة الإلهية التى تدل على عظمة الله وضرورة الإيمان به؛ لأنَّه مصدر الحياة والرزق والنعم .

7- ثم تناولت بإيجاز العبرة والعظة، وتقرير صدق القرآن قصص الأنبياء كقصة نوح –عليه السلام– مع قومه ، وقصة موسى –عليه السلام– مع فرعون الجبّار ، وذكرت قصة نبي الله يونس – عليه السلام – الذي سميت السورة باسمه – وكل هذه القصص؛ لبيان سنة الله الكونية في إهلاك الظالمين ونصرة المؤمنين .

وختمت السورة الكريمة بتأكيد نُبوّة النبي ﷺ والاستمساك بشريعة الله ، وأمر الرسول ﷺ بالصبر على جفاء المشركين وأذاهم في قوله تعالى : ﴿ **وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝١٠٩** ﴾ يونس . [2]

---

(1) انظر[روح المعاني (11/189-190)].

(2) انظر[بصائر ذوي التمييز (1/238-239) ، التحرير والتنوير (11/81) ، والتَّفسير المنير (11/94-95) ،أهداف كل سورة ومقاصدها :عبد الله شحادة ص 119 - 126].

المبحث الثاني

عرض وتفسير لآيات سورة يونس المتضمنة للقراءات العشر

1- ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ١﴾ يونس

أولاً: القراءات:

1- أ- قرأ أبو عمرو وابن عامر و شعبة والأخوان (حمزة والكسائي) وخلف (**الٓر**) بالإمالة في ألف الراء، وبالتقليل لورش.

ب- وقرأ الباقون (**الٓر**) بالفتح بدون إمالة.(1)

2- أ- سكت أبو جعفر في (**الٓر**) على ألف ولام وراء سكتة خفيفة من غير تنفس.

ب- وقرأ الباقون (**الٓر**) بدون سكت.(2)

ثانياً: التفسير الإجمالي للآية:

(**الٓر**) إشارة إلى أنَّ هذا الكلام البليغ المعجز مكوّن من جنس الأحرف التي يتكون منها كلامكم، يقول ابن كثير-رحمه الله-: "إنّما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بياناً لإعجاز القرآن وأنَّ الخلق عاجزون عن معارضة مثله، مع أنَّه مركب من هذه الحروف التي يتخاطبون بها".(3)(**تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ**) أي هذه السورة من آيات القرآن الحكيم الذي أحكمه الله وبينه لعباده.(4)

ثالثاً: العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

القراءة الأولى:

من فخم الراء المفتوحة مشى على الأصل.

---

(1) انظر [النشر (50/2)،(212/2)، البدور الزاهرة ص174].

(2) انظر [النشر (329/1)،(211/2)، البدور الزاهرة ص174، في هامش القرآن ص208].

(3) تفسير القرآن العظيم (38/1).

(4) انظر [جامع البيان (5/3)، تفسير القرآن العظيم(405/2)].

ومن أمال أجرى ألف الراء مجرى الألف المنقلبة عن الياء، فإنهم يميلونهـا تنبيهـاً على أصلها، وفي الإمالة دفع توهم أن راء حرف كـ مـا ولا، فقد صـرحوا أنَّ الحروف يمتنع فيها الإمالة، فـ (را) هنا الألف ليست منقلبـة عـن يـاء لأنَّ (را) أسماء الأصوات، وهي ليست حرف إنما الحرف (ر).[1]

والإمالة تكون في موضع اللين والخطاب الرقيق وترك الإمالة يكـو فـي موضـع الإنذار والتهديد.

رابعاً: الجمع بين القراءتين:

يتبين بالجمع بين القراءتين أنَّ كل قراءة أثرت المعنى فقد جمع القرآن بين الخطابين في لفظ واحد، بالإضافة إلى أنَّ هذا كله يؤدي إلى اختلاف في المسموع ويغير فـي توالي أصوات العبارة في سياق الكلام ونطقه ويتباين في صوت المستمع ومزاجـه وهذا من إعجاز القرآن والله أعلم.

القراءة الثانية:

سكت أبو جعفر على الألف واللام والراء في **(الٓر)**، والسكت يعامل معاملة الوقـف لذلك لا يُمد اسم (را) في الآية، وإن كان هو في اللغة بهمزة في آخره؛ لأنه بالسكت تحذف الهمزة كما تحذف في الوقف لثقل السكوت على الهمزة في الوقف والسكت، فبذلك تصير الكلمة على حرفين فلا تمد لذلك أجمع القراء على عدم مد الحـروف: را ها يا طا حا التي في أوائل السور.[2]وفائدة السكت هو اشعار بالانفصال.[3]

الجمع بين القراءتين:

يتبين أنَّ قراءة السكت وضحت قراءة عدم السكت فجاء السـكت ليشـعر القـارئ بانفصال الحروف، حتى لا يتوهم القارئ أنَّ **(الٓر)** كلمة واحدة والله أعلم.

---

(1) انظر [الحجة: أبو على الفارسي(4/244_248)، نظم الدرر (3/411)، روح النعاني (11/57)].

(2) التحرير والتنوير (11/80).

(3) الهدي شرح طيبة النشر (1/122).

2- ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ ﴾ يونس

أولاً : القراءات :

1- قرأ نافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وأبو جعفر ، ويعقوب (لَسِحْرٌ) بكسر السين بدون ألف وإسكان الحاء .

2- وقرأ الباقون (حمزة ، والكسائي ، وخلف ، وابن كثير وعاصم) (لَسَاحِرٌ) بألف بعد السين وكسر الحاء . [1]

ثانياُ: المعنى اللغوي للقراءات:

السحر: لغة: هو كل ما لطف مأخذه ودقّ ، والسِّحر هو الخداع.[2]

قال ابن فارس [3] :"هو إخراج الباطل في صورة الحق ، ويقال: هو الخديعة، وسحره بكلامه: استماله برقته وحسن تركيبه". [4]

قال الزهري [5]: "إنَّ السِّحر هو عمل تقرّب فيه إلى الشيطان وبمعونة منه ، وقيل : السحر البيان في فطنة".[6]

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية :

(أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا) الهمزة لإنكار تعجبهم وتعجب السامعين فيه؛ لكونه في غير

---

(1) انظر[النشر (192/2) ، (212/2) ، إتحاف فضلاء البشر ص103] .

(2) انظر[القاموس المحيط ص159].

(3) سبقت ترجمة له ص100.

(4) انظر[المصباح المنير ص162 مادة سحر].

(5) سبقت ترجمة له ص24.

(6) انظر[لسان العرب (348/4)].

محله ، والعجب: حالة تعتري الإنسان من رؤيــة شــيء علــى خــلاف العــادة (أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ) أي عجيب من أمرهم أن ينكروا إنزال الوحي على رجل من جنسهم ومن أعقل رجالهم، وهو محمد ﷺ قد اتخذوه أعجوبة بينهم يســتغربون من شأنها (أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ) أي أوحينا إليه، بأن أنذر كافَّة الناس، وخــوفهم مــن عذاب الله وعاقبة ما هم فيه من كفر وضلال (وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ) أي: بشــر المؤمنين بماأوحيناه إليك، بأن لهم منزلة رفيعة، ورحمة نالوها بصدق القول وحسن النية.

فلماّ أتاهم بوحي الله وتلاه عليهم (قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ)

أى : قال الكافرون– وهم المتعجبون– وإيرادها هنا بعنوان الكفر للتحقير قالوا: إنَّ هذا الذي جاء به محمد لسحر واضح ظاهر، يبيّن لكم أنه مبطل فيما يدّعيه.[1]

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

اختلف القرّاء في قراءة (قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ) فقرأ عامة قراء أهل المدينة والبصرة (إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مبينٌ) بغير ألف يعنون القــرآن وحجّتهم : أنّ السحر يدل على الساحر، لأنّ الفعل لا يكون إلا من فاعل ، والساحر قد يوجد ولا يوجد معه السحر، و يدلّ على قول من قال (سِــحْرٌ). قولــه تعــالى : (وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ) [الزخرف:30]

المعنى: أي: الذى تقولون أنتم فيه إنَّه أوحي: سحرٌ ، وليس كما تقولون: إنَّه وحيٌ. وقرأ الباقون (إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ) بألف وفــتح الســين وحجــتهم قولــه تعالى:(أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاس... قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ

(1) نظر[جامع البيان (11/80–83) ، معالم التنزيل (2/290) ، تفسير المراغي (11/59–60)] .

هَـٰذَا) يعني النبي ﷺ **(لَسَـٰحِرٌ مُّبِينٌ)** ويدّل على ساحر أيضاً قولــه تعــالى: **(وَقَالَ ٱلۡكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ)** [ص :4] [1] ومن قرأ **(لَسَـٰحِر)** فهذه إشارة إلى رسول الله ﷺ وهودليل عجزهم واعترافهم به ، وإن كانوا كاذبين في تسميته سحراً[2] ، وهذا الكلام ظاهر الفساد، لذلك لم يَحتجْ إلى جواب؛ لأنّهم يعلمون نشأة الرسول ﷺ معهم بمكة وخلطتهم له وما كانت ، وأنَّ القرآن الذى أتى به تضمن من قصص الأولين والإخبار بالغيوب والاشتمال على مصالح الدنيا والآخرة مع الفصاحة والبراعة التى أعجزتهم.[3]

خامساً : الجمع بين القراءتين :

1- من قرأ (لَسِحْرٌ) أراد القرآن ، والسحر لا يكون إلا من ساحر فشملت بالمعنى القراءتين ، ومن قرأ (لساحر) أراد محمداً ﷺ، والساحر ذو سحر أو جعلوه إياه مبالغة، وإذا كان ذلك كذلك فالمعنى بين القراءتين متفق. [4]

2- من قرأ (سحر) أشار إلى أن القرآن و ما جاء به رسول الله ﷺ، ومن قرأ بالألف أشار إلى الرسول ﷺ، بمعنى: إنَّ محمداً هذا لساحر مبين، وليس كما يقولون بل هو وحي و موحى إليه ﷺ.[5]

3- **(وَقَالَ ٱلۡكَـٰفِرُونَ)** القول من جهة واحدة فهل قالوا ساحر، أم سحر؟ والجواب كأنَّ الله تعالى يقول لنا أنَّ جزءاً منهم قالوا هذا سحر ، وجزء آخر قالوا هذا ساحر والله أعلم.

---

(1) انظر[الحجة : ابن زنجلة ص327 ، الحجة : أبو على الفارس (251/4)].

(2) انظر[مدارك التنزيل : النسفي (452/2)].

(3) انظر[البحر المحيط (123/5)].

(4) انظر[الدر المصون (147/6) ، جامع البيان (83/11)].

(5) انظر[الفريد في إعراب القرآن (531/2)].

3- ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ ﴾ يونس

أولاً: القراءات:

1- قرأ أبو جعفر (أنَّهُ يَبْدَؤُا۟) بفتح الهمزة.

2- وقرأ الباقون (إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟) بكسر الهمزة.(1)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

سبق إيراد معنى (إنهّ وأنّه).(2)

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

يخبر الله -تعالى - أنَّ (**إليـــه**) أي: الذي صفته ما وصف جل ثناؤه، في الآية قبـل هذه مرجع الخلائق جميعاً يوم القيامة (**وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا**) وجاء وعد الله مصـــدراً؛ لأن فيه معنى الوعد ، ومعناه : يعدكم الله أنّه يحييكم بعد مماتكم، وعداً حقاً. فهو كما بدأ الخلق كذلك يعيده (**لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ**) أي يثيـــب المؤمنين الذين يعملون ما أمرهم الله به من الأعمال، وينتهون عما نهاهم عنه بالعدل والجزاء الأوفى (**وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ**) والذين كذَّبوا بآيات الله، وكفروا لهم شراب في جهنم من حميم، أي يعذبون بأشد أنـــواع العـــذاب (**بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ**) بالله ورسوله.(3)

---

(1) انظر [النشر (212/2) ، طلائع البشر ص115].

(2) راجع ص99، 100، 101.

(3) انظر[جامع البيان (84/11) ، تفسير ابن كثير (406/2)].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ الجمهور (**إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ**) بكسر همزة (**إِنَّهُ**) على الاستئناف، ومعناه: التعليل؛ لوجوب المرجع إليه، فيكون المعنى: إنّ الله شأنه يبتدىء خلقه من التّراب ثم يعيده إلى التراب، أو بمعنى الإعادة للجزاء يوم القيامة.(1)

وقرأ أبو جعفر (**أَنَّهُۥيَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ**) بفتح همزة (**أَنَّهُ**) ولها عدة أوجه أو تأويلات:

أحدهما: أنها في موضع نصب على تقدير حرف جر محذوف، وهو اللام أي؛ (لأنّه) أو الباء (بأنّه).(2)

والمعنى : أي حق وعده بالبعث؛ لأنه يبدأ الخلق ثم يعيده، فلا تعجزه الإعادة بعد الخلق الأول.(3)

والثاني : هو منصوب بالفعل الناصب لقوله (**وَعۡدَ ٱللَّهِ**) أي المصدر مفعول مطلق منصوب بما نصب به (**وَعۡدَ ٱللَّهِ**).(4)

فالمعنى : وعد الله وعداً (**أَنَّهُۥيَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ**) أي بدء الخلق ثم إعادته، فيكون بدلاً من (**وَعۡدَ ٱللَّهِ**) بدلاً مطابقاً أو عطف بيان .(5)

والثالث : يجوز أن يكون المصدر المكوَّن من (**أَنَّ**) وما بعدها مرفوعاً، أو في موضع رفع على أنه فاعل بما نصب (**حَقًّا**) والتقدير : حقَّ حقاً أنه يبدأ الخلق أي: حق حقاً بدء الخلق ، ثم إعادته (6) وهو مذهب الفرّاء (7) فإنه قال: "والتقدير: حقاً أنه يبدأ الخلق ، فجعلها اسماً للحق في موضع رفع".(8)

---

(1) انظر[مدارك التنزيل : (453/2)].

(2) انظر[معالم التنزيل : (290/2)].

(3) انظر [التحرير والتنوير (91/11)].

(4) انظر[المحرر الوجيز (530/2)].

(5) عطف البيان كالصفة في الإيضاح ولكن يفارقها في أنه وضع ليدل على الإيضاح باسم مختص به ، بخلافها ، فإنها وضعت لتدل على معنى حاصل في متبوعها انظر[الإتقان(860/2) ، شرح قطر الندى ص297].

(6) انظر[التحرير والتنوير (91/11)].

(7) سبقت ترجمة له ص12.

(8) انظر[معاني القرآن : الفرّاء (457/1)].

خامساً : الجمع بين القراءتين :

نجد في قراءة الكسر: أنَّه قد ذهب أصحاب التَّفسير القرآني ، وتوجيه القراءات، أنَّها قراءة واضحة جيدة، من جهة أنَّ المعنى مستقيم، حملاً على الظاهر دون الحاجة إلى تأويل ، فقد كسر الهمزة على الاستئناف، وفيها زيادة في تأكيد قضية البعث، والبدء، والإعادة، فهذه القراءة حصل منها المعنى، حملاً على الظاهر دون خروج عليه.

أما قراءة الفتح: فتكون (أنَّ) مع معموليها مصدراً مؤولاً تأويله بدء الخلق ، أو بتقدير حرف الجر اللام أو الباء. والمُشْكل هنا: أنَّها لا تأتي مستأنفة.(1) فمن هنا لجأوا إلى التّأويل، وقد ذكرناه سابقاً في العلاقة التَّفسيرية.(2)

4- ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ ﴾ يونس

أولاً : القراءات :

1- قرأ قُنبل (**ضِئاء**) بهمزة مفتوحة بعد الضاد .

وقرأ الباقون (**ضِيَاء**) بغير همز في الياء.(3)

2- قرأ ابن كثير والبصريان (أبو عمرو ويعقوب) وحفص (**يُفَصِّلُ**) بالياء، وقرأ الباقون (**نفَصِّلُ**) بالنون.(4)

ثانياً : المعنى اللغوي للقراءات :

الضِيَاء : وجمعه أضواء وهو الضِّواءُ والضياءُ . والضَّوء والضياء: هو ما أضاء لك ، وقد يكون الضياء جمعاً ، وضاء الشيء يضوء ضَوْاً وأضاء.

---

(1) انظر[كتاب سيبويه (3/142-146)].

(2) انظر[التوجية اللغوي : د. صبري (157-158)].

(3) انظر [النشر (1/315) ، (2/212)].

(4) انظر[المرجع السابق (2/212)].

والضـــوء : النور[1]، والضياء أقوى من الضوء؛ لأنَّه هو النور الساطع القوي الذى يضيء للرائي، أما الضوء: فهو النور الذي يوضح الأشياء .[2]

الفَصْلُ : الحاجز بين الشّيئين ، والتّفصيل التّبيين ، ويُفَصِّل الآيات : إمـــا تفصـــيل آياته بالفواصل ، أو بمعنى التّبيين .[3]

ثالثاً : التَّفسير الإجمالي للآية :

بعد أن ذكر الله سبحانه الآيات الدالة على وجوده ، وهو خلق السماوات والأرض ، وإثبات الألوهية والتوحيد والبعث ، خصَّص بالذكر للتّأكيد علـــى أحـــوال الشَّـــمس والقمر الدّالة على التّوحيد من جهه الخلق والإيجاد ، وعلى إثبات المعاد، من جهـــة كونهما أداة لمعرفه السّنين والحساب ، وذلك رصد للزَّمن الذي لا بد له من نهاية ، وموت أهله ففي هذه الآية تفصيل لما تقدم، وبيان له .[4]

فقال سبحانه :(**هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا**) أي جعـــل الشّمس في النّهار ضياء للكون، والقمر نوراً بالليل، يبدد الظلمات (**وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ**) يقول الزجاج : [5] " يعني القمر ، لأنه المقدر بعلم السنين والحساب ، وقد يجـــوز أن يكون المعنى: وقدّرهما منازل، فحذف أحدهما اختصاراً " .

فالضمير إماّ يعود على القمر أو يعود على القمر والشمس معاً ، والأخفـــش ذكـــر القول الثاني قال : " هو ذكـــر الشـــمس والقمـــر ".[6] (**لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ**) فبالشّمس تعرف الأيّام، وبسير القمر تعرف الشّهور والأعوام.

---

(1) انظر[لسان العرب (137/1 –138) مادة ضَوَأ ، القاموس المحيط ص58 مادة ضوا].

(2) انظر[التحرير والتنوير (94/11)].

(3) انظر[لسان العرب (521/11–524) مادة فصل، القاموس المحيط ص1347 مادة فصل] .

(4) انظر[تفسير المراغي (67/11) ، التَّفسير المنير : الزحيلي (110/11)].

(5) انظر[معاني القرآن : الزجاج (7/2)].

(6) معاني القرآن: الأخفش (565/2)، وانظر [الحجة أبو علي الفارسي(258/4)].

وهذا قول ابن كثيـر [1] (مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ) أي لـم يخلـق الله الشمس والقمر ومنازلهما إلا بالحق، فلم يخلقه باطلاً ، بل اظهاراً لصنعه، دالاً على قدرته، ولحكمة عظيمة في ذلك (ٱلْأَيَٰتِ يُفَصِّلُ) يبيّن الحجج والأدلّـة (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) فينتفعون بالتّأمل فيها، لذلك خصّهم الله- سبحانه وتعالى- لأنّهم إذا تدبّروها، يعلموا حقيقة وحدانية الله .[2]

رابعاً : العلاقة التَّفسيرية بين القراءات :

القراءة الأولى:

قرأ قنبل : **(ضِئَاء)** بهمزة مفتوحة بعد الضاد ، وقرأ الباقون **(ضِيَاء)** غير همز في الياء .

و (ضياء) فيها وجهان :

أحدهما : جمع ضوء،كسياط في جمع سوط .

والثاني: مصدر ، يقال ضاء القمرُ يضوء ضوءاً أو ضياء، كصام يصوم صوماً ، وقلبت الواو ياء،لكسرة ما قبلها في كلا الوجهين .

وعلى أي الوجهين حملته ، فالمضاف محذوف ، والمعنى : جعل الشمس ذات ضياء، والقمر ذات نور.[3]

- فحجة من قرأ بهمزتين أن **(ضِئاء)** فيها الهمزة في موضع العين من (ضياء)، يكون على القلب أي قلبت عين الفعل، وهو الياء المنقلبة إلى موضع لام الفعل ،وهو الهمزة ، وردت الهمزة في موضع الياء فأصبحت (ضئاياً) فلما تطرّفت الياء بعد ألف زائدة قلبت همزة كما فُعل في (دعاء وسقاء) فصارت همزة قبل الألف، وهي الأصلية التى هي لام الفعل من (ضوء) وهمزة بعد الألف، وهي المنقلبة عن الياء، المنقلبة عن واو.

(1) انظر[تفسير القرآن العظيم : (407/2)].

(2) انظر[جامع البيان : (186/11)، معالم التنزيل : (291/2)].

(3) انظر[الحجة أبو علي الفارسي (258/4)].

وإذا قدّرنا (ضئاء) جمع ضوء والجمع، يحسن فيه القلب ويكثر ، وجائز أن نقول إنّ الهمزة انقلبت عن واو؛ لأنّ الياء لمّا تأخرت وزالت عنها الكسرة ، التى قبلها ، رجعت إلى أصلها، وهو الواو، وقلبت همزة كدعاء فوزنه فلاع (ضئاو) مقلوب عن فعال (ضواء) وإذا قدرنا (ضئاء) مصدراً كان أبعد؛ لأنَّ المصدر يجري على فعله في الصحة والاعتلال، والقلب ضرب من الاعتلال فإذا لم يكن في الفعل لم ينبغ أن يكون في المصدر أيضاً.

–وحجّة من لم يهمز (ضياء) وترك الياء قبل الألف على حالها، أنّه أتى بالاسم على أصله، ولم يقلب من حروفه شيئاً في موضع شيء وتكون الياء بدلاً من واو (ضوء) لانكسار ما قبلها، هذا إذا اعتبرنا (ضياء) مصدراً .

وهنا في عدم الهمز الأوْلى أن يكون (ضياء) مصدراً لا جمعاً، مثل قام يقوم قياماً ، صام يصوم صياماً .

أمّا إذا اعتبرنا (**ضِيَآءً**) جمعاً، فحجّة من لم يهمز أنه جمع غير مقلوب أتى على أصله فهو جمع (ضوء).[1]

خامساً: الجمع بين القراءتين:

أ- قراءة الهمز،الأوْلى أن تكون (ضئاء) جمعاً؛ لأن الجمع يحسن فيه القلب ويكثر، وفي قراءة عدم الهمز ضياء،الأوْلى أن يكون(ضياء) مصدراً لا جمعاً.

ب- قراءة الهمز فيها الثقل، فتدل على ثقل الضوء وشدته، والياء فيها اللين والخفَّة فهذا يدل على خفة الضوء، وبالجمع بين الخفّة والثّقل يتبيّن أنّ القراءتين أشارتا إلى درجة ضوء الشّمس، فمرّة يكون خفيفاً، ومرّة يكون شديداً، وهذا يظهر في اختلاف حالة الشّمس صباحاً وظهراً ومساءً وصيفاً وشتاءً، والله أعلم .

القراءة الثانية:

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص ويعقوب (**يُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ**) بالياء.

---

(1) انظر[الحجة : أبو علي الفارسي (258/4 – 259)، الكشف (512/1-513) ، الجامع لأحكام القرآن (618/8) ، والدر المصون (152/6) ، فتح القدير (531/2)] .

وقرأ الباقون (**نفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ**) بالنون. من قرأ (**يُفَصِّل**) باليـــاء فحجّتـــة علـــى الغيب، وذلك جرياً على السّياق، فأضمر الاسم في الفعل؛ لأنه تقدم ذكر الله تعـــالى في قوله: (**مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ**) فجعلوا الفعل مسنداً إليه بلفظ التوحيد فكأنّه قال: (**يُفَصِّلُ الله الآياتِ**) فهو إذاً إخبار عن فعل الله . فيكون التقدير : قل يـــا محمد: الله يدبِّر الأمر، ويفصِّل الآيات.[1] ومنهم من ردّه إلى قولـــه (**مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ**) [يونس :5] وعلى قوله (**هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ**) [يونس :5] وعلى قوله (**إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ**) [يونس :3] وعلـــى قولـــه (**ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ**) [**يونس** :3] وعلى قوله (**وَعۡدَ ٱللَّهِ**) [**يونس :4**] كلّه بلفظ الغيبة عن الإخبار عـــن الله عز وجل.[2] وأمّا حجة من قرأ بالنون وهي نون العظمة، التفاتاً من الغيبة إلـــى التكلم، فللتعظيم.

فالله- سبحانه - يخبر عن نفسه بلفظ الجماعة؛ لأنه ملك الأمـــلاك ودلـــيلهم (**تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ**) [البقرة: 252] ويقوّيه أنّ قبله (**أَوۡحَيۡنَا**) على الإخبار من الله ذكـــره عن نفسه.[3]

الجمع بين القراءتين :

نجد أنّ القراءة بنون العظمة على الالتفات من الغيبة إلى التكلم؛ فلأنّ سياق الآيـــة في قوله تعالى (**مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ**) يقتضي الغيبة فقال (**يُفَصِّلُ**) أي الله تعالى ، لكنه التفت إلى التكلم، على أنَّه إخبار من الله سبحانه عن نفســـه، بأنَّـــه وحده هو الذي جعل الشمس ضياءً، والقمر نوراً، وقدّره منازل، وذلك لمعرفة عـــدد السنين والحساب ، وأنه يوضح هذه الآيات الدالة على قدرتـــه ووحدانيتـــه، لقـــوم

---

(1) انظر[الحجة ابن زنجلة ص328، إعراب القراءات السبع وعللها (261/1)، معاني القراءات ص 219 ، الحجة : أبو علي الفارسي (252/4)].

(2) انظر [الكشف (513/1)].

(3) انظر[إعراب القراءات السبع (261/1)، الكشف (514/1)، الدر المصون (154/6)].

يعلمون ذلك معرفة حقيقية، فيستدلون بهذه الآيات على وجود الله تعالى ، وعلى أنه لا ينبغي أن يعبد سواه ، فلو ظل الأسلوب القرآني على الغيبة، لمّـا تحقـق هـــذا المعنى (1) أيضـاً للإلتفات فوائد ذكرناها سابقاً(2)

5- ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ ﴾ يونس

أولاً : القراءات :

1- قرأ ابن عامر (**لَقَضَى إليهم أَجَلَهُم**) بفتح القاف والضاد، وقلـب اليـاء ألـف (**إِلَيْهِمْ**) بكسر الهاء (**أَجَلَهمُ**) بالنصب .

2- وقرأ يعقوب (**لقَضَى إليُهمْ أجَلهُمْ**) بفتح القاف والضاد، وقلب الياء ألف (**إليُهمْ**) بضم الهاء (**أَجَلَهُم**) بالنصب .

3- قرأ حمزة (**لَقُضِيَ إِلَيْهُمْ أَجَلُهُمْ**) بضم القاف، وكسر الضاد، وفتح الياء (**إِلَـيهُمْ**) بضم الهاء (**أَجَلُهُمْ**) بالرفع .

4- وقرأ الباقون (**لَقُضِيَ إِلَيهِمْ أَجَلُهُمْ**) بضم القاف، وكسر الضـاد، وفـتح اليـاء (**إِلَيْهِمْ**) بكسر الهاء (**أَجَلُهُمْ**) بالرفع .(3)

ثانياً : المعنى اللغوي للقراءات :

قُضِيَ : ومنه القضاء أي: الحكم، وأصله قضايٌ؛ لأنه من قَضَيْت ، إلا أنّ الياء لما جاءت بعد الألف همز ، ومنه قوله تعالى :(ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا)[الأنعام:2] ؛ ومعنـاه ثم ختم بذلك وأتمَّه وقضي الأمر : أي تمّ إهلاكهم (4)

---

(1) انظر[القراءات وأثرها في علوم العربية : د. محمد سالم محيسن (135/2)].

(2) راجع ص271 في الهامش رقم5.

(3) انظر[النشر (212/2) ، فريدة الدهر (818/3)] .

(4) انظر[لسان العرب (186/15-187)].

أَجَلُ : الأجل: هو غاية الوقت في الموت، والأجل أيضاً: مـدة الشـيء ، ومنـه الآجلة، أي الآخرة .[1]

ثالثاً : التَّفسير الإجمالي للآية :

قال تعالى : **(وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ)** والتعجيل: هو تقديم الشيء قبـل وقتـه والمراد في الآية قولان : **أحدهما** : قول الإمام مجاهد: " هو قول الرجل لولده وأهله وماله إذا غضب عليهم، اللّهم لا تبارك فيه ، اللّهم الْعنـه " **(لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡ)** أيضاً قال : " لهلك من دعا عليه فأماته "[2] فيكون المعنى: لو يعجّل الله للناس الشر إذا دَعَوْا على أَنْفُسهم عند الغضب وعلى أهلِيهِم ، واستعجلوا به، كما يُعجّـل لهـم الخير؛ لهلكوا وماتوا.

والثّاني : لو يعجّل الله للكافرين العذاب على كفرهم، كما عجّل لهم خير الدنيا من المال والولد ، لعُجِّل لهم قضاء آجالهم؛ ليتعجلوا عذاب الآخرة ، فكان مشركو مكة يستعجلون رسول الله ﷺ بالعذاب الذي أنذرهم نزوله بهم، كما حكى الله عنهم من نحو قوله: ﴿ **وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُۗ** ﴾ **[الرعد :6]** **(فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا)** فنترك الذين لا يؤمنون بالآخرة **(فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ)** في تجاوزهم حدود الله **(يَعۡمَهُونَ)** أي يترددون ويتحيرون ، وقد تضمن المعنى نفي التعجيل لأنَّه لا مصلحة لهم في إيصال الشّر إليهم إذ لو أوصله إليهم، لماتوا وهلكوا ولا صلاح في إماتتهم ، فربما آمنوا بعد ذلك، أو خرج من أصلابهم من يؤمنون، أو أن يكون عدم التعجيل إمهالاً لهم، واستدراجاً.[3]

رابعاً : العلاقة التَّفسيرية بين القراءات :

1- قرأ عامّة قرّاء الحجاز، والعراق **(لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡ)** على وجه ما لم يسمّ

---

(1) انظر[لسان العرب (11-10/11)].

(2) انظر[تفسير الإمام مجاهد بن جبر(377/1-378)].

(3) انظر[جامع البيان(91/11) ، زاد المسير (319/2) ، تفسير البيضاوي 287/11) ، مدارك التنزيل (455/2)].

فاعلُه، بضم القاف من (لَقُضِيَ)، ورفع للأجل على أنه نائب فاعل والمعنى : لو يعجل الله للناس دعاء الشر أي: ما يدعون به من الشر على أنفسهم في حال ضجر وبطر استعجالهم إياه بدعاء الخير، فأضيف المصدر إلى المفعول، وحذف الفاعل كقوله (مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ) [فصلت : 49] في حذف ضميرالفاعل ، وهذا مذهب الفرّاء فقال: "وحسنت الكاف هنا (كاستِعْجَالَهُم)".[1] والتقدير: ولو يعجل الله للناس الشر استعجالاً مثل استعجالهم بالخير، لقضي أي: لفرغ من أجلهم وماتوا جميعاً . وهذا قريب من قوله تعالى : (وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَـٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِۖ وَكَانَ ٱلۡإِنسَـٰنُ عَجُولاً) [الإسراء :11]

– وقرأ عامّة أهل الشام (لَقَضَى إليْهِمْ أَجَلَهُمْ) بفتح القاف والضاد، وقلب الياء على البناء للفاعل ، والفاعل: ضمير مستتر يعود على لفظ الجلالة ، (وأَجَلَهُمْ) بالنصب على أنه مفعول به . فهنا أتى بالفعل على بناء ما سمي فاعله، وأضمر الفاعل فيه، ونصب المفعول بتعدي الفعل إليه . وردّه على قوله: (وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ) [يونس :11] فجاء الفعل مضافاً إلى الله فيهما جميعاً، ونصب (أجلَهم) بوقوع القضاء عليهم ، ودليله قوله تعالى: (ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلاًۖ) [الأنعام:2] وحجتهم أيضاً: قراءة من قرأ (لقضينا إليهم أَجَلَهم)[2] وعدى (قضى) بـ(إلى) لكونه أُريد به معنى السرعة أي: لأسرع إليهم أجلهم، والمعنى لقضى أي لأهلك من دُعي عليه وأماته.[3]

2- خالف يعقوب ابن عامر في قراءة (إِلَيْهِمْ) فقرأ: بضم الهاء، فكانت القراءة (لقَضَى إليهُم أَجَلَهم) أمَّا ابن عامر فقرأ (إِلَيْهِمْ) بالكسر، ولأنّ الضمة أثقل من

(1) انظر[معاني القرآن : الفرّاء (458/1)].

(2) ذكر هذه القراءة أبو حيان في تفسيره (129/5)

(3) انظر[الحجة : أبو علي الفارسي (257/4) ، الكشف (551/1) ، والحجة ابن خالويه ص100 ، معالم التنزيل 292/02)].

الكسرة [4] فتوحي قراءة الضم بثقل القضاء الذى كان سـيـنزل علـيهم لـو أنّ الله استجاب وعجّل للناس دعاءَهم بالشر وهذا القضاء سـيكون الإهـلاك أو المـوت، والله أعلم.

وأمّا قراءة الكسر (**إليهِم**) فلأن الكسرة تأتي لما قلّ وعُدِم. [1]

فقراءة الكسر: توحي أنّ هذا القضاء معدوم أي: لمـن يكـون؛ لأن الله سبحـانه لطيـف بعباده، فهو سبحانه لم يعد توازي الشر في هذا العالم بالخير، لطفـاً منـه ورفقاً ، وفي ذلك منَّةٌ عظيمة على عباده، فجعل الذين يستحقون الشر، لو عُجّل لهم ما استحقوه؛ لبطل النظام الذى وضع عليه العالم، وهو نظام الرفق بالعبـاد، الـذى جعله الله مستمراً غير منقطع عنهم؛ لأنه أقام عليه نظام العالم.[2]

كذلك انفرد حمزة في قراءة (**إِلَيْهُمْ**) عن باقي القراء، فقرأ (**لَقُضِيَ إِلَيْهُمْ أَجَلُهُـمْ**) بضم الهاء، في حين أنَّ باقي القراء قرأوها بالكسر، ونفس التوجيه السابق في قراءة يعقوب أرى توجيه هذه القراءة أيضاً.

خامساً : الجمع بين القراءات :

1- من قرأ (**لَقَضَى**) أتى بالفعل على بناء ما سمّى فاعله؛ لكنه أضمر الفاعل فيه، ونصب المفعول بتعدي الفعل إليه ، فلأنَّه ذكر الفاعل في بداية الآية (**لَوْ يُعَجِّلُ اللّهُ**) وحذفه في (**لَقُضِيَ**) لأنه ليس غريباً، فالسامع يتوقعه، لورود ذكره في بداية الآيـة، فُحسن إضماره وفيه من البلاغة ما فيه.[3]

أما من قرأ (**لَقُضِيَ- أجلُهم**) فقد أتى بالفعل على بناء ما لم يسمّ فاعلـه ، وأجلهـم نائب فاعل ، فأسند الفعل إلى أجلهم، وذلك للتأكيد والقوة على أنَّ الله سبحانه وتعالى أهلك الناس أو أماتهم لو استعجلوا الشر ، فتقديم ذكر المحدَّث عنه يفيد التنبيه لـه، فيدخل على القلب دخول المأنوس به، ولقبله قبول المتهيئ له، المطمئن إليه، وذلـك

---

(4) راجع ص70.

(1) راجع ص70.

(2) انظر [التحرير والتنوير (106/11)].

(3) انظر [دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني ص126].

لا محالة أشد؛ لثبوته وأنفى للشبهة، وأمنع للشك، وأدخل في التحقيق . فهنا لا تضاد بين القراءتين، فإسناد الفعل إلى ما سمي فاعله مرة، ومرة إلى مالم يسمّ فاعله ففيه من البلاغة ما فيه ، وهو نوعٌ من تلوين الأسلوب في القرآن، كما أنَّ تقديم المسند إليه يفيد التأكيد والقوة، فمرة يؤكد على الفاعل، ومرة يؤكد على الفعل فيحصل التأكيد، والقوة في المعنى،[1] والله أعلم.

6- ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآىِٕ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾ يونس

أولاً : القراءات :

1- قرأ ابن كثير (**بِقُرانٍ**) بالتسهيل ، ووقف عليها حمزة أيضاً بالتسهيل.

وقرأ الباقون (**بقُرْآنٍ**) بالهمز.[2]

2- قرأ ابن كثير وابو عمر والمدنيان(أبو جعفر ونافع) (**لِيَ أَنْ أُبَدِّلَـهُ مِـن**) (**إِنِّيَ أَخَافُ**) بفتح ياءات الإضافة .

وقرأ الباقون (**لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن**) (**إِنِّي أَخَافُ**) بالسُّكون مع المد.[3]

3- قرأ أبو عمر والمدنيان (**نَفْسِيَ إِنْ**) بفتح ياء الإضافة .

وقرأ الباقون (**نَفْسِي إِنْ**) بالسُّكون مع المد.[4]

ثانياً : المعنى اللغوي للقراءات :

---

(1) انظر [دلائل الإعجاز ص101 –103].

(2) انظر[النشر (336/1)].

(3) انظر[النشر (216/2)].

(4) انظر[المرجع السابق (216/2)].

قرأ قَرءاً وقِراءة وقَرآناً. **قُرْآن** : بالهمز بمعنى الجمع، وسُمّي قرآناً؛ لأنــه يجمــع السور ، فيضمها ، أو لأنه جمع القِصَصَ والأمر والنهي والوعدَ والوعيدَ والآيــاتِ والسورَ بعضَها إلى بعض .

والقرآن مشتق من القَرء وهو في اللغة: الجمع، وقرأت القرآن : لفظتُ به مجموعاً، إذا كان القرآن مشتقاً من قَرأْت .[1]

أما **القران بدون همز** : فهو اسم ، ولم يؤُخذ من قَرأْت ، ولكنّه اسم لكتاب الله، مثل التوراة والإنجيل.[2]

وقران مشتق من القرن ، وقرنت الشيء بالشيء وصلته ، وقارنته قراناً: صــاحبته وبمعنى الالتصاق والإتّصال.[3]

ثالثاً : التَّفسير الإجمالي للآية :

يقول الله – تعالى-: (**وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ**)أي إذا قــرىء علــى هــؤلاء المشركين آيات القرآن الكريم الذي أنزلناه إليك يا محمد بينات ظاهرات واضــحات (**قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا**) أي لا يخــافون البعــث (**ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ**) أي إئت بقرآن من نمط آخر، أو غيره (**قُلْ**) لهم يا محمد (**مَا يَكُونُ لِيٓ**) أي ما يحل لي (**أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ**) أي ليس هذا من عندي، والتبــديل الــذي سألوه فيما ذكر ، أن يحوّل آية الوعيد وعداً، وآية الوعد وعيداً ، والحلال حرامــاً والحرام حلالاً. فأمر الله نبيه أن يخبرهم بأنه ليس هذا إليه، إنما هو عبــد مــأمور ورسول مبلغ عن الله (**إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ**) أي لا أتبع إلا وحي الله من غير

---

(1) انظر[لسان العرب (157/1-162) مادة قرأ].

(2) انظر[المرجع السابق (157/1) مادة قرأ].

(3) انظر[لسان العرب (336/13) مادة قرن ، منجد الطلاب ص588 -589 مادة قرن].

تبديل ولا تحريف (﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي﴾) إني أخشى بتبديله (﴿عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾) يوم القيامة [4] ووصف بالعظم لطوله، أو لكثرة شدائده أو للمجموع.[5]

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

1- قرأ ابن كثير وحمزة (بقُرَان) بتسهيل الهمزة ونقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها على أنه مشتق من قرن وقرنت الشيء بالشيء أي شدّه به ، وقرن من الاقتران بمعنى اتصل والتصق به.[1]

وقرأ الباقون (بِقُرۡآنٍ) بالهمز، على أنَّه وصف من القَرْء بمعنى الجمع [2] لأنه جمع السور بعضها إلى بعض، أو أنه مشتق من القرائن ؛ لأن الآيات منه يصدق بعضها بعضاً، ويشابه بعضها بعضاً، وهي قرائن. كذا نقل السيوطي عن الفرّاء.[3]

ونقل السيوطي أيضاً: "أنَّه مصدر لقرأت، كالرجحان والغُفران ، سمى به الكتاب المقروء ، من باب تسمية المفعول بالمصدر".[4]

خامساً : الجمع بين القراءتين :

مَنْ قرأ بالتخفيف وتسهيل الهمزة، فهو من القرن: وسمي القرآن بذلك لقران السور والآيات و الحروف فيه.[5] ومن قرأ بالهمز: فهو إمَا من القرائن مشتق أو من القرء، وهو بمعنى: أنَّ الآيات منه يصدق بعضها بعضاً، ويشابه بعضها بعضاً، لذلك لا تضاد. فالقرآن كتاب مقروء، مجموعةٌ آياته بين دفتي الكتاب، مضمومةٌ السور والآيات والحروف فيه، أحدهما إلى الآخر، وجميعها يصدق بعضها بعضاً .

---

(4) انظر[جامع البيان (11/94-95) ، تفسير القرآن العظيم (11/410)].

(5) انظر[البحر المحيط (5/132)].

(1) انظر [منجد الطلاب ص588 -589 ، مناهل العرفان في علوم القرآن (1/13)].

(2) انظر [مناهل العرفان (1/3) ، المفردات في غريب القرآن ص402].

(3) انظر[الاتقان (1/162)].

(4) الاتقان (1/162).

(5) انظر[المرجع السابق نفس الصفحة].

2- قرأ ابن كثير وأبو عمر والمدنيان (لِيَ أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن) و(إِنِّيَ أَخَافُ) بفتح ياءات الإضافة ، وقرأ الباقون **(لِي~ أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن) (إِنِّي~ أَخَافُ)** بالسكون مع المد .

يتبين لنا: أن رواية إسكان ياء الإضافة مع المد إنما جاءت للغة فصيحة نـزل بها الوحي ، وهي اختصارمقطعين قصيرين في مقطع طويل مفتوح، تحولت فيه ياءالمتكلم من حرف علة يحمل حركة إلى صائت [(1)] طويل، انسجاماً مع الكسرة قبلها، وقُدّر لهذا الصائت البقاء حيث وقع قبل متحرك ، فكانت قراءة السكون (لي~ أن) ، (إني~ أخاف) أخذ مُدّةَ مدِّهِ مُدَّة المدِّ المنفصل .أما قراءة الفتح (ليَ أن)، (إني أخاف) فكانت الياء بدون مد، فقد أثرت الكسرة القصيرة على الياء المعتلة -شبه الصامت- فجعلتها مثلها -امتداداً لها في المدى الزمنى- وأصبحت كلتاهما كسرة طويلة ، أو صائتاً طويلاً ، ومعلوم أنَّ الحركة القصيرة نصف الحركة الطويلة، وقد أحس بهذا ابن جنّي[(2)]: حيث يقول : " فإذا ثبت أن هذه الحركات أبعاض الحروف ومن جنسها .." ويقول : " الحركة حرف صغير." [(3)] مما سبق نرى أنَّ هذا الموضع، ممكن اعتباره شاهداً على المماثلة التقدمية بين صائتين [(4)] والفتح والإسكان في ياءات الإضافة من التغييرات الصوتية، وذلك أن المقاطع الصوتية

---

(1) الصائت حروف اللين ، وهي أصوات هوائية ليس لها مخرج إنما هي هواء يخرج من الفم بدون عائق، انظر [الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس ص27 – الناشر مكتبه الأنجلو المصرية ط5 1979].

(2) سبقت له ترجمة ص17.

(3) الخصائص : ابن جني (315/2) باب مضارعة الحروف للحركات ، والحركات للحروف – والمراد من الباب – صياغة ابن جنيّ للمصطلح الصوتي : الياء الصغيرة الكسرة والياء الكبيرة – والواو والفتحة أيضاً.

(4) المماثلة هي التأثير بالانسجام الصوتي بين أصوات اللغة ، فالأصوات في تأثرها تهدف إلى نوع من المشابهة والمماثلة بينها ، وذلك ليزداد مع مجاورتها قربها من الصفات أو المخارج ، والمماثلة نوعان : إمّا تقدمية أو رجعية. فالأول تأثر الصوت الثاني بالأول أي السابق إلى اللاحق ، والثاني تأثر الصوت الأول بالثاني انظر[الأصوات اللغوية : د. إبراهيم أنيس ص178 -182] ومثال على المماثلة التقدمية : قلب تاء االافتعال دالاً بعد الزاي نحو "ازدجر" التى أصلها " ازتجر. " فجهرت التاء تحت تأثير الزاي المجهورة، فتحولت إلى مقابلها المجهور وهو الدال ، ومثال على الرجعية : تحويل فاء الافتعال إذا كانت واواً إلى تاء مثل اتّعد من وعد انظر[دراسة الصوت اللغوي د. أحمد مختار عمر (ص324-325) عالم الكتب –القاهرة ط2 -1981].

نوعان : متحرك وساكن ، فالمقطع المتحرك هو الذي ينتهى بصوت ليِّن قصـــير أو طويل ، أمّا المقطع الساكن: فهو الذي ينتهي بصوت مغلق[5] أيضاً هو شاهد علـــى فتح ياء المتكلم وسر جواز العدول عنه.[6]

الجمع بين القراءتين:

أجد أنَّ قراءة (ليَ أن) بدون مد، أي: من طبيعتي ومبدئي أني أخاف الله فلن أبدِّلـــه ولا لمرّة واحدة، أما قراءة المد (لي~ أن) أي: أنني أخاف الله طوال حياتي وبـــذلك لن أبدّله أبداً، والله أعلم.

7- ﴿ قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرًا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦ ﴾ يونس

أولاً : القراءات:

1- قرأ ابن كثير بخُلْف عن البزي (وَلأَدْرَاكُمْ) بحذف الألف التى بعد اللام فتصـــير لام توكيد .

2- وقرأ الباقون ، وهو الوجه الثاني للبزي (وَلَآ أَدۡرَىٰكُم) بإثبات الألف، على أنها (لا) النافية.[1]

ثانياً : المعنى اللّغوي للقراءات:

دري : دَرَي الشىء دَرْياً ودِرْياً ودِرايةَ أي عَلِمهُ وأداره به : أي أَعْلَمه [2]

---

(5) انظر[الأصوات اللغوية – إبراهيم أنيس ص160].

(6) انظر [التوجية اللغوي : د. صبري ص46- 47].

(1) انظر[النشر (212/2) تحبير التيسير ص134].

(2) انظر [لسان العرب (254/14) مادة دري ، منجد الطلاب ص197 مادة دَرِىَ].

ثالثاً : التَّفسير الإجمالي للآية :

هذه الآية بمثابة حجة على الكفار؛ لإثبات صحة ما جاءهم به النبـــي ﷺ وأنَّ هــذا القرآن العظيم هو من عنـــد الله **(قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦ)** أي إنَّ الأمر كله بمشيئة الله، فلو شاء الله عدم تلاوتي له عليكم ، بأن لم ينزله علَيّ، ولم يأمرني بتلاوته لفعل **(وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦ)** أي: ولا أعلمكم به **(فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرًا مِّن قَبۡلِهِۦٓ)** يقول: فقد مكثت فيكم أربعين سنة من قبل أن أتلوه عليكم أي: مـــن قبل نزول القرآن الكريم **(أَفَلَا تَعۡقِلُونَ)** [2] يقول الألوسي : " أي ألا تلاحظـــون ذلك فلا تعقلون امتناع صدوره عن مثلي ووجوب كونه منزلاً من عند الله العزيـــز الحكيم فإن ذلك غير خاف على من له عقل سليم وذهن مستقيم، بل لعمري أن مـــن كان له أدنى مسكة من عقل، إذا تأمل في أمره ﷺ وأنه نشأ فيها بينهم هـــذا الـــدهر الطويل من غير مصاحبة العلماء ...ولا مخالطة للبلغاء ... لا يبقى عنده اشتباه في أنه وحي نزل من عند الله جل جلاله".[3]

رابعاً : العلاقة التَّفسيرية بين القراءات :

- روى قنبل بطرق عن ابن كثير بحذف الألف التى بعد اللام **(ولأدْرَاكُم)** وروى العراقيون و المغاربة والمصريون قاطبة عن البزي **(ولا أدراكم)** بإثبـــات الألف ، وبذلك قرأ باقى العشرة[4]. وحجة من قرأ بألف أنه عطفه على **(مَا تَلَوْتُـــهُ**

---

(1) انظر [جامع البيان (95/11) ، والتَّفسير العظيم (410/2) ، والمقتطف من عيون التفاسير (458/2)].

(2) روح المعاني (82/11).

(3) انظر [النشر (212/2)].

) فأتى بالفعل رباعياً على معنى : ولَوْ شَاء اللّهُ ما أعلمكم به ، فعطف نفياً على نفي[5] وإثبات الألف هنا على أنها (لا) النافية .

والتَّفسير على هذه القراءة : قُل لَّوْ شَاء اللّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ، وَلاَ يعلمكم الله به أي: ما أرسلني إليكم فتلوت عليكم القرآن ، ولا أعلمكم الله ولا أخبركم به.[5]

وحجة من قرأ بدون ألف: أنَّه على تقدير أنَّ اللام في **(ولأدراكم)** جواب (لو) المضمرة ؛ لأنَّ التقدير ، لو شاء الله ما تلوته عليكم ، ولو شاء الله لأدراكم به، أي: لأعلمكم به قبل إتياني إليكم، فيكون المعنى على هذا: أنَّ الفعل غير منفي[1] فيكون معنى الآية على هذه القراءة : لو شاء الله لأعلمكم به من غير أن أتلوه عليكم [2] أي: من غير طريقي، وعلى لسان غيري؛ ولكنه يمنّ على من يشاء من عباده، فخصنى بهذه الكرامة، ورآني لها أهلاً دون الناس. [3]

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين أرى المعنى: أنَّ الله –عز وجل – يأمر رسوله بأنْ يقول للكفار: لو شاء الله ما تلوت عليكم هذا القرآن، ولا علمتم به مطلقاً لا مني ولا من غيري ، ولو شاء، لأعلمكم به غيري.[4]

8- ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ **يونس**

أولاً: القراءات:

1- أ- قرأ أبو جعفر **(أتنبون)** بحذف الهمزة، وضم ما قبلها. [5]

---

(4) انظر[الكشف (514/1)].
(5) انظر[جامع البيان (626/8) ، والبحر المحيط (132/5)].
(1) انظر[النشر 212/2) ، والكشف (514/1)].
(2) انظر[الجامع لأحكام القرآن (626/8)].
(3) انظر[البحر المحيط (132/5)].
(4) انظر[القراءات وأثرها في التَّفسير والأحكام ق1 (573/2)].
(5) انظر[النشر (308/1)].

وكذلك وقف عليها حمزة ، وله التسهيل أيضاً.[6]

ب_ وقرأ الباقون (**أَتُنَبِّئُونَ**) بالهمز.

2- أ- قرأ حمزة والكسائي وخلف (**عَمَّا تشْرِكُونَ**)، بالخطاب.

ب_ وقرأ الباقون (**عما يشركون**) بالغيب.[7]

ثانياً : المعنى اللغوي للقراءات:

1- أَتُنَبِّئُونَ: مشتق من نبأ،والنَّبأ الخبر،والجمع أنباء،فتكون أتنبئون بمعنى: أتخبرون.[1]

أَتنبون: مشتق من نبب أونب ونبّ التيس ينبُّ نَباً ونبيباً ونُباباً[2]ونبّ عتوده أي:تكبّر وتعاظم ونبنب: صاح عند الهياج[3]والمعنى:أتصيحون،والنب الصوت المرتفع.[4]

2- يشرك: مضارع الفعل أشرك ، وأشرك بالله أي: جعل له شريكاً في ملكه تعالى الله عن ذلك. والاسم، الشّرْك، والشّركُ: أن يجعل لله شريكاً في ربُوبيته - تعالى الله عن الشركاء والأنداد - والشّرك، كالشّريك.[5]

ثالثاً : التَّفسير الإجمالي للآية :

(**وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ**) بيان لقبائح المشركين، فالضمير في (**وَيَعۡبُدُونَ**) عائد على كفار قريش، الذين تقدمت محاورتهم، فهم يعبدون الأصنام التى هي جمادات لا تقدر دفع ضرر عنهم، فهى لا تضرهم إن لم يعبدوه (**وَلَا يَنفَعُهُمۡ**) إن عبدوه (**وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ**) وهذا منطق المشركين، وفلسفتهم في الشرك ، فهم يؤمنون بوجود الله الذى لا ينكره عاقل

---

(6) انظر[المرجع السابق (345/1) (339/1)].

(7) انظر[النشر (212/2)].

(1) انظر[لسان العرب (194/1- 198) مادة نبأ].

(2) انظر[المرجع السابق (878/1 - 879) مادة نبب] .

(3) انظر[القاموس المحيط (ص174) مادة نبَّ] .

(4) انظر[بصائر التمييز (15/5)] .

(5) انظر[لسان العرب (448/10-449) مادة شرك].

أصلاً؛ ولكنهم يشركون بعبادته الأصنام، رجاء شفاعتها عند الله (قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ) أي: قل لهم يا محمد، أتخبرون الله تعالى بشريك أو شفيع كائن في السموات والأرض لا يعلمه الله – عز وجل – وهو علاّم الغيوب، قد أحاط علمه بجميع الكائنات والمخلوقات ؟ والاستفهام على سبيل التهكم بما ادّعوه من المحال، ثم نزّه نفسه الكريمة عن شركهم وكفرهم فقال : (سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ) أي تنزه الله – سبحانه و تعالى– عمّا يقوله هؤلاء المشركون، وعمّا يفعلونه من إشراكهم في عبادة ما لا يضر ولا ينفع.[1]

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى:

1- قرأ القراء ما عدا أبي جعفر (أَتُنَبِّئُونَ) بالهمزة من نبأ ينبىء من الإنباء أي: الإعلام أو الإخبار، والمعنى: أتخبرون الله أنَّ له شركاء في ملكه، يُعبدون كما يعبد، أو أتخبرونه أنَّ لكم شفعاء بغير إذنه، وهو استفهام للإنكار والتوبيخ؛ لأنَّ الله لا يعلم له شريكاً ولا شفيعاً بغير إذنه في ملكوته، وأيضاً عدم وجود الشريك والشفيع لذلك نزّه الله سبحانه نفسه عن إشراكهم.

وقرأ جعفر (أتنبون) بدون همز، وهو من النبّ أي الصياح والصوت المرتفع والكبر والتعاظم، فكان هذا الاستفهام مع ما يحمل من إنكار وتوبيخ للمشركين وأقوالهم أيضاً يصف حال المشركين وهم يقولون قولتهم الشنيعة هذه، فكأنّهم حيوانات ينطقون بما لا يعقلون؛ لأن النبّ يُقال للتيس عند الهياج، والله أعلم.

خامساً : الجمع بين القراءتين:

نجد أنَّ قراءة الهمز: استفهام للإنكار والتوبيخ، وقراءة عدم الهمز فيها استهزاء بهم أكثر، ووصف لحالهم وهم يقولون قولهم الشنيع، فكانت صورة الاستهزاء أكثر في هذه القراءة و الله أعلم.

(1) انظر[جامع البيان (98/11) ، البحر المحيط (134/5) ، صفوة التفاسير (576/1)].

القراءة الثانية:

2- قرأ حمزة والكسائي وخلف (**عَمَّا تشْرِكُونَ**) بالتاء على الخطاب، فحجة مَــنْ قرأ بالتاء: أنّه ردّه على ما قبله من لفظ الخطاب في قوله (**أَتُنَبِّئُونَ اللّهَ**) فحمل آخر الكلام على أوله في الخطاب [2]، فيكون المعنى : قل لهم يا محمد: تعالى الله عمــا يشركون، يا كفرة [3]

وقرأ الباقون (**عَمَّا يُشْرِكُونَ**) بالياء على الغيب، وهو خبر. وحجّتهم قوله تعــالى: (**وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ**) ولم يقل: وتعبــدون مــالا يضركم، فلذلك جاء الإخبار في قوله (**عَمَّا يُشْرِكُونَ**) فمن قــرأ باليــاء، احتمــل وجهين:

أحدهما: على (قلْ) ، كأنه قيل له أي للرسول ﷺ قل أنــت :(**سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ**).**والوجه الآخر** : على أنه يكون هو سبحانه نزّه نفسه عما افتَرَوْه فقال: (**سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ**) [1]

الجمع بين القراءتين :

أرى أنّ من قرأ بالياء فهو خبر، ونوع من الالتفات من الخطاب إلى الغيبــة، وقــد سبق ذكر فائدة الالتفات. [2] أمّا من قرأ بالتاء، فهو مخاطبة ، وهذا نوع من تلــوين الأسلوب، مما يعطى جمالاً ورونقاً في أسلوب القرآن الكريم، والله أعلم.

9- ﴿ **وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ** ﴿٢١﴾ ﴾ **يونس**

---

(2) انظر[الحجة : ابن زنجلة ص329 ، والكشف (515/1)].

(3) انظر[الحجة : ابن خالويه ص101 ، وإعراب القراءات السبع : ابن خالويه (265/1)].

(1) انظر[الكشف (515/1) ، الحجة ابن زنجلة ص329 ، وانظر الحجة : أبو علي الفارسي (264/4)] .

(2) راجع ص271.

أولاً : القراءات :

1. قرأ رَوح (**يمْكُرُونَ**) بالغيب .

2. وقرأ الباقون (**تَمْكُرُونَ**) بالخطاب.(3)

ثانياً : المعنى اللغوي للقراءات :

المكر : الاحتيال في خُفية ، والمكر : الخديعة والاحتيال ، مَكَرَ يَمْكُر مكراً مَكَرَ به.

ومكــر الله : إيقاع بلائه بأعدائه دون أوليائه ، وقيل: هو استدراج العبد بالطاعات، فيتوهم أنّها مقبولة، وهي مردودة.(1)

ثالثاً : المعنى الإجمالي :

بعد أن ردّ الله – تعالى– على المشركين الطّالبين إنزال آية كونية غير القرآن، بأنّ هذا من الغيب المستأثِر به الله – تعالى – ذكر أنّ المشركين، لا يقنعــون بالآيـــات حتى ولَو رأوها بأعينهم؛ لأنّ من عادتهم المكر والجحود . قال تعالى : (**وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ**) أي الكافرين(2) (**رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ**) كالمطر بعد القحط، والأمن بعد الخوف، والصحة بعد المرض، ونحو هذا مما لا ينحصر.

وهــذه الآيـــة تتنـــاول أيضاً المنافقين، وتتناول من العاصين من لا يؤدي شكر الله تعالى بعد زوال المكروه عنه، ولا يرتدع بذلك عن معاصـــيه (3) (**إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ**) والمكر الجحود بها والرَّد لها (4)، وقال مجاهــد: " اســتهزاءٌ بالرســل، وتكذيبٌ بالقرآن" (5) (**إِذَا لَهُم مَّكْرٌ**) جواب (**إِذَا**) الأولى فـــإذا جــواب إذا تقــديره

---

(3) انظر[النشر (212/2)].

(1) انظر[لسان العرب (183/5-184) مادة مكر].

(2) انظر[معاني القرآن : الزجاج (12/3)].

(3) انظر[المحرر الوجيز (112/3)].

(4) انظر[مجاز القرآن : أبو عبيدة (276/1)] .

(5) تفسير الإمام مجاهد (380/1).

مكروا ومعناه استهزءوا وكذبوا [6] ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًا﴾ يقول ابن كثير : " أي أشد استدراجاً وإمهالاً حتى يظن الظان من المجرمين، أنَّه ليس بمعذب، وإنما هو في مهلة ثم يؤخذ على غرَّة منه، والكاتبون الكرام يكتبون عليه جميع ما يفعله، ويحصون عليه ثم يعرضونه على عالم الغيب والشهادة، فيجازيه على الجليل والحقير ".[7]

رابعاً : العلاقة التَّفسيرية بين القراءات :

- قرأ روح (يمكُرُونَ) بالياء على الغيب جرياً على ما قبله في الآية : في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ ٢١ ﴾ يونس

- وقرأ الباقون (تَمۡكُرُونَ) بالتاء على الخطاب، وذلك من الالتفاف من الغيبة إلى الخطاب ، وذلك مبالغة في الإعلام بمكرهم ، والتفاتاً لقوله تعالى ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ فكان التقدير، (قل لهم) فناسب الخطاب.

وهذا إن كانت الجملة في حيِّز القول، ويكون (رُسُلَنَا) تحتاج إلى إضافة، فتكون (رسل ربنا). أمّا إن كانت الجملة لم تدخل في حيِّز القول، فتكون قراءة (تَمۡكُرُونَ)تعليلاً للأسرعيه، أو الأمر المذكور، فيكون التقدير ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًا﴾؛ لأنَّ رسلنا أو فرسلنا، يكتبون ما تمكرون.[1]

خامساً : الجمع بين القراءتين :

قراءة (يَمۡكُرُون) على الغيب وقراءة (تَمۡكُرُون) على الخطاب فيها التفات من الغيب إلى الخطاب، وهذا من أساليب القرآن الجميلة العجيبة، ومع ذلك يفيد أيضاً

---

(6) انظر[مشكل إعراب القرآن : مكي أبو طالب (341/1)].
(7) التَّفسير العظيم: ابن كثير (412/2).
(1) انظر[روح المعاني (90/11) ، وحاشية الشهاب (29/5)].

المبالغة في الإعلام بمكرهم، وصيغة الاستقبال في الفعلين؛ للدلالة على الاستمرار والتجدد.(2)

10- ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ يونس

أولاً: القراءات:

1- قرأ أبو جعفر وابن عامر (**يَنْشُرُكُم**) بفتح الياء ونون ساكنة بعدها وشين معجمة مضمومة، من النشر، وكذلك هي في مصاحف أهل الشام، وغيرها .

2- وقرأ الباقون (**يُسَيِّرُكُمْ**) بضم الياء، وسين مهملة مفتوحة بعدها ياء مكسورة مشددة من التسيير، وكذلك هي في مصاحفهم .(1)

ثانياً : المعنى اللغوي للقراءات :

يَنْشُرُكُم : من النَّشر، وهو الريح الطيبَّة، والنشر خلاف الطيِّ ، كالتنشير والتّفريق.(2)

يُسَيِّرُكُمْ : من السَّيْر أي الذهاب ، سار يسيرُ سيراً ومَسِيراً وتسياراً ومسيرة، وسار القوم يسيرون سَيْراً ومسيراً، إذا امتدَّ بهم السَّير في جهة توجهوا لها ، والسير بالنهار وبالليل .(3)

ثالثاً : المعنى الإجمالي للآية :

---

(2) انظر[روح المعاني (90/11)].

(1) انظر[النشر (212/2)].

(2) انظر[القاموس المحيط ص620 مادة نشر].

(3) انظر[لسان العرب (389/4) مادة سير].

يقول تعالى : (هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمۡ فِى ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ) أي: هو تعالى بقدرته الذي يحملكم في البرّ على الدواب، وفي البحر على السُّفن التى تسير فوق سطح الماء (حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِى ٱلۡفُلۡكِ) وهي السفن (وَجَرَيۡنَ بِهِم) أي جرت السفن بالناس، وهو أسلوب التفات من الخطاب إلى الغيبة للمبالغة، وذلك لتعجبه من حالهم وإنكاره عليهم (بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ) في البحر (وَفَرِحُواْ بِهَا) بتلك الريح لطيبها (جَآءَتۡهَا) فأجاءتها (رِيحٌ عَاصِفٌ) عصفت ريح شديدة عليهم أو باتجاههم (وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ) وجاءهم الموج، وهو ما ارتفع من الماء من كل مكان من البحر (وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ) أيقنوا بأنهم دنوا من الهلاك (دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ) تركوا الشرك، وأخلصوا لله الربوبية وقالوا: (لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ) الأهوال وهذه الريح العاصفة (لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ) الطَّائعين الموِّحدين وورد كلمة (ٱلشَّٰكِرِينَ) بصيغة اسم الفاعل للمبالغة والدِّلالة على الاستمرار في الشكر، والثبوت عليه .[1]

رابعاً : العلاقة التَّفسيرية بين القراءات :

- قرأ أبو جعفر وابن عامر (يَنْشُرُكُم) بفتح الياء، وإسكان النون، وضم الشين، من النشر وهو التفريق الذي هو خلاف الطّي ومن البث .

وحجّتهم أنّها في المعنى مثل قوله تعالى: (وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗ) [النساء:1] ، وقوله أيضاً : (وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖ) [الشورى : 29] وقوله تعالى : (فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ) [الجمعة :10] فالبثّ

(1) انظر[جامع البيان (100/11) ، المحرر الوجيز (494/1)، المقتطف من عيون التفاسير (462/2)].

تفريق ونشر في المعنى ، فيكون معنى النشر في البحر : أي ينشرهم سبحانه في البحر ، فيُنجي من يشاء ويُغرق من يشاء ، وأيضاً المعنى : هو الذي يبثكم ويفرقكم في البر والبحر .

- وقرأ الباقون (يُسَيِّرُكُمْ) بضم الياء، وفتح السين، من السير أي: يجعلكم تسيرون، وحجتهم في المعنى قوله تعالى : (قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ) [الأنعام : 11، النمل : 69 ، العنكبوت : 20 ، الروم :42].

ومعنى تسييرهم في البر أنهم يمشون على أقدامهم التى خلقها لهم؛ لينتفعوا بها ، ويركبون ما خلقه الله لركوبهم من الدواب ، ومعنى تسييرهم في البحر، أنه ألهمهم لعمل السفائن التى يركبون فيها في البحر ، ويسّر ذلك لهم ، ودفع عنهم أسباب الهلاك . والمعنى العام: يحفظكم إذا سافرتم .(2)

خامساً : الجمع بين القراءتين :

الله – سبحانه وتعالى- يبعث عباده، فيبسطهم من النشر، نشر الثوب بسطه ، براً وبحراً ثم ييسّر لهم، ويدفع عنهم أسباب الهلاك، فالله يحفظهم في السفر براً وبحراً . وإسناد التسيير إلى الله، بإعتبار أنه سببه ، و (حتى) هنا ابتدائية، وهي غاية للتسيير فمجيء الريح العاصفة هو غاية التسيير الهنيء المنعم به، إذ حينئذ ينقلب التسيير كارثة ومصيبة.(1)

11- ﴿ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ يونس

(2) انظر[الحجة : أبو علي الفارسي (4/265-266) ، الحجة : ابن زنجلة ص329 ، الكشف (516/1) ، فتح القدير (543/02].

(1) انظر[التحرير والتنوير (543/11)].

أولاً : القراءات :

1- قرأ حفص (**متَاعَ**) بنصب العين .

2- وقرأ الباقون (**متَاعُ**) برفع العين .[2]

ثانياً : المعنى اللغوي للقراءات :

مَّتَاعَ : مصدر متع ، وهو ماتع والماتع من كل شيء : البالغ في الجودة الغاية في بابه ، و قد نقل ابن منظور عن الأزهري قوله: "فأمّا المتاعُ في الأصل فكل شيء ينتفع به، ويُتبلّغُ به، ويُتزوَّدُ والفناء يأتى عليه في الدنيا".[3]

ثالثاً : المعنى الإجمالي للآية :

قوله تعالى (**فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ**) أي خلَّصهم، وأنقذهم من الغرق والهلاك (**إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ**) أي يعملون في الأرض بالفساد والمعاصي ، فالبغي هو الفساد والشر (**بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ**) أي: بالتكذيب، منهم أخلفوا الله ما وعدوه ، (**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم**) أي: إنّما يذوق وبال هذا البغي أنتم أنفسكم، ولا تضرون به أحداً غيركم (**مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا**) أي: إنمّا بغيكم على أنفسكم متاعاً لكم في الحياة الدنيا (**ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ**) مصيركم بعد الموت (**فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ**) نخبركم يوم القيامة بجميع أعمالكم ونجازيكم بها.[1]

وخلاصة المعنى: أنَّ الله اختبر بني آدم بالتكاليف في الدنيا التى هى دار العمل ، فمن عمل صالحاً فلنفسه، ومن أساء فعليها، ولكن هناك فريق من الناس، يبغون في الأرض الفساد مقابل ثمن بخس، يتمتعون به في الدنيا ، هؤلاء عندما يُرَدون إلى الله تعالى يوم القيامة، سيخبرهم بما كانوا يعملون .

---

(2) انظر[النشر (212/2)].

(3) لسان العرب (328/8-329) مادة متع.

(1) انظر[جامع البيان (101/11) ، الجامع لأحكام القرآن (631/8) ، الأساس في التَّفسير (2442/5)].

رابعاً : العلاقة التَّفسيرية بين القراءات :

هذه الآية تعتبر مثالاً في التطبيق على القواعد التحويلية التوليديـــة، حيـــث تتحـــول الكلمة في التركيب النحوي من موقع إلى موقع آخر ، وتتبوأ وظيفة بعـــد أخـــرى، فيتولد من ذلك النظم، لطائف معاني النحو بين الكلم .

قرأ حفص(**مَتَاعَ**) بنصب العين، ولسوف تتبوأ الكلمة هذه الوظـــائف مولـــدة هـــذه المعاني.[2]

1- مفعول له ، والعامل هو المصدر (البغي) والبغي هوالترامي إلى الفساد أو العمل بالظلم [3]، والبغي هو الطلب [4]، وهنا الطلب المذموم، وهو الذي نهى عنه رسول الله ﷺ حيث يقول: (لا تبغ ولا تكن باغياً فإن الله يقول : (إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ) [يونس :23][1] والمعنى على هذا الوجه: إنّما بغيُ بعضكم على بعض، لأجل متاعِ الحياة الدنيا و(عَلَى) متعلقة بـــ (البغي) في صلته، وخبر البغي محذوف، تقديره (إنَّما بغي بعضكم على بعض) لأجل طلب الدنيا مذموم أو مكروه.

2- مفعول به وناصبه (**بَغْيُكُم**) على تأويل إنمّا طلبكم (**بَغْيُكُم**) على أنفسكم متـــاع الدنيا.

3- مفعول به بعد فعل محذوف مناسب، والتقدير : إنمّا بغيكم على أنفسكم ، تبغون متاع الحياة الدنيا، ودلّ (**بَغْيُكُم**) على (**تبغون**) المحذوف.

4- مصدر مؤكد لعامله، أو مفعول مطلق مؤكد، والتقدير : إنمّا بغيكم على أنفسكم تتمتعون متاع الحياة الدنيا، فيكون (على أنفسكم) خبراً للبغي، غير داخل في صـــلة البغي.

5- مصدر في موضع الحال، وفي هذا يقول ابن مالك [2]:

---

(2) انظر[التّوجية اللغوي : د. صبري ص228-229].

(3) انظر[معاني القرآن : الزّجاج (14/3) ، معاني القرآن : النّحاس (479/1)].

(4) انظر[المصباح المنير ص39].

(1) هذا الحديث عن أبي بكرة – رضى الله عنه- ذكره الحاكم النيسابوري في كتابه المستدرك على الصحيحين (369/2) -27 كتاب التَّفسير/ : باب تفسير سورة يونس رقم 3298 وقال عنه : "هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه" .

(2) هو محمد بن عبد الله بن مالك أبو عبد الله الأندلسي الإمام النحوي ولد بجيان سنة 598هـــ وقيل 600هـــ وتوفي بدمشق سنة 672هـــ انظر[غاية النهاية (180/2) ترجمة (3163)].

ومصدرٌ منكرٌ حالاً يقع   بكثرةٍ كــ(بغتةِ) زيد طلع [3]

والتقدير : إنمّا يبغي بعضكم على بعض، متمتعين متاع الحياة الدنيا.

6- مصدر نائب عن ظرف الزمان ، وفي هذا يقول ابن مالك :

وقد ينوب عن مكان مصدر   وذاك في ظرف الزمان يكثر [4]

والتقدير: إنما بغيكم على أنفسكم، وقت متاع الحياة الدنيا ومن ذلك : آتيــك طلــوعُ الشمس، وقدوم الحاج أي: وقت الطلوع ، ووقت القدوم، أو تقــدير الحــذف، مــدة الحياة .

7- منصوب بنزع الخافض، والتقدير لمتاع الدنيا.[5]

وقرأ الباقون **(مَتَاعُ)** وهي قراءة واضحة الإعراب ، والجماعــة عليهــا، والموقــع الإعرابي خبر على أي حال:

1- خبر لــ**(بَغۡيُكُم)** على أساس اتصال الجملة ، (و**بَغۡيُكُم**) مبتدأ و**(عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم)** مفعول معنى فعل البَغْي والمعنى: بَغْيُ بعضكم على بعض، منفعةُ الحيــاة الدنيــا ولا بقاء لها.

2- خبر لمبتدأ محذوف على أساس الاستئناف فيكون **(بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم)** قد تــمَّ الوقف عليه ثم نبتدئ : **(مَتَاعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا)** على تقدير: هو متاع الحياة الدنيا.

فالتقدير : بغي بعضكم، وباله واقع على بعض ، ذلك هو متاع الحياة الدنيا ، ويجوز أن يكون خبراً**(عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم)** ونضمر مبتدأ أي ذلك متاع الحياة الدنيا.[1]

خامساً : الجمع بين القراءتين :

تبين أنّ الكلمة في التركيب النحوي تتحول من موقع إلى موقع آخر، ويتولد نتيجــة ذلك معاني النحو بين الكلم، فهذا الموضع شاهد على القواعد التحويليــة التوليديــة، حيث إنّ الكلمة تحتمل أكثر من معنى وأكثر من إعراب، فكانت القراءات سبباً فــي

---

(3) انظر[متن الألفية للعلامة الهمام جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن مالك الأندلسي ص26 – المطبعة الخيرية : مالكها السيد عمر حسن القاهرة – مصر – ط سنة1319 هــ (وحيث يأتى ذكره ، سأكتفى بقولى متن الألفية)].

(4) انظر[متن الألفية ص24].

(5) انظر[الكشف (516/1) ، والحجة أبو علي الفارسي (267/4) ، الفريد في إعراب القرآن المجيد (548/2) ، الجامع لأحكام القرآن (631/4)].

(1) انظر[معاني القرآن : الزجاج (114/3) ، إعراب القراءات السبع : ابن خالويه (266/1) ،الحجة : ابن زنجلة ص330 ، الجامع لأحكام القرآن (631/8)].

اختلاف النحاة في توجيه الآية القرآنية من حيث إعرابها وهذا الأسلوب أسلوب الإعجاز في القرآن[2] والإيجاز، فنجد ملاءمة دقيقة بين وجازة الكلام وبين فزعهم المستخف وقلوبهم المستطارة ، ففي هذا الإيجاز، تلخيص لِما في داخلهم من الضغائن والأحقاد، لكل من يحيطون بهم.[3]

12- ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧ ﴾ **يونس**

أولاً : القراءات :

1- قرأ ابن كثير ويعقوب والكسائي (**قِطْعًا**) بإسكان الطاء.

2- وقرأ الباقون (**قِطَعًا**) بفتح الطاء .[1]

ثانياً : المعنى اللغوي للقراءات :

قِطْعًا : إذا أُسكنت الطاء فمعناه " بعضاً من الليل " ، والجمع أقطاع من الليل أي ساعات من اللّيل.[2] وهو أيضاً اسم ما قطع يقال : قَطعَهُ قَطْعاً .

قِطَعًا : بفتح الطاء جمع قِطَعَةً ، واسم ما قطعت قطع [3] وقال عامة الناس : قِطَعًا يريدون به جماعة (القِطْعَة).[4]

ثالثاً : التَّفسير الإجمالي للآية :

أخبر الله– تعالى – في الآية التى تسبق هذه الآية عن حال السّعداء الذين يُضَاعف لهم الحسنات، ويزدادون على ذلك، ثم عطف على ذلك بذكر حال الأشقياء في هذه

---

(2) انظر[التوجيه اللغوي والبلاغي: د. صبري ص 229] .

(3) انظر[الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لترا ث أهل العلم : د . محمد محمد أبو موسى ص93 – مكتبة وهبه الجمهورية – عابدين المحرم 1405 هـ سبتمبر 1984 م].

(1) انظر[النشر (212/2)] .

(2) انظر[مجاز القرآن (278/1)].

(3) انظر[معاني القرآن النحاس (481/1)].

(4) انظر[معاني القرآن : الأخفش (568/2)].

الآية، فقال تعالى : (وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ) أي عملوا الشرك وعملوا السيئات في الدنيا ، (جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ) أي فلهم جزاء سيئة (بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ) يصيبهم ويعتـــريهم ذلّ، وخزيٌ، وهوان بعقاب الله لهم (مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ) من مـــانع يمـــنعهم (كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ) ألبست (وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا) طائفة (مِّنَ ٱلَّيۡلِ) وهــو مظلــم (أُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ) أي: هؤلاء الموصوفون بما ذكــر مــن الصـــفات الذميمة، هم أهل النار، لا يخرجون منها أبداً.(5)

رابعاً : العلاقة التَّفسيرية بين القراءات :

قرأ ابن كثير ويعقوب والكسائي (قِطْعًا) بإسكان الطاء، والقطع: ظلمة آخر الليل، أو طائفة من الليل ، وهوأيضاً اسم للشيء المقطوع، والقطْع: اسم للجزء من زمن الليل المظلم ، قال تعالى (فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ) [هود :81] وهذا يراد به الجزء من زمان الليل، وفي هذه الآية، الجزء من سواده.(1)

(ومُظْلِمًا) على هذه القراءة يَحتمل نصبه وجهين **أحـــدهما:** أن يكون صفة للقطـــع، ووصف بذلك مبالغة في وصف وجوههم بالسواد .

والثاني : يجوز أن يكون حالاً من الضمير الذي في الظرف في قوله (مِنَ اللَّيْـــلِ) ويكون المعنى : أي قطْعاً مستقرة من الليل ، أو كائنه من الليل في حال إظلامـــه. ويجوز أنْ يكون (قِطَعًا) جمع قطعة أي اسم جنس ، فيجوز حينئذ وصفه بالتـــذكير نحو (نخلٌ منقعر) [القمر :20] والتأنيث نحو: نخل خاوية [الحاّقة:7] (2) ووصـــف الليل وهو زمن الظلمة بكونه قِطَعًا، لإفادة تمكين الوصف منهم، كقوله، ليل أليـــل وظل ظليل ، فالمراد من الليل الشديد الإظلام باحتجاب نجومـــه، وتمكـــن ظلمتـــه، شبهت قترة وجوههم بظلام الليل.(3)

---

(5) انظر[جامع البيان (11/109-111) ، تفسير القرآن العظيم (2/415)].

(1) انظر[الكشف (1/517) ، والحجة : أبو علي الفارسي (4/270) ، البحر المحيط 5/150 ، الدر المصون 6/186)].

(2) انظر[الدر المصون (6/187)] .

(3) انظر[التحرير والتنوير (11/149)] .

وقرأ الباقون (**قِطَعًا**) بفتح الطاء، نحو سِدَر، سِدْره وكِسَر، كِسْرة، وهو جمع قطعة وهي الجزء من الشيء سمّي قطعة؛ لأنّه يقتطع كله غالباً فهى فعْله بمعنى مفعول نقلت إلى الإسمية [4] واختاروا الجمع؛ لأنّ معنى الكلام كأنّما أغشي وجه كل إنسان منهم قطعة من الليل ثم جمع ذلك؛ لأنّ الوجوه جماعة وجعلوا (**مُظْلِمًا**) حالاً من الليل، فيكون المعنى أغشيت وجوههم قطعاً من الليل في حال ظلمة[5] وقطعاً منصوب بأغشيت مفعولاً ثانياً.

ومن فتح فيه المبالغة في سواد وجوه الكفار ، ويكون (**مُظْلِمًا**) حالاً من الليل ولا يكون حالاً من القطع ولا من الضمير في (**ٱلَّيۡلِ**)؛ لأنَّ ذلك جمع و(**مُظْلِمًا**) واحد.[6]

خامساً : الجمع بين القراءتين :

بالجمع بين القراءتين أرى: أنَّ (قطَعاً) بالفتح فيه مبالغة في سواد وجوه الكفار؛ لأنّه جمع قطعة، فزادت في المعنى بزيادة السواد فيه، فكأنّ وجوههم مغطاةٌ بالسّواد الشّديد، فقراءة الفتح وضحت قراءة السكون والله أعلم.

13- ﴿هُنَالِكَ تَبۡلُواْ كُلُّ نَفۡسٖ مَّآ أَسۡلَفَتۡۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٣٠﴾ يونس

أولاً: القراءات:

1. قرأ حمزة والكسائي، وخلف (تتلو) بتاءين من التلاوة.
2. وقرأ الباقون (تبلو) بالتاء والباء من البلوى.[1]

---

(4) انظر[المرجع السابق نفس الصفحة].

(5) انظر[الحجة : ابن زنجلة ص 330] .

(6) انظر[المرجع السابق ، وانظر الكشف (517/01)].

(1) انظر[النشر (212/2)] .

ثانياً: المعنى اللُغويّ للقراءات:

1. تتلو: من الفعل تلا تلوته أتلوه، وتلوت عنه تلواً وتلاوة وتلوته تلواً: تبعته، وتلوت القرآن تلاوةً: أي قرأته.(2)

2. تَبْلُو:من الفعل بلا، بَلَوْتَ بلواً بلاءً وابتليته أي اختبرته، والاسم البَلْوَى والبِلْوَة والبِلْيَةُ والبَلِيّةُ والبلاء، والبلاء يكون في الخير والشر، يقال: ابتليته بلاءً حسناً و بلاءً سيئاً. (3)

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

قال تعالى: (هُنَالِكَ) هو ظرف أي: في ذلك الزمان أو ذلك المكان (تَبۡلُواْ كُلُّ نَفۡسٖ مَّآ أَسۡلَفَتۡ). أي في ذلك الوقت تختبر كل نفس بما قدمت من خير أو شر، وتنال جزاء ما عملت (وَرُدُّوٓاْ) إلى الله مولاهم الحق، أي ورجعت الأمور كلها إلى الله الحكم العدل المقسط (وَضَلَّ عَنۡهُم) أي ذهب وغاب عن المشركين (مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ) أي ضاع عنهم ما كانوا يعبدون من دون الله افتراءً عليه، وأنها تقربهم منه زلفى، وفي الآية تبكيت شديد للمشركين.(1)

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ جماعة من أهل الكوفة، وبعض أهل الحجاز (تتلو كلُّ نفسٍ ما أسلفت) بالتاء. واختلف قارئوا ذلك كذلك، في تأويله فقال بعضهم: تتلو من تبع يتبع، فيكون المعنى: هنالك تتبع كلُّ نفس ما أسلفت من عمل، أي تتبع كلُّ نفس ما قدمته من عمل، فيسوقها إلى الجنة أو إلى النار.

وقال البعض الآخر: تتلو من "التلاوة" منهم لأعمالهم، وهي القراءة لها من كتاب أعمالهم، فهو يتلوا كتاب حسناته وسيئاته، يعني يقرؤها يوم القيامة. واستدلوا بقوله تعالى: (فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقۡرَءُونَ كِتَٰبَهُمۡ) [الإسراء:71] ، وقوله: (ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ)

---

(2) انظر[لسان العرب (14/102-105)].

(3) انظر[المرجع السابق(14/83-84) مادة بلا] .

(1) انظر[جامع البيان (11/112-113)، تفسير القرآن العظيم(2/416)، صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني(01/582)].

[الإسراء:14] (مَالِ هَـٰذَا ٱلۡكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ) [الكهف:49].

وقرأ الباقون (تَبْلُوا) بالتاء والباء من البلوى أي الاختبار، وهو هنا كناية عن التحقق وعلم اليقين. والمعنى: أنها تختبر حالته وثمرته، فتعرف ما هو حسن ونافع، وما هو قبيح وضار، إذا قد وضح لهم ما يفضي إلى النعيم بصاحبه وضده، كما يعرف الرجل الشيء باختباره. أو تَبْلُو بمعنى تَخْبُر: أي تعلم كلُّ نفسٍ ما قدَّمت.(2)

خامساً: الجمع بين القراءتين:

يقول الطبري: " إنهما قراءتان مشهورتان، قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القراء، وهما متقاربتا المعنى، وذلك أنَّ من تبع في الآخرة ما أسلف من العمل في الدنيا، هجم به على مورده، فيخبر هنالك ما أسلف من صالح أو سيء في الدنيا، وإن من خير من أسلف في الدنيا من أعماله في الآخرة، فإنما يخبر بعد مصيره إلى حيث أحله ما قَدَّمَ في الدنيا من عمله، فهو في كلتا الحالتين متْبِع ما أسلف من عمله، مختبر له".(1)

وبالجمع بين القراءتين يتبين: أنّ الله –سبحانه– يخبر أنَّه في ذلك الموقف والمقام المقتضي للحيرة والدهشة، تتبع كلُّ نفس ما أسلفت من عمل، وتتلوه وتقرأه وتختبره، فتعرف كيف هو؛ ليجزي به.(2)

ومن ثمرة الخلاف في القراءتين أيضاً: إضافة معنى جديد في تفسير الآية، حيث يلزم الاعتقاد أنّ العبد يوم القيامة يتلو ما أسلف . ويبلو ما أسلف، وبذلك يندفع عنه توهمه، ضياع بعض عمله في تلاوة الصحائف، ويندفع عنه توهمه، أنَّه لم يؤت جزاء ما عمل بابتلاء الصحائف. فهذه المسألة من الغيبيات التي يكلف المؤمن

---

(2) انظر[جامع البيان: (11/112-113)، (البحر المحيط 153/5)، التحرير والتنوير(153/11) الكشف(517/1)، معاني القراءات ص 223 ، الحجة : ابن زنجلة(101-102)] .

(1) انظر[جامع البيان (113/11)].

(2) انظر[القراءات وأثرها في التَّفسير ق(571/2)].

باعتقادها، لذلك نرى أنّ كل واحد من المعنيين، دلَّت عليه قراءة متواترة يجب على المسلم التصديق، والالتزام بها.[3]

14- ﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ يونس

أولاً: القراءات:

1- قرأ الكوفيون ، ويعقوب وابن كثير وابن عمرو (كَلِمَتُ رَبِّكَ) بغير ألف على التوحيد.

2- وقرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر (كَلماتُ ربك) بألف على الجمع.[4]

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

كلم القرآن أي: كلام الله وكلم الله وكلماته وكلمته، وكلام اللـه لا يحد ولا يعد ، و(الكلمة) لغة تميميَّة[1] و(الكلمة) اللفظة حجازية[2] وجمعها كَلِم، تذكر وتؤنث.
وكلمة ربك: تعني أمر الله.[3]

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

(كَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ) الكاف الداخلة قبل اسم الإشارة كاف للتشبيه والمشبه به هو المشار إليه، وهو حالهم وضلالهم. فالمعنى: كما كفر هؤلاء المشركون، واستمروا على شركهم وعبادتهم مع الله غيره، بالرغم من أنهم يعترفون بأنه الخالق الرازق المتصرف في الملك وحده، فكما حقت عليهم كلمة الله، أنَّهم لا يؤمنون

(3) انظر [القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني ص 211].
(4) انظر[النشر (197/2) ، (212/2)].
(1) نسبة إلى تميم بن مرّة، وهذه النسبة تنتسب إليها جماعة من الصحابة والتابعين إلى زماننا هذا انظر[الأنساب (478/1-481)، النسب: لأبي عبيد القاسم بن سلام – ص208- دار الفكر –ط1 – 1410هـ – 1989م – تحقيق ودراسة: مريم محمد خير الحرع، تقديم: د. سهيل زكّار (وحيث يأتي ذكره ، سأكتفي بقولي النسب)].
(2) نسبة إلى الحجاز وهي مكّة وما يتعلق بها إلى المدينة يقال لها الحجاز انظر[الأنساب (175/2-176)].
(3) انظر[لسان العرب(522/12-525)مادة كلم].

بسبب إصرارهم وتعنتهم على محاربة الحق ، فكذلك حقت كلمة الله، أي وجب عليهم قضاء الله وكلمة السابق (عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ) أي الذين خرجوا عن الطاعة وكفروا وكذَّبوا (أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) فحق على كل فاسق، أن لا يؤمن فتكون كلمة العذاب حقت عليهم، لضلالتهم، ولشقاوتهم.(4)

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر: كلمات بالجمع وإنما اختاروا ذلك؛ لأنها مكتوبة في المصحف بالتاء، فعملوا في ذلك على السَّواد، واستدلوا بقوله تعالى : (لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ) [الأنعام:115].

وكلمات على الجمع على الأصل لأنّ كلمات الله كثيرة ، أو أنه جعل الكلم التي تُوُعِّدُوا بها كل كلمة واحد منها كلمة، ثم جمع فقال: كلمات.

وقرأ الباقون (كَلِمَت) بالتوحيد (أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) في موضع بدل من كلمت، وحجة إجماع الجميع على التوحيد في قوله(وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا) [الأعراف:137]، [الأنعام:115] فردّوا ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه، والحجّة لمن وحَّدَ أيضاً: أنه ينوب الواحد في اللفظ عن الجميع.

وقراءة (كَلِمَت) الإفراد احتمل وجهين:

الوجه الأول : أنه يجوز أن يكون جُعل ما أُوعد به الفاسقون كلمةً، وإن كانت في الحقيقة كلماً؛ لأنهم قد يسمون القصيدة و الخطبة كلمة، وكذلك ما تُوُعِّدَ به الفاسقون من نحو قوله سبحانه:(وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ) [السجدة :20] كلمة تبقى له.

(4) انظر[التَّفسير القرآن العظيم(416/2)، جامع البيان(114/11)، الأساس في الفسير(2455/5)].

الوجه الثاني :يجوز أن يكون (**كَلِمَتُ رَبِّكَ**) التي يراد به الجنس وقد أُوقعت على بعض الجنس، كما أُوقع الجنس على بعضه في قوله سبحانه(**وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ وَبِٱلَّيۡلِۚ**) [الصافات:137- 138][1]

خامساً: الجمع بين القراءتين:

أرى: أنَّ من قرأ بالإفراد ومن قرأ بالجمع، فإن المعنى واحد؛ لأنّ الكلمة تطلق على مجموع الكلام، ولأن الجمع يكون باعتبار تعدد الكلمات، أو باعتبار تكـرر الكلمـة الواحدة بالنسبة لأناس كثيرين[2]

وأيضاً يعتبر هذا الموضع شاهداً على جواز جمع المصدر لاختلاف الأنواع حيـث إنّ (**كَلِمَت**) بصيغة الإفراد مصدر، والأصل في المصدر أن يفرد؛ لأنه دال على الجنس كله، بمعنى أن يقع على الكثير والقليل بلفظ واحد .[3]

15- ﴿**قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ٣٥**﴾ **يونس.**

أولاً: القراءات:

1- قرأ ابن كثير وابن عامر وورش(لا يَهَدِّي) بفتح الياء والهاء، وتشديد الدال.

2 - وقرأ أبو جعفر وقالون (لا يَهْدِّي) بفتح الياء، وإسكان الهاء مع تشديد الدال.

3- وقرأ حمزة والكسائي وخلف (لا يَهْدِي) بفتح الياء، وإسكان الهاء، وتخفيف الدال (أي كسرها بلا تشديد)

4- وقرأ يعقوب وحفص (لا يَهِدِّي) بفتح الياء، وكسر الهاء، وتشديد الدال.

---

(1) انظر[الحجة: ابن خالويه ص80، إعراب القراءات: ابن خالويه (1/267-268)، الحجة: أبو علي الفارسي (4/273-274)].

(2) انظر[التحرير والتنوير(11/160)].

(3) انظر[الكشف (1/505)، التوجيه اللغوي: د. صبري(218/219)].

5- قرأ شعبة (أبو بكر) (لا يهِدِّي) بكسر الياء والهاء، وتشديد الدال.
6- قرأ أبو عمرو، وقالون بخلف عنه(لا يَهَدِّي) بفتح الياء، واختلاس فتحة الهاء مع تشديد الدال.[1]

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

الهدى ضد الضلال وهو الرَّشاد، والدِّلالة على طريق الحق.

نقل ابن منظور عن ابن جني قال فيمن قرأ (أَمَّنْ لا يَهِدِّى إلا أن يُهْـدَى) ، بالتقاء الساكنين فيمن قرأ به، قال: " لا يخلو من أحد أمرين : إما أن تكون الهاء مسكنة البته، فتكون التاء من يهتدي مختلسة الحركة،وإما أن تكون الدال مشددة،فتكون الهاء مفتوحة بحركة التاء المنقولة إليها أو مكسورة لسكونها وسكون الدال الأولى"[2].

وقال الفراء: معنى قوله تعالى (أَمَّنَ لا يَهِدِّي إلا أن يُهْدَى) يقول: يعبدون ما لا يقدر على النُقلة من مكانه إلا أن يحوّل وتنقلوه [3] وقرأ عاصم (أم من لا يَهِدِّي) بكسر الهاء بمعنى يهتديَ ، ومن قرأ (أم من لا يَهْدِي) خفيفة، فمعناه يهتدي أيضاً، يقال: هديته فهدى، أي إهتدى.[4]

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

قال تعالى (**قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ**)احتج سبحانه عليهم في التوحيد باحتجاج آخر فقال: قل يا محمد لهؤلاء المشركين، هل من هذه الأصنام التي جعلتموها شركاء لله في العبادة من يهدي الناس إلى الحق والخير وطريق النجاة؟ فإذا قالوا: لا وأقروا بذلك، فقل لهم: الله هوالذي(**يَهۡدِي لِلۡحَقِّ**) إلى طريق الرشاد من يشاء (**أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ**) أي: الله الذي يهدي ويرشد إلى الحق، وأهلَ الحقِّ أحقُّ أن يتبع أمرُهُ أم الأصنام التي لا تهدي أحداً (**إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰ**) يرشد، وهي وإنْ

(1) انظر[النشر(212/2)].
(2) لسان العرب (353/15) مادة هَدَيَ.
(3) انظر[معاني القرآن : الفراء (464/1)].
(4) انظر[لسان العرب(354/15) مادة هدي] .

هُديت_ لم تهتد ولكنَّ الكلام نزل على أنها إن هديت اهتدت؛ لأنهم لما اتخذوها آلهة عُبِّر عنها كما يُعبَّر عمَّن يعلم (فَمَا لَكُمْ) فكأنه قيل: أيُّ شيء لكم في عبادة الأوثان؟ وهذا كلام تام (كَيْفَ تَحْكُمُونَ) يعني: كيف تقضون حين زعمتم أنَّ مع الله شريكاً؟[1] وما لكم، استفهام معناه: التوبيخ والتنبيه.[2]

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ ابن كثير وابن عامر وورش (أَمَّن لَّا يَهَدِّي) بفتح الياء والهاء، وتشديد الدال.

وكذلك قرأ أبو عمرو وقالون، غير أنهما اختلسا فتحة الهاء (يَهَدِّي) تنبيهاً على أن الهاء ليس أصلها الحركة بل السكون.

- وقرأ حمزة والكسائي وعامة قراء أهل المدينة (لا يَهْدِي) بفتح الياء ، وإسكان الهاء والتخفيف .

- وقرأ حفص بفتح الياء، وكسر الهاء، والتشديد وهي لغة سفلى مضر[3] (لا يَهدِّي)

- وكذلك قرأ أبو بكر، غير أنه كسر الياء مع كسر الهاء (لا يهِدِّي).

وقرأ أهل المدينة -خلا ورش- بفتح الياء، وسكون الهاء، وتشديد الدال. (لا يَهْدِّي).

نقل صاحب الدُّر المصون في تفسيره عن المبرد [1] قوله: " من رام هذا فلابد أن يحرك حركة خفيفة ".

- وحجّة من قرأ (يَهَدِّي، يَهِدِّي، يَهْدِّي، يهِدِّي).

أصل جميعها: يهتدي على وزن يفتعل، وإن اختلفت ألفاظها أدغموا التاء في الدال؛ لمقاربتها لها، فإنهما من حيز واحد، ثم اختلفوا في تحريك الهاء، فمن قرأ (يَهَدِّى)

(1) انظر[جامع البيان (115/11)، مجمع البيان(47/11-48) معاني القرآن: الزجاج(190/3)].

(2) انظر[مشكل إعراب القرآن مكي بن أبي طالب(345/1-346)].

(3) مُضَر: قبيلة معروفة ينسب إليها قريش وهو مُضَر بن نزار بن معد بن عدنان ، أخو ربيعة بن نزار ، وهما قبيلتان العظيمتان اللتان يقال عنهما: أكثر من ربيعة ومُضَر انظر [لب اللباب في تحرير الأنساب: للإمام العلامة جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (261/2) ترجمة رقم 3754 – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط1 – 1411هـ – 1991م – تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز ، وأشرف أحمد عبد العزيز].

(1) سبقت ترجمة له ص241.

بفتح الهاء ألقى حركة الحرف المدغم وهو التاء على الهاء، ومن قرأ (يَهِدِّي) بكسر الهاء، فإنه حرّك الهاء بالكسر لالتقاء الساكنين، ومن سكّن الهـاء (يَهْـدِّي) جمـع الساكنين، ومن أشم الهاء، ولم يسكن، فالإشمام في حكم التحريك (يَهَدِّي)، وليبيِّن أن حركة الفتحة حركة لغير الهاء، ولم يمكنه إبقاء الهاء ساكنة لسـكون أول المـدغم، ومن كسر الياء مع الهاء، أَتْبعَ الياء ما بعدها من الكسرة(يهِدِّي)؛ ليعمل اللسان فـي ثلاث كسرات عملاً واحداً.

وعلى هذا يتجه المعنى على أنَّ: من لا يهتدي إلاّ أن يُهْدى. والأصنام لا تهـدي إلا أن تهدى، ونحن نجدها لا تهتدي، وإن هديت فوصفهم بأوصاف من يعقـل، وهـذا مجاز.[2]

وقال الفراء: " تعبدون ما لا يقدر على النُقلة من مكانه، إلا أن يُحول تنقلوه".[3]

وإدغام تاء الافتعال للإيماء إلى انتفاء جميع أسباب الهداية، حتى أدانيها، فإن التاء عند أرباب القلوب معناه: انتهاء التسبب إلى أدناه وكما قلنا المعنى إلا أن يُهْدى فلا يهتدي أي يهديه هادٍ غيره كائناً مَنْ كان، وهذا يعم كلَّ ما عُبد مـن دون الله، مَـنْ يعقل ومَنْ لا يعقل.[4]

وعلى قراءة حمزة والكسائي (يَهْدي) بتخفيف الدال يكون فيها وجهان:

-إمَّا أن يكون الفعل لازماً بمعنى يهتدي، كما هو أحد استعمالات فعل الهداية.

وإما أن يكون الفعل متعدياً أي: لا يَهْدي غيره، ومفعوله محذوف، فيكـون المعنـى أمّن لا يَهْدي أحداً إلا أن يُهْدى ذلك الأحد بهداية من عند الله.

---

(2) انظر[جامع البيان (115/11)، الحجة أبو علي الفارسي (275/4-280) ، مجمع البيان (46/11-47)، الكشف (518/1-519) ، المحرر الوجيز (119/3) ، الدّر المصون (199/11-200)] .

(3) معاني القرآن: الفرّاء (464/1).

(4) انظر[نظم الدرر(441/3)] .

والراجح الثاني رُجّح بأنَّه الأوفق بما قبل؛ لأنَّ المفهوم منه نفي الهداية لا الإهتداء.[1]

تعتبر هذه الآية مثالاً أو شاهداً صوتياً على توافق الصوائت أو المماثلة المتباعدة.[2]

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات أرى ما يلي:

1- أنّه أدغمت التاء في الدال بسبب التجانس، والصوت المؤثر هو الدال؛ لأنَّه الأقوى، فالتاء حرف مهموس، والدال حرف مجهور ومعروف أنَّ الهمس فيه الضعف، والجهر فيه القوة والشدة.[3] ممَّا يدل على قوة الخطاب من الله تعالى لهؤلاء المشركين، وامتناع جميع أسباب الهداية عنهم حتى أدانيها، واستخدام الحركات – الفتحة والكسرة والسكون – يُعضد من هذا المعنى.

16- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٤٤﴾ **يونس**

أولاً: القراءات:

1- قرأ حمزة، والكسائي، وخلف **(ولكنِ النَّاسُ)** بتخفيف النون من (ولكنْ) ورفع الاسم بعدها.

2- وقرأ الباقون **(وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ)** بتشديد النون في (ولكنَّ) ونصب الاسم بعدها.[1]

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

---

(1) انظر[روح المعاني (107/11-108)].

(2) كما قلنا سابقاً ص297 أن المماثلة هي التعديلات التكيفية للصوت بسبب مجاورته لأصوات أخرى والمماثلة التباعدية هي بين أصوات متاخمة وتسمى تجاورية، مثل تفخيم السين في سراط، وسيطر تحت تأثير الطاء المفخمة انظر [دراسات الصوت اللغوي د. أحمد مختار عمر ص325 نقلاً عن كتب أجنبية عالم الكتب القاهرة ط2 – 1981م ، الأصوات اللغوية ص283 د. عبد القادر عبد الجليل – دار الصفاء – عمان – الأردن – ط سنة1418هـ – 1998م].

(3) انظر[سر الفصاحة: أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت 466 ه)- ص 30 – دار الكتب العلمية بيروت_لبنان _ ط- 1402هـ – 1982م].

(1) انظر[النشر (165/2)، (213/2)].

(لكنَّ) سبق تعريفها[2]

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

قال تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ) [يونس:44]

قال القرطبي : " لما ذكر الله أهل الشقاء، ذكر أنَّه لم يظلمهم، وأنَّ التقدير : الشقاء عليهم، وسلب سمع القلب وبصره ليس ظلماً منه ، لأنه تصرَّف في ملكه بما شاء، وهو في جميع أفعاله عادل (وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ) بالكفر والمعصية ومخالفة أمر خالقهم ".[3] فالله سبحانه وتعالى أعطى الإنسان العقل، وركب فيه الشهوة، ثم أرسل الرسل، يبينوا الحلال من الحرام، وترك لهم حرية الاختيار، فمن حاد عن الطريق المستقيم، فلا يلومَنَّ إلا نفسه.

والنفي للظلم يحتمل أن يكون في الدنيا، وذلك بأن لا يظلمهم شيئاً من مصالحهم. أو أن يكون في الآخرة ما يلحقهم من العقاب هو عدل منه سبحانه، وذلك لأنَّهم هم الذين تسببوا باكتساب ذنوبهم، كما قدَّر تعالى عليهم .[4]

كما في الحديث القدسي (يا عبادي إنِّي حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا........).[5]

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ حمزة والكسائي وخلف (ولكنِ النَّاسُ) بتخفيف النون من (لكنْ) ورفع الاسم بعدها. والحجّة لمن خفف ورفع: أن (لكنْ) وأخواتها إنما عملن لشبههن بالفعل لفظاً ومعنى، فإذا زال اللفظ زال العمل، والدليل على ذلك أن (لكنْ) إذا خففت وليها الاسم والفعل، وكل حرف كان كذلك ابتدئ ما بعده، وقراءة التخفيف تفيد الاستدراك فقط، ولكن المخففة تهمَل لزوال اختصاصها بالجملة الاسمية [1] وقرأ الباقون (وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ) بتشديد النون في

---

(2) راجع ص88-89.

(3) الجامع لأحكام القرآن(648/8).

(4) انظر[البحر المحيط (162/5)] .

(5) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (8/10) باب تحريم الظلم والحديث رواه أبو ذر عن النبي ﷺ..

(1) انظر[شرح قطر الندى ص 153] .

(لكن) ونصب (الناسَ)، والحجّة لمن شدد ونصب: أنه أتى بلفظ الحرف على أصله [2] (وَلَٰكِنَّ) بمنزلة (إنَّ) [3] وهي تفيد تأكيد الخبرْ وتقريره، ومعناها أيضــاً الاســتدراك.

وهو: تعقيب الكلام برفع ما يتوهم بثبوته أو نفيه.[4] قراءة التّشديد أفادت التأكيد على عدم الظلم من الله للناس والمبالغة في نفي الظلم عنه سبحانه يقول القرطبي: "(لكنَّ) كلمة لهـا معنيان: نفي الخبر الماضي، وإثبات الخبر المستقبل".[5] وقال مكي بن أبي طالب: " وحجة من شدد النون ونصب بها بعد (لكنَّ) أنه أجرى الكلام على أصله، فأعمل (لكنَّ) لأنها من أخوات إنَّ، فشددها على أصلها، وما دلَّ في ذلـك معنـى التأكيـد الـذي فـي معنـى الاستدراك".[6]

17- ﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡۚ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ يونس

أولاً: القراءات:

1- قرأ حفص (وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ) بالياء.

2 - وقرأ الباقون(وَيَوْم نَحْشُرُهُمْ) بالنون.[7]

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

حشر حَشَرَهُم يَحْشُرُهم ويَحْشِرُهم حشْراً أي: جمعهم ومنه يوم المَحْشَر: والحشر جمـع الناس يوم القيامة.[1]

---

(2) انظر[الحجة لابن خالويه ص 35] .

(3) انظر[كتاب سيبويه(146/2)].

(4) انظر[شرح قطر الندى ص 148].

(5) الجامع لأحكام القرآن (464/2).

(6) الكشف (257/1).

(7) انظر[النشر (193/2) (214/2، غيث النفع ص 133].

(1) انظر[لسان العرب (4/ 190) مادة حشر].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

قال تعالى:(ويوم نحشُرُهم) أي المشركين (**كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ**) فيه قولان: **الأول:** كأن لم يلبثوا في قبورهم ؛ إلا قدر ساعة من النهار.

والثاني: في الدنيا (**يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡۚ**) يتعارف : أي يعرف بعضهم بعضاً تعارف توبيخ، لأن كل فريق يقول للآخر أنت أضللتنى ، أو أنَّ أهل المحشر يعرف بعضهم بعضاً، فيعرف الآباء الأبناء ، والعكس ، (**ۚ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ**) خسر ثواب الجنة الذين كذبوا بالبعث (**وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ**) من الضلالة.(2)

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ حفص (**وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ**) بالياء ، إخبار عن الله أي : أنّ الفاعل ضمير مستتر، تقديره هو يعود على الله في الآية السابقة ؛ وذلك لأنّ الضمير يعود إلى اسم الجلالة في قوله قبله (**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـًٔا**) [يونس: 44] فجاءت هذه القراءة ، متسقة مع السياق.

وقرأ الباقون (ويوم نحشرهم) بنون العظمة ، والفاعل ضمير مستتر تقديره " نحن " فالله سبحانه يخبر عن نفسه على سبيل الالتفات من الغيبة إلى التكلم ، ولعل اللطيفة المعنوية التي يشير إليها هذا اللون البلاغي هي كمال التعبير عن تهويل الأمر باستحضار صور الحساب.(3) والدليل على ذلك : أنَّه قدَّم الظرف على عامله ، حيث إنّ (**يَوۡم**) انتصب على الظرفية لفعل (**خَسِر**) وذلك للاهتمام ؛ لأنّ المقصود الأهم تذكيرهم بذلك اليوم، وإثبات وقوعه مع تحذيرهم ووعيدهم بما يحصل لهم ، والتقدير: قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله يوم نحشرهم.(1)

---

(2) انظر[زاد المسير (333/2)، المقتطف من عيون التفاسير (475/2) ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي الموريتاني المالكي الإفريقي (1320–1393) وتتمته لتلميذه عطية محمد سالم (513/1– 514) – دار إحياء التراث العربي– بيروت – لبنان– ط 1– 1417 هـ–1996م].

(3) انظر[الحجة بن زنجلة ص 332، تفسير أبو السعود (3/ 505)، التوجيه اللغوي: د. صبري ص 169].

(1) انظر[التحرير والتنوير (11/ 181)] .

خامساً : الجمع بين القراءتين :

بالجمع بين القراءتين : أرى أنَّ المعنى واحد في (نحشرهم ويحشرهم)، فالله هو الحاشر ، لا شريك له.(2)

كما أنّ أسلوب الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ، يدل على روعة وإعجاز أسلوب القرآن الكريم.

18- ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓۚ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ يونس

أولاً: القراءات:

1- قرأ ورش، وقالون بخلف عنه، وابن وردان **(آلان)** بالنقل ، أي : نقل حركة الهمزة الثانية إلى الساكن قبلها.

2- وقرأ الباقون **(ءَآلۡـَٰٔنَ)** بالتحقيق ، تحقيق الهمزة الثانية التي بعد اللام.(3)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

قال الجوهري:(4) "(الآن) اسم للوقت الذي أنت فيه، وهو ظرف غير متمكن، وقع معرفةً ، ولم تدخل عليه الألف واللام للتعريف ؛ لأنه ليس له ما يشركه. وقالوا: آلان متحركة اللام بغير همز من لان(5) ولان من اللين: ضد الخشونة.(6)

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

يقول تعالى: **(أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓۚ)** دخول الهمزة على (ثم) ، كدخوله على الواو والفاء كما في قوله **(أَوَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ)** [الأعراف:98]، وقوله **(أَفَأَمِنَ)**

---

(2) انظر [معاني القراءات ص 169] .

(3) انظر [النشر (318/1)، (214/2)].

(4) هو إسماعيل بن حماد الجوهري أبو نصر ، أول من حاول الطيران ومات في سبيله ، لغوي من الأئمة ، من أشهر كتبه " الصحاح " " مجلدان " توفي سنة 393هـ -1003م . انظر [الأعلام (313/1)].

(5) انظر [لسان العرب (13/42-43) مادة أين].

(6) انظر [المرجع السابق (394/13) مادة لين].

[الأعراف:97] وهو يفيد التوبيخ والتقريع (أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ) وحلَّ بكم (ءَامَنتُم بِهِۦٓۚ) وصدقتم به بعد نزوله ، حين لا ينفعكم الإيمان، ويقال لهم إذا آمنوا بعد وقوع العذاب (ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ) أي: آلآن تؤمنون وترجون الانتفاع بالإيمان، مع أنكم كنتم قبل ذلك به تستعجلون في الدنيا على سبيل السخرية والاستهزاء.(1)

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ ورش وقالون وابن وردان (ألآن) بنقل حركة الهمزة الثانية إلى الساكن قبلها، فتكون من (لان) كما ذكرنا في المعنى اللغوي ، وهي تفيد الليونة ، وهذا إن دلَّ على شيء ، فيكون الاستغراب والاستفهام من حصول الإيمان ، ولينهم بعد ما كانوا مصرين على الكفر في وقت وقوع العذاب ، فكان التركيز في هذه القراءة على لينهم وإيمانهم بعد إصرارهم وعنادهم على الكفر .

أما الباقون : فقرأوا ، (ءَآلۡـَٰٔنَ) بتحقيق الهمزة الثانية التي بعد اللام ، فهو استفهام إنكاري عن حصول إيمانهم عند حلول ما توعدهم ، فعبر عن وقت وقوعه باسم الزمان الحاضر، وهو (الآن) فكان التركيز في هذه القراءة على الوقت أي : وقت إيمانهم ، والله أعلم.

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءتين : أجد أنه لا تضاد بين القراءتين.

فقراءة عدم تحقيق الهمزة الثانية : كان الاهتمام والاستغراب على حصول إيمانهم

وقراءة تحقيق الهمزة الثانية : كان الاستغراب من الوقت الذي حصل به الإيمان ، وهو وقت وقوع العذاب.

فحصيلة القراءتين : يكون الاستفهام والاستغراب من حصول الإيمان في وقت وقوع العذاب ، والله أعلم.

---

(1) انظر[الكشاف (240/2)، مفاتيح الغيب (89/17)، إرشاد العقل السليم(509/3-510)].

19- ﴿وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ٥٣﴾ يونس

أولاً: القراءات:

1- قرأ أبو جعفر (ويستنبونك) بالتسهيل بغير همز ، وضم الباء ، ووقف عليها حمزة بالتسهيل ، و أيضاً الإبدال ياء.

وقرأ الباقون (**وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ**) بالهمز ، وكسر الباء.[1]

2 – قرأ المدنيان (أبو جعفر، نافع) وأبو عمرو (وربيَ إنه) بفتح ياء الإضافة.

– وقرأ الباقون (وربيْ إنه) بإسكان ياء الإضافة مع المد.[2]

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

يستنبئونك: من النبأ ، وهو الخبر ، وأنبأه : أي أخبره واستنبأ النَّبأ: بحث عنه [3]

يستنبونك: من الفعل بنسب والنسب الصياح عند الهياج [4]

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

وقال تعالى: (**وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ**) أ ي يستخبرونك يا محمد فيقولون: أحقٌ، أي: أثابت (**هُوَ**) عائد إلى عذاب الخلد في الآية السابقة بمعنى: أحق ما وعدتنا به من العذاب والبعث؟ (**قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ**) أي: قل لهم يا محمد نعم ، والله إنه كائن لا شك فيه، فأُجيبوا على طريقة الأسلوب الحكيم بحمل كلامهم على خلاف مرادهم، تنبيهاً لهم ، أنَّ الأوْلى لهم سؤال الاسترشاد (**وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ**) أي لستم بمعجزي الله بهربٍ ، أو امتناع من العذاب ؛ بل أنتم في قبضته وسلطانه.[1]

---

(1) انظر[النشر (343/1) ، (214/2) ، في هامش القرآن الكريم في القراءات العشرة المتواترة ص 214] .

(2) انظر[النشر (216/2)] .

(3) انظر[لسان العرب (194/1–195) مادة نبأ، القاموس المحيط ص 67 مادة نبأ]

(4) انظر[القاموس المحيط ص 174 مادة نبا، لسان العرب (878/1) مادة نبب] .

(1) انظر[جامع البيان (122/11)، التحرير والتنوير (195/11–196)].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى:

قرأ أبو جعفر و حمزة (يستنبونك) بغير همز، وضم الباء ، ويستنبون من الفعل نــبّ أو نبب والنبّ كما ذكرنا في المعنى اللغوي : بأنه الصياح. فكان المشركون يسألون ويستفهمون عن عذاب الخلد ، وسؤالهم الرسول ﷺ بصوت وصياح عالٍ ، والنبُّ لا يقال إلا للحيوانات فهو نوع من الاحتقار لهؤلاء المشركين.

وذلك ؛ لأنّهم عندما سألوا عن العذاب ، كان سؤالهم على جهة الإنكار والاستهزاء. فقولهم (أحق هو) يقول المفسرون أنه استفهام على جهة الإنكار والاستهزاء.[2]

وقرأ الباقون (يَسْتَنْبِئُونَكَ) بالهمز ، وكسر الباء ، والاستنباء من الاستخبار فيكون المعنى : يستخبرونك يا محمد فيقولون لك: أحق ما تعدنا به من عذاب الله والبعث؟

خامساً: الجمع بين القراءتين:

قراءة الهمز بيَّنت أنَّ المشركين استخبروا ، وسألوا الرسول عن عذاب الله الخالــد. وقراءة عدم الهمز بيَّنت لنا طريقة هذا السؤال ، أنَّه كان بصوت وصياح عالٍ ؛ لأنَّه صدر منهم على جهة الإنكار والتهكم، فكانت قراءة عدم الهمز استهزاء بهم مقابــل استهزائهم ، والله أعلم.

القراءة الثانية:

قرأ المدنيان وأبو عمرو (وربيَ إنه) بفتح ياء الإضافة .

وقرأ الباقون (وربى~ إنه) بإسكان ياء الإضافة ، مع المد أيضاً. وقد بيَّنت توجيه فــتح ياء الإضافة وإسكانها[3] وذكرت أنّ الفتح والإسكان من التغييرات الصوتية، ولكن مــع ذلك نضيف أن إسكان الياء والمد فيها – والمد زيادة في إطالة الزمن – يفيــد أنّ ذلــك زيادة تأكيد في وقوع العذاب على المشركين يوم القيامة، بالإضافة إلى التأكيدات اللفظية التي وردت في الآية ، وهي حرف (إي) وهو حرف جواب ، يحقق به المسئول عنــه، وأيضاً الجملة الدالة على ما دلَّ عليه حرف الجواب، والقسم (ربي) وإنَّ ولام الابتــداء

---

(2) انظر[مدارك التنزيل (467/2)، البحر المحيط(168/5)].

(3) راجع ص299–300.

(لحق) ، فكلها مؤكدات للجواب[1] وأيضاً يدل على أنَّ هذا الجواب يخرج من صدر ممتلئ ، حسرة على هؤلاء المشركين ، والله أعلم.

20- ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨ ﴾ يونس

أولاً: القراءات:

1.قرأ ابن عامر، وأبو جعفر (**فَلۡيَفۡرَحُوا**) بالغيب (تَجْمَعُون) بالخطاب.

2.وقرأ رويس (فَلْتَفْرَحُوا) بالخطاب (تَجْمَعُون) بالخطاب ، وهي قراءة أُبَـيّ[2] ، مسندة عن النبي ﷺ.

3.وقرأ الباقون (**فَلۡيَفۡرَحُوا**) بالغيب (**يَجۡمَعُون**) بالغيب.[3]

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

فرح : الفرح نقيض الحُزْن، والفرح أن يجد في قلبه خفَّة، فرِحَ فَرَحاً، والفرح أيضاً: البطر[4] والفرح: شدة السرور.[5]

تجمعون:من الجمع وجمع الشيء عن تفرقة يجمعه جمعاً ، وجمَّعَه وأجمعه فاجتمع، والجمع أن يجمع شيئاً إلى شيء.[6]

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

قوله تعالى: (**قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ**) أي قل لهم يا محمد: من فضل الله عليكم القرآن (**وَبِرَحۡمَتِهِ**) أن جعلكم من أهله أو الإسلام (**فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ**) إشارة إلىالفضل

---

(1) انظر[التحرير والتنوير(196/11)].

(2) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار كان مِنْ أقرأ الصحابة مات سنة اثنتين وعشرين بالمدينة ، وقيل : مات في خلافة عثمان سنة ثلاثين ، وهذا ما رجحه ابن سعد انظر[الطبقات الكبرى: ابن سعد (378/3-381) ترجمة رقم 174، مشكاة المصابيح: محمد التبريزي (1727/3) حديث رقم 612 من أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم ، (وأقرأهم أُبي بن كعب) قال عنه الترمذي: " حديث حسن صحيح"] .

(3) انظر[النشر(214/2)].

(4) انظر[لسان العرب (541/2) مادة فرح].

(5) انظر[التحرير والتنوير(204/11)].

(6) انظر[لسان العرب (53/8-58) مادة جمع] .

والرحمة ؛ ليفرح المؤمنون به (هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) هو خير مما يجمعون في الدنيا من أموال وكنوز ؛ وما إلى ذلك.(1)

فالإسلام والقرآن : من أجلّ نعم الله على الإنسان ، وهما يستوجبان الفرح والسرور الشديد قال تعالى: (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ ۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ) [الحجرات :17].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى:

قرأ ابن عامر، وأبو جعفر (فَلْيَفْرَحُوا) بالغيب (تجمعون) بالخطاب ، والمعنى فليفرح المؤمنون بفضل الله أي : الإسلام والقرآن ، وهو خير مما تجمعون أنتم من أعراض الدنيا(2) وجاءت (فَلْيَفْرَحُوا) مناسبة لقوله تعالى في الآية السابقة (وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ) [يونس:57] وجاءت (تجمعون) بالتاء على الخطاب ؛ لأنَّ الآية التالية لهذه الآية قوله تعالى (قُلْ أَرَءَيْتُم) وقوله (فَجَعَلْتُم مِّنْهُ) ، وقوله (ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ) [يونس:59] فحمل صدر الكلام في هذه الآية على آخره وذلك ليتفق اللفظ (3) فهنا عنى المخاطبين، والغيب جميعاً ؛ إلا أنه غلّب المخاطب على الغيبة ، كما غلّب التذكير على التأنيث ، فكأنه أراد به المؤمنين وغيرهم(4) وقراءة تجمعون: تحتمل وجهين **أحدهما:**

من باب الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ، فيكون المعنى لقراءة الجماعة (يَجْمَعُون) فإن الضمير يراد به ما يُراد بالضمير في قوله (فَلْيَفْرَحُوا).

والثاني : أنَّه خطاب لقوله (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم) [يونس: 57] وهذه تناسب قراءة الخطاب في قوله (فلتفرحوا).(1)

---

(1) انظر[جامع البيان (124/11)، الجامع مع الأحكام القرآن (653/8-654)].

(2) انظر[الحجة: ابن زنجلة ص 334] .

(3) انظر[الكشف (520/1)].

(4) انظر[الحجة: أبو علي الفارسي (283/4)].

(1) انظر[الدر المصون (226/6)].

القراءة الثانية:

وقرأ رويس (فلتفرحوا) بالخطاب (تجمعون) بالخطاب ، وحجتهم أنَّ هـذه القـراءة بالخطاب ، جاءت مناسبة لقوله تعالى في الآيـة السـابقة (**قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ**) [يونس: 57].

وحجتهم قراءة أُبَي المسندة عن الرسول ﷺ .

والمعنى: فلتفرحوا أيها المؤمنون بإيمانكم وإسلامكم ، فهو خير مما تجمعـون فـي الدنيا من أموال ومتاع وغير ذلك ، فالفرح الحقيقي هو الفرح بالإسلام والقـرآن ، وأن جعلكم الله من أهله.

القراءة الثالثة:

وقرأ الباقون (**فَلۡيَفۡرَحُوا**) بالغيب (**يَجۡمَعُون**) بالغيب أي : فليفرح أصحاب محمد أو المؤمنون بالإسلام والقرآن ؛ لأنه خير مما يجمعه الكافرون فـي الـدنيا (**يَجۡمَعُون**) يكون خطاباً للمشركين ، الذين شملهم الخطاب في الآية السابقة فـي قولـه تعـالى (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ) فإنه بعد أن عمَّمَ الخطاب ، خـصّ المؤمنين بالذكر بالجدارة بالفرح، فبقي الخطـاب لمـن عـدا المسـلمين ، وهـم المشركون[2] فهناك احتمال آخـر فـي التوجيـه (**فَلۡيَفۡرَحُوا**) أنْ يكـون موجهـاً للمشركين ، فيكون المعنى: بالإسلام والقرآن الذي دعـاهم إليـه فليفـرح هـؤلاء المشركون لا بالمال الذي يجمعونه ، فإنّ الإسلام والقرآن ، خير من المـال الـذي يجمعون.[3]

خامساً: الجمع بين القراءات:

ليفرح المؤمنون بإيمانهم وإسلامهم، فهو خير مما يجمع الكفار من دنياهم، وليفـرح هؤلاء الكفار بالإيمان لو اتفق لهم أولو سعدوا بالهداية إلى تحصيـل ذلك لأنَّـه لا مفروح به أحق منهما فهو خير مما يجمع هؤلاء الكفار في دنياهم.[1]

(2) انظر[التحرير والتنوير (206/11)].

(3) انظر[جامع البيان (126/11)].

(1) انظر[البحر المحيط (171/5)].

أو على تقدير: لو كنتم مؤمنين لوجب أن تفرحوا بفضل الله وبرحمته ، فهو خير مما تجمعون في دنياكم أيها الكفار.[2]

فتكون حصيلة القراءات: أنّ الجميع إن فرحوا بشيء ، فليفرحوا بالإيمان والإسلام والقرآن وبفضل الله ؛ لأنَّه خير مما يُجمع في الدنيا من مال ومتاع وغيره ؛ وذلك لأنّ الآخرة خير وأبقى ، وما كان كذلك فهو أولى بالطلب والتحصيل [3] وأيضاً في القراءتين التفات من الغيبة إلى الخطاب و الله أعلم.

21- ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٖ فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ حَرَامٗا وَحَلَٰلٗا قُلۡ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ ٥٩ ﴾ يونس

أولاً: القراءات:

1- أ- قرأ أبو جعفر ونافع (أرايتم) بتسهيل الهمزة الثانية بين بين، ولورش إبدالها ألفاً مع إشباع المد للساكنين، وقرأ الكسائي بحذفها.

ب- وقرأ الباقون (**أَرَءَيۡتُم**) بإثبات الهمزة محققة، وإذا وقف حمزة فليس له إلا تسهيلها.[4]

2- أجمع القراء على عدم تحقيق همزة الوصل الواقعة بعد همزة الاستفهام في (**ءَآلله**)؛ لكونها همزة وصل، وهمزة الوصل لا تثبت إلا ابتداء، وأجمعوا على عدم حذفها وإثباتها مع همزة الاستفهام فرقاً بين الاستفهام والخبر.

وأجمعوا على تليينها، واختلفوا في كيفيته:

أ- إبدال همزة الوصل ألفاً مع المد المشبع لاجتماع الساكنين.

---

(2) انظر[المغني (234/2)].

(3) انظر[مفاتيح الغيب(96/17)].

(4) انظر [النشر (309/1)(214/2)، البدور الزاهرة ص178، في هامش القرآن ص215].

ب- تسهيلها بين بين مع القصر، ولا يخفى ما لورش من النقل، وما لخلف عن حمزة، وما لخلاد عنه وصلاً ووقفاً.[1]

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

أرأيتم: من الفعل رأى وسبق تعريفه.[2]

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

بعد أن أقام -سبحانه وتعالى- الأدلة العقلية على إثبات الوحي والرسالة في الآيات السابقة ، قفّى على ذلك بذكر فعل من أفعال الكفار لا ينكرونه ولا يجادلون في وجوده، ذلك أنَّ التشريع بالتحليل والتحريم هو حق الله تعالى وحده، وأنَّ الأصل في الأرزاق وسائر الأشياء التي ينتفع بها الإباحة، فتحريم بعض الأشياء وتحليل بعض، إما بأمره تعالى بوساطة رسله وأنتم تنكرونه وتزعمون أنه مُحال، وإما بالافتراء على الله وهو الذي يلزمكم بإنكار الأول إذ لا واسطة بينهما.[3]

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

القراءة الأولى:

الحجة لمن حقق الهمزتين في (أرأيتم): أنه أتى باللفظ على الأصل.

والحجة لمن لين الثانية أنه كره حذفها فأبقى دليلاً عنها.

والحجة لمن حذف الثانية أنه اجتزأ بهمزة الاستفهام من همزة الوصل، لأنها في الفعل المضارع ساقطة بإجماع.[4]

و(أرأيتم) إما من الرؤية البصرية أو بمعنى أخبروني.[5] فقراءة عدم تحقيق الهمز رجحت أن المعنى المقصود بـ (أرأيتم) هو أخبروني، وقراءة تحقيق الهمز تحمل في طياتها ثقل الخطاب من الله -سبحانه وتعالى- للمشركين وهذا يتناسب مع ثقل

---

(1) انظر [النشر (293/1)(214/2)، البدور الزاهرة ص183، في هامش القرآن ص215].

(2) راجع ص135.

(3) تفسير المراغي (124/11).

(4) الحجة: ابن خالويه ص249.

(5) انظر [جامع البيان (127/11)].

الضم. الذي يتناسب مع ما فعله المشركون من تحليل لما حومه الله وتحريم لما حلله الله والله أعلم.

القراءة الثانية:

قراءة (**ءآلله**) بإبدال همزة الوصل ألف مع المد فيها زيادة في تقريع وتوبيخ ما فعله المشركون وذلك لأن المد فيه إطالة زمن فيكون وقعها أثقل، وإيذاؤها أكبر لقلوب الكافرين، وهذه القراءة تتناسب مع قراءة (أرأيتم) بالهمز، أما قراءة تسهيل بين بين ففيها تخفيف فهي تتناسب مع قراءة (أرايتم) بدون تحقيق الهمز، فهي ألين ولعل لينها يكون له وقع ألطف فتلين لها قلوب الكافرين والله أعلم.

22- ﴿ **وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾** ﴾ **يونس**

أولاُ: القراءات:

1- قرأ الكسائي(**يَعْزِب**) بكسر الزاي.

وقرأ الباقون(**يَعْزُب**)بضم الزاي.[1]

2- قرأ يعقوب وحمزة وخلف (**أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ**) برفع الراء فيهما.

وقرأ الباقون (**أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ**) بنصب الراء فيهما.[2]

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

عَزَبَ عنه يَعْزُب عزوباً: أي ذهب وأعزبه الله ، أذهبه . وما يعزب عن ربك: أي لا شيء يغيب عن علمه. وفيه لغتان عَزَب يعزُب ويعزِب إذا غاب.[3]

---

(1) انظر[النشر (214/2)].

(2) انظر[المرجع السابق (214/2)].

(3) انظر[لسان العرب (695/1-696) مادة عزب].

أصغر: مفرد أصاغر والصِّغر: ضد الكبر.[1]

أكبر: ضد أصغر وأكبر الشيء جعله كبيراً وأكبره رآه كبيراً [2] وعظم عنده.

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

يقول سبحانه: **(وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ)** أي في أمر أو عمل مهم أو حال مهم **(وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ)** وما تقرأ من كتاب الله من القرآن ، الذي أنزله عليك **(وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ)** أيها الناس من خير أو شر **(إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا)** نشاهد ما تعملون **(إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ)** إذ تأخذون فيها ، وتعملونها **(وَمَا يَعْزُبُ)** يغيب ويبعد **(عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ)** من زنة نملة صغيرة ، أو وزن ذرة **(فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ**) يريد: اللوح المحفوظ الذي أثبت الله سبحانه فيه الكائنات.[3]

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى:

قرأ الكسائي (وما يعزِبُ) بكسر الزاي .

وقرأ الباقون **(يَعْزُب)** بضم الزاي ، وهما لغتان فصيحتان نقول (عـزَب يعـزُب ويَعزِب) مثل (عكف يَعكُف ويعكِف) مثل يعرِشُ و يعرُش [4] وبالرغم من أنها لغات؛ إلا أننا نستطيع أن نوجِّه هذه القراءات ، فقراءة (يعزُب) بالضم ، فلثقل الضم ، فإنه يتناسب مع قوله تعالى (من مثقال) حيث إنَّ المثقال: اسم آلة لما يُعرف به مقدار ثِقَل الشيء ، فهو وزن مفعال من ثِقل وهو اسم لصنج[5] مُقَدر بقدر معين،

---

(1) انظر[لسان العرب (4/458-459) مادة صغر].

(2) انظر[القاموس المحيط ص 601 مادة كَبُرَ].

(3) انظر[جامع البيان (11/ 129-130)، الجامع لأحكام القرآن (8/655-656)].

(4) انظر[الحجة: ابن زنجلة ص 334 ، اعراب القراءات السبع: ابن خالويه (1/270) ، الكشف (1/520) ، الجامع لأحكام القرآن (8/656)].

(5) صنج: صفيحة مدورة من النحاس الأصفر تضرب على أخرى مثلها للطرب ، وصنجة الميزان وسنجته انظر[لسان العرب (2/311) ، القاموس المحيط ص251 ، المصباح المنير ص209 ، المنجد ص413 مادة صنج].

يوزن به الثقل فناسب ثقل الضم مع ثقل المثقال.

وأما قراءة (يعزِب) بالكسر ، فلخفة الكسر فإنه يتناسب مع قوله تعالى (ذرة) في خفتها ، حيث إنّ الذرة هي النملة الصغيرة ، وأيضاً يطلق على الهباءة التي ترى في ضوء الشمس كغبار دقيق جداً.

والكسرة تتناسب أيضاً مع الخفاء ، فالعزوب وهو البعد فهو هنا مجاز للخفاء وفوات العلم ؛ لأنَّ الخفاء لازم للشيء البعيد، ولذلك عُلِّق باسم الذات دون صفة العلم فقال: (عن ربك).[1]

خامساً : الجمع بين القراءتين :

من قراءة الضم : نأخذ ثقل المثقال ، وقراءة الكسر : نأخذ خفة الذرة ، فلا يغيب عن علم الله ثقل الذرة أو خفتها ولا بعدها ولا قربها ، .... والله أعلم.

القراءة الثانية :

قرأ حمزة ويعقوب وخلف (ولا أصغرُ من ذلك ولا أكبرُ) بضم الراء فيهما.

أولاً : حملاً على موضع الموصوف ، وذلك أنَّ الموصوف الذي هو (من مثقال ذرة) الجار والمجرور فيه في موضع رفع، فيكون (ولا أصغرُ) عطفاً على محل (من مثقال) لأن (من مثقال) في محل رفع فاعل يعزب[2] ، والتقدير: وما يعزب عن ربك مثقال ذرة ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ؛ إلا في كتاب مبين.

ثانياً: على الابتداء قال الزّجاج: " ويجوز رفعه من جهة أخرى على الابتداء" [3] والخبر قوله (**إِلَّا فِي كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ**).

ويكون المعنى: ولا ما هو أصغر من ذلك ولا ما هو أكبر ؛ إلا في كتاب مبين.

وقرأ الباقون: (**وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ**) بفتح الراء فيهما ؛ لأن أفعل في الموضعين، في موضع جرّ ؛ لأنه صفة للمجرور الذي هو في قوله (**مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٍ**) [يونس: 61] ، وإنَّما فتح ؛ لأنّ أفعل إذا اتصل به منك كان صفة، وإذا كان صفة لم يتصرف في النكرة.

(1) انظر[التحرير والتنوير (214/11)].

(2) انظر[الحجة أبو علي الفارسي(285/4)، المغني (235/2)].

(3) نقله ابن زنجلة في كتابه الحجة عن الزجاج انظر[ص 334، وذكره الشوكاني في الفتح القدير (571/2)].

- وقد يجوز أن يُعطف قوله (ولا أصغر من ذلك) على (ذرةٍ) فيكون التقدير: ما يعزب عن ربك مثقال ذرة ولا مثقال أصغر من ذلك ولا أكبر.[1]

- وقال الزجاج:" الموضع موضع جر ؛ إلا أنه فتح ، لأنه لا ينصرف" [2]

- وإما أنْ تكون (لا) هي النافية للجنس ، وما بعدها اسمها (فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ) متعلق بمحذوف خبرها.[3]

الجمع بين القراءتين:

قال الفراء: " فمن نصبهما فإنما يريد الخفض يُتبعهما المثقال أو الذرة. ومن رفعهما أتبعهما معنى المثقال ؛ لأنك لو ألقيت من المثقال(من) كان رفعاً. وهو كقولك: ما أتاني من أحد عاقلٍ وعاقلٌ".[4]

23- ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ٧١ ﴾ يونس

أولاً: القراءات:

1. قرأ رويس (فاجْمَعُوا) بوصل الهمز ، وفتح الميم.

وقرأ الباقون (فَأَجۡمِعُوٓا) بتحقيق الهمزة ، وكسر الميم[5]

2. قرأ يعقوب (وَشُرَكَاؤُكُم) برفع الهمزة.

وقرأ الباقون (وَشُرَكَآءَكُم) بنصب الهمزة [6]

---

(1) انظر[الحجة:أبو علي الفارسي(285/4-286)].

(2) معاني القرآن: الزجاج (26/3).

(3) انظر[المستنير (247/1)].

(4) معاني القرآن : الفراء (470/1).

(5) انظر[النشر (214/2)].

(6) انظر[نفس المرجع السابق نفس الصفحة (214/2)].

3. قرأ يعقوب (**وَلاَ تُنظِرُونِي**) بإثبات الياء الزائدة في الحالتين (في الوصل وفي الوقف).

وقرأ الباقون (**وَلَا تُنظِرُونِ**) بحذف الياء الزائدة [1]

نافع، أبو عمر، حمزة ، الكسائي وأبو جعفر أثبتوها وصلاً لا وقفاً، أما ابن عمرو وعاصم وخلف ، فحذفوها في الحالين[2]

ثانياً : المعنى اللغوي للقراءات :

1- (**فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ**): أي : ادْعوا شركاء كم، لأنه لا يقال : أجمعوا شركاء كم ، وإنما يقال جمعت أو المعنى : أجمعوا مع شركائكم على أمركم [3] والواو بمعنى "مع" والإجماع الإحكام والعزيمة على الشيء ، وقراءة (فاجمعوا كيدكم) معناه لا تدعوا شيئاً من كيدكم إلا جئتم به.[4]

2- **شركاؤكم** : جمع شريك ، وهو المشارك وهو من الشرك ، بمعنى : أن تجعل لله شريكاً في ربوبيته، تعالى الله عن الشركاء والأنداد.[5]

3- **تنظروني:** من الفعل نظر ، والنَّظر حس العين ونظر ينظر نظراً ، والنظر تأمل الشيء بالعين، والنظر الانتظار. يقال: نظرتُ فلاناً وانتظرته بمعنى واحد. وأنظرني أي أمهلني.[6]

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

لما ذكر الله تعالى الدلائل على وحدانيته ، وذكر ما جرى بين الرسول وبين الكفار ، ذكر قصصاً من قصص الأنبياء، تسلية للرسول ﷺ ؛ ليتأسى بهم فيهون ويخف عليه ما يتعرض له من الشدائد ، وما يلقى منهم من التكذيب، وتذكيراً للمشركين بما

---

(1) انظر[النشر (216/2)].

(2) انظر[المرجع السابق (137/2)].

(3) انظر[القاموس المحيط ص 917-918 مادة جمع].

(4) انظر[لسان العرب (53/8-57) مادة جمع].

(5) انظر[المرجع السابق (448/10-449) مادة شرك].

(6) انظر[المرجع السابق(215/5-216) مادة نظر].

جرى لمن سبقهم في مثل فعلهم ، وكيــف كانــت عاقبــة الــذين كــذبوا الأنبيــاء والرسل -عليهم السلام- ، ذكر تعالى هنا في هذه الآية قصة نوح مع قومه.

يقول تعالى: (**وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ**) أي : اذكر لهؤلاء المشركين الذين قالوا: اتخذ الله ولداً من قومك ، وخالفوك وكذبوك ، أذكر لهم خبر نــوح (**إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى**) يقول: يا قوم إن كان قد شق عليكم ، وعَظُــم قيــامي معكــم للدعوة إلى عبادة ربكم (**وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ**) أي تذكيري ووعظي إياكم بآيات الله أي : بحججه وبراهينه الدالة على وحدانيته وعزمتم على قتلي أو طردي من بيــنكم فعلى الله اعتمادي واتكالي (**فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ**) اعزموا على ما تريدون مــن أمر تفعلونه بي أنتم واستعينوا بآلهتكم التي تعبدونها من دون الله (**ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً**) أي ليكن الذي تعتزمونه ظاهراً منكشفاً تتمكنون فيه مما شئتم ، لا كمن يكتم أمراً ويخفيه ، فلا يقدر أن يفعل ما يريــد (**ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ**) ثــم امضــوا إلــي بمكروهكم (**وَلَا تُنظِرُونِ**) ولا تؤخروا أمري ، وهذا الموقف من نوح – عليه السلام – موقف الواثق بالله ونصره؛ لأنَّه متوكل على الله ، غير خائف مــن أعــداء الله، واثق أنهم لن يضروه إلا بمشيئة الله، فكان ذلك حثاً للنبي ﷺ على التأســي بــه.[1]

لذلك على أصحاب الدعوة أن يكون لهم أسوة حسنة في رسل الله ، وإنَّه لينبغي لهــم أن تمتلئ قلوبهم بالثقة حتى تفيض وأن يتوكلوا على الله وحده في وجه الطاغوت أياً كان!

وضرر الطاغوت لهم وأذاهم هو ابتلاء للمؤمنين لا عجزاً منه سبحانه عن نصــرة أوليائه، ولا تركاً لهم ليسلمهم إلى أعدائه ، ولكنه الإبتلاء الــذي يمحــص القلــوب والصفوف ، ثم تعود الكرة للمؤمنين ، وبذلك يحق وعد الله لهم بالنصر والتمكين.[2]

---

(1) انظر[جامع البيان (11/141-143)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو الحسن الواحدي (1/504)].

(2) انظر[الظلال (3/1811)]

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى :

قرأ رويس(فاجْمَعُوا) بوصل الهمزة وفتح الميم ، وحجتهم قوله تعالى (رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ) [آل عمران: 9] [1] فيكون (فاجْمَعُوا) فعل أمر من جمع ضد فرَّق كقوله تعالى (فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ) [طه :60].

ويقال الإجماع في الأحداث مثل جمعت أمري ، والجمع في الأعيان : مثل جمعت القوم وقد استعمل كل مكان الآخر [2] فيكون المعنى على تقدير : فاجمعوا ذوي الأمر منكم أي ، رؤساءكم ووجوهكم، كما في قوله تعالى: (وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ) [النساء:83] فحذف المضاف ، وجرى على المضاف إليه ما كان يجري على المضاف ؛ لو ثبت. وعلى هذه القراءة حمل الشركاء على هذا الفعل الظاهر، لأنك جمعت الشركاء وجمعت القول ، فيكون بمنزلة قوله تعالى:(ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ) [هود:103].[3]

- وقرأ الباقون (فَأَجۡمِعُوٓاْ) بتحقيق الهمزة ، وكسر الميم على أفعل من الفعل.

أجمع الأمر: إذا نواه وعزم عليه ، وهذا ما قاله الفراء .[4] فأضمر للشركاء فعــلاً آخر ، كأنَّه فاجمعوا أمركم واجمعوا شركاءكم، فيكون جعل الأمر ما كانوا يجمعون من كيدهم الذي كانوا يكيدون به، فيكون بمنزلة قوله تعــالى: (فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ) [طه: 64] [5] وفي فتح القدير نقلاً عن أبي الهيثم[6] : " وأجمع أمره:

(1) انظر[الحجة ابن خالويه ص 103]

(2) انظر[النشر (214/2)].

(3) انظر[الحجة:أبو علي الفارسي (228/4)].

(4) انظر[معاني القرآن: الفراء (473/1)].

(5) انظر[الحجة أبو علي الفارسي (221/4)].

(6) هو مالك بن التّيهان الأنصاري الأوسي أبو الهيثم صحابي ، كان أول من أسلم من الأنصار بمكّة ، أحد النقباء الاثنى عشر شهد بدراً وأحداً ، وتوفي في خلافة عمر ، وقيل: شهد صفيل مع علي، وقتل بها سنة 37 هــ ، وكان شاعراً انظر[الأعلام (258/5)].

جعله جمعاً بعدما كان متفرقاً، وتفرقه أن تقول مرة افعل كذا، ومرة افعل كذا، فلما عزم على أمر واحد فقد جمعه فهذا هو الأصل في الإجماع ثم سار بمعنى العزم".[1]

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: يتضح المعنى الواسع من خلال القراءتين، والتقدير: اجمعوا كل ما تقدرون عليه من الأسباب التي توجب حصول مطلوبكم ثم لم يقتصر على ذلك بل أمرهم أن يضموا إلى أنفسهم شركاءهم.الذين كانوا يزعمون أن حالهم يقوى بمكانهم، وبالتقرب إليهم.[2]

القراءة الثانية :

قرأ يعقوب (وشركاؤُكم) برفع الهمز، وفي ذلك وجهان:

أ. أن تكون (شركاؤكم) عطفاً على ضمير (فأجمعوا) وحسنه، الفصل بالمفعول فيكون التقدير: فأجمعوا أنتم وشركاؤكم أمركم.

ب. ويحتمل أن يكون مبتدأ محذوف الخبر؛ للدلالة عليه، ويكون التقدير: وشركاؤكم فليجمعوا أمرهم كذلك.[3]

- وقرأ الباقون (**وَشُرَكَآءَكُمْ**) بنصب الهمز، وفيه ثلاثة أوجه:

الأول : بمعنى وادعوا شركاء كم، يؤيدها في مصحف أُبي (وادعوا شركاء كم)[4] وهذا ما قاله الكسائي والفراء أي ادعوهم لنصرتكم، فهو على هذا منصوب بفعل مضمر والتقدير: فأجمعوا أمركم وادعوا شركاء كم.[5]

والثاني: أن يكون معطوفاً على المعنى، أي معطوفاً على الأمر، والتقدير: فأجمعوا أمركم وشركاء كم.

الثالث : قاله الزَّجاج : " والمعنى مع شركائكم، فالواو على هذا واو مع " فيكون التقدير: فأجمعوا مع شركائكم أمركم . [6]

---

(1) فتح القدير: (577/2) وانظر[البحر المحيط قول أبو الهيثم أيضاً (179/5)].

(2) انظر[مفاتيح الغيب (112/17)].

(3) انظر[النشر(214/2)].

(4) انظر[البحر المحيط (179/5)].

(5) انظر[معاني القرآن: الكسائي ص 159، معاني القرآن ، الفراء (473/1)].

(6) انظر[معانى القرآن الزجاج (28/3) ، الحجة أبو على الفارسي (288/4-289)].

ونقل ابن خالويه قولاً عن البصريين : هو مفعول معه؛ لأن الـواو بمعنـى مـع، والتقدير: (فأجمعوا أمركم مع شركائكم) .[1]

الجمع بين القراءتين:

نجد أنَّ من رفع (شركاؤكم) حمله عطفاً على ضمير (فـأجمعوا) أو جعلـه مبتـدأ محذوف الخبر، ومَنْ نصب جعل الواو بمعنى (مع) أو عطفه على الأمر، أو قدر له فعلاً محذوفاً فنصبه، وكما ذكرنا سابقاً الجمع في ذلك[2].

القراءة الثالثة :

قرأ يعقوب (ولا تنظروني) بإثبات الياء الزائدة، وهذا يتسق مع السياق في الآيـة، مع ياءات قوله تعالى (مقامي، تذكيري)، والوقـف باليـاء يكـون اتباعـاً لرسـم المصحف.

وأيضاً جاءت الياء الزائدة، تأكيداً لمدلول التضمين المشار إليه بـ (إلـىّ) وقـرأ الباقون (**وَلَا تُنظِرُونِ**) بحذف ياء المتكلم، وذلك للتخفيف، وهو حذف كثير في فصيح الكلام، وبقاء نون الوقاية مشعر به.[3]

وقد تأتي الياء في مقام الإطالة والتفصيل، وتجتزأ عنها بالكسرة في مقـام الإيجـاز والاختصار.[4]

لذلك كان التخفيف هنا؛ لأنه اختصر السياق إلى تفصيلات القصة إلى حلقة واحـدة، واختصر تفصيلات الحلقة الواحدة إلى نتائجها الأخيرة، فناسـب اختصـار اليـاء وحذفها هذا الاختصار، حيث إن الهدف من القصة في هذا الموضع، كـان إبـراز التحدي والاستعانة بالله وحده.[5]

أيضا ًتخفيف الياء يدل على: قلة المبالاة بهم للاعتماد علـى الله؛ لأنـه لا يعجـزه شيء، ومعبوداتهم لا تغني شيئاً.

(1) انظر[إعراب القراءات: ابن خالويه (271/1)].
(2) راجع الآية 23 من سورة يونس ص314.
(3) انظر[التحرير والتنوير(240/11)].
(4) انظر [بلاغة الكلمة ص 24].
(5) انظر[الظلال(1810/3)].

الجمع بين القراءتين:

1- بالجمع بين القراءتين: أرى أنَّ مَنْ قرأ بالياء، نظر إلى أنَّ المقام مقـــام شـــرح وتفصيل... وذلك للتحدي فناسب التفصيل الإتيان بالياء، ومن خفـف نظـر إلـى اختصار تفصيلات القصة إلى حلقة واحدة، فناسب التخفيف، والله أعلم.

2- الوقف بالياء اتباعاً لرسم المصحف، ورسم المصحف أشبه برموز التلحين، فكل رمز منها تعني صوتاً أو إيقاعاً أو درجة في الإيقاع، وائتلاف هذه الرموز بعضـــها مع بعض هو اللحن الذي يمكن سماعه إذا رتل القارئ هذا الـــنص أو ذالـــك مـــن نصوص القرآن الكريم، والإيقاع الذي يتيح الرسم سماعه ويعطي للقــراء فرصـــة الاختيار.(1)

24- ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ **يونس**

أولاً: القراءات:

1. قرأ المدنيان (نافع وأبو جعفر) وأبو عمرو وابن عامر وحفص (أجريَ إلا) بفتح ياء الإضافة.

2. وقرأ الباقون (أجري~ إلا) بإسكان ياء الإضافة مع المد.(2)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

الأجــر: الجزاء على العمل، والجمع أجور، والأجر: الثواب ؛ وقد أَجَرَه الله يـــأجُرُه ويأْجِرُه أجْراً وآجَرَه الله إيجاراً ، أجرته الدار: أكريتُها(3)

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

نقل الفخر الرازي عن المفسرين قولهم في هذه الآية:" هذا إشارة إلى أنه مـــا أخـــذ منهم مالاً على دعوتهم إلى دين الله تعالى، ومتى كان الإنسان فارغاً من الطمع كان

---

(1) انظر [الإعجاز الموسيقي ص107- 111].

(2) انظر[النشر(216/2)].

(3) انظر[لسان العرب (10/4-11) مادة أجر].

قوله أقوى تأثيراً في القلب ".[1]

وفيه تبيين منه- عليه السلام- بأنه لا يخاف منهم بوجه من الوجوه[2] .قال تعـالى: (فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍ) أي فإن دام إعراضكم وتوليكم عما جئت به إليكم من توحيد الله، ورفض آلهتكم، فلست أبالي بكم وذلك؛ لأن توليكم لا يضرني، وذلك لأن ما دعوتكم إليه وما وعظتكم به، لم أسألكم عليه أجراً ولا مـالاً (إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ) في تبليغ رسالته، فكانت النصيحة لوجه الله، لا لغرض دنيوي (وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ) أي سواء قبلتم دين الإسلام أم لم تقبلوه، فأنا مأمور أن أكون على دين الإسلام، ذلك الدين الحنيف الذي هو توحيد الله والعمل بطاعته أو يكـون المعنى: أني مأمور بالانقياد والاستسلام لحكم الله وأمره، والاستسلام لكل ما يصيبني من البلاء.[3]

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قد ذكرت التوجيه على فتح وإسكان ياء الإضافة.[4]

ولكني أضيف هنا، أنَّ قراءة إسكان ياء الإضافة (أجرى~ إلا) تتناسب مع السـياق في الآية السابقة في قراءة إثبات الياء الزائدة في (تنظروني) وقـراءة فـتح يـاء الإضافة تتناسب مع قراءة حذف الياء من (وَلَا تُنظِرُونِ) وعليه، فإن التوجيه الـذي ذكرته في الآية السابقة يصح أن نعمله على هذه القراءات، وأيضاً المد فـي قـراءة التسكين تدل على التعب والإرهاق الشديد وعلى هم نفس النّبي نوح عليـه السـلام، وشدة حسرته على قومه، وحرصه على أن يؤمنوا، وفي المد أيضاً إطالـة بـالزمن وذلك بأنه لا يريد الأجر في الدنيا، وإنما سيناله يوم القيامة والله أعلم.

25- ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ يونس

---

(1) مفاتيح الغيب (112/17).

(2) انظر[المرجع السابق نفس الصفحة].

(3) انظر[المحرر الوجيز (133/3) ، مفاتيح الغيب (112/17)، الجامع لأحكام القرآن (662/8)، البحر المحيط (180/5)].

(4) راجع ص299-300.

أولاً: القراءات:

1. قرأ أبو بكر (شعبة) (وَيَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ) بالياء على التذكير.

2. وقرأ الباقون، وأكثر أصحاب أبي بكر (وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ) بالتاء على التأنيث.[1]

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

يكون وكان من كنت من الأفعال التي ترفع الأسماء وتنصب الأخبار، كقولك كان زيد قائماً، ويكون عمرو ذاهباً، والمصدر كوناً وكياناً والكون الحدث، وقد كان كَوْناً وكَيْنونة.[2]

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

حكى الله تعالى في هذه الآية عن فرعون وقومه، أنهم لم يقبلوا دعوة موسى عليه السلام، وعلَّلوا عدم القبول بأمرين:

الأول: قوله (**أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا**) ذكر الأخفش اللفت بمعنى اللوي[3] فيكون المعنى لتصرفنا وتلوينا(**عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا**) عن عبادة الأصنام وعبادة فرعون.

الثاني: في عدم القبول وقوله (**وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ**) أي ويكون لكما الملك والعز في أرض مصر، والخطاب هنا لموسى وهارون. وقال الزجاج: " وإنّما سمّي الملك كبرياء؛ لأنه أكبر ما يطلب من أمر الدنيا"[4] فلما ذكر القوم هذين السببين صرَّحوا بالحكم، وقالوا :(**وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ**) أي: بمقرّين بأنّكما رسولان أرسلتما إلينا.[5]

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ أبو بكر (**وَيَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ**) بالياء على التذكير، وذلك لمراعاة اللفظ والمعنى، فلمراعاة اللفظ ؛لأنَّ الكبرياء مؤنث غير حقيقي، ولأنه فُصل بينه وبين

---

(1) انظر[النشر(2/214-215)] .

(2) انظر[لسان العرب(13/363-365) مادة كون].

(3) انظر[معاني القرآن: الأخفش(2/572)] .

(4) معاني القرآن الزجاج(3/29).

(5) انظر[جامع البيان (11/146-147)، مفاتيح الغيب(17/124)].

الفعل، ولأنَّه اسم (ويكون جمع تكسير).
ولمراعاة المعنى فلأنَّ الكبرياء بمعنى المُلك، فناسب تذكير الفعل يكون.
وقرأ الباقون (وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ) بتاء التأنيث، وهو الوجه الثاني لشعبة (أبو بكر) وذلك لتأنيث اسم (وَتَكُون).(1)

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: أرى أن من ذكّر الفعل حمل التذكير على المعنى، ومن أنّث الفعل حمل التأنيث على اللفظ ..... والله أعلم .

26-﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ٱئۡتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ٧٩ ﴾ يونس

أولاً: القراءات:

1. قرأ حمزة والكسائي وخلف(سَحَّارٍ) على وزن فعّال بتشديد الحاء وألف بعدها.
2. وقرأ الباقون (سَٰحِرٍ) على وزن فاعل والألف قبل الحاء.(2)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

ساحر: اسم فاعل من السحر يُقال رجل ساحرٌ من قوم سحرة وسَحَّار، وسحّار من قوم سحارين .(3)**والسِّحر** سبق تعريفه.(4)

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

ادّعى فرعون وأتباعه أن ما جاء به موسى هو سحر، فأخذوا في معارضته بأنواع من السِّحر؛ ليظهر لسائر الناس أن ما أتى به موسى هو من باب السِّحر، ففي قوله تعالى: (وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ٱئۡتُونِي) أسند الفعل إليه وحده؛ لأن الأمر من وظائفه، أي: قال لخدمه والمتصرفين بين يديه (بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ) في فن السِّحر ماهر به.(5)

(1) انظر[البحر المحيط(182/5)، الدر المصون(248/6)، المغني في توجيه القراءات(238/2)].
(2) انظر[النشر (203/2) (215/2)].
(3) انظر[لسان العرب (348/4) مادة سحر].
(4) راجع ص 283.
(5) انظر[البحر المحيط (182/5، المقتطف من عيون التفاسير (491/2)].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ حمزة،والكسائي، وخلف(**سحّار**)على وزن فعّال بتشديد الحاء وألف بعدها، وهي على صيغة فعَّال التي تدل على الحرفة والصناعة وتقتضي الاستمرار والمزاولة.

وقرأ الباقون (**سَٰحِر**) على وزن فاعل والألف قبل الحاء، وهي علــى وزن فاعــل وهذه الصيغة تفيد عدم المزاولة والاستمرار.(1)

خامساً: الجمع بين القراءتين:

أمر فرعون بإحضار جميع السحرة المتمكنين في علم السحر المزاولين له، وذلــك لأنهم أبصر بدقائقه وأقدر على إظهار ما يفوق خوارق موسى في زعمــه، وهــذا المعنى نأخذه من قراءة (**سحّار**) صيغة المبالغة .

أما قراءة(**سَٰحِر**)فأرى أنه أراد حضور السحرة؛ فجاءت قراءة صيغة المبالغة تبين أنَّ طلبه هو السحرة المتمكنين المتمرسين الذين يمارسون مهنة السحر والله أعلم.(2)

27- ﴿ **فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٨١** ﴾ **يونس**

أولاً: القراءات:

1. قرأ أبوعمرو وأبو جعفر (**بهءَآلسِّحْرُ**) بزيادة همزة استفهام قبل همزة الوصــل وعندها تمد مداً مشبعاً للساكنين، أو تسهل بين بين ، وعلى ذلك توصل هاء الضمير في (به) بياء.
2. وقرأ الباقون (**بِهِ ٱلسِّحۡرُ**) بهمزة وصل على الخبر فتسقط وصلاً، وتحذف يــاء الصله في الهاء قبلها؛ لالتقاء الساكنين.(3)

---

(1) انظر[معاني الأبنية ص110، ص175].

(2) انظر[التحرير والتنوير (253/11)].

(3) انظر[النشر (293/1-294) (215/2)].

ثانياً: التَّفسير الإجمالي للآية:

(**فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ**) ما هم ملقوه من العِصي والحبال، واسترهبوا الناس، قال لهم موسى هذه المقالة، وهو غير مكترث بما صنعوا(**مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُ**) الذي جئتم به أيها السحرة هو السحر، لا آيات الله التي سماها فرعون بأنها سحر(**إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓ**) أي إن الله سيذهبه ويمحقه بالكليّة، وحقاً أذهبه الله بأنْ سلّط عليه عصا موسى، حيث حوّلها ثعباناً، فلقفت كل ما ألقى السّحرة من الحبال والعِصِيّ (**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ**) يعني: لا يصلح عمل من يسعى في الأرض الفساد من معاصي وغيرها.(1)

ثالثاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر (ءَآلسِّحْرَ) بهمزة استفهام في أوله، وبالمد لتسهيل الهمزة الثّانية، فتكون (ما) في قوله (ما جئتم به) استفهامية، وهي في موضع رفع على الابتداء. فكأنّه قال: أي شيء جئتم به؟ ثم قال على وجه التوبيخ والتقريع (آلسِّحْرُ) فتكون بدل من المبتدأ ذلك وهو اسم الاستفهام (ما) ولذلك أعيد الاستفهام ليساوي المبدل منه؛ لأن ذلك كما تقول كم مالك، أعشرون أم ثلاثون ؟ فجعلت (عشرون) بدلاً من (كم) وهذا يوافق القاعدة التي تقول : " إذا استبدل اسم من اسم مضمن معنى حرف استفهام، ذكر ذلك الحرف مع المبدل ".(2) ولا يلزم أن يضمر للسّحر خبر؛ لأنك إذا أبدلته من المبتدأ صار في موضعه وصار ما كان خبراً عن المبدل منه خبراً عنه ، فتكون (جئتم به) الخبر. فكان الاستفهام هنا ليس على معنى الاستخبار؛ لأن موسى- عليه السلام- أيقن أن الذي جاءوا به سحر، لكنه استفهام

---

(1) انظر[جامع البيان (11/147-148)، المقتطف من عيون التفاسير(2/491)].

(2) انظر[أوضح المسالك عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام، الأنصاري المصري (ت 761هـ) (3/310) دار الجيل – بيروت- لبنان- ط 5- 1399هـ – 1979م ومعه كتاب عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك محمد محي الدين عبد الحميد] .

في اللفظ، ومعناه التقرير.[1] وخلاصة الكلام أنَّ (آلسّحر) استفهام مبـيِّن لــــ(ما) الاستفهامية وهو مستعمل للتّحقير، والمعنى : أنه أمر هيِّن يستطيعه ناس كثيرون.[2]

وقرأ الجمهور[3] (آلسِّحْرُ) بهمزة وصل في أوله هي الهمزة (أل) فتكون (ما) فـي قوله(ما جئتم به) اسماً موصولاً بمعنى الذي، وهـو فـي موضـع رفـع الابتـداء و(السّحر) خبر المبتدأ و(جئتم به) صله (ما). والتّقدير: الذى جئتم بـه السّـحر، لا آيات الله التي سمّاها فرعون سحراً.

ويؤيد هذا التّقدير قراءة أُبي [4] وما في مصحفه: (ما أتيتم به سحر)، وقراءة عبد الله والأعمش[5] والتّعريف في السّحر هنا يقول فيه ابن عطيّة: " أرتب؛ لأنّه قد تقدم منكراً في قولهم (إِنَّ هَـٰذَا لَسِحْرٌ) [يونس: 76] فجاء هنا بلام العهد، كما يقال في أول الرّسالة: سلام عليك وفي آخرها والسّلام عليك".[6] وقد ذكر السّمين الحلبي خمسة أوجه في قراءة أبي عمرو، وأربعة أوجه في قراءة الجمهور، وناقشها ورد منها ما ردّ، وقَبِل منها ما قَبِل، و ما ذكرته هنا في هذه القراءات هو الخلاصة.[7]

رابعاً: الجمع بين القراءتين :

بالجمع بين القراءتين يتبين لنا : أنَّ الأسلوب تعدد، فجاء مرّة أسلوباً خبرياً، ومـرّةً إنشائياً، وهذا يدل على جمال القرآن الكريم وإعجازه ، فالبرغم مـن أنَّ الأسـلوب اختلف؛ إلا أنه أدى نفس المعنى، وزاد أسلوب الاستفهام بمعنى آخر وهـو تقريـع وتوبيخ السّحرة.

---

(1) انظر[الكشف (521/1)، الحجة ابن زنجلة ص 335، الحجة أبو على الفارسي (290/4-291) مفاتيح الغيب(115/17)].

(2) انظر[التحرير والتنوير (256/11)].

(3) انظر[مراجع الهوامش السابقة جميعها] .

(4) ذكرها أبو حيان في تفسيره (183/5).

(5) سبقت ترجمة له ص 44 .

(6) المحرر الوجيز (3/ 135) .

(7) انظر[الدر المصون(249/6-254)].

وأيضاً بالجمع نجد أن هذه القراءات ترتَّب عليها وجوه إعرابية في الآية الواحدة، فكانت القراءات سبباً في اختلاف النّحاة في توجيه الآية القرآنية من حيث إعرابها كما رأينا سابقاً في العلاقة التفسيرية.

28- ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾ **يونس**

أولاً: القراءات:

1- قرأ الكوفيّون (عاصم، حمزة، الكسائي، خلف) (**لِيُضِلُّوا**) بضم الياء.

2- وقرأ الباقون (**لِيَضِلُّوا**) بفتح الياء.(1)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

ليضلّوا: من الفعل ضلل ومنه الضّلال والضّلالة وهما ضد الهدى والرشاد. ضَلَلْتُ تَضِلُّ هذه اللغة الفصيحة، وضَلِلْتُ تَضَلُّ وضلالةً، وأضَلَّهُ جعله ضالاً.(2)

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

لماّ بالغ موسى في إظهار المعجزات الظاهرة، ورأى القوم مصرّين على الجحود والإنكار، أخذ يدعو عليهم وذكر سبب إقدامهم على جرائمهم، وهو أنهم لأجل حبهم الدّنيا تركوا الدّين، فلهذا السّبب قال موسى -عليه السلام- (**رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا**) يقول الرّازي : " والزّينة عبارة عن الصّحة والجمال واللّباس والدّواب وأثاث البيت والمال، وما يزيد على هذه الأشياء من

---

(1) انظر[النشر (197/2) (215/2)].

(2) انظر[لسان العرب (390/11-393)، مادة ضلل].

الصّامت والنّاطق" .[3] ثم قال (لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ) أي جعلت هذه الأشياء السّـابقة سبباً لضلالهم ؛ لأنهم بطروا فاستكبروا عن الإيمان، فكانت الأشياء التي أمـدّهم الله بها على سبيل الاستدراج، ليزدادوا إثما، وقوله هذا ذكره، ليمهـد للـتّخلص إلـى الدّعاء عليهم. (رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ) أي أهلكها قاله مجاهـد [1] (وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ) يعني الضلالة(فَلَا يُؤْمِنُواْ)[2] بالله فيما يرون من الآيات (حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ) يعني الغرق، فاستجيب في ذلك، فلم يؤمن فرعون حتى أدركه الغرق.[3]

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ أهل الكوفة (لِيُضِلُّوا) بضم الياء: أي ليضلوا غيرهم، أي يُضـلوا النـاس عـن الهدى. والحجّة: أنه جعل الفعل متعدياً منهم إلى غيرهم، فدل على أنَّ ماضي الفعل على أربعة أحرف.

وحجّتهم أيضاً في ذلك أنَّ ما تقدم من وصف فرعون بما وصف أنه بذلك ضال غير مهتد؛ فكان وصفه بعد ذلك بأنه مع ذلك مضل لغيره، ويزيد الكلام فائدة ومعرفة ما لم يكن مذكوراً فيما تقدّم من وصفه.[4]

يقال ضللت الطّريق أضِلُّه وضلِلْتُه أضلَّه، وأضلّ الشيء إذا ضيّعه .[5]

وقرأ الباقون: (لِيَضِلُّوا) بفتح الياء أي ليضلّوا هم أو يضلّوا في أنفسـهم، وحجّـتهم قوله:(إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ) [النّحل: 125] وقد ضلّوا. [6]

والحجّة أنه جعل الفعل لازماً إليهم غير متعدٍ إلى غيرهم، فدّل على أنَّ ماضيه على ثلاثة أحرف. يقال ضلّ فلانٌ الشّيء يضله : إذا جعلَه في مكان ثم لم يهتـد لـه.[7]

واختلف في اللاّم التي في (ليضلّوا) وأصح ما قيل فيها وهو كما نقل القرطبي عـن قول الخليل وسيبويه أنها لام العاقبة والصّيرورة.

---

(3) مفاتيح الغيب (119/17).

(1) انظر[تفسير الإمام مجاهد (383/1)].

(2) انظر[المرجع السابق نفس الصفحة].

(3) انظر[جامع البيان (160/11)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو الحسن الواحدي (506/1)].

(4) انظر[الحجة: ابن خالويه ص80، والحجة ابن زنجلة 335، زاد المسير (246/2)].

(5) انظر[معاني القراءات ص 168].

(6) انظر[الحجة ابن زنجلة ص 336].

(7) انظر[الحجة: ابن خالويه ص 80، معاني القراءات ص 168].

أي: لما كان عاقبة أمرهم إلى الضلال صار كأنَّه أعطاهم ليضلوا [8] كما قال -عز وجل- (فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ) [القصص: 8] أي فآل أمرهم إلى ذلك، وكأنَّهم فعلوا ذلك لهذا .[9]

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: لاحظت أنّ قراءة (لِيَضلّوا) أي يصيرون ضُلاَّلاً، وقراءة (لِيُضِلّوا) بضم الياء ليضلّوا غيرهم. فجاءت القراءة الثّانية توضح وتزيد في المعنى على القراءة الأولى؛ ففيها من البلاغة ما فيها ، لأنّه قد يضل في نفسه، ولا يُضِل غيره. أما القراءة الثّانية: فتفيد أنه ضال مضل : أي أنهم ضالّون بشركهم مضلّون غيرهم.[1]

29- ﴿ قَالَ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا فَٱسۡتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ يونس

أولاً: القراءات:

1- قرأ ابن ذكوان **(ولا تَتَّبِعانِ)** بتخفيف النّون.

- وقرأ الباقون **(وَلَا تَتَّبِعَآنِّ)** بتشديد النّون والتّاء وكسر النون.

2- انفرد ابن مجاهد [2] عن ابن ذكوان[3] **(ولا تَتْبَعانِّ)** بتخفيف التّاء الثّانية ساكنة وفتح الباء مع تشديد النّون و لكن هذا الوجه قال فيه الداني إنه غلط ممن رواه عن ابن ذكوان ، و صحح هذه القراءة ابن الجزري من غير طريق ابن مجاهد.[4]

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

---

(8) انظر[الجامع لأحكام القرآن (670/8)، وفتح القدير (585/2)].
(9) انظر[إعراب القرآن للنحاس (489/1)].
(1) انظر[الحجة ابن زنجلة ص 378 – 379 ، روح المعاني (219/13) ، علم القراءات د. نبيل آل إسماعيل ص48].
(2) سبقت ترجمة له ص40.
(3) سبقت له ترجمة ص52.
(4) انظر[النشر (215/2)].

تتّبعان : مشتق من الفعل تبع، وتبع الشّيء تبعاً وتباعاً في الأفعال وتَبِعْت الشّيءَ تبوعاً أي سِرْت في إثره، واتبعه وأتْبعه وتتبعه اتّباعاً، وتبعت القوم تَبعاً وتباعه بالفتح ، إذ مشيت خلفهم أو مرّوا بك فمضيت معهم.[5]

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

يقول الطّبري في صدر تفسيره لهذه الآية: " وهذا خبر من الله عن إجابته لموسى عليه السلام وهارون دعاءهما على فرعون وأشراف قومه وأموالهم".[1]

(قَالَ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا) أي قال الله تعالى لموسى وهارون عليهما السّلام قد استجبت دعوتكما على فرعون وقومه، وقد نسب الدّعوة إليهما مع أنَّ موسى هو الداعي، وذلك لأن هارون أمّن على الدعاء، فالتّأمين كالدّعاء؛ لأنَّ آمين معناها استجب.[2]

(فَٱسۡتَقِيمَا) أُمرا بالاستقامة على أمرهما، والثّبات عليه، حتى يأتيهما تأويل الإجابة ويُقال: إنَّه كان بينهما أربعون سنة [3] أي بين الدعاء وبين الإجابة وهي غرق فرعون وجنوده، واحتمال أن يكون معنى **(فَٱسۡتَقِيمَا)** أي استقيما على ديني أو استقيما على الرّسالة وما أمرتكما به .[4]

(وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ) ، أي لا تسلكان طريق الجهلة في الاستعجال وعدم الوثوق بوعد الله، أو الذين يجهلون حقيقة وعد الله، فإن وعد الله لا خلف له.[5]

---

(5) انظر[لسان العرب (8/27-29) مادة تبع].

(1) جامع البيان (11/160).

(2) انظر[معاني القرآن الفراء(1/478)، معاني القرآن النحاس (1/490)، مفاتيح الغيب(17/122)].

(3) انظر[معاني القرآن الفراء (1/478)، البحر المحيط(5/187)].

(4) انظر[زاد المسير (2/347)].

(5) انظر[المقتطف من عيون التفاسير(2/494)].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

1- قرأ ابن ذكوان (ولا تتّبعانِ) بتخفيف النّون مع كسرها، ولا تحتمل أن تكون للنّفي أو النّهي وفيه ثلاثة أوجه:

أحدهما: أ- أنَّ الفعل معرب مرفوع، والنّون علامة الرفع، و(لا) هنا نافية، ويصير اللّفظ لفظ الخبر، ومعناه النهي كقوله تعالى (لا تضارُ والدة) على قراءة أبي عمر وابن كثير[6] برفع الرّاء [7] فالجملة وإن كانت خبرية لفظاً؛ إلا أنها طلبية المعنى، لأنَّ المراد منها النّهي، والنّهي المخرج بصورة المخبر أبلغ من النّهي المخرج بصورته، ويجوز أن تعتبر الجملة مستأنفة للإخبار بأنهما لا يتبعان سبيل الجاهلين.[1]

ب- أو أن يُجعل (ولا تتّبعان) حالاً من الضّمير في (فاستقيما) والتقدير: أي فاستقيما غير مُتَّبِعَيْن سبيل الذين لا يعلمون أي: فاستقيما، وأنتما لا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون.[2]

ثانياً : أنه مبني والنّون نون التّأكيد الخفيفة كُسرت كما كُسرت الثقيلة أو كسرت لالتقاء السّاكنين تشبيهاً بالنون (من رجلان ويفعلان) ومنع ذلك سيبويه؛ لأنَّه لا يرى وقوع النّون الخفيفة بعد الألف، سواءً كانت الألف ألف تثنية أو ألف فصل بين نون الإناث ونون التّوكيد نحو:

"هل تضربنان يانِسْوَن" وكذلك النون الخفيفة إذا لقيها ساكن، لزم حذفها، ولا يجوز تحريكها.[3]

ولكن ذكرت كتب التَّفسير بأن الفرّاء وغيره أجازوا ذلك [4] وأبقوا النّون ساكنة؛ لأنَّ الألف بخفّتها، أو لأنَّ المد الذي على الألف يقوم مقام الحركة، وكسروها على أصل التقاء السّاكنين.[5]

---

(6) انظر[النشر (171/2)].

(7) انظر[المرجع السابق (215/2)، الكشف(522/1)].

(1) انظر[روح المعاني (163/11)].

(2) انظر[الكشف (522/1) ، الحجة : ابن زنجلة ص336].

(3) انظر[كتاب سيبويه (520/3-526)].

(4) انظر[روح المعاني (164/11)، الدر المصون(262/6)، النشر (215/2)].

(5) انظر[الفريد في إعراب القرآن المجيد(590/2)].

ثالثاً: أنّه مبني، والنّون هي الثّقيلة أي نون التّأكيد الدّاخله على النّهي؛ إلا أنّها استثقل تشديدها فخففت كما خُففت رُبَ وحذفت النّون الأولى، ولم تحذف الثانية، لأنّها لو حذفت لحذفت نون محرّكة، واحتيج إلى تحريك السّاكنة وحذف السّاكنة أقل تغييراً.

بمعنى أننا لو حذفنا الثّانية المتحرّكة التقى ساكنان، فنحتاج إلى الحذف والتّحريك، فيكون حذف السّاكن أسهل.(6)

2- وقرأ الباقون (ولا تَتَّبعانِّ) بتشديد النّون، وذلك على أصلها؛ لأنَّها النّون المشدّدة (التّأكيد) التي تدخل الأفعال للتّأكيد في الأمر والنّهي وشبهه. (7) وهنا دخلت على النّهي، فـ(لا) هنا النّاهية، وموضع (تتبعان) وهو الفعل المبني في محل جزم بحذف النّون؛ إلاّ أن النّون الشديدة دخلت للنّهي مؤكدة، وكسِرت لسكونها وسكون النّون التي قبلها واختير لها الكسر؛ لأنَّها بعد الألف، فشبهت (نون التّوكيد) بنون الاثنين(1) وشبهها في كونها مزيدة مثلها، وداخلة لمعنى كدخولها وحذف النّون التي هي علامة الرّفع في فعل الاثنين كحذف الضّمة التي هي علامة للرفع في فعل الواحد.(2)

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين يتبين أنَّ قراءة التّخفيف:

أ- كانت (لا) فيها إما ناهية أو نافية على أسلوب الخبر، وجاءت قراءة التّشديد مؤكدة للنّهي، فكانت (لا) فيها ناهية فأفادت التّأكيد على الاستقامة؛ لأنَّ اتباع طريق الذين لا يعلمون شاملٌ للاستقامة وأيضاً هو تنبيهٌ على توخي السّلامة من العدول عن طريق الحق اهتماماً بالتّحذير من الفساد، ومن الاستقامة أن يستمرا على الدّعوة إلى الدّين ولا يضجرا، فجاءت قراءة التّشديد تتناسب مع المعاني الكثيرة التي أفادتها الآية.

---

(6) انظر[المرجع السابق (590/2) ، النشر(215/2)].

(7) انظر[الكشف (522/1)].

(1) انظر[معاني القرآن : الزجاج(31/3) ، فتح القدير (586/2)].

(2) انظر[الفريد في إعراب القرآن المجيد (590/2)].

ب- وقراءة التّشديد أفادت بأن النّون الخفيفة في قراءة التخفيف، هي للتّوكيد وليست نون الاثنين، ودخولها على الفعل في أربعة مواضع للتّأكيد في الأمر والنّهي والاستفهام والجزاء.(3)

3-و قراءة (ولا تتْبَعانّ) بتخفيف التّاء الثّانية ساكنة، وفتح الباء، وتشديد النّون، في حين قرأ الباقون (تتّبِعانّ) بتشديد التّاء الثّانية، وكسر الباء مع تشديد النّون.

والحجّة لمن خفف التّاء الثّانية: أنه أخذه من تبَع يتْبع ، والحجّة لمن شدد: أنه أخذه من اتَّبع يتَّبع.(4) ومعنى تبعه بشيء: خلفه، واتَّبعه كذلك، إلا أنه حاذاه في المشي، واتبعه: لحقه(5) والمعنى على قراءة التّخفيف: النّهي لهما عن سلوك طريقة من لا يعلم بعادة الله سبحانه وتعالى في إجراء الأمور على ما تقتضيه المصالح تعجيلاً وتأجيلا.(1)

فأرى الجمع بين قراءة التخفيف في التاء و التشديد هو ما يلي:

قراءة التّخفيف أفادت: بأن لا نتبع سبيل الجاهلين، بأن نكون خلفهم، أي: لا نقلدهم التّقليد الأعمى، ونسير خلفهم كالإمّعةِ في حين أنَّ قراءة تشديد التّاء أضافت معنىً آخر بجانب هذا المعنى، أن لا نكون جنباً إلى جنب مع هؤلاء الجاهلين ونساعدهم ونشجعهم على جهلهم هذا، بل وننتصر وندافع عنهم، فكل ذلك منهيٌ عنه، والله أعلم.

30- ﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩٠ ﴾ يونس

أولاً: القراءات:

---

(3) انظر[الحجة: ابن خالويه ص 103].

(4) انظر[المرجع السابق بنفس الصفحة].

(5) انظر[الدر المصون (262/6)].

(1) انظر[فتح القدير (587/2)].

1-قرأ حمزة والكسائي وخلف(ءَامَنت إِنَّه) بكسر همزة إِنَّه.

2-وقرأ الباقون (ءَامَنتُ أَنَّهُۥ) بفتح همزة أنه.(2)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

سبق الكلام على " إنَّه " و " أَنَّه ".(3)

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

ذكر الله- تعالى- في هذه الآية خاتمة قصة فرعون مع موسى -عليه السلام- الدّالة على تأييد الله لموسي-عليه السلام- وأخيه على ضعفهما، وقوة فرعون جنوده، فكان موضوع الآية كيفية إغراق فرعون وجنوده، فقال تعالى: (وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ) أي جاوز بنو إسرائيل البحر بمعونته تعالى وقدرته وحفظه ، وجاوزنا من جاوز المكان إذا تخطّاه (ٱلۡبَحۡرَ) بفرقه- تعالى- بهم البحر، وانفلاقه لهم، وبجعل الأرض يبساً حتى بلغوا الشّاطىء، فتكون هذه المجاوزة معجزة من الله لموسى -عليه السلام- وأتباعه المؤمنين (فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ) فلحقهم فرعون وجنوده (بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ) أي: باغين ظالمين عليهم، وذلك ليفتكوا بهم، ويسومونهم سوء العذاب، وذلك أنَّ موسى -عليه السلام- خرج ببني إسرائيل وقد كانوا استعاروا من القبط حلِياً كثيرة، وخرجوا به معهم، فاشتدّ غضب فرعون عليهم، فتبعهم هو وجنوده حتى لحقهم، ووصل إلى الساحل (حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ) وفي الكلام حذف دلّ عليه السياق، والتقدير: فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً فغرّقناه (حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ) حتى إذا أشرف على الغرق قال آمنت وأقررتُ أنَّه لا إلَه بحق إلا الرب الذي آمنت به جماعة بني إسرائيل بدعوة موسى (وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ) الذين أسلموا وانقادوا لأمره وكرر المعنى الواحد بثلاث عبارات أولها قوله(ءَامَنت)

---

(2) انظر[النشر (216/2)].

(3) انظر[المرجع السابق بنفس الصفحة].

وثانيها، قوله (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ) وثالثها، قوله (وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ) حرصاً منه على النّجاة[1] وعلى سبيل التّلعثم، إذ ذلك مقام تَحار فيه القلوب؛ ولكن هيهات فقد فات الأوان، وجاء الإيمان حين اليأس.

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ حمزة، والكسائي، وخلف (آمنتُ إنَّه) بكسر همزة إِنّه على الاستئناف، حجتهما في ذلك: أنَّ الكلام متناه عند قوله: (آمنتُ) وأن الإيمان وقع على كلام محذوف وتقديره: آمنتُ بما كنتُ به قبل اليوم مكذباً، ثم استأنف: (إِنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ) [2] أو احتمال أن تكون بدلاً من آمنت، وتفسيراً له، أو على إضمار القول أي قائلاً إنه فيكون التقدير: آمنت، فقلت (إنّه)[1] أو آمنت قائلاً (إنه).

-وقرأ الباقون (ءَامَنتُ أَنَّهُۥ) بفتح همزة (أنه) على التقدير (آمنت بأنه) فلما سقط الخافض عمل الفعل فنصب .[2]

فالحجّة لمن فتح: أنه وصل آخر الكلام بأوله وهو يريد " أمنت بأنه "، فلما أسقط الباء وصل الفعل إلى (أنّ) فعمل فيها.[3]

أو أنها في محل نصب على المفعول به، أي: (آمنت توحيدَ) ، لأنه بمعنى صدّقت، أو أنها في موضع نصب بعد إسقاط الجارّ أي: لأنه[4] ويجوز أن يكون أوقع (آمنت) على أنه وما بعدها نفي الإلهية عن كل شيء غير من استثنيته من أن أعبده أو أرجع عنه.[5]

---

(1) انظر[جامع البيان (162/11)، تفسير القرآن العظيم(430/2) المقتطف من عيون التفاسير (495/2)، البحر المحيط(188/5)].

(2) انظر[الحجة : ابن زنجلة ص336] .

(1) انظر[البحر المحيط (188/5) ، المحرر الوجيز (141/3)].

(2) انظر[الحجة : ابن زنجلة ص 336، إعراب القراءات السبع (273/1)].

(3) انظر[الحجة: ابن خالويه ص 103].

(4) انظر[الدر المصون (264/6)].

(5) انظر[نظم الدرر (478/3)].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

لقد ترتَّب على القراءتين أوجهٌ إعرابية في الآية الواحدة، فمن قرأ بالكسر، فهو على الاستئناف وقطع الفعل (آمنت) عمّا بعده، ومَن قرأ بالفتح، فهو على الوصل، فوَصل الفعل ءامنت بما بعده.

ولكنَّ قراءة الكسر: تفيد التأكيد على شدة خوف فرعون من الغرق، لدرجة أنه لا يكتفي بأن يعلن بأنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل؛ بل زاد في استسلامه وقال وأنا من المسلمين و الله أعلم.

31- ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ٩٢ ﴾ يونس

أولاً: القراءات:

1. قرأ يعقوب(نُنْجِيك) بتخفيف الجيم وإسكان النون الثانية، ووافقه يونس والكسائي.
2. وقرأ الباقون (**نُنَجِّيك**) بتشديد الجيم وفتح النون الثانية.[1]

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

نُنَجِّيك: مشتق من الفعل نجا والنجاء أي الخلاص من الشيء، نجا ينجو نجواً ونجاءً ممدود، ونجاةً مقصور ونجّي واستنجى كنجا وأنجيت غير ونجيته وقُرئ بها قوله تعالى: فاليوم نُنَّجيك ببدنك، المعنى نُنَجيك لا بفعل بل نُهْلِكُكَ، فأضمر قوله لا بفعل. قال ابن بري [2]: " قوله لا بفعل يريد أنه إذا نجا الإنسان ببدنه على الماء بلا فعل فإنه هالك، لأنه لم يفعل طفوه على الماء، وإنما يطفو على الماء حياً بفعله إذا كان حاذقاً بالعوم، ونجّاه الله وأنجاه " ، والنجوة والنجاة ما ارتفع من الأرض فلم يعله السيل، فظننته نجاءَك والجمع نِجاء وقوله تعالى فاليوم ننجيك ببدنك، أي: نجعلك فوق نجوة من الأرض فنظهرك أو نلقيك عليها لتُعرف؛ لأنه قال ببدنك ولم يقل بروحك[3]، قال الزّجاج: "معناه، نلقيك عرياناً، لتكون لمن خلفك عبرةً".[4]

---

(1) انظر[النشر (194/2)، (216/2)].

(2) هو علي بن محمد بن الحسين الرباطي ، أبو الحسن ، المعروف بابن بري: عالم بالقراءات ، ومن كتبه الدرر اللوامع في أصل مقرئ الإمام نافع ، ولد عام 660هـ - 1261م ، وتوفي عام 730هـ - 1330م انظر[الأعلام (5/5)].

(3) انظر[لسان العرب (304/15-305) مادة نجا].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

هذه الآية تعتبر المشهد الأخير لخاتمة فرعون اللعين، وجاء السياق مختصراً مجملاً؛ لبيان رعاية الله وحمايته للمؤمنين وهلاك الكفرة والمعاندين فقال تعالى: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ وهنا بدأ الآية بالفاء، وهي الفاء الفصيحة، وذلك لتفصح عن شرط مقدر في الكلام يدل عليه السياق والمعنى فإن أردت ورمت بإيمانك بعد فوات الوقت أن أنجيك من الغرق، فاليوم ننجيك ببدنك أي بجسدك بدون روح والكلام جارٍ مجرى التهكم، وذلك لأن إخراجه إلى البرِّ كاملاً يشبه الإنجاء، ولكنه في نفس الوقت ضد الإنجاء، فكان بالمشابهة استعارة وبالضدية تَهَكُماً، والمعجزة في إنجاء فرعون أنه كان يلبس درعه المصنوع من الذهب، وقيل من الحديد فكان من الطبيعي أن ينزل جسده إلى قاع البحر، ولكنَّ قدرة الله جعلت جسده يطفو على سطح البحر ثم طرحها خارجاً إلى البر على نجوة من الأرض أي الجزء المرتفع منها.

﴿لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗ﴾ أي لتكون عبرة، وذلك لأن طائفة من الناس لم تصدق بأن فرعون غرق، فأخرجه الله آية وعظة ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ أي وإن كثيراً من الناس عن أدلتنا على أن الألوهية والعبادة لنا خالصة لا يعتبرون ولا يتفكرون .[1]

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ يعقوب(نُنْجيك) بتخفيف الجيم وإسكان النون الثانية، ووافقه الكسائي من الفعل المضارع أنجى ينجي قال تعالى: ﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ﴾ [الأعراف: 64]. وقوله تعالى: ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ [العنكبوت: 24].

---

(4) معاني القرآن الزجاج (32/3).

(1) انظر[جامع البيان (166/11)، التَّفسير القرآن، العظيم (430/2-431)، التحرير والتنوير(278/11-279) والمقتطف من عيون التفاسير496/02)].

وقرأ الباقون (نُنَجِّيك) بتشديد الجيم، وفتح النون الثانية، وهو مشتق من الفعل نجـــا والنجاء أي الخلاص من الشيء.

وهو كقوله تعالى: (وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ) [فصلت: 18]. أو مشتق من النجاة وهو الإسراع أي نُسرع بهلاكك أو نلقيك على نجوة من الأرض ليراك بنو إسرائيل أو نبعدك مما وقع فيه قومك من قاع البحر ونظهرك جسداً لا روح فيه، وقيل غير هذا وهو متقارب وهذه المعاني تقع قراءة التخفيف .[2]

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين أرى: أن القراءتين معناهما واحد، ولكن الاشتقاق يختلف لذلك أرى قراءة التشديد تفيد تكرير الفعل ومداومته وسرعته على معنى: نُنَجّيك نجاة تلو أو بعد نجاة. وفعلاً كانت نجاة لفرعون تلو النجاة؛ ليكون عبرة وعظة لمن بعـــده أو لمن طغى وتجبّر. فأول نجاة :

1. أنه أبعده مما وقع فيه قومه من قعر البحر.
2. أخرجه من البحر صحيحاً لم تأكله شيء من الدواب والحيتان.
3. ألقاه على نجوة أي ربوة مرتفعة.
4. أن جثته رآها الجميع، ولم تضع فلا يستطيع أحد أن ينكر أنه غرق ومات.
5. حتى يقال أنَّ جثته باقية في متاحف عصرنا، هذا يدل على مداومة نجاة جســده من الله في هذه الدنيا.

وقد كانت الجثة مدفونة بمقابر وادى الملوك بطيبة، على الضفة الأخرى للنيل أمام مدينة الأقصر الحالية.[1] وقد كشف الدكتور موريس بوكاي[2] في كتابه (القرآن والعلم) الحديث عن تطابق ما ورد في القرآن الكريم بشأن مصير فرعون موسى بعد إغراقه في اليمّ، مع الواقع المتمثل في وجود جثته إلى يومنا هذا آية للعالمين،

---

(2) انظر[الكشف (523/1) الحجة:ابن خالويه ص 75، البحر المحيط (189/5)، الجامع لأحكام القرآن(675/8-676)].

(1) www.55a.net/firas/arabic

(2) طبيب فرنسي جراح من أشهر أطباء فرنسا ، اعتنق الإسلام بعد دراسة مستفيضة للقرآن الكريم وإعجازه العلمي.
www.amaneena.com/m/40 .htm

﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ [يونس :92]

يقول الدكتور بوكاي : " إنّ رواية التوراة بشأن خروج اليهود مع موسى – عليه السلام – من مصر تؤيد بقوة الفرضية القائلة بأن منبتاح خليفة رمسيس الثاني هو فرعون مصر في زمن موسى –عليه السلام– ، وإن الدراسة الطبية لمومياء منبتاح، قدمت لنا معلومات مفيدة أخرى بشأن الأسباب المحتملة لوفاة هذا الفرعون، وقد أظهر الفحص الطبي لهذه المومياء أن الجثة لم تظل في الماء مدة طويلة ، إذ إنها لم تظهر أية علامات للتلف العام بسبب المكوث الطويل في الماء".(1) وقد ذكر الشيخ عبد المجيد الزنداني أن الدكتور موريس أخبره في مقابلة معه أنه أحد الأطباء الذين قاموا بالكشف على جثة فرعون فوجدوا فيها :

1- آثار الموت غرقاً .

2- آثار ملح ماء البحر .

3- أظهرت أشعة X تكسير العظام دون تمزق الجلد واللحم مما يدل أن كسر العظام كان بسبب ضغط الماء. (2)

وكانت تلك النجاة، بسبب أنَّ فرعون قال آمنت فلم يعدم فائدة من إيمانه، فالله سبحانه وتعالى نجاه بالخروج من غمرات الماء، ولم يبق في الماء أكلة للحيتان ولكن لفظته الأمواج فتلك حالة أقل خزياً من حالات سائر جيشه وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدل على أن الله سبحانه وتعالى لا يضيع مثقال ذرة من عمل أو قول، بالرغم من أن نجاة فرعون كان الكلام فيها جارٍ مجرى التهكم؛ إلا أنَّ التهكم ليس مسوغها المحض فقط. (3) أيضاً كما أنَّ فرعون لم ينتفع بموعظة موسى له في الدنيا، كذلك لم ينتفع بإيمانه في الآخرة، وذلك لأن رحمة الله به فقط في الدنيا أما في الآخرة فلا؛ لأنه استنجد بالله في الوقت الأخير الذي لا ينفع الإيمان فيه، فقد

---

(1) www.amaneena.com/m/40 .htm

(2) انظر[www.amaneena.com/m/40] .

(3) انظر[الدر المصون (266/6)، التحرير والتنوير(278/11–279)].

ورد أنَّ فرعون لعنه الله لما قال آمنت... الخ. أخذ جبريل عليه السلام من حال البحر أي طينه فدسّه في فيه خشية أن تدركه رحمة الله تعالى.[4]

32- ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ يونس

أولاً: القراءات:

1. قرأ ابن كثير والكسائي وخلف **(فَسَلِ)** بنقل حركة الهمز إلى الساكن قبلها.
2. وقرأ الباقون **(فَسۡـَٔل)** بغير نقل بل بالهمز.[1]

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

فَسئَل فعل أمر مشتق من سأل يسأل سُؤالاً ومسآلة ومسألةً وتَسْآلاً، والعرب تحذف الهمز منه في الأمر فإذا وصلوا بالفاء أو الواو هَمَزوا كقولك فاسأل واسأل.

ومن قرأ بحذف الهمز يُلقي حركتها على ما قبلها، ثم يأتي بألف الوصل؛ لأن هذه السين وإن كانت متحركة فهي .... السكون، كقول بعض العرب الاحْمـر فيخفف الهمزة بأن يحذفها، ويلقي حركتها على اللام قبلها، فاسأل: فاستخبر.[2]

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

رجح المفسرون أن: هذه الآية مخاطبة للنبي ﷺ والمراد به سواه من كلِّ ما يمكن أن يشك أو يعارض [3] فقال تعالى**(فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ)** وقال آخرون أن[4]: هذا على سبيل الفرض والتقدير كأنه قيل: إن فرض أنك شككت فاسأل قال

---

(4) أخرجه الترمذي كتاب التَّفسير – 11 باب سورة يونس(3/61-62) رقم 2483، 2484 كلاهما من حديث ابن عباس وصححه الألباني وذكر أنه صحيح الإسناد، وأخرجه الحاكم (2/370) عن ابن عباس أيضاً وقال: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه إلا أن أكثر أصحاب شعبة أوقفوه على ابن عباس).

(1) انظر[النشر(1/321)، (2/216)].

(2) انظر[لسان لعرب(11/318-319) مادة سأل].

(3) انظر[المحرر الوجيز (3/142)].

(4) الكشاف(2/253).

ابن عباس[5]:" لم يشك النبي ﷺ ولم يسأل" فحاصل المعنى: إن كنتم شاكين في صدق ما أنزلنا على محمد مما أصاب المكذبين والمعاندين قبلكم أمثال فرعون وغيره، فاسألوا أهل الكتاب من أهل التوراة و الإنجيل يخبرونكم بأن ذلك صدق (لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ) أي ثبت عندك الحق وأتاك البيان الذي لا ريب في حقيقته والخبر الصادق (مِن رَّبِّكَ) (فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ) فلا تكن من الشَّاكِّين المرتابين في صحة ذلك[6] وهذا التعريض من النهي والزجر للممترين أبلغ وأوقع من النهي لهم أنفسهم؛ لأنه إن كان يُنهى عنه من لا يتصور أن يصدر منه، فكيف بمن يمكن صدوره منه.[1]

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءتين:

قرأ الجمهور (فاسْأل) بهمزة وصل، وسكون السين، وهمزة بعد السين ، والهمز فيه ثقل، فلا بد أن يكون المعنى يناسب هذا الثقل، وهذا يتناسب مع الغرض من الآية، حيث إنَّ الغرض من الآية وصف الأحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما أنزل إلى رسول الله ﷺ ، لا وصف رسول الله ﷺ بالشك فيه.[2]

فالرسوخ في العلم يوحي بثقل هذا العلم الذي يناسب ثقل الهمز. أيضاً ثقل الهمز يتناسب مع ثقل السؤال الذي يُزيل الشك عند المتشككين في صدق ما أُنزل على محمد ﷺ.

- وقرأ ابن كثير، والكسائي، وخلف(فَسَل) بفتح السين دون همزة الوصل بحذف الهمزة التي بعد السين مخفف سأل.

وقراءة التخفيف: توحي بالخفة والسرعة، فيكون المعنى أن لا تجعل الشك يدخل لك، فمجرد أن يقع لك شك أو يخيل لك الشيطان خيالاً منه، فاسأل الذين يقرأون الكتاب،

(5) ذكره ابن كثير في تفسيره انظر (432/2) .

(6) انظر[المقتطف من عيون التفاسير(497/2)].

(1) انظر[فتح القدير(592/2)].

(2) انظر[التحرير والتنوير (285/11)].

فإنهم سيخبرونك عن صدق النُّبوة، وصدق ما أنزل على محمد ﷺ وهـو القـرآن، والله أعلم .

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: تبين لنا زيادة المبنى التى توحي زيادة المعنى، وكما رأينا في العلاقة التفسيرية ما في الهمزة من معنى زيادة عن معنى التخفيف.

33- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٩٦ ﴾ **يونس**

أولاً: القراءات:

1. قرأ الكوفيون، ويعقوب، وابن كثير، وأبو عمرو(**كَلِمَت**) بغيـر ألـف علـى التوحيد كان من المذهب الوقف بالهاء، وفي مصاحف أهل العراق مرسوماً بالهاء.

2. وقرأ نافع، وابن عامر، وأبو جعفر(**كلمات**) بألف على الجمع، والوقف بالتاء.(1)

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

سبق تعريف (كلمة). (2)

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

لما كان التعريض على المشركين الشّاكين في صدق النبي ﷺ والاستشهاد عليهم في صدقه بشهادة أهل الكتاب، أعقب ذلك بأنهم من زمرة الفرق الذين حقَّت أي ثبتـت عليهم كلمة العذاب بإرادة الله الأزلية، بأنهم لا يؤمنون ويموتون على الكفر.(3)

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ نافع، وابن عامر، وأبو جعفر (كلمات) بألف على أنها جمع كلمة، وذلك بحسب الكثرة أو الصنفية.(4)

فالمراد بكلمات أمر التكوين، وجمعت بالنظر إلى أنَّ متعلقها ناس كثيـرون، فكـل واحد منهم تحق عليه كلمة.

---

(1) انظر[النشر (197/2) (216/2) (97/2-98)].

(2) راجع ص319-320.

(3) انظر[التحرير والتنوير (286/11) صفوة التفاسير (597/1) والمقتطف من عيون التفاسير(498/2)].

(4) انظر[مفاتيح الغيب (131/17)].

وقرأ الباقون (كَلِمَت) بغير ألف، على أنها مفردة مراعاة للجنس إذ تحق على كل أمة كلمة.(5)

والمراد بتحقيق الكلمة هنا أي : بقول الله – تعالى- الذي كتبه في اللوح المحفـوظ وأخبر به الملائكة، أنهم يموتون كفاراً.(6)

أو المراد باللعنة، أوبنزول العذاب أو بالسَّخط أو بالنقمة .(7)

خامساً: الجمع بين القراءتين:

أرى أنه لا تضاد في المعنى بين القراءتين فالجمع يكون باعتبار تعدد الكلمـات، أو باعتبار تكرار الكلمة بالنسبة لأناس كثيرين، والكلمة تطلق على مجموع الكلام، و قد سبق الجمع بين القراءتين.(1)

34- ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ **يونس**

أولاً: القراءات:

1- أ- سهل ورش الهمزة الثانية في (أفانت) لأنها وقعت بعد الاستفهام.

ب- وقرأ الباقون (أَفَأَنتَ) بتحقيق الهمزتين.(2)

2- أ- قرأ ورش والسوسي وأبو جعفر (مومنين) بإبدال همزه واواً ساكنة وصلاً ووقفاً، ووقفاً لحمزة.

ب- وقرأ الباقون (مؤمنين) بتحقيق الهمزة.(3)

---

(5) انظر [التحرير والتنوير (287/11)].

(6) انظر [الكشاف (253/2) مدارك التنزيل (475/2)].

(7) انظر [زاد المسير (350/2)].

(1) راجع آية 33 من سورة يونس ص321.

(2) انظر [النشر (309/1)(216/2)، في هامش القرآن ص220].

(3) انظر [في هامش القرآن ص220].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

مؤمنين: من الفعل آمن وقد سبق تعريفه.(4)

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية تسلية للنبي ﷺ، وترويح لقلبه الشريف مما كان يحرص عليه من إيمان الناس جميعاً فيقول له عز وجل: إنَّه لن يصدقك يا محمد ولن يتبعك إلا من شاء ربك لهم، لا بإكراهك إياه ولا بحرصك على ذلك.(5)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

من قرأ (أفأنت) بتحقيق الهمز فإنه يتناسب مع قراءة (مؤمنين) بتحقيق الهمز أيضاً، فلثقل الهمز نستطيع أن نُفَسر (أفأنت) بأنه استفهام إنكاري، والثقل يفيد تقوية حكم الإنكار ويدل على حرص النبي ﷺ على إيمان قومه وشدة الاهتمام بهم، وقراءة مؤمنين تدل على أنَّه ﷺ حريص على أن يؤمن قومه إيماناً قوياً راسخاً. وأما قراءة التسهيل في (أفانت) تتناسب مع قراءة (مومنين)، وفي التسهيل خفة فكأن الله سبحانه و تعالى يقول لرسوله هون عليك، وفيه معنى الثناء على النبي ﷺ والمعذرة له على عدم استجابتهم إياه، ومن بلغ المجهود حق له العذر(3) والله أعلم.

35- ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ يونس

أولاً: القراءات:

1. قرأ أبو بكر (شعبة) **(ونَجعل)** بالنون.
2. وقرأ الباقون **(وَيَجْعَل)** بالياء.(2)

---

(4) راجع ص174.

(5) انظر [جامع البيان (173/11)، صفوة التفاسير (598/1)].

(3) انظر [التحرير والتنوير (293/11)].

(2) انظر[النشر (216/2)].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

جَعَل: جعل الشيء يَجْعله جَعْلاً ومَجْعَلاً واجتعله وضعه وصنعه وصيره وجعل بمعنى خلق أيضاً.(3)

ثالثاً : المعنى الإجمالي للآية :

(وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ) أي ما كان وما ينبغي لنفس من النَّفوس البشرية أن تؤمن إلا بإذن الله وإرادته ومشيئته وتوفيقه **(وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ)** أي ويجعل الرجس وهو الخذلان على الذين لا يعقلون، أي: لا يستخدمون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات التي دلّ بها سبحانه وتعالى على نبوة محمد ﷺ ، والذين هم مصرون على الكفر، وسمّي الخذلان رجساً وهو العذاب؛ لأنه سببه .(1)

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ الجمهور **(وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ)** بياء الغيبة، وحجتهم قوله تعالى: **(كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ)** [الأنعام: 125]. وقد تقدم ذكر الله في قوله: **(وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ)** [يونس:100] لذلك قرأوا (ويجعل) بياء الغيبة؛ لأن الضمير عائد إلى اسم الجلالة الذي قبله في نفس الآية، فكانت القراءة متَّسقة مع السياق، ومتمشية مع المناسبة.

وانفرد شعبة بقراءة (ونجعل) والحجّة أنه ردَّه على قوله: **(فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ)** [يونس:92] فقرأ بنون العظمة على الالتفات من الغيبة إلى التكلم، وذلك تنبيهاً للأذهان على أنَّ الله وحده هو القادر على إخراج الحائرمن ظلمات الكفر إلى نور الإيمان.(2)

---

(3) انظر[لسان العرب(11/110-111) مادة جعل].

(1) انظر[جامع البيان(11/174) ، البحر المحيط (5/193) ، زاد المسير (2/352)].

(2) انظر[الحجة : ابن أبو علي الفارسي (4/3069) ، والحجة : ابن خالويه ص104 والتحرير والتنوير (11/295) ، التوجيه البلاغي ص233].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

أجد: أنَّ القراءة بياء الغيبة كانت متَّسقة مع السياق، والقراءة بنون العظمة شاهد على الالتفات من الغيبة إلى التكلم[3]، بالإضافة إلى إظهار جمال أسلوب القرآن الكريم وإعجازه.

36- ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ يونس

أولاً: القراءات:

1 – أ- قرأ أبو عمر (نُنَجِّي رُسْلنا) بتشديد حرف الجيم، وفتح النون الثانية، وإسكان السين.

ب- وقرأ يعقوب (نُنْجِي رُسُلَنا) بتخفيف الجيم، وإسكان النون الثانية، وضم السين.

ج- وقرأ الباقون (نُنَجِّي رُسُلنا) بتشديد الجيم، وفتح النون الثانية، وضم السين.

2- أ- قرأ حفص والكسائي، ويعقوب(نُنْج المؤمنين) بتخفيف الجيم، وإسكان النون الثانية.

ب- وقرأ الباقون (نُنَجِّ المؤمنين) بالتشديد على حرف، وفتح النون الثانية.[1]

3- أ- ووقف يعقوب على (ننج) بالياء.

ب- ووقف الباقون على (ننج) بحذف الياء ولا خلاف في حذفها وصلاً للساكنين.[2]

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

ننجي: من الفعل نجا ومنه النجاء أي الخلاص من الشيء.[3]

---

(3) راجع ص271.

(1) انظر[النشر (194/2) (216/2)، فريدة الدهر (862/3-863)].

(2) انظر[النشر (103/2) (216/2)].

(3) راجع ص363.

الرسول: بمعنى الرسالة والمُرْسل ومنه الإرسال، أي: التوجيه والجمع أرْسُل ورُسُل ورُسْل ورُسَلاًء .والرسول معناه في اللغة الذي يُتابِع أخبار الذي بعثه أَخذاً من قولهم جاءت الإبل رَسَلاً أي متتابعة وسمي الرسول رسولاً لأنه ذو رسول أي رسالة. والرسول اسم من أرسلت كذلك الرسالة.(4)

المؤمنون: من الفعل أمن، ومنه الإيمان مصدراً من يؤمن أيماناً فهو مؤمن، وهو التصديق. والمؤمن بالله ورسوله غير مرتاب ولا شاك، وهو الذي يرى أنَّ أداء الفرائض واجب عليه.(5)

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

إن كفر الأمم وخروجها عن نواميس الشرع يكون سبباً لإيقاع العذاب و الهلاك فإذا ما حلّ غضب الله بأمة من الأمم، فإن الله تكفَّل بحفظ أنبيائه والمؤمنين فقال:(**ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا**) عطف على الجملة(**فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ**) [يونس :102] وقيل عطف على مقدَّر، يدل عليه قول الله تعالى في الآية السابقة والتقدير: هذه سنة الله الكونية نهلك الكافرين (**ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ**) وكذلك في موضع نصب تقديره: مثل ذلك الإنجاء الذي نجينا الرسول ومؤمنيهم، ننجي من آمن بك يا محمد (**حَقًّا عَلَيْنَا**) ،أي: حقّ ذلك حقاً علينا (**نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ**) أي: كذلك حقاً علينا من غير شك:أن ننجيك يا محمد وننجي المؤمنين.(1)

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

---

(4) انظر[لسان العرب (281/11-284) مادة رسل].

(5) انظر [المرجع السابق (21/13-24) مادة أمن].

(1) انظر[جامع البيان (176/11)، البحر المحيط (194/5) إرشاد العقل السليم (542/3)، معاني القرآن الكريم: الأخفش (574/2)].

القراءة الأولى :

قرأ يعقوب (نُنْجِي) من الفعل المزيد بهمزة التعدية أنجى يُنْجي، والأصل (نجا) الثلاثي اللازم، ونظائر هذا في القرآن، قوله تعالى: (أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ) [الأعراف:165]، وقوله(وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ) [الأنبياء:88] و تفيد قراءة التخفيف: سرعة إنجاء الله للرسل و للمؤمنين.

وقرأ الباقون (نُنَجِّي) من الفعل المزيد بالتضعيف من أجل التعدية أيضاً، وهو نجّى يُنَجِّي والأصل (نجا) كذلك ومن ذلك قوله تعالى: (وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ) [هود:58] وقوله: (فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ) [يونس:73].(2) فأفادت قراءة التشديد التدرج و التكرير في التنجية.

خامساً : الجمع بين القراءتين:

الجمع بين صيغتين مزيدتين بالهمزة والتضعيف لأصل واحد بمعنى واحد في موضع واحد، مألوف في لغة القرآن يقول تعالى: (فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ) [الأنبياء:88] وقوله تعالى: (فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا) [الطارق: 17] ويقول فريق من المفسرين وأصحاب التوجيه: هما لغتان بمعنى واحد(1) ولكن هناك منهم من أدرك الفرق اللطيف بين اللغتين، فالفعل (يُنجِّي) بالتشديد فيه معنى التكرار والمداومة على الفعل والاستمرار، وهذا يدلّ على معنى أنه ينجيهم نجاة بعد نجاة، فنجاة الله مستمرة لرسله على مدار حياتهم، والقرآن يشهد

(2) انظر[الحجة:أبوعلي الفارسي (305/4-306)، الحجة:ابن خالويه ص 104].

(1) انظر[الكشف (523/1)، الحجة: ابن زنجلة ص 337، مفاتيح الغيب(136/17)].

لذلك، وأيضاً في الآخرة ينجيهم من النار.[2] وهذا الموضع تعبيرٌ شاهدٌ على الدِّلالة الدقيقة بين لغتين تشتركان في المعنى العام .[3]

ب) انفرد أبو عمر بقراءة (رُسْلَنا) بإسكان الميم، والتسكين لغة بكر بن وائل، وأناس كثير من بني تميم [4] والإسكان من السكون والهدوء والثبات والطمأنينة والوقار وكل هذه المعاني يختص بها الرسل -عليهم السلام- ، وحملهم على ذلك أنهم كرهوا أن ينتقلوا من الأخف إلى الأثقل وهو الضم، فكرهوا أن يحوّلوا ألسنتهم إلى الاستثقال، وأيضاً إذا تتابعت الضمّتان فإن هؤلاء يخففون.[5]

وقرأ الباقون (رُسُلنا) بضم السين، والضم فيها ثقل، فناسب ثقلها ثقل الرسل وثقل إيمانهم، وإخلاصهم في الدعوة.

القراءة الثانية :

قرأ حفص، والكسائي، ويعقوب (نُنْج) بتخفيف الجيم، وإسكان النون والتوجيه في ذلك هو نفس التوجيه الذي ذكرنا عند توجيهنا لقوله تعالى (نُنجي رسلنا) وقرأ الباقون (نُنَجِّ المؤمنين) بالتشديد على حرف الجيم وفتح النون الثانية. أيضاً نفس التوجيه السابق في قوله تعالى (نُنجّي رسلنا) إضافة إلى أنَّ مَن شدّد هنا حجته أيضاً: أنهم أجمعوا على التشديد قوله تعالى(ننَجِّي رسلنا) فردّوا ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه.[1]

---

(2) انظر[الكشف (523/1)، الحجة:ابن خالويه ص 57، البحر المحيط (189/5)].

(3) انظر [التوجية اللغوي والبلاغي : د. صبري 233- 234] .

(4) انظر[كتاب سيبويه (113/4)].

(5) انظر[المرجع السابق (114/4)].

(1) انظر[الحجة : ابن زنجلة ص337].

وبالجمع بين القراءتين:

أيضاً الجمع هنا كما جمعت هناك في قوله تعالى (ننجِّي رسلنا) ففي التشديد معنى التكرير والمداومة والاستمرار على الفعل.

فإنجاء الله للمؤمنين من العذاب إذا نزل بالمكذبين مستمر ودائم أيضاً وينجيهم في الآخرة من النار.

القراءة الثالثة:

وقف يعقوب على (ننج) بالياء.

ليتسق مع السياق في الآية حيث الفعل (ننجي رسلنا) بالياء وعلى معنى عامة المؤمنين، فناسب زيادة الياء عموم المؤمنين.

في حين وقف الباقون على(ننج) بحذف الياء نظراً إلى أنها في الوصل محذوفة فعاملوها معاملة الوصل.

وحذف الياء يتناسب مع تخصيص المؤمنين من بين الناس أجمعين في النجاة فناسب حذف الياء التخصيص، والله أعلم.

الجمع بين القراءتين:

قراءة (ننجي) بالياء جاءت مطلقة، فالإنجاء يشمل جميع المؤمنين، في حين أن قراءة (ننجِ) بحذف الياء قيدت و خصصت المؤمنين من بين الناس فزادت في تبيين دقة اللفظ القرآني في التعبير والله أعلم.

لطيفة: نلاحظ أن (ننجي رسلنا) هنا الفعل بالياء في حين (ننجِ المؤمنين) كان الفعل بحذف الياء والذي نستنتجه من ذلك أنَّ الفعل المضاف له رسلنا جاء بالياء؛ لأنه يشمل كلَّ الرسل، لذلك أضاف الضمير المتكلم إلى رسلنا، فناسب أيضاً زيادة الياء، أما الحذف في الفعل (ننج المؤمنين)؛ فلأنَّه خصص المؤمنين من بين العباد في النجاة، فناسب الحذف في الياء التخصيص، والله أعلم.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصّالحات ، والصّلاة والسّلام على خاتم رسل الله محمد ﷺ وبعد :

لقد منَّ الله عليَّ بإتمام هذا البحث ، عشت معه أوقاتاً ولياليَ طيبة ممتعة ، فلولا عناية الله وتوفيقه ، ما استطعت إلى هذا العمل سبيلاً ، ولا يسعني في خاتمتها ؛ إلاّ أن أرفع أكف الضَّراعة والابتهال إلى الله تعالى ، وأشكره بقلبٍ مخلصٍ على هذا التوفيق.

وهذه أهم النتائج والتوصيات ، التي توصَّلت إليها من خلال بحثي المتواضع فلن أطوي صفحات هذا البحث حتى أجمل بعض الحقائق التي خرجت بها من خلال دراسة هذا الموضوع والتي تتلخص في الأمور الآتية:

1- إنَّ موضوع القراءات القرآنية من الموضوعات المهمة في الدرس اللغوي العربي، لأنَّ دراسة هذا الموضوع يكشف الكثير من القضايا اللغوية المهمة (الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية)، ويلقي الضوء على الكثير من الخصائص اللهجية التي اتسمت بها القبائل العربية، وبهذا تعد مادة القراءات القرآنية وما يتعلق بها من قضايا رافداً مهماً من روافد الدرس اللغوي العربي لا يمكن تجاهله أو التقصير فيه، ولاسيما دارس العربية.

2- تبين من خلال البحث أنَّ علماء المسلمين أجمعوا على أنَّ الاختلاف في القراءات إنما هو اختلاف تنوع وتغاير، لا اختلاف تضاد وتناقض، ودللنا على ذلك بجملة من أقوال علماء المسلمين و التي تثبت ذلك، وتوضح بشكل قاطع جهل بعض المستشرقين في هذا الموضوع وهم يصفون الاختلاف في القراءات القرآنية بالاضطراب.

3- اتضح من خلال عرض بعض الاختلاف في القراءات القرآنية أثر القراءات في تعدد المعاني واتساعها، وإن الإكثار من المعاني في الآية الواحدة هو مقصد من مقاصد الاختلاف في القراءات القرآنية، وهذه القراءات التي يتغاير فيها المعنى كلها حق وكل قراءة مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية، يجب الإيمان بها

كلها واتباع ما تضمنته من المعاني علماً وعملاً.

4- القراءات القرآنية لونٌ من ألوان الإعجاز ، ووجهٌ من وجوهه وتندرج تحت الإعجاز البياني ، حيث إنّها تثري المعاني وتزيدها ، فكلٌّ قراءة تسد مسد آية مستقلّة فهو إعجاز بالإيجاز . أيضاً هو ضربٌ من الإعجاز لا يستطيع أن يأتي به بشرٌ من عنده ، ولا يستطيع أن يبلغه على هذا الوجه الشامل ؛ إلا رسول من عند الله ، فهو دليلٌ على أنَّ الكتاب منزلٌ من عند الله .

5- أحسن أنواع التفاسير تفسير القرآن بالقرآن ، والقراءات القرآنية جزءٌ من القرآن ، فبين القراءات والتفسير ارتباط وثيق هو ارتباط الجزء بالكل .

6- القراءات القرآنية المتواترة هي أبعاض القرآن وأجزاؤه ، فيجب التسليم والإيمان بها ومن أنكرها فهو كافر.

7- المصحف العثماني يشتمل على الحرف الذي جمع عثمان رضي الله عنه ، وعلى ما يوافق رسمه من سائر الأحرف السبعة.

8- القراءات العشرة صحيحة ومتواترة، و سندها متصل إلى رسول الله ﷺ، فقراءة القرآن بأي وجه منها صحيحة.

9- ما زاد على العشر فهو شاذ ، ولا يجوز قراءة القرآن به ، ولكنَّ القراءات الشاذة يجب أن نهتمَّ بها من حيث إنها تفسر وتوضح لنا كلام الله، وهي مصدر صحيح لقضايا النحو والصرف واللغة .

10- تطور علم القراءات نشأ منذ بداية نزول القرآن الكريم على محمد ﷺ ، وأنه ﷺ يعتبر أول مقرىء للقراءات .

11- تكفل الله بحفظ القرآن ووجود العلماء والقرّاء الكثر ؛ لتلقي القراءات وتعليمها والتأليف بها ، وهو أثر من آثار حفظ الله لكتابه العظيم الجليل .

12- الأحرف السبعة سبع لغات ، بما فيها من نواحي الاختلاف .

13- القراءات القرآنية هي العمدة والأصل والحكم على ما وضعه علماء النحو من قواعد وأقيسه في النحو وليس العكس،ولا يجوز ردُّها بأي حال من الأحوال.

14- القراءات القرآنية لها آثارٌ متنوعة على التفسير من ناحية البلاغة والبيان

والنحو والفقة وغير ذلك .

15- القراءات من ناحية ياءات الإضافة وياءات الزوائد والإمالة واختلاف حركات الأحرف ، لها أثرٌ في التّفسير ، وكثيرٌ من القراءات التي اعتبرها الغير من قبيل اللغات ، لها أثر كبير على التّفسير .

وأمّا التّوصيات فهي كما يلي :

1- أُوصي المسلمين أن يلقِّنوا أولادهم القرآن ، ويعودوهم العناية به ، ويجب على من يقوم بحفظ القرآن أن يتلقاه من أفواه القرّاء ، فإن لم يستطع ، فليتتبع القاريء في المصحف أثناء الاستماع إلى التلاوة في المذياع أو الرائي ، وذلك لأن طريقة القراءة مأثورة عن رسول الله ﷺ والتقيّد بها واجب شرعي، لذلك اشترط العلماء المشافهة عند تلقي القرآن.

2- أدعو نفسي أولاً والآخرين إلى حفظ كتاب الله غيباً ، وذلك بالتلقي عمَّن قبلنا من القرّاء حتى تتصل سلسلة التواتر في حفظ القرآن إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

3- أقترح أن تقوم وزارات التربية والتعليم في العالمين العربي و الإسلامي بتخصيص ساعات لتدريس القرآن الكريم في كافة الجامعات والمعاهد المتوسطة والمدارس ، وأن تضع لذلك مناهج تُعنى بالقرآن الكريم تلاوة واستحفاظاً وتفسيراً ، والاهتمام بالقراءات القرآنية وتعريف الطلبة بالأحرف السبعة والقراءات .

4- أقترح أن تتولى أجهزة الإعلام وبالذات في بلدنا إذاعة القراءات المتواترة وتعريف الناس بها والعمل على نشر هذا العلم بكلِّ السُّبل والامكانات .

5- أقترح على أقسام القرآن وعلومه في كليات أصول الدّين في الجامعات العربية و الإسلامية أن تحث طلبة الدراسات العليا على المزيد من دراسة القراءات والاهتمام بها ، وأن تخصِّص مساقاً في القراءات يكون متطلب جامعة .

6- كما وأنصح الباحثين في مجال الدراسات الشرعية واللغوية بالاستفادة من القراءات في أبحاثهم ؛ لأنها تفتح أمامهم آفاقاً واسعة في الدراسة .

7- من خلال بحثي الطويل في هذه الرسالة لاحظت حاجة مكتبة الكلية في

الجامعة الإسلامية إلى مزيد من كتب القراءات وهذه وصيتي في ذلك.
8- أوصي إخواني طلاب العلم : بأن يُوْلوا كتب الطبري والألوسي والقرطبي والبقاعي وأبو حيان والسمين الحلبي وابن عاشور في التفسير جلّ اهتمامهم وذلك لما ورد فيها من قراءات ودراسات، فتعتبر تفاسيرهم مراجع مهمة للقراءات ، وهذا ما رأيته من خلال دراستي هذه.
9- أوصي بالاهتمام بالجانب التفسيري للقراءات القرآنية ، وبيان أثرها على المعاني وإبراز المعاني الرائعة لها .
10- أوصي بالاهتمام بهذه السور المتناولة في هذا البحث وخاصة أنها سور الجهاد ، وفي بعضها فضح للمنافقين ، الذين منهم الطابور الخامس فما أحوجنا في عصرنا لهذه المعرفة.
11- أرى أنَّه من المفيد جمع كل ما يتعلق بهذا الموضوع وإفراده بتصنيف يبين المعاني والفوائد واللطائف التي تضمنتها القراءات، ويبرز جانب الإعجاز في النص القرآني بكونه غير قابل للتناقض والتباين والاضطراب على الرغم من تعدد القراءات وتنوعها، فمن الملاحظ أنَّ هذا الموضوع لم يغفل عنه علماء المسلمين، فكتب التفسير وتوجيه القراءات احتوت على جوانب كثيرة من هذا الموضوع إلا أنها لم تدرس هذا الموضوع بالشكل الذي عرضناه دراسة استقصائية.
وختاماً ألجأ إلى الله – سبحانه – سائلةً إيَّاه أن يغفر لي زلاتي وأخطائي ، وأسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن ينفعني ووالدي وزوجي وأولادي وأهلي والمسلمين جميعاً بالقرآن العظيم ، ويجعله لنا نوراً في الدنيا والأخرة ، وأن يوفقني دائماً لخدمة كتابه العظيم ، ويفتح لي في ذلك فتحاً مبيناً **(وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ)** [هود:88] ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا وصلِّ اللهمَّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ملخص الرسالة

اشتمل هذا البحث على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول

أما التمهيد فاشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول : أبرزت من خلاله أنَّ القراءات القرآنية لونٌ من ألوان الإعجاز.

والمبحث الثاني: خصّصته في الحديث عن التفسير والتأويل فعرضت أولاً معنى التفسير، والتأويل، والفرق بينهما، وثانياً عن علاقة القراءات القرآنية بالتفسير.

والمبحث الثالث: خصَّصته عن الأحرف السبعة وعرضت فيه:

أولاً: أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف.

ثانياً: معنى الأحرف السبعة والرأي الراجح منها.

ثالثاً: فوائد نزول القرآن على سبعة أحرف.

رابعاً: صلة القراءات بالأحرف السبعة .

والمبحث الرابع: خصَّصته عن القراءات القرآنية وعرضت فيه:

أولاً: تعريف القراءة القرآنية لغة واصطلاحاً.

ثانياُ: العلاقة بين القراءات القرآنية والقرآن.

ثالثاً: نشأة القراءات القرآنية وأقسامها، وحكم الاحتجاج بها.

رابعاً: التعريف بالقرَّاء العشرة ورواتهم .

وأما الفصل الأول: فخصَّصته في الحديث عن تفسير سورة الأنفال من خلال القراءات القرآنية العشر تناولت فيه تعريفاً لسورة الأنفال ، ثمَّ عرضاً وتفسيراً لآيات سورة الأنفال المتضمنة للقراءات القرآنية.

و **الفصل الثاني:** خصَّصته في الحديث عن تفسير سورة التوبة من خلال القراءات القرآنية العشر ، وتناولتُ فيه تعريفاً بسورة التّوبة ثم عرضاً وتفسيراً لآيات سورة التّوبة المتضمنة للقراءات القرآنية .

و**الفصل الثّالث:** خصَّصته في الحديث عن تفسير سورة يونس من خلال القراءات القرآنية العشر ، وتناولت فيه تعريفاً بسورة يونس ثم عرضـــاً وتفســيراً لآيـــات سورة يونس المتضمنة للقراءات القرآنية .

وأما الخاتمة فذكرتُ فيها أهم النّتائج والتّوصيات التي توصَّلْتُ إليها مـــن خـــلال كتابتي هذا البحث.

الفهارس العامة

أولاً: فهرس آيات القراءات القرآنية

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية والآثار

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم

رابعاً: فهرس المصادر و المراجع

خامساً: فهرس المواضيع

فهرس آيات القراءات القرآنية

رقم	الآية	رقم الآية	الصفحة
	سورة الأنفال		
.1	﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ...﴾	2	68
.2	﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾	9	72
.3	﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً...﴾	11	75
.4	﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى...﴾	12	80
.5	﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ...﴾	16	84
.6	﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ...﴾	17	88
.7	﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾	18	93
.8	﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن ...﴾	19	97
.9	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ...﴾	20	101
.10	﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟...﴾	23	105
.11	﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ...﴾	28	107
.12	﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا...﴾	31	109
.13	﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ...﴾	33	110
.14	﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ...﴾	35	112
.15	﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ...﴾	37	114
.16	﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ...﴾	39	116
.17	﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ ...﴾	42	118
.18	﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ ...﴾	43	123
.19	﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ ...﴾	44	126

رقم	الآية	رقم الآية	الصفحة
20.	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ ...﴾	45	127
21.	﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ ...﴾	46	129
22.	﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ ...﴾	47	131
23.	﴿وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ...﴾	48	133
24.	﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ ...﴾	50	137
25.	﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍ ...﴾	58	139
26.	﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ﴾	59	141
27.	﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ ...﴾	60	143
28.	﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ ...﴾	61	145
29.	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ..﴾	65	147
30.	﴿ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم ...﴾	66	149
31.	﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ...﴾	67	152
32.	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ...﴾	70	155
33.	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ...﴾	72	156

سورة التوبة

رقم	الآية	رقم الآية	الصفحة
1.	﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ ...﴾	12	174
2.	﴿وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ ...﴾	15	178
3.	﴿مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ...﴾	17	180
4.	﴿أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ...﴾	19	182
5.	﴿يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ ...﴾	21	184
6.	﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ ...﴾	24	186

رقم	الآية	رقم الآية	الصفحة
.7	﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِ ...﴾	30	188
.8	﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ...﴾	36	192
.9	﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ...﴾	37	194
.10	﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ ...﴾	40	200
.11	﴿قُلۡ أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡ ...﴾	53	203
.12	﴿وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ ...﴾	54	205
.13	﴿لَوۡ يَجِدُونَ مَلۡجَـًٔا أَوۡ مَغَٰرَٰتٍ أَوۡ مُدَّخَلٗا لَّوَلَّوۡاْ إِلَيۡهِ وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ﴾	57	207
.14	﴿وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ ...﴾	58	209
.15	﴿وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ ...﴾	61	211
.16	﴿يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡ ...﴾	64	214
.17	﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ ...﴾	66	217
.18	﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ...﴾	72	219
.19	﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ ...﴾	83	222
.20	﴿وَجَآءَ ٱلۡمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ لِيُؤۡذَنَ لَهُمۡ ...﴾	90	223
.21	﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمٗا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ...﴾	98	226
.22	﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ...﴾	99	228
.23	﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم ...﴾	100	230
.24	﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡ ...﴾	103	236
.25	﴿وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۗ ...﴾	106	239
.26	﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ...﴾	107	242
.27	﴿أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ ...﴾	109	245

رقم	الآية	رقم الآية	الصفحة
.28	﴿لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ...﴾	110	252
.29	﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم ...﴾	111	256
.30	﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ...﴾	114	259
.31	﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ...﴾	117	260
.32	﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا...﴾	118	265
.33	﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟...﴾	120	267
.34	﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ...﴾	126	268

سورة يونس

رقم	الآية	رقم الآية	الصفحة
.1	﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾	1	281
.2	﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ...﴾	2	283
.3	﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ...﴾	4	286
.4	﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ ...﴾	5	288
.5	﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ...﴾	11	293
.6	﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ ...﴾	15	297
.7	﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ...﴾	16	301
.8	﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ...﴾	18	303
.9	﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ ...﴾	21	306
.10	﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ...﴾	22	308
.11	﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ...﴾	23	311
.12	﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّئَاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ...﴾	27	314
.13	﴿ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ...﴾	30	317

رقم	الآية	رقم الآية	الصفحة
14.	﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ ...﴾	33	319
15.	﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ ...﴾	35	321
16.	﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ...﴾	44	325
17.	﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡ...﴾	45	327
18.	﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓۚ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ﴾	51	329
19.	﴿وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾	53	331
20.	﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾	58	313
21.	﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٖ فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ حَرَامٗا وَحَلَٰلٗا...﴾	59	336
22.	﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ ...﴾	61	338
23.	﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ...﴾	71	341
24.	﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ...﴾	72	347
25.	﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ...﴾	78	348
26.	﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ٱئۡتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ﴾	79	350
27.	﴿فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓ ...﴾	81	351
28.	﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ ...﴾	88	354
29.	﴿قَالَ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا فَٱسۡتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ ...﴾	89	356
30.	﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ ...﴾	90	360
31.	﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗ ...﴾	92	362
32.	﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ...﴾	94	366
33.	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾	96	368
34.	﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ...﴾	99	370
35.	﴿وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تُؤۡمِنَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَجۡعَلُ ٱلرِّجۡسَ ...﴾	100	371
36.	﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ...﴾	103	372

فهرس الأحاديث النبوية و الآثار

رقم	طرف الحديث	الصفحة
.1	(أتى رجل رسول الله ﷺ بالجِعرانة ...)	210
.2	(اجتنبوا السبع الموبقات، الشرك بالله...)	87
.3	(آخر آية نزلت: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ...﴾...)	165
.4	(آخر سورة نزلت سورة براءة...)	165
.5	(إذا اختلفتم أنتم و زيد بن ثابت في شيء من القرآن...)	24
.6	(أرسل إلي أبو بكر الصديق مقتل أهل اليمامة...)	37
.7	(أعطيت السبع الطوال مكان التوراة...)	277
.8	(أقرأني جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيدُه و يزيدني...)	20، 23
.9	(ألا إن القوة الرمي)	144
.10	(الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن...)	233
.11	(إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف...)	21
.12	(أن النبي ﷺ أرسل علياً؛ ليقرأ براءة على المشركين...)	168
.13	(أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان و كان يغازي أهل الشام...)	38
.14	(إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه)	20، 26
.15	(إني بعثت إلى أمة أميين منهم العجوز و الشيخ الكبير...)	28
.16	(بينما رجل من المسلمين يومئذٍ يشتد في أثر رجل من المشركين...)	73
.17	(تسمونها سورة التوبة، و هي سورة...)	167
.18	(خرج عبد الرحمن بن يزيد مرة و هو يريد أن يجاعل...)	169
.19	(سألت علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لم لم تكتب في براءة...)	166
.20	(السبع الطوال: البقرة، آل عمران...)	277
.21	(صليت خلف عمر الغداة...)	277
.22	(فرعون لعنه الله لما قال آمنت...)	366
.23	(فينا يوم بدر نزلت، و كان الناس على ثلاث منازل...)	63
.24	(قلت لابن عباس رضي الله عنهما سورة الأنفال قال...)	60، 61
.25	(قلت لابن عباس: سورة التوبة؟ قال: التوبة، بل هي الفاضحة...)	167
.26	(قلت لعثمان بن عفان: ما حملكم على أن عمدتم...)	165
.27	(كاد أن يصيبنا في خلافك بلاء...)	153
.28	(كنت عند منبر رسول الله ﷺ في نفر من أصحابه...)	183
.29	(لا تبغِ و لا تكن باغياً فإن الله ...)	313
.30	(لم أتخلف عن النبي ﷺ في غزوة غزاها إلا بدراً...)	261

رقم	طرف الحديث	الصفحة
.31	(لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى المشركين...)	73
.32	(لما كان يوم بدر، قتل أخي عمير ...)	62
.33	(لو أن الأنصار سلكوا وادياً أو شعباً...)	233
.34	(ما من الأنبياء نبيٌّ إلا أعطي ما مثله، آمن عليه البشر...)	1
.35	(ما ينبغي لعبد أن يقول إني خير من يونس بن متَّى)	276
.36	(نصرت بالصبا و أهلكت عاد بالدبور)	130
.37	(وكان النبي ﷺ قد بعث أبا بكر الصديق؛ ليقيم للناس الحج...)	168
.38	(يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي...)	326
.39	(يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله...)	164
.40	(يقول الله عز و جل لأهل الجنة: يا أهل الجنة...)	220

فهرس الأعلام المترجم لهم

رقم	الاسم	الصفحة
.41	إبراهيم بن السُّرى بن سهل، أبو إسحاق ، لقّب بالزجّاج	69
.42	إبراهيم بن عمر بن حسن الرُبَاط بن على بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين	92
.43	أبو بكر الأصم	159
.44	أبو بكر محمد بن عبد الله، المعروف بابن العربي	262
.45	أبو جهم بن حذيفة القرشي العدوي	19
.46	أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار، صحابي	333
.47	أحمد بن الحسين بن أحمد الموصلي، أبو عبد الله شمس الدين ابن الخباز	190
.48	أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين	100
.49	أحمد بن محمد بن أبي بكر، شهاب الدين القسطلاني	29
.50	أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد	40
.51	أحمد بن يحيى بن يزيد بن يسار، أبو العباس ثعلب	24
.52	الأخنف بن قيس بن معاوية بن حصين التّميمي ، أبو بحر	277
.53	إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر	329
.54	بدر الدين محمد بن عبد الله بهادر، أبو عبد الله الزركشي	9
.55	الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، أبو محمد	61
.56	الحسن بن أبي الحسن البصري، أبو سعيد	44
.57	الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان بن أبان، الإمام أبو علي الفارسي	227
.58	الحسين بن مسعود بن محمد ، الفراء	12
.59	خالد بن زيد الأنصاري، أبو أيوب	19
.60	الدكتور بوكاي	365
.61	زر بن حبيش بن حباشة، أبو مريم الأسدى الكوفي	53
.62	زيد بن سهل، أبو طلحة الأنصاري	19
.63	سعد بن مالك، أبو سعيد الخدري	19
.64	سعيد بن جبير بن هشام	167
.65	سعيد بن مسعدة ، أبو الحسن ، الأخفش	82
.66	سليم بن عيسى بن سليم بن عامر بن غالب	54
.67	سليمان بن مهران الأعمش، أبو محمد	44
.68	شهاب الدين محمود الألوسي	4
.69	عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية	3
.70	عبد الرحمن بن أبي بكر شيخ الإسلام جلال الدين الفضل، السيوطي	5

رقم	الاسم	الصفحة
.71	عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن، أبو الفضل الرازي	26
.72	عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان، المعروف بأبي شامة المقدسي	31
.73	عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، أبو زرعة	115
.74	عبد الفتاح عبد الغني القاضي	34
.75	عبد القاهر بن عبد الرحمن، أبو بكر الجرجاني	2
.76	عبد الله بن حبيب بن ربيعه، أبو عبد الرحمن السلمي	53
.77	عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن، أبو محمد الدمياطي	35
.78	عثمان بن جني، كني أبو الفتح النحوي	17
.79	عثمان بن صلاح الدين عبد الرحمن بن عثمان، المشهور بابن الصلاح	44
.80	على بن أحمد بن محمد بن على بن قتُّويه ، أبو الحسن الواحدي	90
.81	علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، الرماني	2
.82	علي بن مؤمن بن محمد الحضرمي الاشبيلي ، وعرف بابن عصفور	89
.83	علي بن محمد بن الحسين الرباطي، أبو الحسن، المعروف بابن بري	363
.84	عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير	15
.85	عمرو بن عثمان بن قنبر، سيبويه	84
.86	فاضل صالح مهدى السامرائي	87
.87	القاسم بن سلام، أبو عبيدة	19
.88	قعنب بن أبي قعنب، أبو السّمال	43
.89	مالك ابن عامر، أبو عطية الهمداني الوادعي	169
.90	مالك بن التّيهان الأنصاري الأوسي، أبو الهيثم، صحابي	344
.91	مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي	11
.92	محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، شمس الدين، ابن القيم	33
.93	محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح، القرطبي	3
.94	محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة، أبو منصور، الأزهري	154
.95	محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر الباقلاني	2
.96	محمد بن جعفر بن عبد الكريم بن بديل، ركن الإسلام ، أبو الفضل الخزاعي	45
.97	محمد بن حبان بن أحمد بن حبانّ، أبو حاتم البستى	19
.98	محمد بن سعدان أبو جعفر الكوفي	22
.99	محمد بن عبد الرحمن بن السَميفع	43
.100	محمد بن عبد الرحمن بن محيصن، أبو عبد الله	44
.101	محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضبي الطّهماني النيسابوري، الشهير بالحاكم	19
.102	محمد بن عبد الله بن مالك، أبو عبد الله الأندلسي	313
.103	محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الجزري	6

رقم	الاسم	الصفحة
.104	محمد بن محمد بن محمود ، أبو منصور الماتريدى	12
.105	محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب، أبو بكر الزهري	24
.106	محمد بن مكرم بن علي ، أبو الفضل ، جمال الدين بن منظور	33
.107	محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس	241
.108	محمد بن يعقوب بن إبراهيم الشيرازي الفيروزأبادى	3
.109	محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان	10
.110	محمد رشيد بن علي رضا بن محمد، القلموني	2
.111	محمد سالم محيسن	176
.112	محمد عبد العظيم الزرقاني	5
.113	مصطفى صادق عبد الرزاق بن محمد، الرافعي	1
.114	معمر بن المثنى التيمي ، أبو عبيدة النحوي	72
.115	مكي بن أبي طالب، أبو محمد القيسي	39
.116	نفيع بن حارث الثقفي، أبو بكرة	19
.117	واثلة بن الأسقع، الكناني الليثي صحابي	277
.118	يحيي بن المبارك اليزيدي، أبو محمد	44
.119	يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، أبو زكرياء، المعروف بالفراء	100
.120	يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر	47
.121	يونس بن حبيب الضبي بالولاء، أبو عبد الرحمن	89

فهرس المصادر و المراجع[1]

1- القرآن الكريم.

2- الإبانة عن معاني القراءات : أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (355-437هـ) - دار المأمون للتراث - دمشق بيروت - ط1 - سنة 1399 هـ - 1979 م.

3- أبجد العلوم الوشى المرقوم في بيان أحوال العلوم : صدّيق بن حسن القانوجي- تحقيق عبد الجبار زكار - دار الكتب العلمية - بيروت - 1978م.

4- أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب: دراسات لسانية و لغوية: د.عصام نور الدين- المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع - ط1 - 1402هـ - 1982م .

5- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر المسمّى منتهى الأماني والمسرّات في علوم القراءات : الشيخ أحمد بن محمد البنا - تحقيق د. شعبان محمد إسماعيل - عالم الكتب - بيروت - ط1- 1407هـ-1987 م .

6- الإتقان في علوم القرآن : الحافظ جلال الدين السيوطي- تحقيق مصطفى ديب البغا - دار ابن كثير - دمشق - بيروت - ط5 سنة 1422هـ - 2002م.

7- أثر القراءات فى الأصوات والنحو العربي أبو عمر بن العلاء : تأليف د. عبد الصبور شاهين - مكتبة الخانجي بالقاهرة - ط1 - سنة 1408هـ - 1987م.

8- الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها : د. حسن ضياء الدين عتر - دار البشائر الإسلامية - ط1 - 1409 هـ -1988 م.

9- أحكام القرآن: أبو بكر الرازي (370هـ) - راجعه صدقي محمد جميل - دار الفكر - بيروت - لبنان - ط1 - 1421هـ- 2001م.

10- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : أبو السعود (القاضي محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي)(ت 982) - خرج أحاديثه الشيخ محمد صبحي حسن حلان- دار الفكر- بيروت- ط1-1421هـ-2001م.

---

(1) لم أعتبر في الترتيب (أل) التعريف و قد **شمل هذا الفهرس الكتب التي أحيل إليها في الهامش.**

11- إرشاد المريد إلى مقصود القصيد: تأليف علي محمد الضباع مراجع المصاحف بمشيخة المقارئ المصرية سابقاً – اعتنى به أ/جمال محمد شرف، أ/عبد الله علوان – دار الصحابة للتراث بطنطا – 1423هـ – 2002م.

12- أساس البلاغة: الإمام الكبير جار الله أبي القاسم محمد بن عمر الزمخشري (ت 538هـ) تحقيق الأستاذ عبد الرحيم محمود – دار المعرفة – بيروت- لبنان – ط1- 1399هـ – 1979م.

13- الأساس في التفسير: سعيد حوى – دار السلام- ط2- سنة 1409 هـ- 1989م.

14- أسباب النزول : للإمام أبى الحسن على بن أحمد الواحدي (468هـ)- تحقيق أيمن صالح شعبان – دار الحديث – القاهرة – سنة 1424 هـ -2003م.

15- أسباب النزول : للإمام السيوطي – دراسة وتحقيق حامد أحمد الطاهر- دار الفجر للتراث – القاهرة – ط1 -1423 هـ -2002 م.

16- أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني (ت سنة 471هـ) – تحقيق د. عبد الحميد هنداوي – دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان – ط1 – 1422هـ – 2001م.

17- الأشباه والنظائر في النحو : جلال الدين السيوطي (ت911هـ) – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط1 –هـ1405- 1984 م.

18- الأصوات اللغوية : د. إبراهيم أنيس – الناشر مكتبة الأنجلو المصرية- ط5 – 1979م.

19- الأصوات اللغوية : د. عبد القادر عبد الجليل دار الصفاء عمان الأردن ط 1418 هـ – 1998م.

20- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي الموريتاني المالكي الإفريقي (1320-1393) وتتمته لتلميذه عطية محمد سالم – دار إحياء التراث العربي- بيروت – لبنان – ط 1- سنة(1417 هـ- 1996م).

21- الإعجاز في دراسات السابقين ، دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها: عبد الكريم الخطيب – دار الفكر العربي – ط1 – سنة 1974 م.

22- الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لترا ث أهل العلم : د . محمد محمد أبو موسى – مكتبة وهبة الجمهورية – عابدين المحرم 1405 هـ – سبتمبر 1984 م.

23- إعجاز القرآن الكريم : د. فضل حسن عباس ، سناء فضل عباس ص29 – عمّان – سنة 1412هـ –1991م.
24- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : مصطفى صادق الرافعي – المكتبة التجارية الكبرى – مصر – ط8 –1384هـ –1965م.
25- إعراب القراءات السبع وعللها : أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه الهمداني النحوي الشافعي– حققه : د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين – مكتبة الخانجي – القاهرة – ط1 –1413 هـ –1992 م.
26- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين المستشرقين: خير الدين الزركلي – دار العلم للملايين – بيروت – ط5 – مايو 1980 م.
27- الأنساب : للإمام أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التّميمي السّمْعاني (ت 562هـ) – تقديم : عبد الله عمر البارودي – دار الجنان – بيروت – لبنان – ط1 – 1408هـ– 1988م.
28- أنوار التنزيل وأسرار التأويل : القاضى ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي – الناشر مكتبة الجمهورية العربية – مصر – تصحيح محمد سالم محيسن.
29- أهداف كل سورة ومقاصدها فى القرآن :د.عبد الله محمود شحاته– الهيئة المصرية العامة للكتاب – ط2 –1981م.
30- أوضح المسالك عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام، الأنصاري المصري (ت 761هـ) – دار الجيل – بيروت– لبنان– ط5 – 1399هـ – 1979م ومعه كتاب عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك لمحمد محي الدين عبد الحميد.
31- الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب البغدادي – منشورات الكتب – لبنان – ط4.
32- باب النقول فى أسباب النزول : جلال الدين السيوطي (ت911 هـ) تحقيق أ.د/ حمزة النشرقي – الشيخ عبد الحميد فرغلي.
33- البحر المحيط : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي – دار الفكر – ط2 –1403 هـ–1983م.
34- البداية والنهاية : لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت774هـ) – تحقيق

د. أحمد عبد الوهّاب – دار الحديث – القاهرة – ط6 –1423هـ –2002 م.
35- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع : الشوكاني – دار الفكر – ط1 – 1419هـ –1998 م.
36- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدّرة تأليف خادم العلم والقرآن عبد الفتّاح القاضي– مكتبة أنس بن مالك – مكة المكرمة – ط1 – سنة 1423هـ –2002م.
37- البرهان في علوم القرآن: الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي– تحقيق محمد أبو الفضل – ط2 – عيسى البابي وشركاه.
38- بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز: تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي – ط2– غرة جماد الآخرة 1406هـ – 1986م.
39- بغية عباد الرحمن لتحقيق تجويد القرآن فى رواية حفص من طريق الشاطبية : محمد بن شحادة الغول – دار ابن القيم – المملكة العربية السعودية – ط4 – 1415 هـ – 1994 م.
40- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس علمائها و أمرائها و شعرائها و ذوي النباهة فيها ممن دخل إليها أو خرج منها: أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي (ت 599هـ) – طبع في مدينة مجريط بمطبع روخس سنة 1884م.
41- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : الحافظ جلال الدين السيوطي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – المكتبة العصرية – صيدا – بيروت.
42- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني : د. فاضل صالح السامرَّائي – دار عمار – عمان – ط2– 1422هـ – 2001 م.
43- تاج التفاسير لكلام الملك الكبير: تأليف العالم العلامة السيد محمد عثمان ابن السيد محمد أبي بكر ابن السيد عبد الله المَرغني – و بهامشه القرآن المجيد مرسوماً بالرسم العثماني – دار الفكر – ط2.
44- تاريخ ابن خلدون المسّمى بكتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ، في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت سنة 808 هـ) – دار الفكر – بيروت – لبنان – ط1399 هـ –1979م.
45- تاريخ القرآن: أبو عبد الله الزنجاني، قدّم له: الأستاذ أحمد أمين، من مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت – لبنان – ط3–1388هـ – 1969م.

46- تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة – المكتبة العلمية – بيروت – لبنان – ط3 – 1401 هـ – 1981 م.
47- تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة : للإمام المحقق محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري– تحقيق أ. جمال الدين محمد شرف – دار الصحابة للتراث بطنطا.
48- التحديد فى الاتقان والتجويد : تأليف أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي دراسة وتحقيق غانم قدورى حمد– دار الأنبار – العراق – ط-1 1407 هـ – 1988 م.
49- تحرير التنبية معجم لغوي : الإمام الحافظ شيخ الإسلام محى الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (631-676م) – تحقيق د. فايز الداية د. محمد رضوان الداية – دار الفكر المعاصر – بيروت – لبنان – 1410هـ – 1990م.
50- التحرير والتنوير : الشيخ محمد الطّاهر بن عاشور – دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – 1997 م.
51- تذكرة الحفّاظ: الإمام أبو عبد الله شمس الدين الذهبى (ت748هـ -1347م) – دار الفكر العربي – صُحح عن النسخة القديمة المحفوظة في مكتبة الحرم المكي تحت إعانة وزارة المعارف الحكومة العالية الهندية – سنة التصحيح 15 شوال – 1374 هـ – عبد الرحمن بن يحيى العلمي.
52- التصوير الفني في القرآن : سيد قطب– دار الشرق – القاهرة– ط16 – سنة 1423هـ -2002م.
53- تفسير ابن وهب المسمى الواضح في تفسير القرآن الكريم: (أبو محمد عبد الله بن محمد بن وهب الدينوري (ت 308هـ) – تحقيق : أحمد فريد – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان– ط1- 1424هـ – 2003م.
54- تفسير الإمام مجاهد بن جبر (ت102هـ) – تحقيق د. محمد عبد السلام أبو النيل – دار الفكر الإسلامي الحديثة – ط1 -1410هـ -1989م.
55- تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي ، الشهير بالخازن – و بهامشه تفسير البغوي المعروف بمعالم التنزيل لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (ت 516هـ) – مطبعة البابي الحلبي بمصر– 1375هـ – 1955م.
56- تفسير السمرقندي المسمّى بحر العلوم : أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن

إبراهيم السمرقندي (ت375هـ) – تحقيق على محمد مَعّوض ، عادل أحمد عبد الموجود، د.زكريا عبد المجيد النُوتي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط1 -1413 هـ - 1993 م.
57- تفسير الشعراوي : محمد متولي الشعراوي – أخبار اليوم – قطاع الثقافة.
58- تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل: محمد جمال الدين القاسمي- رقّمه وصحّحه وخرّج أحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء الكتب العربية.
59- تفسير القرآن العظيم : الحافظ عماد الدين ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي- دار إحياء التراث العربي – بيروت – سنة 1388هـ -1969 م.
60- تفسير القرآن الكريم : د. عبد الله شحاتة – دار غريب – القاهرة.
61- تفسير القرآن الكريم المسمّى السِّراج المنير: الخطيب الشربيني- دار المعرفة – بيروت – لبنان – ط2.
62- تفسير القرآن للقراءات القرآنية العشر من خلال الفاتحة والبقرة وآل عمران رسالة ماجستير:عبد الله علي الملاحي،إشراف: د. مروان أبو راس- سنة 1423هـ-2002م.
63- التفسير القيم: لابن القيم (691 هـ -751 هـ) جمعه محمد أويس الندّوي- حققه محمد حامد الفقى – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.
64- التفسير الكبير: للإمام العلامة تقي الدين ابن تيمية (ولد سنة 661 و توفي سنة728هـ)- تحقيق و تعليق د.عبد الرحمن عميرة – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط1- 1408هـ- 1988م.
65- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) : الإمام فخر الدين الرازي- دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط1 -1411هـ - 1990م.
66- تفسير المراغي : أحمد مصطفى المراغي- مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر – ط5 – سنة 1394 هـ -1974 م.
67- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج : د. وهبه الزحيلي – دار الفكر المعاصر – بيروت – لبنان – ط1 -1419هـ - 1991م.
68- التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق : د. صلاح عبد الفتاح الخالدي – دار النفائس – الأردن – ط1 – سنة 1418هـ - 1997م.
69- التفسير الواضح : د. محمد محمود حجازي -مطبعة الاستقلال الكبرى – القاهرة – ط6 – 1389هـ -1969م.

70- تفسير مقاتل بن سليمان: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي (ت 150هـ) – تحقيق أحمد فريد – منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان- ط1 – 1424هـ - 2003م.

71- تقريب التهذيب: الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر، و معه حاشيتا عبد الله بن سالم البصري و محمد أمين ميرغني، و قدم له محمد عوّامة – دار ابن حزم – بيروت – لبنان – ط1 – 1420هـ - 1999م.

72- التفسير والمفسرون : د. محمد حسين الذهبي – مكتبة وهبة – القاهرة – ط6 – سنة 1416 هـ- 1995 م.

73- تقريب النشر في القراءات العشر : لابن الجزري – تحقيق إبراهيم عطوة عوض – دار الحديث – القاهرة –سنة 1425 هـ - 2004 م.

74- تهذيب الصحاح: محمود بن أحمد الزنجاني – تحقيق عبد السلام محمد هارون – أحمد عبد الغفور عطار – دار المعارف بمصر.

75- تهذيب اللغة : أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري – تحقيق عبد العظيم محمود – الدار المصرية للتأليف والترجمة – مطابع سجل العرب – القاهرة.

76- التوجيه اللغوي والبلاغي لقراءة الإمام عاصم : د. صبري المتولى المتولى – دار غريب – القاهرة – سنة 1998م.

77- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : تأليف عبد الرحمن بن ناصر السعدى- قدم له محمد بن صالح العثيمين – مكتبة الصفا – مطابع دار البيان الحديثة ط1- سنة 1422 هـ - 2002 م.

78- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت310هـ) – دار الفكر – بيروت – لبنان – سنة 1408 هـ -1988 م.

79- الجامع الصحيح: للترمذي – تحقيق إبراهيم عطوة – مطبعة مصطفى البابى الحلبي – ط2 – سنة 1395 هـ - 1975 م.

80- الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبي- راجعه محمد إبراهيم الحفناوي –محمود حامد عثمان – دار الحديث –القاهرة – ط3 – 1423هـ - 2002م.

81- الجَنى الداني في حروف المعاني : الحسن بن قاسم المُرادي – تحقيق د. فخر الدين قباوة ، محمد نديم فاضل – منشورات دار الآفاق الجديدة – بيروت – ط2 – 1403 هـ - 1983م.

82- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: السيد أحمد الهاشمي- مؤسسة المعارف – بيروت.
83- الجوهر المصون في رواية قالون : تحقيق السيد هادى بن حسن بن عبد الرحمن بن حسن السَّقاف العَلَوي.
84- حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي: للقاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي (ت1069هـ) على تفسير البيضاوي- ضبطه وخرج آياته وأحاديثه الشيخ عبد الرزاق المهدي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان- ط1- 1417هـ -1997م.
85- حجة القراءات : أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة – تحقيق سعيد الأفغاني – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط5 – سنة 1418هـ -1997م.
86- الحجة في القراءات: ابو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت 370هـ) – تحقيق أحمد زيد المزيدي – قدم له : د. فتحى حجازي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – منشورات محمد على بيضون – ط1 – سنة 1420هـ -1990 م.
87- حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: عبد الرزاق البيطار – دار صادر – بيروت – ط2 1413هـ -1993 م.
88- الدر المنثور في التفسير المأثور : عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي – دار الفكر – بيروت – لبنان -1414هـ -1993 م.
89- دراسات في مناهج المفسرين: إبراهيم عبد الرحمن محمد خليفة – دار الوفاء- مكتبة الأزهر- القاهرة- ط سنة 1399هـ- 1979م.
90- دراسات لأسلوب القرآن: عبد الخالق عضيمة – دار الحديث- القاهرة.
91- دراسة الصوت اللغوي: د. أحمد مختار عمر – عالم الكتب – القاهرة – ط2 – 1981 م.
92- دلائل الإعجاز : الإمام عبد القادر الجرجاني- صححه وعلق حواشيه محمد رشيد رضا – دار المعرفة – بيروت –لبنان – سنة 1398 هـ -1978م.
93- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب : إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري – دار الكتب العلمية – بيروت.
94- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : تأليف العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي – ضبطه وصححه علي عبد الباري عطيه – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط1 سنة 1415 هـ –

1994 م.
95- زاد المسير في علم التفسير: أبو الفرج عبد الرحمن بن على ابـن الجـوزي ت 597 هـ - تحقيق عبد الرزاق المهدي - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنـان - ط1 -1422هـ -2001م .
96- زاد المعاد في هدى خير العباد محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين: للإمام ابن قيمٍ الجوزية - المطبعة المصرية ومكتباتها.
97- زاد مسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم المسمّي فتح المنعم ببيان مـا احتـيج لبيانه من زاد المسلم : للحافظ سيدى محمد حبيب الله المشهور بما يأبي الجكني ثـم اليوسفي نسباً المالكي مذهباً المتوفى بمصر سنة 1363هـ.
98- سر الفصاحة: أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبـي (ت466هـ) - دار الكتب العلمية بيروت - لبنان - ط 1402هـ - 1982م.
99- سنن الترمذي : الإمام محمد بن عيسى بن سورة الترمذي - حكم على أحاديثـه محمد ناصر الدين الألباني - مكتبة المعارف- الرياض - ط1.
100- سير أعلام النبلاء : شمس الدّين محمد بن أحمد بن عثمان الـذهبي- حققـه د. بشار عواد - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط7 -1410 هـ -1990 م.
101- السيرة النبوية: محمد بن جرير الطبري (ت310هـ) - تحقيق جمال بدران - الدار المصرية البنانية - القاهرة - ط2 - 1420 هـ - 2000م.
102- السيرة النبوية: لابن هشام ، أبي محمد عبـد الملـك بـن هشـام المعـافري (ت213هـ) - دار الجيل - بيروت - 1975م.
103- شذا العَرف في فن الصرف: أحمد الحملاوي - مطبعة مصطفى الحلبي - مصر - ط16 - 1384هـ - 1965م.
104- شذرات الذهب في أخبار من ذهب : ابن العماد الحنبلي - منشورات دار الأفاق الجديدة - بيروت.
105- شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك - دار الاتحاد العربي- الناشر محمد علـي صبيح- الأزهر- ط5- 1397هـ- 1978م.
106- شرح التصريح على التوضيح : للشيخ الإمام خالد بن عبد الله الأزهـري - دار إحياء الكتب العربية.
107- شرح الرّضِيّ على الكافية : رضي الدين الإستراباذى- تصحيح وتعليق يوسـف حسن عمر- كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية سنة 1398هـ-1978م.

108- شرح المفصل: للشيخ العالم (العلامة جامع الفوائد موفق الدين) يعيش بن على بن يعيش النحوي (ت643 هـ) – عالم الكتب – بيروت القاهرة.

109- الصاحبي : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا– تحقيق أحمد صقر – مطبعة عيسى البابي وشركاه – القاهرة.

110- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجواهري – تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار – دار العلم للملايين – بيروت– ط2– 1399هـ– 1979م.

111- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة بن بَرْدِزْبَه (المولد 13 شوال سنة 194هـ=810م، المتوفي 256هـ=880م)– حقق أصوله ووثق نصوصه و كتب مقدماته و رقمه و طبع فهارسه طه عبد الرؤوف سعد – ط سنة 1423هـ – 2003م.

112- صحيح سنن الترمذي : صححه محمد ناصر الألباني – الناشر مكتبة التربية العربي لدول الخليج – الرياض– أشرف على طباعته زهير الشاويش ط1– 1408هـ – 1988م.

113- صحيح مسلم بشرح النووي – المطبعة المصرية ومكتباتها.

114- صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني– دار القرآن الكريم – بيروت – ط4 – سنة 1402هـ –1981م.

115- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السّخاوي – منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت –لبنان.

116- طبقات الشافعية الكبرى : تاج الدّين أبي نصر عبد الوهاب السُّبكي– تحقيق محمود محمد الطناجي ، عبد الفتَّاح الحلو – دار إحياء الكتب العربية.

117- الطبقات الكبرى:محمد بس سعد الهاشمي البصري المعروف بابن سعد – دراسة و تحقيق محمد عبد القادر عطا – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط1 – 1410هـ – 1990 م .

118- طبقات المفسرين : الحافظ شمس الدّين الداوودي– دار الكتب العلمية – بيروت – ط1 – 1403 هـ – 1983 م.

119- طبقات النحويّين واللغويّين : لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي (ت379هـ) – تحقيق محمد أبو الفضل – دار المعارف بمصر – القاهرة – ط2.

120- علم وظائف الأصوات اللغوية الفونولوجيا: د.عصام نور الدين – دار الفكر اللبناني– بيروت ط1– سنة1992 م.

121- العمادي في شرح طيبة النشر في القراءات العشر (الكشف عن علل القــراءات وتوجيهاتها): د. محمد سالم محيسن – دار الجيل – بيــروت – ط1–1417هــــ – 1997م.

122- غاية النهاية في طبقات القراء : شمس الدين أبي الخير محمد بــن محمــد بــن الجزري (ت833 هــ) – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط3 –1402هـــ – 1982م.

123- غيث النفع في القراءات السبع : ولى الله سيدى علــى النــوري الصفاقســي– ضبطه: محمد عبد القادر شاهين – دار الكتب العلمية –ط1–سنة1419هــ–1999م.

124- فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري : أحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني– رقمه محمد فؤاد عبد الباقى – دار المعرفة– بيروت.

125- فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدّراية من علم التفسير : محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت 1250هــ) – اعتنى به وراجع أصوله يوسف الفُرش بصنعاء– دار المعرفة – بيروت – لبنان – ط3 – 1417هــ – 1997م .

126- الفريد فى إعراب القرآن المجيد للمنتخب حسين بن أبي العز الهَمَــذ (ت ســنة 634 هــ) – تحقيق د. فهمى حسن النمر ، د. فؤاد علي مخيمر– دار الثقافة – ط1 –1411 هــ –1991م.

127- فريدة الدهر في تأصيل وجمع القراءات العشر: تحرير وجمع الفقيــر محمــد إبراهيم محمد سالم – سنة 1422هــ –2002 م.

128- فضائل القرآن ومعالمه وآدابه : أبو عبيد القاسم بن سلام – تحقيق الأستاذ أحمد بن عبد الواحد الخيّاطي (1415هــ – 1995م) – مطبعة فضالة 3 زنقة ابن زيدون المحمدية (المغرب) – المملكة المغربية – وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية.

129- فضائل سور القرآن دراسة: د. إبراهيم علي السيد علــي عيســى – مصــر– القاهرة – الإسكندرية– دار السلام – ط2– 1425هــ – 2005م.

130- الفوائد المشوق في علوم القرآن: ابن الجوزية – مكتبة المتنبــي – القــاهرة – ط1– 1983م.

131- في رحاب التفسير : عبد الحميد كشك – المكتب المصري الحديث – القاهرة – سنة 1409 هــ –1988م.

132- في ظلال القرآن: سيد قطب – دار الشــروق – ط 13 – ســنة 1407هــــ– 1987م.

133- في هامش القرآن الكريم القراءات العشر المتواترة : فكرة وتنفيذ: علوي بن محمد بن أحمد بلفقيه وإشراف محمد كريم راجح شيخ القراء في الديار الشامية – دار المهاجر للنشر والتوزيع – ط4 – سنة 1425هـ –2004 م.
134- القاموس المحيط: للعلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (817هـ) – تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة – بيروت – شارع سوريا – ط1– 1406هـ – 1986م.
135- القراءات أحكامها ومصدرها : د. شعبان إسماعيل– مطبوعات رابطة العالم الإسلامي – ط2 – سنة 1414هـ.
136- القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية : د. فضل حسن عبّاس – مجلة دراسات – المجلد الرابع عشر – العدد السابع – سنة 1987م.
137- القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية : د. محمد الحبش – دار الفكر المعاصر بيروت – لبنان – ط1 1419 هـ – 1999 م.
138- القراءات وأثرها في التفسير والأحكام : إعداد محمد بن عمر بن سالم بن بازمول – دار الهجرة – المملكة العربية السعودية – ط1 –سنة 1417هـ – 1996م.
139- القرآن إعجازه وبلاغته : د. عبد القادر حسين– المطبعة النموذجية – مكة.
140- قطر الندى وبلّ الصدى : أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت 761هـ) – مطبعة السعادة بمصر – ط11 – ربيع الثاني 1383 هـ أغسطس 1963م.
141- الكامل في التاريخ : ابن الأثير (ت 630هـ) – تحقيق : أبو الفداء عبد الله القاضي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط1–1407هـ–1987 م.
142- كتاب المُغَرِّب في ترتيب المعرب : أبو الفتح ناصر بن عبد السيد بن على المطرزي الفقية الحنفي الخوارزمي (ت 616هـ) – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان.
143- كتاب السبعة في القراءات : ابن مجاهد– تحقيق د. شوقى ضيف – دار المعارف بمصر – القاهرة.
144- كتاب المصاحف: أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني الحنبلي ، المعروف بابن داوود (230هـ – 316هـ) – تحقيق د. محمد واعظ – دار البشائر الإسلامية– بيروت– لبنان– ط2– 1423هـ– 2002م.

145- كتاب سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت سنة 180 هـ) – تحقيق عبد السّلام محمد هارون – دار الجيل – بيروت.
146- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها : أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (355هـ –437هـ) – تحقيق د. محى الدين رمضان – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط5 – سنة 1418هـ – 1997م .
147- الكليات ، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية : أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكَفوى المتوفى سنة 1094 هـ – مؤسسة الرسالة – بيروت – سوريا – ط2 –1413هـ –1993 م.
148- الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة : الشيخ نجم الدين العربي – دار الفكر.
149- لب اللباب في تحرير الأنساب: للإمام العلامة جلال الدين عبد الرحمن السيوطي– تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز ، وإشراف أحمد عبد العزيز – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط1 – 1411هـ – 1991م .
150- لباب التأويل في معالم التنزيل:الإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي– دار الكتب العلمية– بيروت– لبنان– ط1–1414هـ–1993م.
151- لسان العرب : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري – دار صادر – بيروت – سنة 1424 هـ –2003م.
152- لطائف الإشارات لفنون القراءات : شهاب الدين القسطلاني – تحقيق وتعليق عامر السيد عثمان ، د. عبد الصبور شاهين – يشرف على إصدارها محمد توفيق عويضة – لجنة إحياء الثرات الإسلامي – مصر – القاهرة – سنة 1392 هـ – 1972 م.
153- لطائف البيان في أحكام وعلوم القرآن : صابر غانم المنكوت – دار إحياء الثرات الإسلامي – دولة قطر ، عنى بطبعه عبد الله بن إبراهيم الأنصاري.
154- اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية : تشيم رابين ، ترجمة د. عبد الكريم مجاهد – دار الفارس – الأردن ط1 –2002 م.
155- اللهجات العربية في القراءلت القرآنية : د. عبده الراجحي – مكتبة المعارف – الرياض ط1– 1420هـ –1999م.
156- ما انفرد به كل من القراء السبعة وتوجيهه في النحو العربي : عبد القادر الهَيْتي– دار الكتب الوطنية – منشورات جامعة قانيونس – بنغازي – ط1 – 1996 م.

157- مباحث في علوم القرآن : مناع القطان– مؤسسة الرسالة –بيروت – لبنان – ط35 –1418 هـ –1998م.
158- المبسوط في القراءات العشر : لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني (295–381هـ) – تحقيق وتعليق : جمال الدين محمد شرف – دار الصحابة للتراث بطنطا – 1424هـ – 2003م.
159- متن الألفية: للعلامة الهمام جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن مالك الأندلسي – المطبعة الخيرية : مالكها السيد عمر حسن القاهرة – مصر– ط 1319 هـ.
160- مجاز القرآن : أبو عبيدة معمر بن المثني التَّيميّ (ت سنة 210 هـ) – علق عليه د.محمد فؤاد شركين – الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة .
161- مجمع البيان في تفسير القرآن : للشيخ أبو علي الفضل بن حسن الطبرسي – دار مكتبة الحياة – بيروت – لبنان.
162- مجمل اللغة : أبو الحسين أحمد بن فارس (ت395هـ) – تحقيق عبد المحسن سلطان – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط2 –1406هـ –1986م.
163- مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم – دار القلم – دمشق – ط1 – 1410هـ–1989م
164- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: تحقيق علي النجدي ناصف ، عبد الفتاح إسماعيل شلبي – القاهرة – سنة1389 هـ –1969م.
165- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: القاضي عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المتوفى سنة 546هـ ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد– طبعة محققه عن نسخه آيا صوفيا– استنبول رقم (119) محفوظة في مكتبة مرعشي بخفي– دار الكتب العلمية– بيروت– لبنان ط سنة 1413هـ–1993م.
166- المحيط في اللغة : تأليف كافي الكفاة ، إسماعيل بن عبَّاد (326هـ – 385هـ) – تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين – عالم الكتب – بيروت – ط1 –1414هـ –1994م.
167- مختار الصحاح : الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي – راجعه لجنة من علماء العربية – دار الفكر – طرابلس – بيروت.
168- مدارك التنزيل وحقائق التأويل : للإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي– تحقيق سيد زكريا – مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية

- مكة – ط1–142 1 هـ –2000 م.
169- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز : شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف أبو شامة المقدسي (ت 665هـ –1267م) – حققه طيار آلتي قولاج – دار صادر – بيروت – سنة 1395هـ –1975م.
170- المزهر فى علوم اللغة وأنواعها : عبد الرحمن جلال الدين السيوطي – شرحه و علق على حواشيه محمد أحمد جاد المولى وآخرون – دار الفكر.
171- المستدرك على الصحيحين : للإمام الحافظ أبى عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري – تحقيق مصطفى عبد القادر عطا – دار الكتب العلمية – بيروت – ط2 سنة1422هـ – 2002 م.
172- المستنير فى تخريج القراءات المتواترة من حيث اللغة والإعراب والتفسير: د. محمد سالم محيسن– دار الجيل – بيروت – ط1– سنة 1409 هـ – 1989م.
173- مسند الإمام أحمد و بهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال و الأفعال – دار الفكر العربي.
174- مشكاة المصابيح : تأليف محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي– تحقيق محمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي – ط3– 1405هـ – 1985م.
175- المصباح المنير : أحمد بن محمد بن علي الفيّومي المقري – دار الحديث – القاهرة – ط1 1421 هـ –2000 م.
176- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: تأليف العالم أحمد بن محمد بن علي المقرى الفيومي (ت 770هـ) – المطبعة الأميرية مصطفى السقا – دار الفكر – المملكة العربية السعودية.
177- معاني الأبنية في العربية: د.فاضل صالح السامرّائي – جامعة الكويت – كلية الآداب – ط1 –1401هـ –1981م.
178- معاني القراءات : تصنيف العلامة أبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى (ت سنة 370هـ) حققه وعلق عليه الشيخ أحمد فريد المزيدي – تقديم : فتحى عبد الرحمن حجازي– دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط1– 1420هـ –1999 م.
179- معاني القرآن : أبو جعفر النحاس (ت 338 هـ)– دار الحديث –القاهرة – سنة 1425هـ–2004 م.
180- معاني القرآن : الأخفش سعيد بن مَسْعِدَة البَلْخي المجاشعي– دراسة وتحقيق د.

عبد الأمير محمد أمين – عالم الكتب – بيروت – ط1 – 1405 هـ – 1985م .
181- معاني القرآن : الفراء أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت 207هـ) – عالم الكتب – بيروت – ط3 – 1403 هـ– 1983م.
182- معاني القرآن : على بن حمزة الكسائي (ت189هـ) – تقديم د. عيسى شحادة عيسى – دار قباء للطباعة – القاهرة –1998م.
183- معاني القرآن وإعرابه : للزجاج أبو إسحاق إبراهيم بن السري (ت سنة 311هـ) – شرح وتحقيق د. عبد الجليل عبدو شلبي – عالم الكتب –بيروت – ط1 –1408هـ– 1588م.
184- معترك الأقران في إعجاز القرآن : الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي– تحقيق علي محمد البيجاوي – دار الفكر العربي.
185- معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002 : كامل سلمان الجبوري دار الكتب العلمية – بيروت – ط1 –1424هـ – 2003 م.
186- معجم البلدان : للإمام شهاب الدّين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت626هـ) – تحقيق فريد عبد العزيز الجُندي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط1 –1410هـ –1990 م.
187- معجم المؤلفين تراجم مصنّفي الكتب العربية : عمر رضا كحالة – دار إحياء التراث العربي – بيروت.
188- المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات) : د. محمد التونجي ، راجي الأسمر – مراجعه د. إميل يعقوب – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط1– 1414هـ – 1993 م.
189- معجم مقاييس اللغة : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت 395هـ) – تحقيق عبد السلام محمد هارون – دار الجيل – بيروت – ط1 – سنة 1411هـ – 1991م.
190- معرفة القراء الكبار على الطبقات والإعصار: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت748هـ –1348 م) – تحقيق د. طيّار آلتى قولاج – استانبول – منشورات مركز البحوث الإسلامية التابع لوقف الديانة التركي– طبع بالأوفست بمطابع مديرية النشر و الطباعة و التجارة التابعة لوقف الديانة التركي– أنقرة – ط1–1416هـ – 1995م.
191- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب : الإمام أبي محمد عبد الله جمال الدين بن

يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصرى (ت –761 هـ)– تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد – المكتبة العصرية – صيدا – بيروت – ط سنة 1407 هـ – 1987م.

192- المغني في توجيه القراءات العشر : د. محمد سالم محيسن – دار الجيل – بيروت – ط2 – سنة 1408 هـ.

193- المغني في ضبط أسماء الرجال ومعرفه كُنى الرّواة وألقابهم وأنسابهم : العلامة المحدّث محمد طاهر بن على الهندي صاحب مجمع البحار في لغة الأحاديث والآثار (ت986هـ) – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان –1399هـ –1979م.

194- المغني في علم التجويد برواية الإمام حفص عن عاصم: د.عبد الرحمن الجمل – ط2– 1999م – غزة – الجامعة الإسلامية – آفاق للطباعة و النشر

195- مفردات ألفاظ القرآن : الراغب الأصفهاني– تحقيق صفوان عدنان داوودي – دارالقلم – دمشق – ط3 – سنة 1423 هـ–2002م.

196- المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني – تحقيق محمد سيد كيلاني – دار المعرفة – بيروت – لبنان.

197- المقتطف من عيون التفاسير: مطصفى الحسن المنصوري– تحقيق محمد على الصابوني – دار السلام – القاهرة – ط1 – 1417هـ –1996م.

198- مقدمة تفسير ابن النقيب فى عالم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن : للإمام أبي عبد الله جمال الدين محمد بن سليمان البلخي المقدسي الحنفي ، الشهير بابن النقيب المتوفي سنة 692 هـ والمطبوع خطأ ، بعنوان الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان لابن القيم الجوزية: كشف عنها وعلق حواشيها د. زكريا سعيد علي– مكتبة الخانجي بالقاهرة – ط1 – 1415هـ – 1995م.

199- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل: الإمام أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي– تحقيق: سعيد الفلاَّح – دار الغرب الإسلامي – الإسلامي – بيروت – لبنان – ط1 – 1403هـ – 1983م.

200- من أصول اللهجات العربية فى السودان، دراسة مقارنة في اللهجات العربية القديمة و آثارها في السودان: الأستاذ الدكتور عبد المجيد عابدين أستاذ الأدب العربي كلية الآداب – جامعة الأسكندرية ص34 – دار المعرفة الجامعية – الأسكندرية – ط سنة 1989 م.

201- من بلاغة القرآ: د. محمد شعبان علوان – د. نعمان شعبان علـوان – الـدار العربية للنشر – ط2 – سنة 1998 م.
202- مناهل العرفان في علوم القرآن : الشيخ محمد عبـد العظـيم الزرقـاني – دار الحديث – القاهرة – سنة 1422هـ –2001م.
203- المنتخب في تفسير القرآن الكريم – وزارة الأوقاف المجلس الأعلـى للشـئون الإسلامية – لجنة القرآن والسنة – ط18 – القاهرة – 1416هـ – 1995م.
204- منجد الطلاب في اللغة والأعلام – نظر فيه ووقف على ضـبطه فـؤاد إفـرام البستاني – دار المشرق – بيروت – لبنان – ط 38 – سنة 1991م.
205- منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره : د. عبد الرحمن يوسـف أحمـد الجمل – تحت إشراف: د. فضل حسن عبـاس– رسـالة ماجسـتير 1412هـ – 1992م.
206- الموسوعة العربية العالمية: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع – ط2 – الرياض – المملكة العربية السعودية.
207- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تعزي بَرْدى الأتابكي – قدَّم له وعلَّق عليه محمد حسين شمس الـدّين – دار الكتـب العلمية – بيروت – ط1 1413 هـ –1992م.
208- نزول القرآن على سبعة أحرف : مناع القطان –الناشر مكتبة وهبة – القاهرة – ط1 – 1411 هـ – 1991م.
209- النسب: لأبي عبيد القاسم بن سلام– تحقيق ودراسة مريم محمد خيـر الحـرع، تقديم د. سهيل ذكّار – دار الفكر – ط1 – 1410هـ – 1989م.
210- النشر في القراءات العشر : الإمام الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشـقي الشهير بابن الجزري– قدّم له علي محمد الضباع – خرج آياته زكريا عميـرات – منشورات محمد علي بيضون –دار الكتب العلمية – بيروت –لبنان – ط2 1423هـ –2002م.
211- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: للإمام برهان الدين أبى الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (885هـ) – خرج أحاديثة: عبد الرازق غالب المهدى – دار الكتـب العلمية – بيروت – ط1– سنة 415هـ – 1995 م.
212- نفح الطيب من غصن الأندلس الرَّطيب : أحمد بن محمد المقري التلمسـاني – دار صادر – بيروت –1968 م.

213- النهاية في غريب الحديث والأثر : مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير – قدم له علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد – دار ابن الجوزي – ط2 – ربيع الأول 1423 هجري – المملكة العربية السعودية – جدة – الرياض.
214- نيل المرام من تفسير آيات الأحكام: محمد صديق حسن – تحقيق علي السيد صبح المدني – مكتبة المدني – جدة – ط 1399هـ- 1971م.
215- الهادى شرح طيبة النشر في القراءات العشر والكشف عن علل القراءات وتوجيهها : د. محمد سالم محيسن – دار الجيل – بيروت – ط1 – سنة 1417هـ -1997 م.
216- الوافي معجم وسيط اللغة العربية: الشيخ عبد الله البستاني – مكتبة لبنان – بيروت – سنة 1980 م.
217- وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن: د.محي الدين رمضان –دار الفرقان للنشر والتوزيع – عمان – الأردن – جبل الحسين – ط1- 1402هـ-1982م.
218- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلّكان (608هـ -681هـ) – إعداد وداد القاضي ، عز الدّين أحمد موسى، إشراف د. إحسان عباس – دار الثقافة – بيروت – لبنان.
219- www.55a.net/firas/arabic
220- www.amaneena.com/m/40
221- Google www.iu.edu.sa/magazine/57/37

فهرس الموضوعات

رقم	الموضوع	الصفحة
.12	الإهداء	ج
.12	شكر و وفاء	د
.12	المقدمة	هـ
.12	**التمهيد**	س
.12	**المبحث الأول: القراءات القرآنية هي لون من ألوان الإعجاز القرآني.**	**1**
.12	**المبحث الثاني: التفسير والتأويل**	**9**
.12	المطلب الأول: معنى التفسير والتأويل والفرق بينهما	**9**
.12	المطلب الثاني: علاقة القراءات القرآنية بالتفسير	**15**
.13	**المبحث الثالث: الأحرف السبعة**	**19**
.13	المطلب الأول: أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف	**19**
.13	المطلب الثاني: معنى الأحرف السبعة والرأي الراجح منها	**22**
.13	المطلب الثالث: فوائد نزول القرآن على سبعة أحرف	**28**
.13	المطلب الرابع: صلة القراءات بالأحرف السبعة	**30**
.13	**المبحث الرابع: القراءات القرآنية**	**33**
.13	المطلب الأول: تعريف القراءة القرآنية لغةً واصطلاحاً	**33**
.13	المطلب الثاني: العلاقة بين القراءات القرآنية والقرآن	**35**
.13	المطلب الثالث: نشأة القراءات القرآنية وأقسامها وحكم الاحتجاج بها	**35**
.13	المطلب الرابع: التعريف بالقرَّاء العشرة ورواتهم	**49**
.14	**الفصل الأول: تفسير سورة الأنفال من خلال القراءات القرآنية العشر**	**58**
.14	**المبحث الأول: بين يدي السورة**	**59**
.14	نوع السورة	**60**
.14	أسماء سورة الأنفال	61
.14	أسباب نزول سورة الأنفال	62
.14	فضل سورة الأنفال	62

رقم	الموضوع	الصفحة
14.	مناسبة السورة لما قبلها (الأعراف)	62
14.	مناسبة السورة لما بعدها (التوبة)	62
14.	مقاصد سورة الأنفال	63
14.	**المبحث الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة الأنفال المتضمنة للقراءات العشر**	67
15.	**الفصل الثاني: تفسير سورة التوبة من خلال القراءات القرآنية العشر**	161
15.	**المبحث الأول: بين يدي السورة**	162
15.	نوع السورة	164
15.	أسماء السورة	166
15.	تاريخ نزول سورة التوبة	168
15.	سبب نزول سورة التوبة	168
15.	فضل سورة التوبة	169
15.	مناسبة السورة لما بعدها (يونس)	170
15.	مناسبة السورة لما قبلها (الأنفال)	170
15.	مقاصد سورة التوبة	170
16.	**المبحث الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة التوبة المتضمنة للقراءات العشر**	173
16.	**الفصل الثالث: تفسير سورة يونس من خلال القراءات العشر**	273
16.	**المبحث الأول: بين يدي السورة**	274
16.	تسميتها	275
16.	موضوع سورة يونس	276
16.	من هو النبي يونس	276
16.	فضل سورة يونس	277
16.	مناسبتها لما قبلها(التوبة)	277
16.	مناسبة بداية سورة يونس و خاتمتها	278
16.	مناسبة سورة يونس لما بعدها (هود)	278
17.	مقاصد سورة يونس	279
17.	**المبحث الثاني: عرض وتفسير لآيات سورة يونس المتضمنة للقراءات العشر**	280

رقم	الموضوع	الصفحة
.17	الخاتمة	378
.17	ملخص الرسالة	382
.17	**الفهارس العامة**	384
.17	فهرس الآيات القرآنية	385
.17	فهرس الأحاديث و الآثار	390
.17	فهرس الأعلام المترجم لهم	392
.17	فهرس المصادر و المراجع	395
.17	فهرس الموضوعات	414
.18	**ترجمة ملخص البحث باللغة الإنجليزية**	417

Abstract

This research includes a preface, an introduction and three chapters.

In the preface, which is divided into four sections, the researcher shows in the first section that the *kera'aat* (Quranic readings) are miraculous.

In the second section, which deals with t*afsee*r (interpretation) and t*aweel* (analytical or contextual interpretation), the researcher differentiates between *tafseer* and *taweel* and shows the relationship between the different types of *kera'aat* and *tafseer*.

In the third section, which deals with *Al ahruf al sab'a* (the Quranic seven dialects), the researcher states the h*adiths* (the Prophet's sayings) that pertain to the revelations of Quran in *Al ahruf al sab'a*, the meanings of Al *ahruf al sab'a* and the truest one, benefits of the revelation of Quran in *Al ahruf al sab'a* and the relationships of *kera'aat* to *Al ahruf al sab'a*.

The fourth section deals with *kera'aat* and includes the following:

1) Definition of *kera'aat* linguistically and idiomatically.

2) The relationship of *kera'aat* to Quran.

3) The emergence of *kera'aat* , their types and rational for referring to them.

4) A biography of the ten reciters and their narrators. **The first chapter** defines and interprets *Suratu al Anfal* (ch.8), highlighting the verses that show the *kera'aat*. **The second chapter** defines and interprets *Suratu Al Tawba* (ch.9), highlighting the verses that show the *kera'aat*. **The third chapter** defines and interprets *Surat Younus* (ch.10), highlighting those verses that show the *kera'at*. **At the end**, the researcher states some conclusions and recommendations.